

بجاني اللّووب
حدر اللّووب العرب

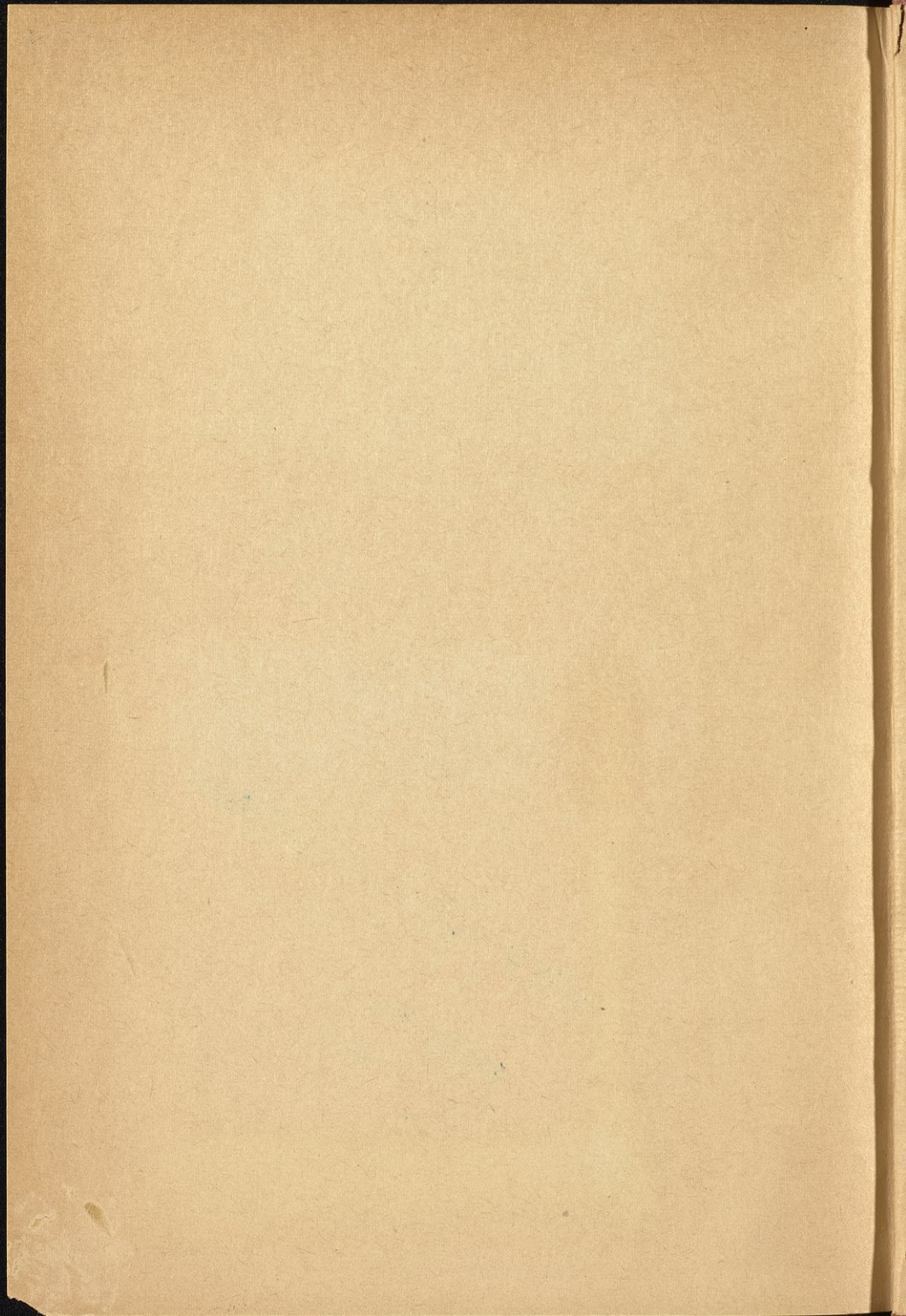
المطبعة الكائنونية - بيروت

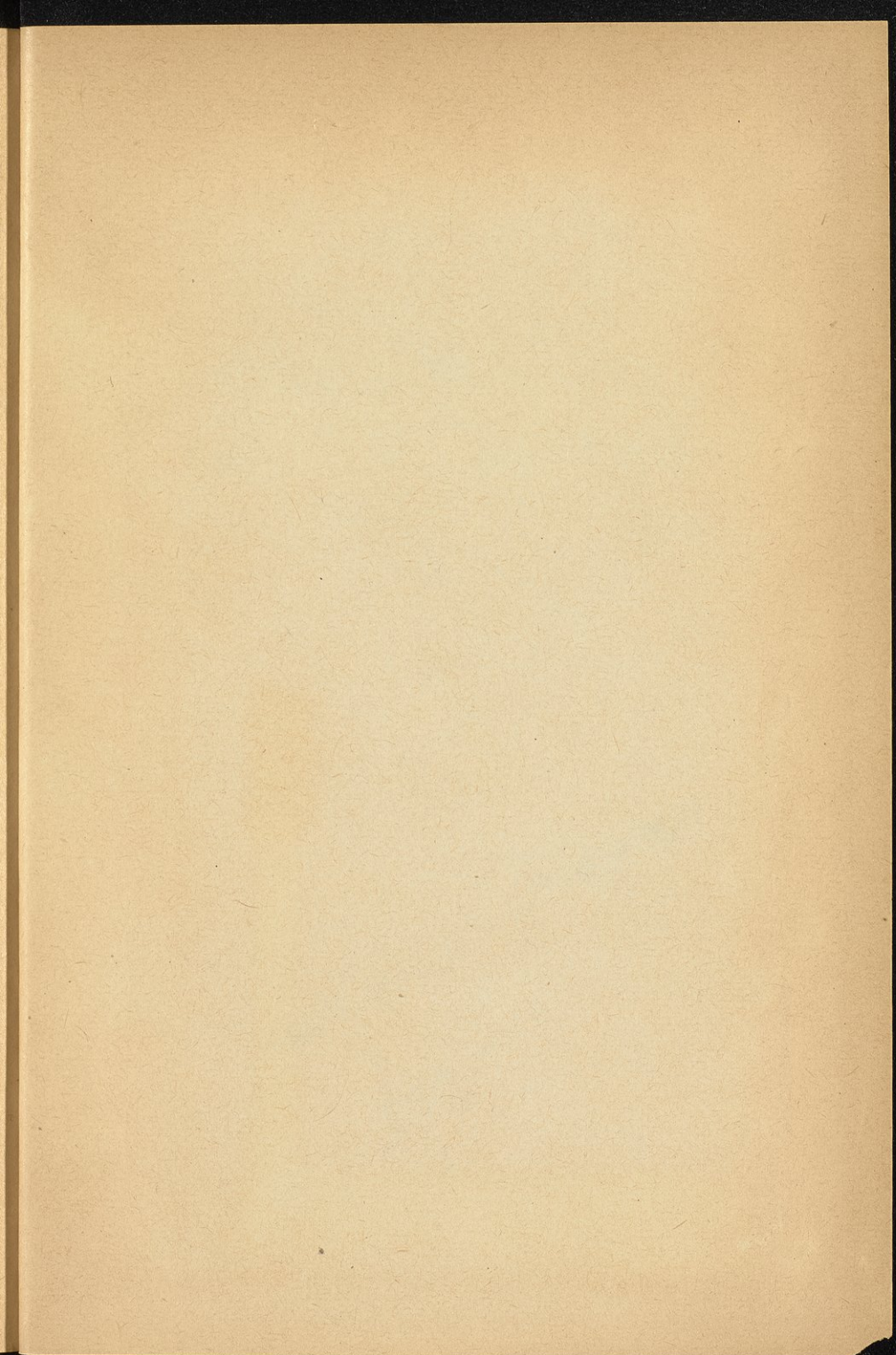


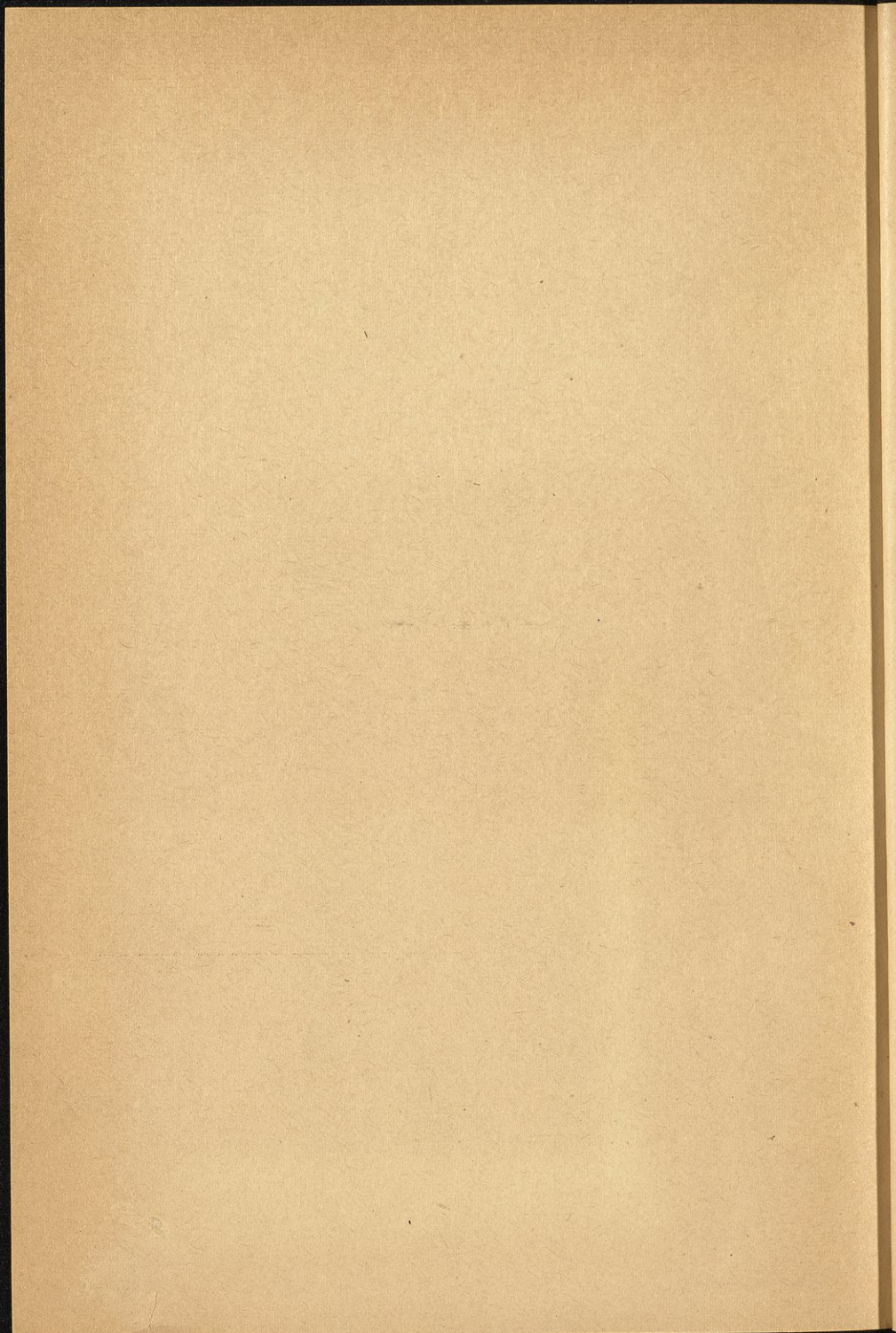
2260
• 252
• 11

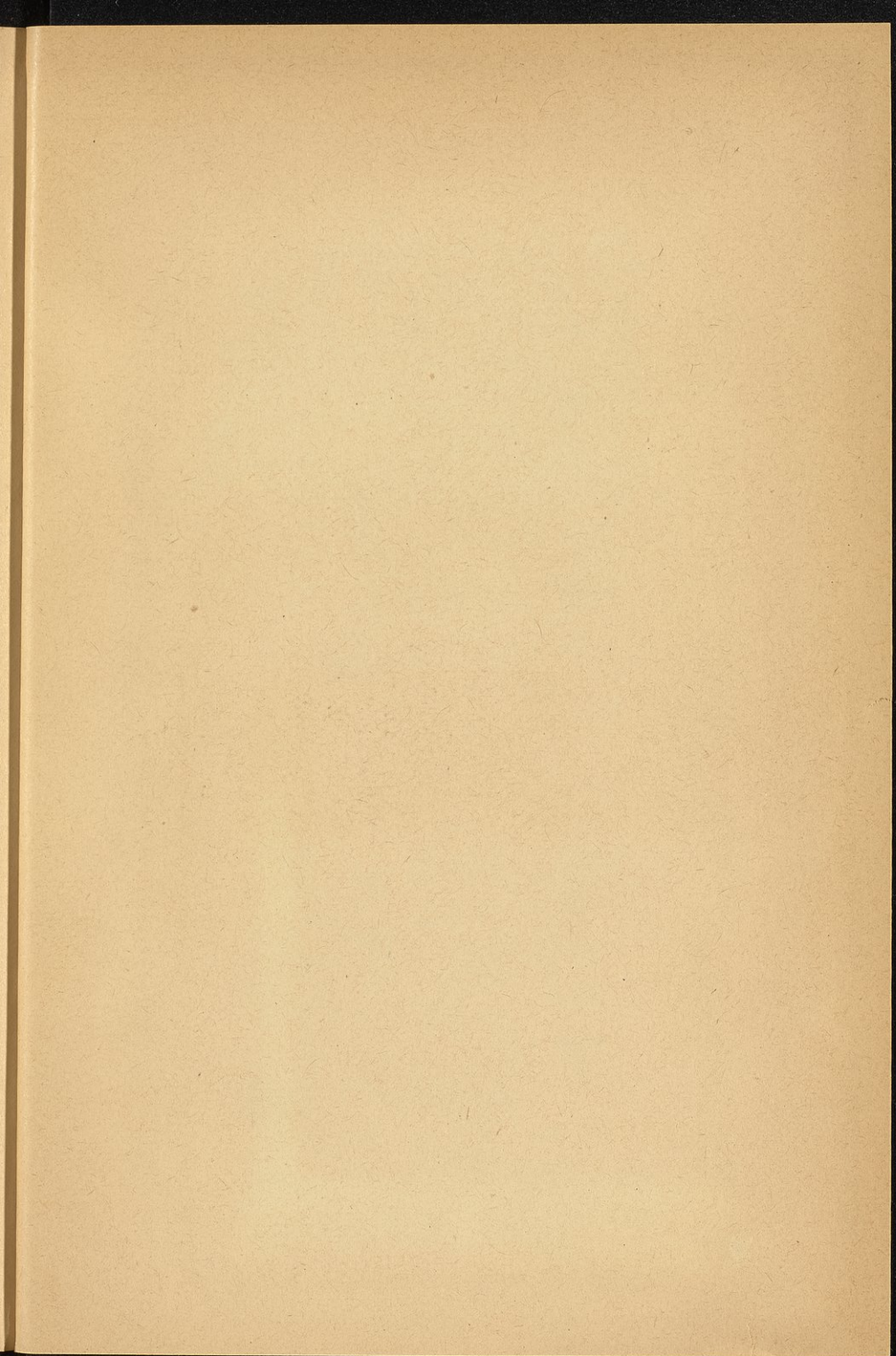
v. 6

[illegible]









Cheikh, Louis, 1859-1927, ed.

بجاني اللّٰه
في
حركات العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء السادس

الطبعة الكاثوليكية
بيروت

(57)
2260
.252
.11
v.6



كل الحقوق محفوظة

الباب الأول في الخطب

نخبة

من كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري

١ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَزَلَّتْ إِلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ . وَعَلَى مَا أَزَلَّتْ
عَنِّي مِنْ نِقْمَتِكَ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِلأُولَى . وَكُنْتُ بِالثَّانِيَةِ أَوْلَى .
لَوْلَا فَضْلُكَ مِنِّي سَابِقُ حَمْدِ الْحَامِدِ وَرَأَاهُ يَقْطِفُ . وَإِنْ أَغْنَى فَكَأَنَّهُ
مَصْفُودٌ بِرُسْفٍ . وَكَرَّمَ بِاسِقِ شُكْرِ الشَّاكِرِ يَوْئُهُ تَحْتَهُ بِجَنَاحٍ مَبِيضٍ .
وَإِنْ حَلَقَ فَكَأَنَّهُ لَأَصِقُ بِالْحُضِيِّضِ . ثُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ
عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ . وَأَجْعَلُ تَوْفِيقَكَ مَعِيَ رِذًا وَكَفَى بِهِ مِنْ رِذَاءٍ . عَلَى صُنْعٍ
مَا هَجَسَ فِي صَمِيرِ نَفْسٍ . وَلَا أَتَّصِلُ يَوْمًا بِظَنٍّ وَلَا حَدْسٍ . مِنْ تَلْسِيرِ
الْقَيْئَةِ الَّتِي بِإِحْسَانِكَ اَلْمُتَظَاهِرِ جَذَبَتْ إِلَيْهَا بَضْعِي . وَبِسُلْطَانِكَ
الْقَاهِرِ قَسَرَتْ عَلَيْهَا طَبْعِي . وَبِنَظَرِكَ الصَّادِقِ خَفَّتْ عَلَيَّ مَجَاسِمُهَا
الْمُتَعَبَةِ . وَسَهَلَتْ تَكَالُيفُهَا الْمُتَصَعِّبَةِ . وَفَكَكْتُ مِنْ رِقِّ التَّعَبَاتِ
عُنُقِي . وَمَنْنْتَ بِحُلِّ إِسَارِي وَعَتَقِي . وَرَقِّيتَنِي إِلَى رُتَبَةِ الْقَنَاعَةِ وَهِيَ
الرُّتَبَةُ الْعُلْيَا . وَرَهَّدْتَنِي فِي الْحِرْصِ عَلَى زُخْرِ الدُّنْيَا . وَطَيَّتَ
نَفْسِي بِنُوَارِزِ أَخْلَافِهَا عَنِ الْغِرَارِ . وَتَرَضَّيْتُهَا بَعْدَ الدَّرَةِ بِالْغِرَارِ
٢ (الْمَقَالَةُ الْأُولَى) مَا يَخْفِضُ الْمَرْءَ عُدْمُهُ وَيُثِمُّهُ . إِذَا رَفَعَهُ دِينُهُ

وَعَلِمُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ مَالُهُ وَآهْلُهُ . إِذَا خَفَضَهُ فُجُورُهُ وَجَهْلُهُ . أَلْعَلِمُ هُوَ
 الْأَبُ . بَلْ هُوَ لِلثَّانِي أَرَابُ . وَالتَّقْوَى هِيَ الْأَمُّ . بَلْ هِيَ إِلَى اللَّبَانِ
 أَضَمُّ . فَأَحْزَنُ نَفْسِكَ فِي حِرْزِهِمَا . وَأَشَدُّ يَدَيْكَ بِغَرْزِهِمَا . يَسِقُّكَ
 اللَّهُ نِعْمَةً صَبِيَّةً . وَيُحْيِيكَ حَيَاةً طَيِّبَةً

٣ (الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ) يَا ابْنَ آدَمَ أَصْلَكَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَفِيكَ
 مَا لَا يَسْعُكَ مِنَ اللَّهِ وَالْفَخَّارِ . تَارَةً بِالْأَبِ وَالْجِدِّ . وَأُخْرَى بِالذَّوْلَةِ
 وَالْجِدِّ . مَا أَوْلَاكَ يَأْنٍ لَا تُصْعِرَ خَدَّيْكَ . وَلَا تَفْتَحِرَ بِجَدِّكَ تَبَصَّرْ
 خَلِيلِي مِمَّ مَرْكَبُكَ . وَإِلَى مَ مَنْقَلَبِكَ . فَخَفِّضْ مِنْ غُلُوبَانِكَ . وَخَلِّ
 بَعْضَ خِيَلَانِكَ

٤ (الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ) مَا أَسْعَدَكَ لَوْ كُنْتَ فِي سَلَامَةِ الضَّمِيرِ .
 كَسَلَسَةِ الْمَاءِ النَّمِيرِ . وَفِي النِّقَاءِ عَنِ الرَّيْبَةِ كَمِرَاةِ الْعَرِيبَةِ . وَفِي
 نَفَازِ الطَّيَّةِ . كَصَدْرِ الْخَطِيَّةِ . وَفِي اخْذِ الْأُهْبَةِ . كَأَلْوَابِ فِي النَّهْبَةِ .
 لَكِنَّكَ ذُو تَكْدِيرٍ . كَرَجْرَجَةِ الْغَدِيرِ . وَمُتَلَطِّحٍ بِالْحَبَابِثِ . كَالْكَثِيرِ
 الْحَبَابِثِ . وَذُو عَجْزٍ وَتَوَانِي . كَمَكْسَالِ الْغَوَانِي . وَتَارِكٌ لِلِاسْتِعْدَادِ .
 كَالشَّاكِّ فِي الْمَعَادِ

٥ (الْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ) اسْتَمْسَكَ بِحَبْلِ مُوَاخِيكَ . مَا اسْتَمْسَكَ
 بِأَوَاخِيكَ . وَأَحْبَبُهُ مَا أَصْحَبَ الْحَقَّ وَأَذْعَنَ . وَحَلَّ مَعَ أَشْيَاعِهِ وَظَعَنَ .
 فَإِنْ تَكَرَّرَتْ أَتْحَاوُهُ . وَرَشَّحَ بِالْبَاطِلِ إِنَاوُهُ . فَتَعَوَّضَ مِنْ صُحْبَتِهِ وَإِنْ
 عَوَّضْتَ الشَّيْءَ . وَأَصْطَرَفَ بِحَبْلِهِ وَإِنْ أُعْطِيَ الشَّيْءَ . فَصَاحِبُ

الْصِّدْقُ أَنْفَعُ مِنَ التَّرْيَاقِ النَّافِعِ . وَقَرِينُ السُّوءِ أَضَرُّ مِنَ الشَّمِّ النَّافِعِ .
 ٦ (الْمَقَالَةُ الْخَادِيَّةُ عَشْرَةٌ) الشَّهْمُ الْحَذَرُ . بَعِيدُ مَطَارِحِ الْفِكْرِ .
 قَرِيبُ مَسَارِحِ النَّظَرِ . لَا يَرْقُدُ وَلَا يَكْرَى . إِلَّا وَهُوَ يَفْظَانُ الذِّكْرَى .
 يَسْتَبْطِطُ الْعِظَةَ مِنَ اللَّحْمِ الْحَفِيِّ . وَيَسْتَجْلِبُ الْعِبْرَةَ مِنَ الطَّرْفِ
 الْقَصِيِّ . فَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى بَنَاتِ نَعَشٍ فَاسْتَجْلِبْ عِبْرَتَكَ . وَإِذَا رَأَيْتَ
 بَنِي نَعَشٍ فَاسْتَجْلِبْ عِبْرَتَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْجَوَائِزِ . أَنَّ تَرْوَحَ عَدَا
 عَلَى الْجَنَائِزِ

٧ (الْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةٌ) الْكَرِيمُ إِذَا رِيمَ عَلَى الضَّيْمِ نَبَأُ .
 وَالسَّرِيُّ مَتَى سِيمَ الْحَسَفِ أَبِي . وَالرَّزِينُ الْمُخْتَبِيُّ بِجَمَالَةِ الْحِلْمِ .
 يَنْفِرُ نَفْرَةً الْوَحْشِيِّ عَنِ الظُّلَمِ . إِشْفَاقًا عَلَى ظُفْرِهِ أَنْ يَقْلَمَ . وَعَلَى
 ظُفْرِهِ أَنْ يُكَلِّمَ . وَقَلَمًا عَرَفَتْ الْأَنْفَهُ وَالْإِبَاءُ . فِي غَيْرِ مَنْ شَرَفَتْ مِنْهُ
 الْأَبَاءُ . وَلَا خَيْرَ فَمِينَ لَمْ يَطْبَلْهُ عِرْقُ . وَذَنْبُ الْكَلْبِ مَا بِهِ طَرَقُ
 ٨ (الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةٌ) الْوَجْهَ ذُو الْوَقَاحَةِ . مِنْ وَجْهِ الرُّقْلَةِ .
 يُنْفِي عَلَى صَاحِبِهِ الْأَنْقَالَ . وَيَفْتَحُ لَهُ الْأَقْقَالَ . وَيُلْقِطُهُ الْأَرْطَابَ .
 وَيُلْقِمُهُ مَا اسْتَطَابَ . وَيُجَسِّرُهُ عَلَى قَوْلِ الْمُنْطِيقِ . وَيُسِيرُ لَهُ فِعْلَ مَا لَا
 يُطِيقُ . وَكُلُّ ذِي وَجْهِ حَيٍّ . ذُو لِسَانٍ عَيٍّ . مُعْتَقِلٌ لَا يَنْشَطُ
 لِمَقَالٍ . وَلَا يَنْشَطُ مِنْ عِقَالٍ . وَلَا يَزَالُ ضَيْقُ الذَّرْعِ . بَكِيَّ الضَّرْعِ .
 يَشْبَعُ غَيْرُهُ وَهُوَ طَيَّانُ . وَيَعْطَشُ هُوَ وَصَاحِبُهُ رِيَّانُ . وَلَكِنْ لَا كَانَ
 مَنْ يَتَوَفَّحُ . لِأَجْلِ أَنْ يَتَرَفَّحَ وَيَتَرَفَّحَ . فَلَعَمْرِي مَا النَّائِلُ الْوَتَّحُ . إِلَّا مَا

نَالَهُ الْوَجْحُ . وَآيَمُ اللَّهِ إِنَّ الرِّشْحَةَ فِي الْجَيْنِ . أَحْسَنُ مِنَ السَّمِّ فِي
الْعَرْنَيْنِ . وَلَيْنَ تَفَرَّعَ رُضْكُ وَمَا فِي سِقَاكَ جُرْعَةٌ . خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمْلِكَ
الْبَحْرَ وَمَا فِي وَجْهِكَ مُرْعَةٌ

٩ (الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ عَشْرَةَ) عِزَّةُ النَّفْسِ وَبَعْدُ الْهِمَّةِ . الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ
وَالْخُطُوبُ الْمُدْهِمَةُ . وَلَكِنْ مَنْ عَرَفَ مَنْهَلَ الدَّلِّ فَعَاقَهُ . اسْتَعْدَبَ
نَقِيعَ الْعِزِّ وَدَعَاكَ . وَمَنْ لَمْ يَصْطَلْ بِحَرِّ الْهَيْجَاءِ لَمْ يَصِلْ إِلَى بَرْدِ الْمَغْنَمِ .
وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَرَاثِنِ أَسَدِ اللَّقَاءِ لَمْ يَصِبْ أَطْرَافًا كَالنِّعَمِ . وَتَحْتَ
عِلْمِ الْمَلِكِ الْمُطَاعِ . ذَكَرَ السُّيُوفِ وَالْأَنْطَاعِ . وَمَنْ لَمْ يُقْضَ عَلَيْهِ
عُسْرُ يَقْذِهِ . لَمْ يَقْضَ لَهُ لَيْسَ يَقْذُهُ . وَمَا الْحِكْمَةُ إِلَّا هِيَةُ الْإِهْيَ .
وَهِيَ الْقَاعِدَةُ الَّتِي أَمَرَ عَلَيْهَا الْعَبْدُ وَنَهَى . الْيَوْمَ عِزَاءُ فِي كُلِّ
وَكْرَبٍ . وَعَدَا جِزَاءُ بِزَأْفٍ وَقُرَبٍ

١٠ (الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ) لَا تَنْفَعُ بِمَا لَا تَنِي أَنْ تَبْنِي وَتَقْتَنِي .
وَتَقْتَنِ بَعْرَسٍ مَا لَا تَحْتَنِي . هَلُمَّ إِلَى اسْتِشَارَةِ عَقْلِكَ قَبْصَرُ . وَإِلَى
اسْتِخَارَةِ ذَهْنِكَ قَدْبَرُ . وَقُلْ لِي إِذَا شَقَّ بَصْرُكَ . وَاشْتَدَّ حَصْرُكَ .
وَعَانَيْتَ الْجَدَّ فَشَغَلَكَ عَنْ دَدِكَ . وَأَوْحَشَكَ تَفْرِيطُكَ فَسَقَطَ فِي
يَدِكَ . مَا يُغْنِي حِينَئِذٍ عَنْكَ بُيَاؤُكَ . وَمَا ذَا يُجِدِّي عَلَيْكَ قُبَاؤُكَ .
وَهَلْ يَنْفَعُكَ مَخْلُوكُ الصَّنَوَانِ وَغَيْرُ الصَّنَوَانِ . أَمْ يَدْفَعُ عَنْكَ مَا يُخْرِجُ
مِنْ طُلْعَاهَا مِنَ الْقَنَوَانِ

١١ (الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ) خَلَّ عَنْ يَدِكَ الْبَاطِلَ وَاللَّدَدَ .

وَأَعْتَقِي الْجِدَّ وَالزَّمَّ الْجَدَدَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَكَ جِدًّا لَا عَيْبًا . وَفَطَرَكَ
إِبْرِيذًا لَا خَيْبًا . لَوْ لَا أَنَّ نَفْسَكَ بِكْسِهَا الْحَيْثُ خَبَّتْكَ . وَبَلَطُخَ
عَمَلِهَا السَّيِّئِ لَوُثَّتْكَ . فَأَرْخَيْتَ عَنَّا نَكَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مَزْجُورٌ . وَتَوَلَّيْتَ
بِرُكْنِكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مَاجُورٌ . إِقَاءَ بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ . وَإِضَاعَةَ
لِحِطِّكَ فِي عَظِيمِ الْمُهْلَكَةِ

١٢ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ) مَنْ لِعَمَلٍ كَاطْهَرِ الدَّيْرَ . وَمَنْ
لِقَلْبٍ كَالْجُرْحِ الْغَيْرِ . دُوءِي بِكُلِّ دَوَاءٍ فَلَمْ يَنْجِعْ . وَاحْتِلَ عَلَيْهِ بِكُلِّ
حِيلَةٍ فَلَمْ يَنْفَعِ . مَتَى رَفُوتَ مِنْهُ جَانِبًا انْتَقَضَ عَلَيْهِ آخَرُ . وَإِذَا سَدَدْتَ
مِنْ فَسَادِهِ مَخْرَجًا جَاشَ مَخْرُجُ ضَاقَتْ عَنْ تَدْبِيرِهِ فُطْنُ الْأَنْبِيَاءِ .
وَأَعْضَلَ عِلَاجَهُ عَلَى الطَّيِّبِ النَّطَاسِيِّ . فَيَا وَلَيْتَا مِنْ هَذَا السَّقَامِ .
وَيَا غَوَّثَا مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعَقَامِ . وَمَا أَحَقَّ بِشَيْءٍ أَنْ يَبِيْتَ بِلَيْلَةِ سَلِيمٍ .
كَلِمَا تَلَيْتَ : الْإِمْنُ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

١٣ (الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ) إِحْرِصْ وَفِيكَ بَقِيَّةٌ . عَلَى أَنْ
تَكُونَ لَكَ نَفْسٌ تَقِيَّةٌ . فَلَنْ يَسْعَدَ إِلَّا التَّقِيُّ . وَكُلُّ مَنْ عَدَاهُ فَهُوَ
شَقِيٌّ . قَبْلَ أَنْ تَرَى الشَّيْبَ الْهَجْلَ . وَالصُّبَّ الْمُهْلَ . وَالْجِدَّ الْمُشْتَنَ .
وَالرَّأْيَ الْمُشْفَنَ . وَالتَّوَهَُّ الْمُتَخَذَلَ . وَالْوُطْءَ الْمُتَقَلَّ . وَالرَّثِيَّةَ فِي
الْمَفَاصِلِ نَاهِضَةً . وَالرَّعْشَةَ لِلْأَنَامِلِ نَافِضَةً . وَقَبْلَ أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى
مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَادِرٌ . وَلَا تَصْدُرَ عَمَّا أَنْتَ عَنْهُ صَادِرٌ

١٤ (الْمَقَالَةُ الْخَادِمَةُ وَالثَّلَاثُونَ) قَلْبُكَ آمِنٌ . وَجَاشُكَ مُتَطَامِنٌ .

وَرَأَيْكَ فِي الشَّهَوَاتِ بَايَرُ. وَشَوْقَكَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاتَرُ. وَأَنْتَ
مُتَرَفٌّ مُتَرَفٌ. أَطْيَبُ قُطْفٍ لَكَ مُخْتَرَفٌ. فِي أَكْنَافِ السَّعَةِ رَاتِعٌ.
وَلَا خَلَافَ الدَّعَةِ رَاضِعٌ. وَفِي تِيهِ الْغَفَلَاتِ هَائِمٌ. كَأَنَّكَ إِحْدَى
الْبَهَائِمِ مَا هَذَا خُلِقَ الْمُؤْمِنُ. وَلَا هَكَذَا صِفَةُ الْمُؤْمِنِ. الْمُؤْمِنُ رَاهِبٌ
رَاغِبٌ. سَاغِبٌ لَا غِبٌ. ذُو هَيْئَةٍ بَذَّةٍ. مُخْتَمٌ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ. إِنْ رَأَى مِنْ
نَفْسِهِ جَمَلًا أَلْجَمَ وَخَجَرَ. وَإِنْ أَحَسَّ مِنْهَا مَطْمَعًا أَلْقَمَهَا الْحَجَرَ

١٥ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ) يَا عَبْدَ الدِّينَارِ وَالِدَ رَهْمٍ مَتَى أَنْتَ
عَتِيقُهُمَا. وَيَا أَسِيرَ الْخَرْصِ وَالطَّمْعِ مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا. هِيَآتِ لَاعْتَاقٍ
إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى دِينِكَ الْمُزْرَقِ. وَلَا إِطْلَاقٍ أَوْ تَقَادِي بِخَيْرِكَ
الْمُزْرَقِ. يَا مَنْ يُشْبِعُهُ الْخَرْصُ. مَا هَذَا الْخَرْصُ. وَيَا مَنْ تُرْوِيهِ الْجَرْعُ.
مَا هَذَا الْجَرْعُ. سَتَلْعَمُ عَدَا إِذَا تَدَدَّتْ. أَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ.
وَإِذَا لَقِيتَ الْمُنُونِ. لَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. مَا يَصْنَعُ بِالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ. عَابِرُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ. وَمَا يَرِيدُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالْقَرْحَةِ. نَازِلُ
ظِلِّ هَذِهِ السَّرْحَةِ

١٦ (الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْثَلَاثُونَ) لَمْ أَرْ فَرَسِي رِهَانٍ. مِثْلَ الْحَقِّ
وَالْبَرْهَانِ. لِلَّهِ دَرُّهُمَا مُتَخَاصِرَيْنِ. وَلَا عِدْمَتُهُمَا مِنْ مُتَاَصِرَيْنِ. أَصْطَحَبَا
غَيْرَ مُبَانَيْنِ. أَصْطَحَبَا أَبَانَيْنِ. مَنْ شَدَّ يَدَهُ يَغْرَزُهُمَا. فَقَدْ أُعْزَرَ
بِعِزِّهِمَا. وَمَنْ زَلَّ عَنْهُمَا فَهُوَ مِنَ الدَّلَّةِ أَذَلُّ. وَمَنْ أَلْقَاهُ أَقْلُّ
١٧ (الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْثَلَاثُونَ) أَيُّهَا السَّيِّحُ الشَّيْبُ نَاهِيكَ بِهِ نَاهِيًا.

فَمَا لِي أَرَاكَ سَاهِيًا لَاهِيًا. أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ وَارْبَعْ. فَهَذِهِ أُخْرَى الْمَرَّاجِلِ
الْأَرْبَعِ. وَمَنْ بَلَغَ رَابِعَةَ الْمَرَّاجِلِ. فَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْحَيَاةِ السَّاجِلِ. وَمَا
بَعْدَهَا إِلَّا الْمَوْرِدُ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ مَصْدَرٌ. وَلَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو
يُورِدُهُ أَجْدَرُ. هُوَ لَعَمْرُ اللَّهِ مَشْرَعٌ. جَمِيعُ النَّاسِ فِيهِ شَرَعٌ. وَأَحَقُّهُمْ
بِالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ مَنْ شَارَفَهُ وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِشْفَاقِ لَهُ مَنْ قَارَفَهُ

١٨ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) مَا لِعُلَمَاءِ السُّوءِ جَمْعُوا عِزَّائِهِمُ الشَّرْعَ
وَدَوُّنُهَا. ثُمَّ رَخَّصُوا فِيهَا لِأَمْثَرِ السُّوءِ وَهُوَ نُوهَا. لَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ
يَرْعَوْا شُرُوطَهَا لَمْ يَعُوهَا. وَإِذْ لَمْ يُسْمِعُوهَا كَمَا هِيَ لَمْ يُسْمِعُوهَا. إِنَّمَا
حَفَظُوا وَعَلَّقُوا وَصَفَّقُوا وَحَلَقُوا لِيَقْمُرُوا الْمَالَ وَيَيْسِرُوا. وَيُقْفِرُوا
الْأَيَّامَ وَيُوسِرُوا. إِذَا انْشَبَّوْا أَظْفَارَهُمْ فِي نَشَبٍ فَمَنْ يُخْلَصُ. وَإِنْ
قَالُوا لَا نَفْعَ أَوْ زَادَ كَذَا فَمَنْ يُنْقِصُ. دَرَارِيْعُ خَتَالَةٍ مِلُّوْهَا ذَرَارِيْعُ
قِتَالَةٍ. وَكَمَامٌ وَاسِعَةٌ. فِيهَا أَصْلَالٌ لَاسِعَةٌ. وَأَقْلَامٌ. كَانَهَا أَزْلَامٌ.
وَقَتْوَى. يَعْمَلُ بِهَا الْجَاهِلُ فِتْوَى. فَإِنْ وَازَنْتَ بَيْنَ هَوْلَاءِ وَالشُّرَطِ.
وَجَدْتَ الشُّرَطَ أَبْعَدَ مِنَ الشُّطْطِ. حَيْثُ لَمْ يَطْلُبُوا بِالْدِّينِ الدُّنْيَا. وَلَمْ
يُثِرُوا الْقِتَّةَ بِالْقِتَا

١٩ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) هَبْ أَنْكَ اتَّقَيْتَ الْكِبَارَ الَّتِي
نُصِّتَ. وَتَجَنَّبْتَ الْعِظَائِمَ الَّتِي قُصِّتْ. وَرَضْتَ نَفْسَكَ مَعَ الرَّائِضِينَ.
عَلَى أَنْ لَا تَحْوِضَ مَعَ الْحَائِضِينَ. فَمَا قَوْلُكَ فِي هَنَاتٍ تُوجَدُ مِنْكَ وَأَنْتَ
ذَاهِلٌ. وَفِي هَفَوَاتٍ تَصْدُرُ عَنْكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ. وَلَعَلَّكَ مُزَّقٌ الشَّلْوِ

مَا كُولُ . وَإِلَى الْمَوَازِدَةِ بِأَقْتَرِافِهَا مَوْكُولُ . فَمَثَلُ الرَّبَالِ . فِي
 مُحَامَاتِهِ عَنِ الْأَشْبَالِ . يَصُدُّ عَنِ التَّصَدِّي لَهَا الْبَطْلُ الْحَمِيسُ . بَلْ يَرُدُّ
 عَنْ مَرَابِضِهَا الْحَمِيسُ . ثُمَّ يُصْبِحُ أَبُو السَّيْلِ وَالنَّمْلُ إِلَى ابْنِهِ كَالْحَبْلِ .
 وَهِيَ بِأَوْصَالِهِ مُطِيفَةٌ . كَأَنَّمَا كَسَتْهُ فُطَيْفَةٌ . فَمَا أَغْنَى عَنْهُ ذِيَادُهُ . حَتَّى
 تَمَّ لِلنَّمْلِ كِيَادُهُ

٢٠ (الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى جِدِّهِ . لَمْ
 يَزَلْ عَنْهُ إِلَى ضِدِّهِ . وَذُو الرَّأْيِ الْجَزْلُ . مَنْ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْهَزْلِ .
 وَكَيْفَ يَكُونُ حَازِمًا مَنْ هُوَ مَارِحٌ . هِيَاتُ الْبَوْنِ بَيْنَهُمَا نَارِحٌ . وَكَفَاكَ
 أَنَّ الْمَرْحَ مَقْلُوبُ الْحَزْمِ كَمَا أَنَّ الْحَزْمَ مَقْلُوبُ الْمَرْحِ . رَبُّ كَلِمَةٍ عَمْسَتِكَ
 فِي الذُّنُوبِ . وَأَفْرَعْتَ عَلَى أَخِيكَ مِلءَ الذُّنُوبِ . فَإِنْ كَانَ حَرًّا
 زَرَعْتَ الْغَمْرَ فِي سُودِيَادِهِ . وَإِنْ كَانَ عَبْدًا زَرَعْتَ الْمَهَابَةَ مِنْ أَحْشَائِهِ .
 وَتَقُولُ إِنَّهَا مِرَاحَةٌ . وَعَلَيْكَ فِي أَنْ تَقُولَهَا مِرَاحَةٌ . وَيُحَكُّ يَا تَلْعَابَةً .
 لَوْ عَلِمْتَ مَا فِي الدُّعَابَةِ . لَأَطَعْتَ فِي أَطْرَاحِهَا نَهَاتَكَ . وَلَمَّا غَرَعْتَ
 بِهَا لَهَاتَكَ . أَسْرَكَ أَنْ دَاعَبْتَ الرَّجُلَ فَصَحَّكَ . وَلَمْ تَشْعُرْ أَنَّهُ بِذَلِكَ
 فَصَحَّكَ . حَيْثُ أُعْلِمَ لَوْ فُطِنْتَ لِإِعْلَامِهِ . أَنَّكَ أَسْتَيْحُ الْمُضْحُوكُ مِنْ
 كَلَامِهِ . وَذَلِكَ مَا لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ . أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ السُّخْفَاءِ

٢١ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسِّتُونَ) شَبِتَ وَغَرَامُكَ مَا وَخَطَ عَارِضِيهِ
 مَشِيبٌ . وَشَخَتْ وَغَرَامُكَ رِدَاءُ شَبَابِهِ قَشِيبٌ . مَا لِي أَرَاكَ صَعَبَ
 الْمِرَاسِ . جَامِحَ الرِّاسِ . كَانَ وَافِدَ الْمَشِيبِ لَمْ يَخْطِطْكَ . وَكَأَنَّ ارْتِقَاءَ

السنَّ لَمْ يَخْطُوكَ . الشَّيْخُوخَةُ تُكْسِبُ أَهْلَهَا سَمَاتًا . وَأَنْتَ مَا اكْتَسَبْتَكَ
إِلَّا أَمَاتًا . لَوْ عَلِمْتَ أَيَّ وَقْدٍ حَلَّ بِفُودِكَ . لَتَبَرَّقْتَ حَيَاءً مِنْ وَفْدِكَ .
وَلَكِنْ مُحْيَاكَ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْحَيَاءُ . وَلَمْ يَتَهَجَّ مِنْ حُرُوفِهِ الْحَيَاءُ وَلَا أَلْيَاءُ .
تَتَّبِعُ إِلَى الشَّرِّ كَمَا تَتَّبِعُ الطَّبَاءُ . وَتَلْهَثُ إِلَى اللَّهِو كَمَا يَلْهَثُ الظُّلَمَاءُ .
إِنْ حَصَمَ الْبَاطِلُ فَأَسْمِعْ مِنْ سَمْعٍ . وَإِنْ هَمَّهِمَ الْحَقُّ فَكَاثِنُكَ بِلَا
سَمْعٍ . حَمَلَتْ نَفْسَكَ عَلَى الرِّيَاضَاتِ وَهِيَ رِيضَةٌ . وَمَنْ يَحْتَلِبُ اللَّبَاءَ
مِنَ اللَّبْوَةِ الْمُغِيصَةِ

خطبة لبيد الزمان الهمداني

٢٢ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدىً . وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . وَإِنَّكُمْ
وَارِدُو هَوَّةٍ . فَأَعِدُّوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . وَإِنْ بَعْدَ الْمَآشِ مَعَادًا .
فَأَعِدُّوا لَهَا رَادًا . أَلَا لَا عَذْرَ فَقَدْ بَيَّنْتَ لَكُمْ الْحُجَّةَ . وَأَخَذْتَ عَلَيْكُمْ
الْحُجَّةَ . مِنَ السَّمَاءِ بِالْخَبَرِ . وَمِنَ الْأَرْضِ بِالْعَبْرِ . أَلَا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ
الْخَلْقَ عَلِيمًا . يُحْيِي الْعِظَامَ رَمِيمًا . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ . وَقُتْطَرَةٌ
جَوَازٍ . مِنْ عِبَرِهَا سَلِيمٌ . وَمِنْ عَمَرِهَا نَدِيمٌ . أَلَا وَقَدْ نَصَبْتَ لَكُمْ الْفَتْحَ
وَنَثَرْتَ لَكُمْ الْحَبَّ مَنْ يَرْتَعُ . يَقَعُ . وَمَنْ يَلْقُطُ . يَسْقُطُ . أَلَا وَإِنْ
الْفَقْرُ حِلْيَةُ الْعَاقِلِ فَأَكْتَسُوهَا . وَالْغِنَى حِلَّةُ الطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا .
كَذَبَتْ ظُنُونُ الْمُحْمَدِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الدِّينَ . وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُ عِصِينَ .
إِنَّ بَعْدَ الْحَدَثِ جَدًّا . وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا . فَحَذَارَ حَرِّ النَّارِ . وَبِدَارِ
عُصْبِ الدَّارِ . أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلَالَتِهِ . وَالْجَهْلُ أَقْبَحُ عَلَى

الآتية . وَإِنَّكُمْ أَشَقَىٰ مَنْ أَظْلَمَهُ السَّمَاءُ . إِنَّ شَقَىٰ بِكُمْ الْعُلَمَاءُ . النَّاسُ
بِأَيْمَتِهِمْ . فَإِنْ أَنْقَادُوا بِأَيْمَتِهِمْ . نَجَّوْا بِدَمَتِهِمْ . وَالنَّاسُ رَجُلَانِ عَالِمٌ
يُرْعَى . وَمُعَلِّمٌ يُسْعَى . وَالْباقونَ هَامِلٌ نَعَامٍ . وَرَاتِعٌ أَنْعَامٍ . وَيَلُ
عَالٌ أَمْرٍ مِنْ سَافِلِهِ . وَعَالِمٌ شَيْءٍ مِنْ جَاهِلِهِ . وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ
الْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعْظُ النَّاسَ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ حَتَّامٌ إِلَى الْحَيَاةِ
رُكُونُكَ . وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتُهَا سُكُونُكَ . أَمَا اُعْتَبَرْتَ بِمَنْ مَضَىٰ مِنْ
أَسْلَافِكَ . وَمَنْ وَارَثَهُ الْأَرْضُ مِنْ آلَافِكَ . وَمَنْ فَجَعَتْ بِهِ مِنْ
إِخْوَانِكَ . وَنُقِلَ إِلَى دَارِ اللَّيْلِ مِنْ أَقْرَانِكَ :

فَهُمْ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا مُحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالِ دَوَائِرُ
خَلَّتْ دَوْرَهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتْهُمْ تَحَوُّ الْمُنَايَا الْمَقَادِرُ
وَخَلَوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَصَمَّتْهُمْ تَحْتَ الثَّرَابِ الْخَفَائِرُ
كَمْ اخْتَلَسَتْ أَيْدِي الْمُنُونِ . مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ . وَكَمْ غَيَّرَتْ
بِلَالَهَا . وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ الرِّجَالِ فِي زَاهَا :

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مَكْبٌ مُنَافِسٌ لِحُطَّائِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَارٍ
عَلَى خَطَرِ تَمَشِّيهِ وَتَضَيُّعِ لَاهِيَا أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تَخَاطِرُ
وَإِنْ أَمْرًا يُسْعَى لِدُنْيَاهُ جَاهِدًا وَيَذْهَلُ عَنْ أَخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ
أَنْظُرْ إِلَى الْأُمَمِ الْحَالِيَةِ . وَالْمُلُوكِ الْفَانِيَةِ . كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمْ
الْأَيَّامُ . وَأَفْنَاهُمْ الْحِمَامُ . فَأَنْتَ آثَارُهُمْ . وَبَقِيَّتْ أَخْبَارُهُمْ :
فَاضْخُورِمِيَا فِي الثَّرَابِ وَأَقْفَرْتَ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عَطَلَتْ وَمَقَاصِرُ

وَحَلُّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا قَارَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَنْ هُوَ صَائِرٌ
وَحَلُّوا بَدَارَ لَا تَرَاوَرَ بَيْنَهُمْ وَأَيُّ لِسْكَانِ الْقُبُورِ التَّرَاوَرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا رُؤُوسًا ثَوًّا بِهَا مُسَطَّحَةٌ تَسْفِي عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ
كَمْ عَايَنْتَ مِنْ عِزَّةٍ وَسُلْطَانٍ . وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ . قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ .
وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ . فَبَنَى الْخُصُونَ وَاللِّسَاكِرُ . وَجَمَعَ الْأَعْلَاقَ وَالْعَسَاكِرُ .
فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمُنِيَّةَ إِذْ أَتَتْ مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ الدَّخَايِرُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْخُصُونَ الَّتِي بَنَى وَحَقَّتْ بِهِ أَنْهَارُهَا وَاللِّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمُنِيَّةَ حِيلَةً وَلَا طَمِعَتْ فِي الدَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ
يَاقُومُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ . وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ . مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَائِدِهَا .
وَمَا نَصَبَتْ لَكُمْ مِنْ مَصَائِدِهَا . وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا . وَاسْتَشْرَفَتْ
لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا :

وَفِي دُونِ مَا عَايَنْتُ مِنْ فَجَعَاتِهَا إِلَى رَفْضِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ آمِرُ
فَجَدَّ وَلَا تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بَائِدٌ وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْمُنِيَّةِ صَائِرُ
وَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ طِلَابَهَا وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ صَائِرُ
وَكَيْفَ يَخْرُصُ عَلَيْهَا لَيْبٌ . أَوْ يُسَرُّ بِهَا أَرِيْبٌ . وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ
فَنَائِهَا لَا تَعْبُجُونَ بِمَنْ يَنَامُ وَهُوَ يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يَرْجُو الْقُوْتَ :
أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَغْفِرُ نَفُوسَنَا وَتَسْغَلُهَا اللَّذَاتُ عَمَّا تُحَاذِرُ
وَكَيْفَ يَلْذُ الْعَيْشُ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفِ عَدَلٍ حَيْثُ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّا سُدَى مَا لَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مَصَائِرُ

كَمْ غَرَّتْ الدُّنْيَا مِنْ مَخْلِدٍ إِلَيْهَا . وَصَرَعَتْ مِنْ مَكِبٍ عَلَيْهَا . فَلَمْ
تُشْفِهِ مِنْ عَثَرَتِهِ وَلَمْ تُقْلِهِ مِنْ صَرَعَتِهِ . وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ . وَلَمْ
تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ :

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرَفْعَةٍ مَوَارِدُ سُوءٍ مَا لَهَا مِنْ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ الْمَوَازِرُ
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طَوْلُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَنَهُ الذُّنُوبُ الْكُبَارُ
بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ .
حَيْثُ لَمْ يَنْفَعَهُ الْإِسْتِعَارُ . وَلَمْ يُنْجِهِ الْإِعْتِدَارُ :

أَحَاطَتْ بِهِ أَخْزَانُهُ وَهَمُومُهُ وَإِبْلِيسُ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَادِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَادِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسَّتْ فَوْقَ الْمُنْيَةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهُي وَالْخُنَاجِرُ
فَالَى مَتَى تُرْقِعُ بِأَخْرِكَ دُنْيَاكَ . وَتَرْكِبُ فِي ذَاكَ هَوَاكَ . إِنِّي
أَرَاكَ ضَعِيفَ الْيَقِينِ . يَارَافِعُ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ . أَيْهَذَا أَمْرُكَ الرَّحْمَنُ . أَمْ
عَلَى هَذَا ذَلِكَ الْفَرَانُ :

تَحَرَّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيَاً فَلَا ذَاكَ مُؤَفَّرٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَقُّكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللَّهِ عَازِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَقْضِيَ الْحَيَاةَ وَتَقْضِيَ وَدَيْنِكَ مَقْصُوصٌ وَمَالِكَ وَافِرُ

نخبة من خطب الحري

٢٣ أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلُوَانِهِ . السَّادِلُ ثَوْبَ خِيَلَانِهِ . الْجَالِحُ فِي

جَهَالَاتِهِ . الْجَانِحُ إِلَى خُرْعَلَاتِهِ . إِلَى مَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيْكَ . وَتَسْتَمِرُّ
 مَرَعَى بَغْيِكَ . وَحَتَّى مَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ . وَلَا تَتَّهِيَ عَنْ لَهْوِكَ .
 تَبَارَزُ بِمَعْصِيَتِكَ . مَا لَكَ نَاصِيَتِكَ . وَتَجَرُّ بِقُبْحِ سِيرَتِكَ . عَلَى
 عَالِمِ سِرِّكَ . وَتَتَوَارَى عَنْ قَرِيبِكَ . وَأَنْتَ بَرَأَى رَقِيبِكَ .
 وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ . وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِكِكَ . أَتُظَنُّ أَنَّ
 سَتَفْعُكَ حَالِكَ . إِذَا أَنْ أَرْتَحَالَكَ . أَوْ يُنْقِذَكَ مَالُكَ . حِينَ تُؤْبِقُكَ
 أَعْمَالُكَ . أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدْمُكَ . إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ . أَوْ يُعْطِفُ عَلَيْكَ
 مَعَشَرُكَ . يَوْمَ يَضْمُكَ مُحْشَرُكَ . هَلَا أَتَسْجَتُ حُجَّةَ اِهْتِدَائِكَ . وَعَجَلَتْ
 مُعَالَجَةُ دَائِكَ . وَفَلَّتْ شَبَابَةُ اِعْتِدَائِكَ . وَفَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ الْكِبَرُ
 اِعْدَائِكَ . أَمَا اَلْحِمَامُ مِعَادُكَ . فَمَا اِعْدَادُكَ . وَبِالْمَشِيبِ اِنْذَارُكَ . فَمَا
 اِعْدَارُكَ . وَفِي اَللَّحْدِ مَقِيلُكَ . فَمَا قِيلُكَ . وَإِلَى اَللَّهِ مَصِيرُكَ . مَنْ نَصِيرُكَ .
 طَالَمَا اَيَقْظَاكَ اَلدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ . وَجَذَبَكَ اَلْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ . وَتَجَلَّتْ
 لَكَ اَلْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ . وَحَصَّصَ لَكَ اَلْحَقُّ فِتْمَارَيْتَ . وَادَّكَرَكَ اَلْمَوْتُ
 فَتَنَاسَيْتَ . وَأَمَكْنَكَ أَنْ تُؤَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ . تُؤْزِرُ فَلَسَاؤُوعِيهِ . عَلَى ذِكْرِ
 تَعِيهِ . وَتَخْتَارُ قَصْرَ اُتْعِيهِ . عَلَى بَرِّ تُولِيهِ . وَتَرْتَعِبُ عَنْ هَادِ تَسْتَهْدِيهِ .
 إِلَى زَادِ تَسْتَهْدِيهِ . وَتُعَلِّبُ حُبَّ ثُوبٍ تَسْتَهْيِيهِ . عَلَى ثَوَابٍ تَسْتَهْيِيهِ .
 يَوَاقِيتُ الصَّلَاتِ . اَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ . وَمُعَالَاةُ
 الصَّدَقَاتِ . آثُرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ . وَصَحَافُ الْاَلْوَانِ .
 اُشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَافِ الْاَدْيَانِ . وَدُعَابَةُ الْاَقْرَانِ . اَنَسُ لَكَ

مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ . تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْهَى عَنْ النُّكْرِ
وَلَا تَحْمَاهُ . وَتُزْجِرُ عَنْ الظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ . وَتَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ
أَنْ تَحْشَاهُ . ثُمَّ أَلْشَدَّ :

تَبَّأَ لِطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا انْصِبَابَهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا وَقَرَطَ صِبَابَهُ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صِبَابَهُ

وله ايضا من خطبة

٢٤

أَيَا مَنْ يَدْعِي الْفَهْمَ إِلَى كَمْ يَا أَخَا الْوَهْمِ تَعْيِي الذَّنْبَ وَالذَّمَّ
وَتُخْطِئُ الْخَطَأَ الْجَمَّ
أَمَّا بَانَ لَكَ الْعَيْبُ أَمَا أَنْذَرَكَ الشَّيْبُ وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبُ
وَلَا سَمْعَكَ قَدْ صَمَّ
أَمَا نَادَى بِكَ الْمَوْتُ أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ أَمَا تَحْشَى مِنَ الْقَوْتِ
فَتُخْطِئُ الْخَطَأَ وَتَهْتَمُّ
فَكَمْ تَسْدَرُ فِي السَّهْوِ وَتُخْتَالُ مِنَ الزَّهْوِ وَتَنْصَبُ إِلَى اللَّهِوِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ مَا عَمَّ
وَحَتَامَ تَجَافِيكَ وَإِبْطَاءَ تَلَاْفِيكَ طِبَاعًا جَمَعَتْ فِيكَ
عُيُوبًا سَلَّمَهَا انْضَمَّ
إِذَا اسْتَخْطَكَ مَوْلَاكَ فَمَا تَقْلُقُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكَ
تَلَطَّيْتَ مِنَ الْهَمِّ

وَإِنْ لَاحَ لَكَ النَّفْسُ مِنْ الْأَصْفَرِ تَهْتَشُّ وَإِنْ مَرَّ بِكَ النَّفْسُ
تَعَامَتْ وَلَا غَمَّ
تُعَايِي النَّاصِحَ الْبَرَّ وَتَعْتَاصُ وَتَزُورُ وَتَقَادُ لِمَنْ غَرَّ
وَمَنْ مَانَ وَمَنْ نَمَّ
وَتَسْعَى فِي هَوَى النَّفْسِ وَتَحْتَالُ عَلَى الْفُلْسِ وَتَنْسَى ظُلْمَةَ الرَّسْمِ
وَلَا تَذْكُرُ مَا نَمَّ
وَلَوْ لَا حَظَّكَ الْحُظُّ لَمَّا طَاحَ بِكَ اللَّحْظُ وَلَا كُنْتَ إِذَا الْوَعْظُ
جَلَا الْأَحْزَانَ تَغْتَمُّ
سَتَدْرِي الدَّمَ لَا الدَّمَغَ إِذَا عَايَنْتَ لَا جَمْعَ يَبْقَى فِي عَرَصَةِ الْجَمْعِ
وَلَا خَالَ وَلَا غَمَّ
كَأَنِّي بِكَ تَحْطُ إِلَى اللَّحْدِ وَتَغْطُ وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهْطُ
إِلَى أَضِيقَ مِنْ سَمٍّ
هُنَاكَ الْجِسْمُ مَمْدُودٌ لَيْسَتْ أَكَلُهُ الدُّودُ إِلَى أَنْ يَنْخَرَّ الْعُودُ
وَيَمْسِي الْعَظْمُ قَدْرَمَ
وَمِنْ بَعْدُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَرَضِ إِذَا أُعْتُدَّ صِرَاطُ جِسْرِهِ مُدَّ
عَلَى النَّارِ لِمَنْ أَمَّ
فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلَّ وَمِنْ ذِي غِرَّةٍ ذَلَّ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلَّ
وَقَالَ الْخُطْبُ قَدْ طَمَّ
فَبَايَزُ أَيُّهَا الْعُمَرُ لِمَا يَخْلُو بِهِ الْمُرُّ فَقَدْ كَادَ يَهْيِي الْعُمَرُ

وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ دَمٍّ وَلَا تَزَكَّنْ إِلَى الدَّهْرِ
وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرَّ قَتَلَنِي كَمَنْ أُغْتَرَّ
بِأَفْعَى تَنْفُثِ السَّمِّ وَخَفِضْ مِنْ تَرَاقِيكَ
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيكَ وَسَارٍ فِي تَرَاقِيكَ
وَمَا يَكُلُ إِنْ هَمُّ وَجَانِبَ صَعَرَ الْحَدِّ
إِذَا سَاعَدَكَ الْجَدُّ وَزَمَّ اللَّفْظَ إِنْ نَدَّ
فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمَّ وَنَقِصَ عَنْ أَخِي الْبَثِّ
وَصَدَّقَهُ إِذَا نَثَّ وَرَمَّ الْعَمَلَ الرَّثِّ
فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَمَّ وَرِشَ مَنْ رِيَشُهُ انْخَصَّ
بِمَا عَمَّ وَمَا خَصَّ وَلَا تَأْسَ عَلَى النِّقْصِ
وَلَا تَحْرِصْ عَلَى اللَّهِ وَعَادِ الْخُلُقَ الرَّدْلَ
وَعَوِّدْ كَفْكَ الْبَدْلَ وَزَهَّهْمَا عَنِ الضَّمِّ
وَزَهَّهْمَا عَنِ الضَّمِّ وَرَوِّدْ نَفْسَكَ الْخَيْرَ
وَدَعْ مَا يُعِيبُ الضَّيْرَ وَخَفْ مِنْ لَجَّةِ الْيَمِّ
وَحَفْ مِنْ لَجَّةِ الْيَمِّ بِذَا أُوصِيْتُ يَا صَاحَ
وَقَدْ بُحْتُ كَمَنْ بَاخَ فَطُوبَى لِقَتَى رَاحَ
بَادَايِي يَا تَمِّ

وله من خطبة وهي عرية من الإجماع

٢٥ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَدُوحِ الْأَسْمَاءِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاسِعِ الْعَطَاءِ

الْمَدْعُوِّ لِحَسْبِهِ الْآلَاءُ مَا لَكَ الْأَمَمُ وَمُصَوِّرِ الرِّمَمِ . وَمُكْرِمِ أَهْلِ السَّمَحِ
وَالْكَرَمِ . وَمَهْلِكِ عَادٍ وَإِرَمِ . أَذْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُهُ . وَوَسَّعَ كُلَّ مَصِيرِ
حِلْمُهُ . وَعَمَّ كُلَّ عَالَمٍ طَوْلُهُ . وَهَدَى كُلَّ مَارِدٍ حَوْلُهُ . أَحْمَدُهُ حَمْدُ مُوَحِّدِ
مُسْلِمِ . وَأَدْعُوهُ دُعَاءُ مُؤْمِلِ مُسْلِمِ . وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ
الْأَحَدُ . الْعَادِلُ الصَّدُوقُ . مَا هَمَّ رُكَّامٌ . وَهَدَرَ حَمَامٌ . وَسَرَحَ سَوَامٌ .
وَسَطًا حُسَامٌ . إِنْعَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَمَلِ الصُّلَحَاءِ . وَانْكُدُوا لِمَعَادِكُمْ كَذْحِ
الْأَصْحَاءِ . وَارْدَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رَدْعِ الْأَعْدَاءِ . وَأَعِدُّوا لِلرَّحْلَةِ إِعْدَادَ
السُّعْدَاءِ . وَادْرِعُوا حُلَّ الْوَرَعِ . وَذَاوُوا عِلَلِ الطَّمَعِ . وَسَوُّوا أَوْدَ
الْعَمَلِ . وَعَاصُوا وَسَاوِسَ الْأَمَلِ . وَصَوِّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ الْأَحْوَالِ .
وَحُلُولَ الْأَهْوَالِ . وَمُسَاوَرَةَ الْأَعْلَالِ . وَمُصَارِمَةَ الْمَالِ وَالْآلِ .
وَأَذْكُرُوا الْحِمَامَ وَسُكْرَةَ مَضْرَعِهِ وَالرَّمْسَ وَهَوْلَ مَطْلَعِهِ . وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ
مُودِعِهِ . وَالْمَلِكَ وَرُوعَةَ سُؤَالِهِ وَمَطْلَعِهِ . وَانْحُوا الدَّهْرَ وَلَوْ مَكْرَهُ .
وَسَوُّوا مَحَالَهُ وَمَكْرَهُ . كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا . وَأَمَرَ مَطْعَمًا . وَطَخَعَ عَرْمَرَمًا .
وَدَمَرَ مَلِكًا مُكْرَمًا . هُمُّ سَكِّ السَّمَاعِ . وَسَخُّ الْمَدَامِ . وَإِكْنَادُ
الْمُطَامِ . وَإِرْدَاءُ النُّسَمِ . وَالسَّمَاعِ . عَمَّ حُكْمُهُ الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ .
وَالْمُسُودَ وَالطَّاعَ . وَالْمُخْسُودَ وَالْحُسَادَ . وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ . مَا مَوَّلَ
إِلَّا مَالَ . وَعَكَسَ إِلَّا مَالَ . وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ . وَكَلَّمَ إِلَّا وَصَالَ .
وَلَا سَرَّ إِلَّا وَسَاءَ . وَلَوْمْ وَأَسَاءَ . وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَلَدَ الدَّاءِ . وَرَوَعَ الْأَوْدَاءِ .
اللَّهُ اللَّهُ . رَعَاكُمْ اللَّهُ . إِلَى مَ دَاوَمَةِ اللَّهِ . وَمُوَاصَلَةِ السُّهُوِ . وَطُولِ

الْإِصْرَارِ . وَحَمْلُ الْأَصَارِ . وَاطْرَاحُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ . وَمُعَاصَاةُ إِلَهِ
 السَّمَاءِ . أَمَا أَهْرَمُ حَصَادِكُمْ . وَالْمَذْرُوءَاتُ مِنْكُمْ . أَمَا الْحِمَامُ مُذِرُكُمْ .
 وَالصِّرَاطُ مُسْلِكُكُمْ . أَمَا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ . وَالسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ . أَمَا
 أَهْوَالُ الطَّامَةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ . أَمَا دَارُ الْعُصَاةِ الْخَطِيئَةُ الْمُؤَصَّدَةُ .
 حَارِسُهُمْ مَالِكٌ . وَرَوَاؤُهُمْ حَالِكٌ . وَطَعَامُهُمْ سُتُومٌ . وَهَوَاؤُهُمْ
 السُّتُومُ . لَا مَالٌ أَسْعَدُهُمْ وَلَا وَلَدٌ . وَلَا عَدَدٌ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدٌ . أَلَا رَجِمَ
 اللَّهُ أَمْرًا مَلَكُ هَوَاهُ . وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ . وَأَحْكَمَ طَلَاعَةَ مَوْلَاهُ .
 وَكَدَحَ لِرُوحِ مَأْوَاهُ . وَعَمِلَ مَا دَامَ الْعُمْرُ مُطَاوِعًا . وَالذَّهْرُ مُوَادِمًا .
 وَالصَّحَّةُ كَامِلَةً . وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً . وَإِلَّا دَهْمُهُ عَدَمُ الْمُرَامِ . وَحَصْرُ
 الْكَلَامِ . وَالْإِلَامُ الْآلَامُ . وَخُمُومُ الْحِمَامِ . وَهُدُؤُ الْحَوَاسِ . وَمِرَاسُ
 الْأَرْوَاسِ . آهَاهَا حَسْرَةُ الْمَتَاهَا مُؤَكَّدٌ . وَأَمْدُهَا سَرْمَدٌ . وَمُمَارِسُهَا
 مُكْنَمَدٌ . مَا لَوْلَاهُ حَاسِمٌ . وَلَا لِسَدَمِهِ رَاحِمٌ . وَلَا لَهُ مِمَاعَرَاهُ عَاصِمٌ .
 أَلْهَمَكُمْ اللَّهُ أَحْمَدَ الْأَلْهَامِ . وَرَدَّكُمْ زِدَاءَ الْإِكْرَامِ . وَأَحْكَمَ دَارَ
 السَّلَامِ . وَأَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ . وَهُوَ أَسْمَحُ
 الْإِكْرَامِ . وَالْمُسْلِمِ وَالسَّلَامِ

وله من خطبة أخرى

٢٦ مُسْكِينُ ابْنِ آدَمَ وَأَيُّ مُسْكِينٍ . رَكْنٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ رَكْنٍ .
 وَأَسْتَعْصَمُ مِنْهَا بَغِيرُ مَكِينٍ . وَذُبُجٌ مِنْ حُبِّهَا بَغِيرُ سِكِينٍ . يَكْلَفُ بِهَا
 لِبَاوَتَهُ . وَيَكْبُ عَلَيْهِ لِشِقَاوَتِهِ . وَيَعْتَدُّ فِيهَا لِمُقَاخَرَتِهِ . وَلَا يَتَرَوَّدُ مِنْهَا

لَا خَيْرَ لَهُ . أَقْسَمُ بِمَنْ مَرَجَ الْخَرَيْنِ . وَنُورَ الْقَمَرَيْنِ . وَرَفَعَ قَدْرَ الْحَجَرَيْنِ .
لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ . لَمَا نَادَمَ . وَلَوْ فَكَّرَ فِي مَا قَدَّمَ لَبَكَّى الدَّمَ . وَلَوْ ذَكَرَ
الْمُكَافَاةَ . لَأَسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ . وَلَوْ نَظَرَ فِي الْمَالِ . لَحَسَنَ فُجَحَ
الْأَعْمَالِ . يَاعْبَا كُلَّ الْعَجَبِ . لِمَنْ يَقْتَحِمُ ذَاتَ اللَّهِ . فِي اكْتِنَازِ
الذَّهَبِ . وَخَزَنِ النَّسَبِ لَذَوِي النَّسَبِ . ثُمَّ مِنَ الْبِدْعِ الْعَجِيبِ أَنَّ
يَعْظُكَ وَخَطُّ الْمُسِيبِ . وَتُؤْذِنُ تَمَسُّكَ بِالْمُغِيبِ . وَلَسْتَ تَرَى أَنَّ
تَيْبَ . وَتَهْدِيَبُ الْمُغِيبِ . ثُمَّ أَنْدَفَعُ يُشْدُ . إِنْشَادَ مَنْ يُرِيدُ
يَا وَنَحْ مِنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ وَهُوَ عَلَى عَمِي الصَّبَا مِنْكَشِ
يَعْشُو إِلَى نَارِ الْهُوَى بَعْدَمَا أَصْبَحَ مِنْ ضَعْفِ الْقَوَى يَرْتَشِ
وَيَمْتِطِي اللَّهُوَ وَيَعْتَدُهُ أَوْطَاءَ مَا يَفْتَرِشُ الْمُفْتَرِشِ
لَمْ يَهَبِ الشَّيْبُ الَّذِي مَا رَأَى نُجُومَهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا دُهْشِ
وَلَا أَنْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ النَّهْيُ عَنْهُ وَلَا بَالَى بِعَرَضِ خُطْشِ
فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُخْقًا لَهُ وَإِنْ يَعِشْ عُدَّ كَانَ لَمْ يَعِشْ
لَا خَيْرَ فِي مَحْيَا أَمْرِي لَشَرُّهُ كُنْشَرِ مَيِّتٍ بَعْدَ عَشْرِ نَبِشِ
وَحَبَّذَا مَنْ عَرَضَهُ طَيْبُ يَرْوِقُ حُسْنًا مِثْلَ بَرْدِ رُقِشِ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ شَاكَهُ ذَنْبُهُ هَلَكْتَ يَا مُسْكِينُ أَوْ تَنْقُشِ
فَأَخْلَصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسُ بِهَا مِنَ الْخَطَايَا السُّودَ مَا قَدْ نُقِشِ
وَعَاشِرِ النَّاسِ بِخُلُقِ رِضَى وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشِ
وَرِشَ جَنَاحَ الْحَرِّ إِنْ حَصَّهُ زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشِ

وَأَمْجِدِ الْمُؤْتَرَّ ظُلْمًا فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ إِجْمَادِهِ فَاسْتَجِشْ
وَأَنْعِشْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كِبَوَةٍ عَسَاكَ فِي الْحَشْرِ بِهِ تَنْعِشْ
وَهَاكَ كَأْسُ التَّضْحِيقِ فَاشْرَبْ وَجِدْ بِفَضْلَةِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشَ

موعظة لابن الجوزي

٢٧ إخواني اَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ عَمِلَ فِي الْأَيَّامِ خَيْرًا حُجِدَ أَمْرُهُ . وَمَنْ
أَقْتَرَفَ فِيهَا شَرًّا أَضَاعَ عُمْرَهُ . سَيَنْدِمُ غَدًا مَنْ قَصَرَ عَلَى تَقْصِيرِهِ .
وَيَتَلَهَّفُ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ لِمَصِيرِهِ . وَيَبْكِي هَاجِرُ الْهُدَى بَعْدَ تَبْصِيرِهِ .
إِنَّمَا هِيَ أَوْقَاتٌ مُبَادِرَةٌ تَذْهَبُ . وَاعْتِنَامٌ أَيَّامٌ تُنْهَبُ . فَبَادِرْ بِعَمَلِكَ قَبْلَ
الْفُوتِ . وَاعْتَمِ حَيَاتَكَ قَبْلَ الْمَوْتِ . يَا مَنْ يَعْصِي مَوْلَاهُ عَلَى مَا يُرِيدُ .
وَيُبَارِزُهُ بِالْعَاصِي . وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَهُوَ فِي دَارِ
الْأَرْبَاحِ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَسْتَفِيدُ . وَلَا يَشُوقُهُ الْوَعْدُ وَلَا يَخُوفُهُ الْوَعِيدُ .
أَمَلُهُ طَوِيلٌ وَلَيْسَ الْعُمُرُ بِمُدِيدٍ . وَالْمَوَاعِظُ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ فَتُجِدُّهَا أَقْسَى
مِنَ الصُّخُورِ وَأَصْلَبَ مِنَ الْحَدِيدِ . تَيْقِظُ يَا مَعْرُورُ وَافْهَمِ يَا بَلِيدُ . فَلَا تَمَلْ
طَوِيلُ وَالْأَمْنُ عَرِيضٌ شَرِيدُ . وَطَرِيقُ الْعِقَابِ بَعِيدٌ مُدِيدُ . كَيْفَ تَرْجُو
الْبَقَاءَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ وَالرَّحِيلَ . تَأْمَلُ الرِّضَا وَالزَّمَانَ قَدْ مَضَى فِي
غَيْرِ الْجَمِيلِ . أَعَدَدْتَ الْجَوَابَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْحِسَابَ يَأْتِي عَلَى
الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ . فَإِلَى مَتَى تُضَيِّعُ الْوَقْتَ الشَّرِيفَ . وَحَتَّى مَتَى تَقَرَّبُ
إِلَى الْمَلِكِ الْأَطِيفِ . وَكَيْفَ أَعْرَضْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِتَخْفِيفِ التَّكْلِيفِ . وَأَيْنَ
تَأْثِيرُ الْإِنْذَارِ عِنْدَكَ وَالتَّخْوِيفُ . يَا مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى صَلَاحِهِ أَبَى

وَتَخَلَّفَ. وَإِذَا وَعَدَ تَوْبَةً تَمَادَى وَأَخْلَفَ. وَإِذَا هَمَّ بِفِعْلٍ خَيْرٍ تَوَانَى
وَسَوَّفَ. وَإِذَا أَدَّى وَاجِبًا شَقَّ عَلَيْهِ وَتَكَلَّفَ. وَإِذَا لَاحَ لَهُ مَا يَهْوَى
مِنَ الْخَازِي لَمْ يَتَّانَ وَلَمْ يَتَوَقَّفَ. وَإِذَا بَارَزَ بِالْمَعَاصِي لَمْ يَتَحَذَّرْ وَلَمْ
يَتَخَوَّفْ. هَذَا مَيْدَانُ الْمُجَاهَدَةِ فَأَيْنَ أَجْتَهَدُكَ. هَذَا الرَّحِيلُ قَدْ دَنَا
فَأَيْنَ زَادُكَ. هَذَا الصِّرَاطُ قَدْ مَدَّ فَأَيْنَ اسْتَعْدَدُكَ. هَذَا رُكْنُ الْفَنَاءِ
وَيْثُوقُ فَأَيْنَ اعْتَمَدُكَ. هَذَا الْإِعْتِبَارُ قَدْ لَاحَ فَأَيْنَ أَجْدَادُكَ. هَذَا نَذِيرُ
الرَّحِيلِ قَدْ صَاحَ فَهَلْ تَمَّ مُرَادُكَ. وَكَيْفَ نَسِيتَ مَارَبَكَ فَأَثَرْتَ عَلَى
يَقِينِكَ أَرْتِيَابَكَ. أَفَأَمِنْتَ تَوْبِيخَكَ وَعَتَابَكَ حَتَّى مَلَأْتَ مِنَ الْخَطَايَا.
كِتَابَكَ. لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَصَابَكَ. حَتَّى اخْتَرْتَ خَطَاكَ
وَرَفَضْتَ صَوَابَكَ. أَلَنْسِيتَ حَشْرَكَ وَحِسَابَكَ. أَمْ أَعْدَدْتَ لِلسُّؤَالِ
جَوَابَكَ. يَا هَذَا الْبُكَ عَلَى ذُنُوبِكَ وَكُنْ خَزِينًا وَجَلًّا. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمُ الْحُسْرَةِ وَأَنْتَ مُطْرَقٌ مُجْجَلًا. وَكُنْ عَلَى طَلَبِ الْخُلَاصِ بِالْإِخْلَاصِ
مُسْتَسْهِلًا. قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ دَمْعُكَ إِذَا صَغَى سَمْعُكَ مُنْهَمِلًا. كَيْفَ
يَكُونُ حَالُكَ إِذَا خَرَجَ الْخَلَّاقُ مِنَ الْقُبُورِ وَفَارَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ.
وَتَدَكَّدَتْ الْجِبَالُ وَالصُّخُورُ. وَتَمَزَّقَتِ السَّمَاءُ وَهِيَ تُمْرُ. وَتَقَطَّعَتْ
الْأَرْضُ وَهِيَ تَحْمُرُ. فَهَلْ تَرَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ فُتُورٍ. كَيْفَ
يَكُونُ حَالُكَ إِذَا انْكَشَفَتْ غَدَا الْأُمُورِ. وَانْتَهَكَتِ مِنَ الْمُنْذِنِينَ
السُّتُورُ وَبَرَزَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ. وَذَلَّ كُلُّ جَبَّارٍ فَجُورُ. وَتَحَلَّى
الْعَزِيزُ الصُّبُورُ. وَحِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَا مَرْوَرُ. فَتَادَيْتَ بِالْوَيْلِ

وَالشُّبُورُ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا قُدِّمْتَ غَدًا التَّجِبُ لِلْمُطِيعِينَ .
وَأَنْتَقَطَعْتَ أَنْتَ فِي حِمْلَةِ الْمُتَقَطِّعِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا نُشِرَتْ
غَدًا أَعْلَامُ التَّائِبِينَ . وَبَقِيَتْ أَنْتَ مَعَ الْخَائِبِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ
إِذَا حُشِرَ النَّاسُ سُكَارَى . مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيَارَى . وَحُسِبَتْ أَنْتَ
مَعَ الْأَسَارَى . وَدَمْعُكَ يَسِيحُ . وَجَفْنُكَ قَرِيحُ . وَعَيْنُكَ عَبْرَى . وَكَيْدُكَ
حَرَى . وَعَقْلُكَ مَسْلُوبُ . وَفُؤَادُكَ يَذُوبُ . وَظُلْمُ الْمَعَاصِي قَدْ
أُنْكَشَفَ . وَالشَّدَايدُ عَلَيْكَ قَدْ تَضَاعَفَتْ . وَصَحِيفَتُكَ قَدْ ظَهَرَتْ .
وَالزَّبَانِيَةُ إِلَيْكَ قَدْ تَبَادَرَتْ . وَالْحَجِيمُ قَدْ أَرْفَرَتْ . وَأَسْتَارُكَ قَدْ
أُنْهَتَكَ . وَقَبَائِحُكَ قَدْ بَرَزَتْ وَذُنُوبُكَ قَدْ اُسْتَهْرَتْ . وَدُمُوعُكَ قَدْ
أُنْهَمَرَتْ . وَعَيْنُكَ قَدْ اسْتَعْبَرَتْ . تَلَفَتْ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ . وَقَدْ
خَابَتْ مِنْكَ الْأَمَالُ . تُنَادِي فِي قَلْبِكَ : الْحَرِيقُ . كَيْفَ أَمْضِي وَأَيْنَ
الطَّرِيقُ . فَحَيْثُ يَهْرُبُ مِنْكَ الْأَخُ الشَّفِيقُ . وَنَيْلُ الْخَلِّ الْوَدُودُ
وَالصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ . اللَّهُمَّ أَجْرَنَا مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَاجْعَلْنَا مِنْ
تَبَاعِ الْفَائِزِينَ مِنَ الْقَوْمِ . يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

نخبة

من مواعظ لسان الدين الخطيب

٢٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ . الْمُبْدِي الْمُعِيدِ . الْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنْ
الْعَبِيدِ . الْقَرِيبِ فِي بُعْدِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . مُحْيِي رُبُوعِ
الْعَارِفِينَ بِحَيَاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ . وَمُعْنِي نُفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ

الْأَقْتَارِ إِلَى الْعَرَضِ الرَّهِيدِ . وَتَخْلَصُ خَوَاطِرُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سُجُونِ
 دُجُونِ التَّقْيِيدِ إِلَى فَسْحِ التَّجْرِيدِ . تَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظَمَةُ دُرَرُهُ فِي
 سُلُوكِ الدَّوَامِ وَتُسْمُوطِ التَّائِيدِ . حَمْدُ مَنْ رَزَاهُ أَحْكَامٌ وَخَدَانِيَّتُهُ وَأَعْلَامُ
 فَرْدَانِيَّتِهِ عَنْ مَرَايِطِ التَّقْيِيدِ . وَخَابِطِ الطَّعْنِ الْبَلِيدِ . وَتَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ
 أَفْتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ . وَتَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 شَهَادَةٌ تَخْطِي بِهَا مَعَالِمُ الْخَلْقِ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ عَلَى كِبَدِ التَّقْرِيدِ . . . آه
 أَيُّ وَعْظٍ بَعْدَ وَعْظِ اللَّهِ تَعَالَى يَا أَحِبَّائِنَا نَسْمَعُ . وَفِيمَا ذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ
 الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يُطْمَعُ يَا مَنْ يُعْطَى وَيُمْنَعُ . إِذَا لَمْ تَقِمِ الصَّلَاةُ فَمَاذَا
 تَصْنَعُ . إِنْجَمْنَا بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يَفْرُقُ وَيَجْمَعُ . وَلَيْنَ حَدِيدِهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ
 فَقَدْ اسْتَعَاذَ الْحَكِيمُ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ . إِعْلَمُوا
 رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . يَأْخُذُهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ
 وَمِنْ الْجَمَادِ وَالْحَيَوَانِ . وَمَا أَمْلَأَهُ الْمُلُوكُ . فَإِنَّ الْحَقَّ نُورٌ لَا يَضُرُّهُ أَنْ
 صَدَرَ مِنَ الْحَامِلِ . وَلَا يَقْصُرُ بِحُمُولِهِ احْتِقَارُ الْحَامِلِ . وَأَنْتُمْ تَذَرُونَ
 أَنْكُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ الْعَالِيَةِ رِحْلَةٌ . وَلَا تَنَاقِي مَعَهَا
 إِقَامَةٌ وَلَا مَهْلَةٌ . مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ إِلَى الْوُجُودِ إِلَى الْقُبُورِ إِلَى
 الشُّبُورِ إِلَى إِحْدَى دَارِي الْبَقَاءِ أَيْ اللَّهُ شَيْءٌ . فَلَوْ أَبْصَرْتُمْ مُسَافِرًا
 فِي الْبَرِّيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنَ فَرَسٍ . وَيَمْهَدُ وَيَعْرِشُ . أَلَمْ تَكُونُوا أَصْحَابَكُمْ مِنْ جِهْلِهِ .
 وَتَعْبُجُونَ مِنْ زَكَاتِهِ عَمَلِهِ . وَوَاللَّهِ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَشَوَاعِلُكُمْ عَنْ
 اللَّهِ الَّتِي فِيهَا اجْتِهَادُكُمْ إِلَّا بَقَاءُ سَفَرٍ فِي قَفَرٍ . أَوْ أَعْرَاسٍ فِي لَيْلَةٍ نَفَرٍ .

كَأَنَّكُمْ بِهَا مَطْرَحَةٌ تَعْبُرُ فِيهَا الْمَوَاشِي . وَتَبْنُو الْعُيُونُ عَنْ حَبْرِهَا
 الْمُتَلَاشِي . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَذَاتُكُمْ فِتْنَةٌ . وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . مَا بَعْدَ
 الْمَقِيلِ إِلَّا الرِّحِيلُ . وَلَا بَعْدَ الرِّحِيلِ إِلَّا الْمَنْزِلُ الْكَرِيمُ أَوِ الْمَنْزِلُ
 الْوَبِيلُ . وَإِنَّكُمْ تَسْتَقْبِلُونَ أَهْوَآلَ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ بِوَكَرِّ حِسَابِهَا . وَقَبْ
 أَبْوَابِهَا . فَلَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنْهَا لَذَهَلَتْ الْعُقُولُ وَطَاشَتْ
 الْأَلْبَابُ . وَمَا كُلُّ حَقِيقَةٍ يَشْرَحُهَا الْكَلَامُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
 حَقٌّ فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ أَفَلَا أَعَدَدْتُمْ لِهَذِهِ الْوَرُطَةِ حِيلَةً . وَأَظْهَرْتُمْ
 لِلْإِهْتِمَامِ بِهَا حِيلَةً . أَتَعْوِيلًا عَلَى عَفْوِهِ مَعَ الْمُقَاطَعَةِ وَهُوَ الْقَائِلُ فِي
 مَقَامِ التَّهْدِيدِ . إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ . أَمَّا مِنْ مَكْرِهِ مَعَ الْمُنَابَذَةِ . وَلَا
 يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . أَطْعَمًا فِي رَحْمَتِهِ مَعَ الْخَالَفَةِ كَمَا
 قِيلَ : فَسَأَكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَوْ مُشَاقَّةً وَمُعَانَدَةً . وَمَنْ يُشَاقِقِ
 اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ :

هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ التَّعَامِي هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْغُرُورُ
 يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .
 وَمَا عَادَ عَمَّا بَدَأَ وَرَسُولُكُمْ الْخَرِيصُ عَلَيْكُمْ الرُّوُوفُ الرَّجِيمُ يَقُولُ
 لَكُمْ : الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وَالْأَلْحَقُّ مَنْ أَتْبَعَ
 نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي . فَعَلَامَ بَعْدَ هَذَا الْمَعُولِ . وَمَاذَا
 يَتَأَوَّلُ . اتَّقُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَنْصَحُوا . وَاعْتَنِمُوا فُرْصَ
 الْحَيَاةِ وَارْجُوهَا . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ : يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ

اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ . وَتُنَادِي أُخْرَى : هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ .
تَسْتَعِثُ أُخْرَى : يَا لَيْتَنَا زُرْدُ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ . وَتَقُولُ أُخْرَى :
رَبِّ أَرْجِعُونِي . فَرَجِمَ اللَّهُ مِنْ نَظَرِ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ . وَقَدَّمَ
لِعَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَجْرُ إِلَى الْمَوْتِ . وَالْغَفْلَةَ تَقُودُ إِلَى
الْقَوْتِ . وَالصَّحَّةَ مَرَكِبُ الْأَلَمِ . وَالشَّيْبَةَ سَفِينَةُ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْهَرَمِ .
وَلَهُ أَيْضًا مِنْ عِظَةِ

٢٩ . إِخْوَانِي صُمْتُ الْأَذَانَ وَالنِّدَاءَ جَهِيرٌ . وَكَذَّبَ الْعِيَانَ وَالْمُشَارَ
إِلَيْهِ شَهِيرٌ . أَيْنَ الْمَلِكُ وَأَيْنَ الظَّهِيرُ . أَيْنَ الْخَاصَّةُ أَيْنَ الْجَمَاهِيرُ . أَيْنَ الْقَبِيلُ
وَالْعَشِيرُ . أَيْنَ ابْنُ أَرْدَشِيرٍ . صَدَقَ وَاللَّهِ النَّاعِي وَكَذَّبَ الْبَشِيرُ . وَغَشَّ
الْمُسْتَسَارَ وَأَتَمَّ الْمُسِيرُ . وَسُئِلَ عَنْ الْكُلِّ فَأَشَارَ إِلَى التُّرَابِ الْمُسِيرِ :
خُذْ عَنْ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ الْآتِي وَبِدَارِ مَا دَامَ الزَّمَانُ مُوَاتِي
لَا تَتَرَتَّرْ فَهَوَّ السَّرَابُ بِقِيعَةٍ قَدْ خُوِّدَعَ الْمَاضِي بِهِ وَالْآتِي
يَا مَنْ يُؤْمَلُ وَاعْظَا وَمَذْكُرًا يَوْمًا لِيُوقِظَهُ مِنَ الْغَفَلَاتِ
هَمَلًا أَعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبَرَةٍ بِمَدَافِنِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ
قِفْ بِالْبَقِيعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ فَلَكُمْ بِهِ مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ
دَرَجُوا وَلَسْتُ بِخَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةٍ
وَاللَّهِ مَا اسْتَهْلَكْتُ حَيًّا صَارِخًا إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي الْأَمْوَاتِ
لَا قُوَّةَ عَنْ دَرَكِ الْحِمَامِ لِهَارِبِ وَالنَّاسُ صَرَعُوا مَعْرَكِ الْأَقَاتِ
كَيْفَ الْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ سِنَّةَ الْكُرَى بِمَدَارِجِ الْحَيَاتِ

أَسْفًا عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْأَمْوَاتِ لَا نَنْفُكُ عَنْ شُغْلٍ بِهَاكَ وَهَاتِ
 وَيَعْرِثُنَا لِمَعِ السَّرَابِ فَتَغْتَدِي فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ اللَّذَاتِ
 يَا مَنْ غَدَا وَرَاحَ وَأَلْفَ الْمَرَّاحِ . يَا مَنْ شَرِبَ الرِّيحَ مَمْرُوجَةً
 بِالْعَذَابِ الْقَرَّاحِ . وَقَعْدَ لِعَيْنِ صُرُوفِ الزَّمَانِ مَقْعَدَ الْاِقْتِرَاحِ .
 كَأَنَّكَ وَاللَّهِ بِاخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ . وَسَمَاعِ الصُّبْحِ . وَهُجُومِ غَارَةِ
 الْاجْتِيَاكِ . فَأَذِيلُ الْخُفُوتِ مِنَ الْإِرْتِيَاكِ . وَنَسِيتَ أَصْوَاتَ الْغَنَاءِ
 بِرَنَاتِ الرِّيَّاحِ . وَغَوَّضْتَ غُرْرَ النَّبُوبِ الْقَلْبَاحِ . مِنْ غُرْرِ الْوُجُوهِ
 الصَّبَّاحِ . وَتَنَاوَلْتَ الْجُسُومَ النَّاعِمَةَ أَيْدِي الْإِطْرَاحِ . وَنَوَسِيتَ
 الْعُهُودَ الْكَرِيمَةَ بِمَرِّ الْمَسَاءِ عَلَيْهَا وَالصَّبَّاحِ . وَأَصْبَحْتَ كَمَاةَ النِّطَاحِ مِنْ
 تَحْتِ الْبُطَاحِ . وَحَمَلْتَ الْمُهَنْدَةَ وَالرِّمَاحَ ذَلِيلَةً مِنْ بَعْدِ الْجَمَاحِ
 تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَضَرُّيفِهَا حُلُمٌ
 صَفَاؤُهَا كَدْرٌ سَرَّأَوْهَا ضَرَرٌ أَمَانُهَا عَدْرٌ أَنْوَارُهَا ظُلُمٌ
 شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَتُهَا سَقَمٌ لَذَاتُهَا نَدَمٌ وَجَدَانُهَا عَدَمٌ
 فُحِّلَ عَنْهَا وَلَا تَرُكْنَ لَزَهْرَتِهَا فَإِنَّهَا نَعِمٌ فِي طَيِّبِهَا نِقَمٌ
 يَا مُشْتَعِلًا بِدَارِهِ . وَرَمَّ جِدَارِهِ . عَنْ إِسْرَاعِهِ إِلَى النِّجَاةِ وَبِدَارِهِ .
 يَا مَنْ صَاحَ بِإِنذَارِهِ . شَيْبُ عَذَارِهِ . يَا مَنْ صَرَفَ عَيْنَ اعْتِدَارِهِ
 بِأَفْذَارِهِ . يَا مَنْ قَطَعَهُ بَعْدَ مَزَارِهِ . وَثَقُلَ أَوْزَارِهِ . يَا مُعْتَقِلًا يَنْتَظِرُ هُجُومَ
 جَزَارِهِ . يَا مَنْ أَمِنَ فِي خَمْرِ الْهُوَى خَفَ مِنْ إِسْكَارِهِ . يَا مَنْ خَالَفَ
 مَوْلَى رِقِّهِ تَوَقَّ مِنْ إِنْكَارِهِ . يَا كَلِفًا بِعَارِيَةٍ تَرُدُّ . يَا مَقْتُونًا بِأَنْفَاسٍ تَعُدُّ .

يَا مَعُولًا عَلَى الْإِقَامَةِ وَالرِّحَالُ تُشَدُّ. كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أُوثِقَ الشَّدُّ
وَاللِّصْقُ بِالْوَسَادَةِ الْخَدُّ. وَالرَّجُلُ تَبْضُ وَالْأُخْرَى تَمُدُّ. وَاللِّسَانُ
يَقُولُ يَا لَيْتَنَا زُدُّ:

إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّا لَهُ مَا أَشْغَلَ الْإِنْسَانَ عَنْ شَانِهِ
يَرْتَاحُ لِلْأَثْوَابِ يُزْهِى بِهَا وَأَخْطِطُ مَغْرُولٌ لَا كَفَانِهِ
وَيُخْزِنُ الْفَلْسَ لَوْرَائِهِ مُسْتَفِيدًا مَبْلَغَ أَكْوَانِهِ
قَوْضُ عَنِ الْفَانِي رِحَالُ آمُرِي مَدَّ إِلَيْهِ عَيْنَ عِرْقَانِهِ
مَا شَمَّ إِلَّا مَوْقِفُ زَاهِدٍ قَدْ وَكَّلَ الْعَدْلُ مِيزَانِهِ
مُقَرِّطٌ يَشْقَى بِتَفْرِيطِهِ وَمُحْسِنٌ يُجْزَى بِإِحْسَانِهِ
يَاهَذَا خَفِي عَلَيْكَ مَرَضُ اعْتِقَادِكَ. فَالْتَبَسَ الشَّخْمُ بِالْوَرَمِ.
جَهَلَتْ قِيمَ الْمَعَادِنِ فَبَعَتْ الشَّبَّهَ بِالذَّهَبِ. فَسَدَ حُسْنُ ذَوْقِكَ فَتَفَكَّهَتْ
بِخُظْلَةٍ. أَيْنَ حِرْصُكَ مِنْ أَجْلِكَ. أَيْنَ قَوْلُكَ مِنْ عَمَلِكَ. يُدْرِكُكَ
الْحَيَاءُ مِنَ الطُّفْلِ فَتَحَامَى جَمَى الْفَاحِشَةِ فِي الْبَيْتِ بِسَبِّهِ. ثُمَّ تَوَاقَعُهَا
بَعَيْنُ خَالِقِ الْعَيْنِ وَمُقَدِّرِ الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ. تَأَلَّهَ مَا فَعَلَ فِعْلَكَ بِمَعْبُودِهِ.
مَنْ قَطَعَ بِوُجُودِهِ. مَا يَكُونُ مِنْ تَجَوُّى ثَلَاثَةٍ إِلَى عَلِيمٍ. تَعُودُ عَلَيْكَ
مَسَاعِي الْجَوَارِحِ الَّتِي سَخَّرَهَا لَكَ بِالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفَضَّةِ قَتَبُجُلٍ مِنْهَا فِي سَبِيلِهِ بِفَلْسٍ. وَاحِدُ الْأَمْرَيْنِ لَا زِمَ إِلَّا التَّكْذِيبُ
وَأَمَّا الْحَمَاقَةُ وَجَمْعُكَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ عَجِيبٌ. يَرُودُكَ السِّنِينَ الْعَدِيدَةُ
مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَجَبَ لَكَ وَلَسِي الظَّنُّ بِهِ فِي يَوْمٍ. تَوْجِبُ الْحَقُّ

وَتَعْتَدِرُ بِالْغَفْلَةِ . فَمَا بَالُ التَّمَادِي . تَتَرَفُّ بِالذَّنْبِ فَمَا الْحُجَّةُ فِي الْإِصْرَارِ
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نُكِدًا .
يَا مُدْعِي اللِّسَانِ مَاذَا فَعَلْتَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ . يَا مُعْتَدِرًا بِالْغَفْلَةِ أَيْنَ ثَمَرَةُ
التَّنْبِيهِ . يَا مَنْ قَطَعَ بِالرَّحِيلِ أَيْنَ الزَّادُ . يَا ذُبَابَةَ الْحَرْصِ كَمْ ذَا تَلَجُّجٍ
فِي وَرْطَةِ الشَّهْدِ . يَا نَاعِمًا لِعَيْنَيْهِ حَذَارِ الْأَجَلِ قَدْ أَنْذَرَ . يَا تَمَلُّلَ
الْإِعْتِرَارِ قَرُبُ خُمَارِ التَّدْمِ . تَدْعِي الْحِذْقَ بِالصَّنَائِعِ وَتَجْهَلُ هَذَا الْقَدْرَ .
تَبْذُلُ التَّضْعَ لِغَيْرِكَ وَتَتَشُّ نَفْسَكَ هَذَا الْغَشَّ . إِنْ دَمَلَ جُرْحُ تَوْبَتِكَ
عَلَى عَظَمٍ قَامَ بِنَاءُ عَزَمَتِكَ عَلَى رَمْلِ . نَبَتْ خَضْرَاءُ دَعْوَتِكَ عَلَى
دِمْنَةٍ . عَقَدَتْ كَفَّكَ مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَبْضَةِ مَاءٍ . أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ
فَرَأَاهُ حَسَنًا . فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . إِذَا غَامَ جَوْ
هَذَا الْمَجْلِسِ وَابْتَدَأَ رَشُّ غَمَامِ الدُّمُوعِ قَالَتِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ : حَوَايِنَا
لَا عَلَيْنَا . قَدَّالَتْ رِيَّاحُ الْغَفْلَةِ وَتَحَابُّ الصَّيْفِ هَقَافُ . كُلَّمَا شَدَّ طِفْلُ
الْعَزِيمَةِ عَلَى دِرَّةِ التَّوْبَةِ صَانَعَتْهُ طَيْرُ الشَّهْوَةِ عَنْ ذَلِكَ بِمُضْغُورٍ . إِذَا
ضَيَّقَ الْخَوْفُ فَسْحَةَ الْمَهْلِ سَرَقَ الْأَمَلُ حُدُودَ الْجَارِ . قَالَ بَعْضُ
الْفَضَلَاءِ : كَانُوا إِذَا فَقَدُوا قُلُوبَهُمْ . تَفَقَّدُوا مَطْلُوبَهُمْ . وَلَوْ صَدَقَ
الْوَعْدُ لَا تَرَى . اللَّهُمَّ لَا اكْثِرْ طَيِّبٌ يَدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ عَيْلٌ . وَالْخَطْبُ
حَلِيلٌ وَالْمُتَطِّئُنَ قَلِيلٌ فَهَلْ إِلَى الْخُلَاصِ سَبِيلٌ . اللَّهُمَّ أَنْظِرْ إِلَيْنَا
بِعَيْنِ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ الْأَشْيَاءَ وَشَمَلَتْ الْأَمْوَاتَ وَالْأَحْيَاءَ .
يَا دَلِيلَ الْخَائِرِينَ دُلَّنَا . يَا عَزِيزُ أَرْحَمَ ذُلَّنَا . يَا وَلِيَّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ كُنْ لَنَا

كُنَّا . إِنِ اعْرَضْتَ عَنَّا فَمَنْ لَنَا نَحْنُ الْمَذْنُبُونَ وَأَنْتَ عَقَّارُ الذُّنُوبِ .
 قَلْبٌ قَلُوبَنَا يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ . وَاسْتَرْ عِيُوبَنَا يَا سِتَّارَ الْعُيُوبِ . يَا أَمَلَ
 الطَّالِبِ وَيَا غَايَةَ الْمُطْلُوبِ

٣٠ . وللسان الدين في المواعظ ما خاطب به بعض من استدعى منه الموعدة ونصه
 إِذَا لَمْ أُنْجِ يَوْمًا عَلَى نَفْسِي الَّتِي بِحَرَائِمِهَا أَحْيَيْتُ كُلَّ حَبِيبٍ
 وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ غَادِيَةَ الرَّدَى تَدِبُ لَهَا وَاللَّهِ كُلَّ دَبِيبٍ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْكِى عَلَيْهَا بِأَذْمُعِي إِذَا كُنْتُ مُوْصُوفًا بِرَأْيِ لَبِيبٍ
 كَمْ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى حَبِيبٍ تَعَارُ مِنْ إِرْسَالِ طَرْفِكَ بِكِتَابِ
 الْهَوَى إِلَى إِنْسَانِهِ . وَقَدْ ذَبَلَتْ بِالسُّقْمِ زُجْجَةُ لَحْظِهِ وَذَوَتْ وَرْدَةُ
 خَدِّهِ وَأَصْفَرَّتْ لِمَغِيبِ الْفِرَاقِ شَمْسُ حُسْنِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ الَّتِي كَانَ
 يَنْجُلُ مِنْهَا بِالنَّفْسِ . يُخَاطِبُ بِلِسَانِ حَالِهِ مُسْتَرْجِمًا . وَلَيْتَ الْفُجْلُ يَهْضِمُ
 نَفْسَهُ وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مَسْحِهِ إِلَى دَسْتِ الْحُكْمِ . وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ
 بِي وَلَا بِكُمْ . وَمِنْهَا يَا لِلَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْخَبْرُ صَادِقًا لَنَشَبَ بِحُلُقِ الْعَيْشِ
 بَعْدَهُ شَوْكَةُ الشَّكِّ :

وَلَوْ أَنَا إِذَا مِتْنَا تَرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
 وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
 فَلِطَارِئِمْ مَنْ بَتَرَ أَلَامَالِ طَوْعًا . وَقَالَ : بِيَدِي لَا بِيَدِ غَمْرٍ .
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُمْ
 بِاللَّهِ الْغُرُورُ . وَقَالَ أَمِيرُ الْوُعَاظِ : وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ . يَا مَقُولًا

مَا لَهُ طَالِبُ نَارِهِ بَرِيدُ الْمَوْتِ مُطْلَقُ الْأَعْنَةِ فِي طَلَبِكَ وَمَا يَحْمِيكَ حِصْنُ
 ثَوْبِ حَيَاتِكَ مَنْسُوجٌ مِنْ طَاقَاتِ أَنْفَاسِكَ . وَالْأَنْفَاسُ تَسْتَلِبُ
 ذُرَاتِ ذَاتِكَ وَحَرَكَاتُ الزَّمَانِ قَوِيَّةٌ فِي التَّلَسُّجِ الضَّعِيفِ . فَيَا سُرْعَةَ
 التَّمْزِيقِ يَا رَابِطًا مَنَاهُ بِخَيْطِ الْأَمَلِ إِنَّهُ ضَعِيفُ الْقَلْبِ صَيَّادُ التَّلَفِ
 قَدْ بَثَّ الصَّقُورَ . وَأَرْسَلَ الْعُقْبَانَ وَنَصَبَ الْأَشْرَاكَ وَقَطَعَ الْمَوَادَّ فَكَيْفَ
 السَّلَامَةُ . تَهَيَّأْ سُرْعَةَ الْمَوْتِ وَأَشَدُّ مِنْهَا قَلْبُ الْقَلْبِ لَيْتَ شِعْرِي لِمَا
 يَوُولُ أَمْرٌ . مَرْكَبُ الْحَيَاةِ تَجْرِي فِي بَحْرِ الْبَدَنِ بَرْخَاءُ الْأَنْفَاسِ . وَلَا
 بُدَّ مِنْ عَاصِفٍ قَاصِفٍ يَفْلُكُهُ وَيَغْرِقُ الرُّكَّابَ :

فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
 (وَقَالَ) كَأَنَّكَ بِحَرْبِ التَّلَفِ قَدْ قَامْتَ عَلَى سَاقٍ وَانْهَزَمْتَ بِمُجُنُودِ
 الْأَمَلِ . وَإِذَا بَلَكَ الْمَوْتُ قَدْ بَارَزَ الرُّوحَ يَجْذِبُهَا بِخَطِّ طَيْفِ الشَّدَايدِ
 مِنْ قِيَانِ الْعُرُوقِ قَدْ شَدَّ اكْتِفَافَ الذَّبِيحِ وَحَارَ الْبَصَرُ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ .
 وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ عَنْ الْيَمِينِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ
 عَنْ الْيَسَارِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ النَّارِ . وَجَمِيعُ الْخُلُوقَاتِ تَسْتَوَكِفُ الْخَبَرَ
 وَالْكَوْنُ كُلُّهُ قَدْ قَامَ عَلَى صِيحَةٍ : سَعِدَ فُلَانٌ أَوْ شَقِيَ فُلَانٌ فَهَذَاكَ تَجَلَّى
 أَبْصَارُ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَيَحْكُ تَهَيَّأْ لِمِثْلِكَ
 السَّاعَةَ حَصَلَ زَادًا قَبْلَ الْقَوْتِ :

تَتَمَتَّعُ مِنْ شَيْمٍ عَرَارٍ تَجِدُ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيِّ مِنْ عَرَارٍ
 مِثْلَ لَعِينِكَ سُرْعَةَ الْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حَيْثُ فِي

وَقَتِ الْأَسْرِ فَأَفْعَلَهُ فِي وَقْتِ الْإِطْلَاقِ . قَالَ أَبُو تَمَامٍ :
 أَتَأْمَلُ فِي الدُّنْيَا تَجْدُ وَتَعْمُرُ وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ
 تُلْقَى أَمَلًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تَرَجَّيْهِ أَقْصَرُ
 تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كَفَيْتَهُ وَتُقْبَلُ بِالْأَمَالِ فِيهِ وَتُدْبِرُ
 وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَتَعَاكَ ضَوْؤُهُ وَلَيْلَتُهُ تَتَعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
 وَرِزْقُكَ لَا يَعْدُوكَ إِلَّا مُجَلُّ عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِمَامًا مُؤَخَّرُ
 وَلَا حَوْلَ مُخْتَالٍ وَلَا وَجْهَ مَذْهَبٍ وَلَا قَدَرُ يُزْجِيهِ إِلَّا الْمَقْدَرُ
 وَقَدْ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ مَنْ لَيْسَ عَادِلًا عَنِ الْعَدْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِيمَا يُقَدَّرُ
 فَلَا تَأْمَنُ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَحُونُ وَتَعْدُرُ
 فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ وَلَا الرِّيقُ إِلَّا رَيْثًا يَتَغَيَّرُ
 وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذَرَّ شَارِقٌ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عُمْرِكَ يَقْصُرُ
 تَطَهَّرْ وَاحْلِقْ ذَنْبَكَ الْيَوْمَ تَوْبَةً لَعَلَّكَ مِنْهُ إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطَهَّرُ
 وَتَسْمَرُ فَقَدْ أَبَدَى لَكَ الْمَوْتَ وَجْهَهُ وَلَيْسَ يَنَالُ الْقُورُ إِلَّا الْمُسْمَرُ
 فَهَذِي اللَّيَالِي مُؤَذِّنَاتُكَ بِالْبَلِي تَرُوحُ وَأَيَّامُكَ كَذَلِكَ تَبْكُرُ
 وَأَخْلَصْ لِدِينِ اللَّهِ صَدْرًا وَنِيَّةً فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيُظْهِرُ
 وَقَدْ يَسْتُرُ الْإِنْسَانَ بِاللَّفْظِ فِعْلُهُ فَيُظْهِرُ عَنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ
 تَذَكَّرْ وَفَكَّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَائِرُ إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ
 فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ بِأَنْثَاهَا تَطْوِي إِلَى يَوْمٍ تُنْشَرُ

نخبة من حُطَب الاعياد السيدية لابن الحديثي المعروف بابي الحلبي

لعيد الميلاد الجسدي المقدس

٣١ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَتْ ذَاتُهُ بِوَصْفِ الْوَاحِدِيَّةِ فَلَا يُقَاسُ بِالْأَحَادِ .
وَتَمَيَّزَ بِصِفَاتِهِ عَنْ مَرَاتِبِ الْعَدَدِيَّةِ فَلَا يُمَاتِلُ خَصَائِصَ الْأَعْدَادِ .
وَعَلَا بِعِزِّ الْعِظَمَةِ وَالْإِقْتِدَارِ عَنِ النَّظَرِ وَالْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ .
وَتَقَدَّسَ بِسُلْطَانِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِعْتِلَاءِ عَنْ ذِمَائِمِ أَوْصَافِ الْعِبَادِ .
الَّذِي أَفْرَغَ بَدَائِعَ صُورِ الْخَلَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ فِي قَوَالِبِ الْمَوَادِّ . وَأَخْرَجَهَا
إِلَى نُورِ كَمَالِ الْفِعْلِ مِنْ ظُلْمَةِ نَقَائِصِ الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ . وَأَرَشَدَنَا
مِنْ تَيْهِ ظَلَامِ الْأَضْلَالِ بِنُورِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى أَنْهَجِ الْجَوَادِ . وَفَصَّمْ عَنْ
أَعْنَاقِنَا أَرْبَاقَ الْخَطَا بِأَيَّامِ إِشْرَاقِ مَسِيحِهِ مِنَ الْمُطْلَعِ الْبُتُولِيِّ بِالْمِيلَادِ .
نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْرَأُ مِنَ الْمَغَائِبِ وَالْتَرْتِيفِ فِي حَقِّ حَذَقَةِ النُّقَادِ .
وَنَشْكُرُ سَوَائِغَ نِعَمِهِ الْجَسِيمَةِ شُكْرًا تَتَرَمَّحُ لِرَوْنَقِ بَيْتِهِ شَوَائِعُ الْأَطْوَادِ .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنْ يَوْمُكُمْ هَذَا أَشْرَفُ الْأَيَّامِ . وَالْطُّفُ الْمَوَاقِيتِ
الْمُعْظَمَةِ وَبَكْرُ الْأَعْيَادِ الْكَرَامِ . يَوْمُ الْقُرْحِ الْأَعْظَمِ وَالسُّرُورِ
الْكَامِلِ . يَوْمُ الْإِسْتِشَارِ الْأَكْرَمِ وَالْحُبُورِ الشَّامِلِ . يَوْمُ الْهَفَاءِ الْأَوْفَى
وَالْجَذَلِ الْجَدِيدِ . يَوْمُ الْعِيدِ الْأَكْبَرِ وَمِيلَادِ النَّجْلِ الْوَحِيدِ . يَوْمُ ابْتِهَاجِ
الْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ . يَوْمُ إِذَالَةِ الذُّنُوبِ بِالْغُفْرَانِ . يَوْمُ أَنْذَرَتْ بِهِ
الْبَشَائِرُ النَّبَوِيَّةُ . يَوْمُ جَلَّ عَنِ النَّظَائِرِ وَالْأَشْبَاهِ الْمُثَلِّيَّةِ . يَوْمُ تَفَتَّحَتْ
فِيهِ أَبْوَابُ السَّعَادَاتِ أَمَامَ الْبَشَرِ . وَحَصَلَتْ فِيهِ غَرَائِبُ الْإِفَادَاتِ

بِمِلَادِ الْمَسِيحِ الْمُنْتَظَرِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَفْتَرَّتْ فِيهِ نَوَاجِدُ الْحَقَائِقِ .
وَبَسَمَتْ ثُغُورُ الْجُودِ وَالْإِنْعَامِ فِي وُجُوهِ الْخَلَائِقِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي
كُتِبَتْ فِيهِ صُكُوكُ الْخَلَاصِ الْمَطْلُوقِ . وَأَسْفَرَ لَيْلُ الشُّكُوكِ عَنْ غُرَّةِ
الصَّبَاحِ الْأَشْرِقِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَأَلَّقَ فِيهِ كَوْكَبُ الْحَيَاةِ مِنْ
أَفْرَاتِهِ . وَحَقَّقَ لَنَا فِي الْعَالَمِ الْمَلَكُوتِيِّ حِصَّةً فِي النُّورِ وَإِرَاتًا . هَذَا
الْيَوْمُ الَّذِي أَشْرَقَ فِيهِ لِلْأَتَقِيَاءِ شَمْسُ الْبِرَارَةِ . وَذَرَّتْ مِنْ الْفَلَكَ
الْمُرِّيِّ فِي آفَاقِ الْمَغَارَةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اهْتَرَّتْ لِقَرَحَتِهِ أَعْطَافُ
الْوُجُودِ . وَأَنْشَقَّتْ بِمَدَى الْحَقَائِقِ أَصْدَافُ الْوُعُودِ . وَتَلَأَلَّتْ أَضْوَاءُ
دُرَّةِ الْحَيَاةِ فِي أَكْتَافِ قَرْيَةِ دَاوُدَ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ السَّيِّدُ
الْمَسِيحُ مِنَ الْمَقْصُورَةِ الْبُتُولِيَّةِ . مُجَلِّبًا بِالنَّاسُوتِ عَلَى نُورِ الْأَزَلِيَّةِ .
وَبَشَّرَتْ فِيهِ بِصَالِحِ الرَّجَاءِ أَصْقَاعُ الْبَرِّيَّةِ . وَتَمَيَّنَ بِمَوْلِدِهِ الْجَسَدِيُّ
أَنْبَاءُ الْجِلَّةِ الْبَشَرِيَّةِ . الْيَوْمَ قَرَّتْ شَقَاشِقُ أَشْعِيَا النَّبِيِّ الْمَجْدِي فِي
الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ الْبُتُولَ الطَّاهِرَةَ تَحْبِلُ وَتَلِدُ أَشْرَفَ الْأَنْبَاءِ . الْيَوْمَ انْقَضَ
الْكُوكَبُ الصُّبْحِيُّ فِي فَلَكَ آلِ يَعْقُوبَ . وَفَضَّ بُرُودَهُ أَعْسَاقُ الضَّلَالِ
مِنْ آفَاقِ الْقُلُوبِ . الْيَوْمَ نَصَلَ خِضَابُ الْأَضَالِيلِ . أَصْحَرَتْ هِضَابُ
الْأَبَاطِيلِ . تَنَازَلَتْ أَوْرَاقُ الرِّذَائِلِ . بَدَأَ الْإِيْرَاقُ فِي اغْصَانِ
الْقَضَائِلِ . الْيَوْمَ تَبَلَّجَتْ أَقْمَارُ الْحَقَائِقِ . فَتَحَّتِ الدَّخَارُ وَالْكُنُوزُ .
نُضِيتْ سُورُ الْأَسْرَارِ عَنْ وُجُوهِ الْأَمْثَالِ وَالرُّمُوزِ . الْيَوْمَ تَدَكَّدَتْ
أَعْرَانُ الضَّلَالِ . تَبَرَّكَتِ الْأَذْهَانُ بِمِلَادِ مُفِيدِ الْكَمَالِ . تَنَفَّسَ صَبَاحُ

السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ . تَسَرَّبَتْ جِبْلَةُ آدَمَ مِنْ فُحْرِ الْوِلَادَةِ الْمُسِيخِيَّةِ
 أَسْنَى حُلَّةٍ وَأَبْهَى سِرْبَالٍ . الْيَوْمَ أَنْجَمَ سَحَابُ الْعَطَايَا . أَنْجَمَ ضَبَابُ
 الْخَطَايَا . فَتَحَتْ خَزَائِنُ الْمَوَاهِبِ . مُنَحَتْ صَوَائِنُ الْأَذْخَارِ لِكُلِّ آتٍ
 وَذَاهِبٍ . الْيَوْمَ سَقَطَتْ أَجَنَّةُ الطُّغْيَانِ . لُبِسَتْ جَنَّةُ الْفُرْقَانِ . ظَهَرَتْ
 سُنَّةُ الْإِيمَانِ . تَهَقَّرَتْ الْأَكِنَّةُ عَنِ الْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ . الْيَوْمَ
 أَصْبَحَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْأَدْرَانِ مَحْمُومَةً . وَأَعْصَانُ الذُّنُوبِ عَنِ الْأَذْهَانِ
 مَحْمُومَةً . وَالْأُمَّةُ الْيَهُودِيَّةُ عِنْدَ الْأَنَامِ مَذْمُومَةً . وَحِجَارُ الْهَيْجَاءِ وَالْمَذَامِ
 مَحْضُوبَةٌ مَرْجُومَةٌ . فَيَنْبَغِي لَنَا مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَمُجِّتِلِي مُحَاسِنَ الْأَعْيَادِ
 بِأَبْصَارِ الْبَصَائِرِ . وَنَسْتَشْفِ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ هَذِهِ النِّعَمَ الْغَزَائِرَ . فَإِنَّا
 نَرَى حَبَلًا تَزَرُّهُ عَنِ مَسَاقِطِ النُّطْفِ الزَّرْعِيَّةِ . مِيلَادًا لَمْ تَقْضَ بِهِ
 الْحُتُومُ الطَّبِيعِيَّةُ . أَمَّا قَدْ شَاحَ مَعَهَا سَمُ الْبُتُولَةِ . خُطْبًا يُفْصَحُ بِالنِّشَاءِ
 عَلَى الْقُدْرَةِ الْعَلِيَّةِ . مِعْلَقًا أَرَى بِرَوْقِهِ عَلَى السُّدَدِ النُّورِيَّةِ . مَغَارَةً
 أَرَبَتْ شَرَفًا عَلَى الْأَوَاوِينَ السِّرِّيَّةِ . رِعَاةً شَبُومِنَ شَطَايَا الْعِصِيِّ نَارًا
 مُضِيَّةً . مَجُوسًا تَقَرَّبُ الْقَرَابِينَ وَتُدْنِي الْهَدِيَّةِ . مَلَائِكَةً تُنَادِي
 بِالسَّلَامِ وَالرَّجَاءِ فِي أَرْجَاءِ الْبَرِّيَّةِ . كَوَكَبًا يَهْدِي مَوَكَّبًا مِنْ أَقْيَالِ
 الْجُوسِ إِلَى وَصِيدِ الْمَغَارَةِ الَّتِي لِحِمِيَّةِ . قُطًّا تَشْرَفَتْ بِهَا الْأَعْلَامُ
 وَالْبُنُودُ الْمَلَكِيَّةُ . طِفْلًا تَرْتَجُّ لِحْيَتُهُ أَقْطَابَ الْكُرَاتِ الْفَلَكَيَّةِ . فَهَلُمُّوا
 الْآنَ يَا أَصْفِيَاءَ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ . نَشْرُ مِنْ صَدَفِ الْأَفْوَاهِ لَا إِلَهَ
 إِلَّا الْمَسِيحُ . نَكْثِرُ مِنَ التَّحْمِيدِ لِهَذِهِ الرَّأْفَةِ . وَنَقِفُ أَمَامَ اللَّهِ بِالرَّعْدَةِ

وَالْخَافَةِ . تَوَاهَبِ الضَّغَائِنَ وَخَسَائِسَ الْأَحْقَادِ . وَتَحُلْ أَجْيَادَ الْعَقَائِدِ .
 بِفَنَائِسِ عُقُودِ الْأَعْتِقَادِ . تَغْسِلْ مِنْ دَسَائِيرِ الْقُلُوبِ أَسَاطِيرَ الشُّكُوكِ .
 وَتُخْرِجْ لَهُ سَجْدًا بِقَرَابِنِ الْأَعْمَالِ مَعَ الْمُلُوكِ . نَخْلُصِ النِّيَّاتِ وَالسَّرَائِرَ .
 وَنَعِدْ لَنَا فِي ظُلْلِ النُّورِ أَخِيرَ الدَّخَائِرِ . تَتَطَهَّرُ مِنْ أَوْضَارِ الْجُسُومِ
 وَخَطَايَا النُّفُوسِ . وَنُقَدِّمُ لَهُ الطَّاعَةَ الْقَلْبِيَّةَ مَعَ هَدَايَا الْجُحُوسِ . نَظْرَبُ
 لِمَوْلَاهِ مَعَ رِعَاةِ الْأَغْنَامِ . وَنُسَرِّ بِالْفَرَحَةِ الَّتِي عَمَّتِ الْيَوْمَ كُلَّ الْأَنَامِ .
 نَسْتَشِيرُ هَذِهِ الْمَفَاخِرَ وَالْمَنَاقِبَ . وَنَسْتَشْفِ مَا ثَرَّ الْعِيدِ السَّعِيدِ بِالْأَرَاءِ
 الثَّوَابِقِ . وَنَقِفُ فِي هَذَا السِّرِّ الشَّرِيفِ وَقُوفَ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ .
 وَنَتَأَمَّلُ الْأَسْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ بِعُيُونِ الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ . وَنَضْرَعُ إِلَى
 الَّذِي هَدَانَا مِنْ مَتَابِهِ الْأَضَالِيلِ . وَقَادَنَا إِلَى مَدَارِجِ الْهُدَى بِخَزَائِمِ
 أَوَامِرِ الْإِنْمِيلِ . أَنْ يُشْرِفَ جَوَارِحَنَا بِطَاعَتِهِ . وَيُضَاعِفَ مَرَامِنَا
 بِرَأْفَتِهِ . وَيَسْدُلَ عَلَى أَبْوَابِ حَوَاسِنَا سُورَ عِصْمَتِهِ . وَيَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ
 السَّعِيدَ مُبَارَكًا عَلَى أُمَّتِهِ بِمُيُونِ النَّقَائِبِ عَلَى شُعْبَةِ الْمُقَدَّسِ وَرِعِيَّتِهِ .
 وَيَزْرِعَ الْأَلْفَةَ وَالْحَبَّةَ فِي بَيْعَتِهِ . وَيُحْمَدُ نَوَازِلُ الْفَتَنِ الثَّوَابِرِ فِي أَقْطَارِ
 الْأَرْضِ بِرَحْمَتِهِ . وَيُعِيدُ كُلَّ خَلِيلٍ حَائِدٍ عَنْ جَدَدِ الْإِسْتِوَاءِ إِلَى
 زُمْرَتِهِ . وَيَقْصِي كُلَّ مَرِيدٍ خَلَعَ رِبْقَةَ الطَّاعَةِ عَنْ أَظْلَالِ عِنَايَتِهِ .
 وَيَجْعَلَ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَانًا فِي أَكْنَافِ الْحُرْمِ الْحَرِيدِ
 الْأَمْنِ وَالْأَطَافِ الظِّلِّ الْمُدِيدِ الْأَوْسَعِ . وَأَعْرَافِ الْحِمَى الْعَزِيدِ
 الْأَشْرَسِ . وَأَعْلَى ذُرُوتِ الْعِزِّ الشَّدِيدِ الْأَقْعَسِ . وَأَنْ يُسَبِّحَ ضَا

الظليل النَّاصِرِيَّ . عَلَى شَعْبِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ لِيُخَيِّمَ سِرَّهُمْ
 مِنَ الْأَذْدَاءِ بِصَارِمِ عَدْلِهِ . وَيُخْرِسَ شُرِبَهُمْ مِنَ الْأَقْدَاءِ بِوَافِرِ إِحْسَانِهِ
 وَعَزِيزِ فَضْلِهِ . بِشَفَاعَةِ الْأَطْهَارِ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْمُؤَيَّدِينَ . وَصَلَاةِ الْأَخْيَارِ
 مِنَ السُّعَدَاءِ الْمُتَرَهِّدِينَ . آمِينَ

لصباح احد القيامة المبارك

٣٢ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَقَرِّدِ بِالْكَمَالِ فِي عِزَّةِ اقْتِدَارِهِ . وَالتَّوَحُّدِ بِالْجَلَالِ
 فِي سُرَادِقِ مَجْدِهِ وَوَقَارِهِ . أَلْتَحَجُّبِ عَنْ لَقَاتِ الْأَبْصَارِ بِسُتُورِ
 أَنْوَارِهِ . أَلْتَنْتَقِبِ عَنْ لَحَمَاتِ الْأَفْكَارِ بِنُورِ اسْتَارِهِ . الَّذِي أَنْعَجَزَتْ
 الْأَفْهَامُ مَوَانِعَ مَعْرِفَتِهِ . وَعَجَزَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ مَوَاقِعِ قُدْرَتِهِ . وَذَهَلَتْ
 الْأَفْكَارُ فِي بَدَائِعِ فِطْرَتِهِ . وَدَهَشَتْ أَبْصَارُ النُّظَارِ فِي صَنَائِعِ
 حِكْمَتِهِ . الَّذِي أَرْسَلَ مَسِيحَهُ وَوَجَّهَ الْإِيمَانَ مُلْقَعَةً بِرَدَاءِ الضَّلَالِ .
 وَمَلَأَ الْجَهْلَ وَالْبُهْتَانَ سَاجِبَةَ الدَّلَائِلِ وَالْأَذْيَالِ . وَمَرَابِعِ
 الْفَضَائِلِ دَارِسَةَ الْمَعَالِمِ وَالْأَطْلَالِ . وَمَرَاتِعِ الرِّذَائِلِ خُصْبَةَ الْأَخْلَاءِ
 مُتَدَّةِ الْأَطْلَالِ . فَسَدَّ بَلْفُظُهُ الْأَقْدَامَ الْعَاثِرَةَ . وَشَدَّ بِوَعْظِهِ
 الْأَعْلَامَ الدَّائِرَةَ . وَرَدَّ الْخَلْقَ مِنْ فِتْجَاجِ الرَّدَى بِالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةِ .
 وَقَادَهُمْ إِلَى مِنْهَاجِ الْهُدَى بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ . حَتَّى صَفَا مَشْرَبُ
 الْإِيمَانِ مِنْ اكْتِدَارِ رَنَقِهِ . وَأَشْرَقَ الْحَقُّ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي دَائِرَةِ
 فَلَقِهِ . وَأَزْهَرَتْ كَوَاكِبُ الْهُدَى فِي جَوْهِ وَمَشْرِقِهِ . وَتَجَلَّى الدِّينُ
 الْمَسِيحِيُّ فِي أَفْخَرِ أَثْوَابِهِ وَبَهَاءِ رَوْقِهِ . نَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ حَسَرٍ فِي آدَاءِ

فَرَانِضِ الطَّلَاعَاتِ عَنْ سَاقِهِ وَمَرْقِهِ . وَشَكَرَهُ شُكْرًا تَبْلُجُ أَهْلَهُ
 إِلَّا خَلَاصَ عَلَى جَبِينِهِ وَمَرْقِهِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ ذَايَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِدَايَةَ
 الْجُلُوسِ عَلَى الْيَمِينِ . فَلْتَفْرَحْ بِهَذَا الْعِيدِ وَلْيَعَاتِقْ بَعْضُنَا بَعْضًا . الْيَوْمُ يَوْمُ
 الْقِيَامَةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَمَبْدَأُ التَّجْدِيدِ . وَأَشْرَفُ الْمُبَادِي الْيُمِينِيَّةِ وَأَوَّلُ الْعَالَمِ
 الْعَتِيدِ . يَوْمٌ أَبَدَتْ فِي سَمَائِهِ أَهْلَةً الْإِنْعَامِ . وَالْبَسَتْ الْحِيلَةَ
 الْبَشَرِيَّةَ فِي أَثْنَائِهِ حُلَّةَ الْمَجْدِ وَالْإِكْرَامِ . يَوْمٌ لَاحَتْ عَلَى مَفَارِقِهِ طُرُرُ
 الْكَمَالِ . وَامْتَدَّتْ عَلَى جَبْهَتِهِ غُرُرُ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ . يَوْمٌ تَحَلَّتْ
 بِعُقُودِ مَنَاقِبِهِ الْمَعَاصِمُ وَالْأَجْيَادُ . وَتَطَوَّقَتْ بِقِلَابِدِ فَخْرِهِ مُحُورُ الْمَوَاقِيتِ
 وَالْأَعْيَادِ . يَوْمٌ عَطَّرَ أَثْوَابَ الزَّمَانِ تَارُجُ نَشْرِهِ . وَأَقْرَنَ لَيْلَ الْأَذْهَانِ
 بِتَبْلُجِ فَجْرِهِ . يَوْمٌ لَاحَ عَلَى جَبِينِ الْمَجْدِ إِشْرَاقُ نَجَاحِهِ . وَبَاحَ بِأَسْرَارِ
 السَّعْدِ إِسْفَارُ صَبَاحِهِ . وَتَهَلَّلَتْ وَجْوهُ الْإِقْبَالِ بِفَوْزِ قَدَاحِهِ . وَاهْتَرَّتْ
 مَعَاطِفُ الْقُلُوبِ بِحُمَا رِيحِهِ وَنَشْوَةِ رَاحِهِ . يَوْمٌ أَضَاءَتْ فِي حَنَادِسِ
 الْكَوَاكِبِ مَطَالِعُ جَلَالِهِ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْقُلُوبِ كَوَاكِبُ سَعْدِهِ
 وَطَوَالِعُ إِقْبَالِهِ . يَوْمٌ ظَهَرَتْ عَلَامُ الْبَرَكَاتِ عَلَى صَفْحَاتِهِ . وَهَبَتْ نَسَائِمُ
 الْخَيْرَاتِ مِنْ نَفْحَاتِهِ . وَقَدَحَتْ أَنْوَارُ السَّعَادَةِ مِنْ زُرُودِهِ . وَعَرَسَتْ
 رَكَابُ الْجُودِ عَلَى مَنَاهِلِهِ وَوُزُودِهِ . وَحُلَّتْ مَعَاقِدُ الْأَخْزَانِ لِقَرَحَتِهِ .
 وَقَامَ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى قَدَمِ الْإِبْتِهَاجِ فِي صُبْحَتِهِ . يَوْمٌ
 بَشَّرَنَا بِالْفَلَاحِ أَدِيمِهِ . وَنَشَرَ عَلَيْنَا رَايَةَ الْأَفْرَاحِ نَسِيمَهُ . وَزَالَتْ عَنْ
 الْخَلَائِقِ ضَرَاوُهُ . وَانْحَسَرَتْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ نَكَرَاوُهُ . وَتَجَلَّتْ فِي

مَلَايِسِ الْإِشْرَاقِ مَطَالِعُ بُدُورِهِ . وَتَقَرَّتْ أَعْسَاقُ الضَّلَالِ عَنْ
 الْقُلُوبِ بِطَوَالِجِ نُورِهِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَسَوَّرَتْ بِفَخْرِهِ مَعَاصِمُ
 الْكَمَالِ . وَأَضْحَكَتْ بَدَائِعُ أَسْرَارِهِ مَبَاسِمَ الْأَمَالِ . وَبَسَطَتْ فَرْحَتَهُ
 قَوَابِضُ الْأَسْرِقَةِ . وَأُنْقَلَتِ الْقُلُوبُ مِنْ وَحْشَةِ الْأَخْزَانِ إِلَى أُنْسِ
 الْمُسَرَّةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَذْهَلَتْ أَلْبَابَ غَرَابِهِ . وَأَخْرَقَتْ الْعُقُولَ
 عَجَابِهِ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ كَوَاكِبُهُ . وَزَيَّنَتْ أَجْيَادَ الْأَعْيَادِ
 مَنَاقِبُهُ . الْيَوْمُ تَكَشَّفَتْ بُدُورُ الْأَضَالِيلِ . تَكَشَّفَتْ سُتُورُ الْأَبَاطِيلِ .
 تَشَقَّقَتْ رُمُوسُ الْأَبْرَارِ . تَأَلَّقَتْ نَفُوسُ الْأَخْيَارِ . خَرَجَ هَلَالُ
 النَّاسُوتِيَّةِ عَنْ ظُلَمِ السَّرَارِ . ظَهَرَ مُخْلَصُ الْكُلِّ مِنَ الْمُطْلِعِ الْقَهْرِيِّ
 مُبْرِقًا بِرْدَاءِ الْأَنْوَارِ . الْيَوْمَ عَطَسَتْ أَنْوُفُ الْجُودِ . تَفَوَّقَتْ شُنُوفُ
 الْوُجُودِ . فَتَحَتْ خَزَائِنُ النِّعْمَةِ . مُنَحَتْ صَوَائِنُ الْحِكْمَةِ . تَبَلَّجَتْ
 أَقْمَارُ الْمَعَارِفِ . تَجَلَّتْ الْأَبْدَانُ بِأَبْهَى الْمَطَارِفِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي
 أَصَحَّتْ فِيهِ غُرُرُ الْأَمَالِ مُبِیضَةً . وَلَطَائِمُ الْإِقْبَالِ مُنْقَضَةً . وَمَوَاكِبُ
 الشَّيْطَانِ مُرْفُضَةً . وَكَوَاكِبُ الْبُهْتَانِ مُنْقَضَةً . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَبَلَّجَتْ
 أَحْقَاقُ فِي سَدَفَتِهِ . وَابْتَهَجَتْ أَحْقَاقُ الْخَلَائِقِ فِي صُبْحَتِهِ . صُبَّتِ الْبَرَكَاتُ فِي
 بُكَرَتِهِ . وَعَمَّتِ الْخَيْرَاتُ بَيْنَهُ وَبَرَكَتِهِ . فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ
 الرَّبُّ هَلُمُّوا بِنَهْجِهِ وَنَفْرَحْ فِيهِ (مز مورا ١١٨ : ٢٤) . مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ
 لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِشَرَى الْقِيَامَةِ فِي أَرْكَائِكُمُ الْبُكَرِ وَأَيَّامِ الْأَصْبَاحِ . وَقَدِمْتُ
 عَلَيْكُمْ رَكَابَ الْبَهْجَةِ بِأَدِيَةِ الْغُرَرِ وَالْأَوْضَاحِ . وَذَرْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ

أَشْرَفَ الْمَطَالِعِ شُمُوسُ الْمَسَرَّةِ وَالْأَفْرَاحِ . فَأَلْهَنَاءُ بِالْقِيَمَةِ الْمُسِيحِيَّةِ
 لِسَارِ الْجُسُومِ وَالْأَرْوَاحِ . فَهَلُّوا الْآنَ نَوْمُ الْمَدِينَةِ الْقُدْسِيَّةِ بِأَقْدَامِ
 الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ . وَنَلْعِ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ بِعُيُونِ الْبَصَائِرِ وَالْإِعْتِبَارِ .
 زَهْ مُتَأَلِّقًا مِنَ الْمَطْلَعِ الْقُبْرِيِّ . مُزَقًّا مَلَابِسَ الْمَوْتِ عَنْ طَبْعِهِ الْبَشَرِيِّ .
 نَظَرُ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ بِالْحُلُلِ الثَّوْرِيَّةِ . جَائِئَةً عَلَى صَهْوَةِ السُّدَّةِ
 الْقُبْرِيَّةِ . نَبْتِجَ مَعَ مَرِّمِ الْمَجْدِيَّةِ وَيُوحَانَ . نُسْرَ بِالْقِيَمَةِ الْبِكْرِيَّةِ
 مَعَ شَتْمُونَ الصَّفَا وَيُوحَانَ . نَسَعَ بِأَقْدَامِ الْهَمَمِ إِلَى جَلِيلِ الْجَلَالِ .
 نَتَلَقَى مُخْلِصَ الْكُلِّ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِجْلَالِ . نَتَهَادُ بِالسَّلَامِ وَحُسْنِ
 التَّحِيَّةِ . وَنَهَزَ أَعْطَافَ الْقُلُوبِ بِنَشْوَةِ أَرْيَحِيَّةِ . نَسْتَسِلُّ السَّخَائِمَ
 وَالْأَحْقَادَ بِالْقَبْلَةِ . وَنَسْتَبْشِرُ بِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مَعَ الزُّمَرَةِ السَّلَامِيَّةِ
 نَبْعَثُ الْقَمَمَ مِنْ قُبُورِ الْعَقْلَةِ وَالْإِهْمَالِ . وَلُشْمَرُ عَنْ سُوقِ الْعِزَائِمِ
 لَشَمِيرِ الرِّجَالِ . وَنُعِدُّ لَنَا فِي خَزَائِنِ الْمَلَكُوتِ صَوَالِحَ الْأَعْمَالِ . وَنَسْتَعِدُّ
 بِالصَّابِحِ وَالْأَضْوَاءِ لِيَوْمِ الْمَالِ . فَلْتَقَرَّبِ الْآنَ عَلَانِيَةً إِلَى كُرْسِيِّ
 نِعْمَتِهِ . لِنُنْظَرَ بِالْمَرَاحِمِ وَنَجِدَ النِّعْمَةَ لِلْعَوْنِ فِي زَمَانِ الضِّيقِ (عبرانيين
 ١٦ : ٤) . وَنَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ السَّعِيدَ . وَالْيَوْمَ
 الْأَشْرَفَ الْمَجِيدَ . مُبَارَكًا عَلَيْكُمْ مَيْمُونِ النَّقَائِبِ . مُؤَذِّنًا بِالسَّعَادَاتِ
 الْحَافِقَةِ الْأَعْلَامِ الْمُتَدَدَةِ الذَّوَابِ . وَيَتَقَبَّلُ مِنْكُمْ مَا أَسَلَقْتُمُوهُ مِنْ
 الْأَعْمَالِ الصَّوَالِحِ . وَذَخَرْتُمُوهُ فِي خَزَائِنِ الْمَلَكُوتِ مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَرَاجِ .
 وَلَا بَرَحْتُمْ مَكْنُوفِينَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَارِقَةٍ الْأَظْلَالِ . وَمِنْحَةً ضَافِيَةً

الْأَهْدَابِ وَالْأَذْيَالِ . يَتَارَجُ فِي الْآفَاقِ نَشْرُ رِيَّاهَا . وَيَتَبَلَّجُ فِي سَمَاءِ
 الْإِشْرَاقِ بِشَرِّ مُجَاهَا . رَاتِعِينَ فِي أَخْلَاءِ سَعَادَاتٍ مُتَبَلِّجَةِ الْبُدُورِ . وَادِيعِينَ
 فِي أَثْنَاءِ مَوَاهِبِ مُتَبَلِّجَةِ الْوُجُوهِ بِاسْمَةِ الثُّغُورِ . وَلَا بَرَحَتْ شَوَارِدُ النِّعَمِ
 لَدَيْكُمْ نَاوِيَةً . وَمَوَارِدُ الْحُكْمِ لِقُلُوبِكُمْ رَاوِيَةً . وَزُنُودُ الْفَضَائِلِ فِي
 أَلْبَابِكُمْ وَارِيَةً . وَجُنُودُ الرِّذَائِلِ عَنْكُمْ مُتَوَارِيَةً . حَتَّى تَتَلَقَّوْا مَوْرِدَ مُخْصَصِكُمْ
 يَوْمَ النَّشْأَةِ الْآخَرَى . وَالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى . بِوُجُوهِ مُتَبَلِّجَةِ الْوُضَاءِ . وَقُلُوبِ
 لَهْجَةٍ بِالْثَنَاءِ . تَرْفُلُونَ فِي أَنْوَابِ النِّعَمِ الْأَبَدِيِّ فِي الْعِرَاصِ الْمَلَكُوتِيَّةِ .
 وَتَقْتَعِدُونَ سُرُرَ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ الْخَوَاصِّ وَالزُّمَرِ الْمَلَائِكِيَّةِ .
 يَشْفَاعَةُ الْأَبَاءِ وَالْقَدِيسِينَ . وَسَائِرِ الشُّهَدَاءِ وَالْمُتَخَبِّينِ . آمِينَ

لعيد الرُّسُلِ الاطهار

٣٣ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْارَ بِسُبْحَاتِ نُورِهِ بَصَائِرَ الْخُلَصَاءِ . وَطَبَعَ سِرَّ
 ظُهُورِهِ فِي صَفَحَاتِ سَرَائِرِ الْأَخْصَاءِ . وَوَضَعَ أَكَالِيلَ الْمَوَاهِبِ الْمَلَكُوتِيَّةِ
 عَلَى مَقَارِقِ رُؤُوسِ الْأَصْفِيَاءِ . وَأَيَّدَ بِنُورِ الْحُكْمِ الْإِلَهِيَّةِ عُمُودَ الْأَنْصَارِ
 وَالسَّلَاحِينَ الْأَوْصِيَاءِ . نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ حُلَلِ الْمَجْدِ وَمَلَابِسِ
 السَّنَاءِ . وَنَشْكُرُهُ عَلَى جَزَائِلِ نِعْمَانِهِ شُكْرًا يَمْلَأُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَاتِّكَافَ
 السَّمَاءِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى مَنَاقِبِ الرُّسُلِ الْفَضْلَاءِ زَكَاةُ
 الْقَصَاحَةِ . وَنَشْرُ حَمَاسِ الرُّسُلِ الْأَوْلِيَاءِ يَهْدِي إِلَى الْأَرْوَاحِ رَوْحِ
 الرَّاحَةِ . فَإِنَّ لَسَانِي تَشْرُ مَفَاخِرَهُمْ إِذَا تَارَجَتْ وَضَاعَتْ . أَوْجَدَتْ
 فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ مَا كَانَتْ أَضَاعَتْ . أَوَّلِكَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ

السِّدِّ الْمُسِيحِ مِنْ أَحْقَرِ الْمُنَاصِبِ . وَأَصَارُهُمْ مِنْ دَرَجِ الْأَمَامَةِ الْكُتُوبِيَّةِ
 فِي أَوْفَى الرُّتَبِ وَأَعْلَى الْمُنَاصِبِ . وَأَصْطَفَاهُمْ خَدَمًا لِشَرِيفِ سُدَّتِهِ .
 وَدُعَاةً يُرْسِلُهُمْ إِلَى آفَاقِ الْأَرْضِ لِنَشْرِ أَوَامِرِ نَامُوسِهِ وَدَعْوَتِهِ . وَجَعَلَهُمْ
 بُرُوجًا اثْنَيْ عَشْرَةَ لَشَمْسِ سُلْطَانِهِ وَأَشْعَتِهِ . وَسَاعَاتٍ نَاطِقَةٍ لِنَهَارِ شَرْعِهِ
 الْقَضَائِيِّ وَبِشَارَتِهِ . وَاخْتَصَمَهُمْ مَلَائِكَةُ لِعَرْشِ عِزَّتِهِ الَّذِي لَا يَطُورُ بِهِ
 ثُلٌّ . وَجُنُودًا مُخْتَفَةً بِلِوَاءِ سُلْطَانِهِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي لَا يَلِمُ بِعَقْدِهِ حَلٌّ .
 وَرَتَبَهُمْ أَيْمَةً لِلْخَلْقِ وَأَعْلَامًا لِلدَّلَالَةِ . وَشَرَّفَهُمْ بِتَاجِ الْكُتُوبِ وَأَكَالِيلِ
 الرِّسَالَةِ . وَمَثَلَهُمْ بِالْمَلْحِ الْمُصْطَلِحَةِ لِلطُّغُومِ التَّفَهِّمَةِ . وَالْأَنْوَارِ الزَّوَاهِرِ
 فِي السَّمَاءِ الْيَمِينِيِّ الَّذِي تُضِي بِأَنْوَارِهِ كُلُّ جَهَةٍ . وَبَذَرَ زُرُوعَ الْقُدْسِ
 وَالْإِيمَانِ فِي فَرَادِيسِ أَذْهَانِهِمْ . وَأَنْبَتَ غُرُوسَ سَرَائِرِ الْمَلَكُوتِ فِي
 جَنَّاتِ جَنَانِهِمْ . وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَصَابِيحَ الدُّجَى . وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ أَقَالِيدَ
 الْمَلَكُوتِ وَمَفَاتِيحَ الرِّجَاءِ . وَأَمَرَهُمْ بِصَفْحِ الذُّنُوبِ وَغُفْرَانِ الْخَطَايَا . وَأَقْدَرَهُمْ
 عَلَى اسْتِنْزَالِ الْمَوَاهِبِ وَاسْتِغْزَارِ الْعَطَايَا . وَأَثَبَتْ أَسْمَاءُهُمْ فِي بَيْعَةِ
 الْأَبْكَارِ وَجَرَائِدِ الْأَسْمَاءِ . وَأَنْقَذَ حُكْمُهُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَكْنَافِ
 السَّمَاءِ . وَقَالَ لَهُمْ مَا تَحْلُونَهُ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ مَثَلُ الْمُبَانِي وَالْقَوَاعِدِ . وَمَا
 تَرَبُّطُونَهُ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَهُوَ مَرْمُومُ النُّوَاحِي مَرْبُوطُ الْمَعَاقِدِ . وَأَمَرَهُمْ
 بِالسَّعْيِ فِي أُمْتَانِيهِ وَالْجَاهِلِ بِقُلُوبِ قَوَّةٍ . وَأَنْ يَغْشُوا عَمَرَاتِ الْكِرَامَةِ
 بِنُفُوسٍ عَازِفَةٍ عَنِ الشَّهَوَاتِ أَيْتَةٍ . يَنْتَقِلُونَ فِي الْأَغَوَارِ وَالْأَنْجَادِ . بِغَيْرِ
 سِلَاحٍ يَحْمِي سِرَّهُمْ مِنَ الْأَذَاءِ وَلَا زَادٍ يَرِدُّونَ عَلَى الْمَمَالِكِ وَالْأَمْصَارِ

وَيَزِدُّونَ الْأَمَمَ الْعَاصِيَةَ مِنْ حَيْدِسِ الْمَسَاءِ إِلَى ضِيَاءِ النَّهَارِ • يَجْنِبُونَ
الْجُنُوبَ فِي الطَّاعَاتِ الْمُسِيخِيَّةِ وَثَرِ الْمُرَاقِدِ • وَيَسْتَوِطُونَ النَّوْمَ عَلَى
مَضَاجِعِ السَّيَالِ وَخَشِنَ الْغَرَاقِدِ • يَقْطَعُونَ الْمَسَافَاتِ الشَّاسِعَةَ بِشُسُوعٍ
مُقْطَعَةٍ • وَيَخُوضُونَ الْبُحُورَ الزَّوَاخِرَ بِقُلُوبٍ مُحْتَفَةٍ بِالتَّأْيِيدِ وَآذَانٍ
مُشْجَعَةٍ • يُرْفَلُونَ إِلَى سَائِرِ الْأَفَاقِ بِبَنَائِبِ الْمَهْمِ الْعَلِيَّةِ • وَيَتَوَقَّلُونَ
أَعْنَاقَ الْحُجَجِ الْعَمِيقَةِ بِأَقْدَامِ الْعَزَائِمِ الْقُدْسِيَّةِ • صَارِينَ عَلَى مُعَانَاةِ الْبَلَايَا
وَالْمَصَاعِبِ مُثَارِينَ عَلَى مَكَاشِفَةِ الْأَهْوَالِ فِي الشَّقِّ الْبَعِيدَةِ وَالْمَتَاعِبِ •
يَنْتَقِلُونَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ • وَيَقُولُونَ عَنِ الْقُلُوبِ عَمَّةً بَعْدَ عَمَّةٍ • لَا تُرْعِجُهُمْ
نَارُ الْأَهْوَالِ إِذَا تَأَجَّجَتْ وَشَبَّتْ • وَلَا تُذْهِلُهُمْ عَقَارِبُ الْأَقْدَارِ إِذَا
أَزْبَارَتْ وَدَبَّتْ • وَلَا تَتَقَلَّقُ عَزَائِمُهُمْ عَنْ عَوَاصِفِ رِيَّاحِ الْوَعِيدِ إِذَا
هَبَتْ • وَلَا تَتَرَزَّلُ هَمَمُهُمْ عَنْ طَلِبَةِ اللَّهِ إِذَا صَاحَتْهُمْ غَمَامُ التَّهْدِيدِ وَصَبَتْ •
يَخْلُبُونَ بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ قُلُوبَ رَبَّاتِ الْهَوَاجِرِ • يُرْعِجُونَ سُدَدَ الْمَالِكِ
الْعِظَامِ بِالْكَلِمَاتِ السَّوَادِجِ • فَهُمْ كَأَنَّا نَسِ نَصِيتَ عَنْ أَشْبَاحِ أَبْدَانِهِمْ
جَلَائِبِ الْبَشَرِيَّةِ • أَوْ كَأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ تَارَضُوا فَأَنْقَضُوا مِنْ صَفِيحِ
السَّمَاءِ الْأَثِيرِيَّةِ • شَعْتُ اللَّحْمِ وَالنَّوَاصِي صَوَائِي الْأَذْهَانِ • سُهُمُ الْوُجُوهِ
ضَوَائِرُ الْأَبْدَانِ • ضُئِلَ الْجُسُومِ مِنْ تَحْمِلِ أَعْبَاءِ الْعِبَادَةِ • غُبِرَ الْوُجُوهِ
مِنْ تَغْفِيرِ الْخُذُودِ عَلَى هَبَوَاتِ الثَّرَى وَقَشْفِ الزَّهَادَةِ • تَخَافُ الْأَبْدَانُ
مِنْ التَّجَدِّي فِي ظُلُمَاتِ الدِّيَاخِرِ • شَحَابُ الْأَلْوَانِ مِنْ تَفْحَاتِ السَّمَائِمِ
وَحَرِّ الْهَوَاجِرِ • قَدْ لَبِسُوا مَلَائِسَ الْفَقْرِ عَلَى فَرَاقَاتِ بَالِيَةٍ • وَزَعُوا عَنْ

الْقُلُوبِ حَتَّى دَسَّ الْكُفْرُ بِخَطَرَاتٍ عَالِيَةٍ... مَسَاكِينَ تُرْجَفُ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ
 أَسِيرَةَ الْمَالِكِ. جُبْنٌ قَدْ قَهَرُوا ذَوِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ وَالسَّجَّاحَةَ. لَكِنْ أَرَبُوا
 بِالْحُجَجِ الدَّوَاعِغِ عَلَى أَرْبَابِ الْفَصَاحَةِ... لَيْسَ لَهُمْ فِي خَزَائِنِ الْقُلُوبِ
 مِنَ الْعَقَائِلِ غَيْرُ حَبِّ الْمَسِيحِ. وَلَا لَهُمْ فِي جُيُوبِ الْجَنُوبِ مِنْ
 الْأَمْوَالِ الْجَزَائِلِ غَيْرُ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ. لَا يَثْبِي ثَنِيَّةَ عَزَائِمِهِمْ عَنِ الثَّنَاءِ
 عَلَى سَيِّدِهِمْ ثَانٍ. وَلَا فِي صَدَقَاتِ قُلُوبِهِمْ غَيْرُ دَرَّةِ التَّوْحِيدِ شَيْءٌ ثَانٍ.
 مِنْ شُذُورِ كَلَامِهِمْ تُنْظَمُ عُقُودُ الْعَقَائِدِ. وَبُنُورِ أَفْهَامِهِمْ تُسْتَلُّ السَّخَائِمُ
 وَيُنْخَلُّ مَعْقُودُ الْحَقَائِدِ. هَجَمُوا عَلَى مُلُوكِ الرُّومِ وَقَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ. وَهُمْ
 مِنْهُمْ مَكُونٌ فِي غَمَرَاتِ النُّغَى وَعِبَادَةِ الْأَوْتَانِ. قَدْ أَذْهَلَتْهُمْ شُبُهَ الشُّكُوكِ
 فَلَمْ تَقَادِرْ لَهُمْ لُبًّا. حَتَّى اتَّخَذُوا لَهُمْ الصَّنَمَ الْمَسْبُوكَ إِلَهًا وَرَبًّا. قَدْ
 عَسَعَسَتْ دِيَاجِيرُ الْكُفْرِ عَلَى أَبْصَارِ بَصَائِرِهِمْ. وَعَشَعَشَ الْبُهْتَانُ
 وَالضَّلَالُ فِي أَوْعَارِ سَرَائِرِهِمْ. فَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ عَدِمَ بِهِاءَ الْعَقْلِ الشَّرِيفِ
 فِيهِمْ. وَضَرِي عَلَى شَهَوَاتِ الْجَسَدِ السَّخِيفِ حَتَّى نَهَمَ. قَدْ عَائَتْ ذُنَابُ
 الْخَطَايَا فِي أَجْسَادِهِمْ. وَفَاحَتْ رَائِحَةُ الذُّنُوبِ وَزَفَرَةُ الْأَجْرَامِ مِنْ
 أَفْئَامِهِمْ. فَمَا زَالُوا يَصْدَعُونَ قُلُوبَهُمْ بِصَوَادِقِ الْبَرَاهِينِ وَالْبَيِّنَاتِ.
 وَيَقْطَعُونَ أَعْدَارَ الْحُكْمَاءِ بِمَدَى الْأَدِلَّةِ وَصَوَارِمِ الْآيَاتِ. حَتَّى أَفْلَقَتْ
 بَيْضَةُ الْأَذْهَانِ عَنْ قَرْنِ الْحَقَائِقِ. وَأَقْتَرَّتْ مَضَاحِكُ الْإِيمَانِ فِي وُجُوهِ
 الْخَلَائِقِ. وَحَازَ الْحَقُّ قَصَبَاتِ السَّبْقِ يَوْمَ رِهَانِهِ. وَتَنَكَّسَتْ أَعْلَامُ
 الضَّلَالِ بِظَاهِرِ مُجْزِهِ وَرُهَانِهِ. فَانْتَقَلَ النَّاسُ إِلَى نَهَارِ الْبَشَارَةِ

الْمَسِيحِيَّةِ مِنْ لَيْلِ الظَّلَامِ الدَّامِسِ . وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى جَدِيدِ الْهُدَى
 بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَى الطَّرْقِ الطَّوَامِسِ . وَقَادُوهُمْ عَنْ تِيهِ الْأَضَالِيلِ
 وَفَجَّاجِ الرَّدَى . وَأَعَادُوهُمْ لِشَرْعِ الْمَسِيحِ إِلَى سَدِيدِ الْمَقَاصِدِ وَمِنْهَا جِ
 الْهُدَى . بِآيَاتٍ قَطَطَ قَوَاضِيهَا عَرَى الْأَبَاطِيلِ مِنْ قُلُوبِ الْحُكَمَاءِ .
 وَقَطَطَ مَضَارِبَهَا عَلَاتِقَ الشُّبُهَاتِ مِنْ أَذْهَانِ الْفُضَلَاءِ . فَكَمْ مِنْ مَيِّتٍ
 طَوَاهِ الْفَنَاءِ فِي مَدَارِجِ انْقِنَاءِهِ فَتَشَرُّهُ وَأَنْشَرُّهُ . وَأَعْمَى أَرْوَاغَ شَاوَةِ
 الْعَمَاءِ عَنْ بَصَرِهِ فَبَصَرُهُ وَنَصَرُهُ . وَكَمْ مِنْ مُكْتَتِمٍ فِي تَخَادُعِ الْحَيَاءِ مِنْ
 وَخَشَةٍ بَرَصِهِ فَأَظْهَرُهُ وَطَهَّرُهُ . وَذِي لَمْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُجَى
 بِالْبُرَى وَالشِّفَاءِ بَشَرُهُ . وَكَمْ مِنْ مُقْعَدٍ حَلَاوِ الْقَيْدِ الزَّمَانَةِ مِنْ رِجْلِهِ
 فَانْهَضَهُ . . . وَكَلَامَ عَلَيْهِ مَسْحَةُ الشَّعَاعَةِ بَيْنَهُ بِالْآيَاتِ الْبَوَاهِرِ وَحَقَّقَهُ .
 حَتَّى انْتَشَرَتْ أَعْلَامُ رَايَاتِهِ الْخَافِقَةِ . وَتَأَلَّقَتْ عَلَى الْأَفَاقِ ذَوَابُ
 شَمْسِهِ الشَّارِقَةِ . وَزَهَرَتْ كَوَاكِبُ الْإِيمَانِ فِي سَمَاءِ السَّيِّعَةِ . وَتَقَرَّرَ فِي
 قُلُوبِ الْخَلْقِ شَرَفُ السَّنَةِ الْإِضْطَالِيَّةِ وَمَقَاخِرُ الشَّرِيعَةِ . . . فَلَمَّا أَرَفَ وَقْتُ
 ارْتِحَالِهِمْ . وَخَسَفَتْ عُقْدَةُ الْمَوْتِ أَقْمَارَ آجَالِهِمْ . فَفِيهِمْ مَنْ عَمَّرَ طَوِيلًا .
 وَفِيهِمْ مَنْ مَاتَ قَتِيلًا . وَفِيهِمْ مَنْ قُتِلَ مَضْلُوبًا . وَصَلَبَ مَكْبُوبًا . وَقَبِرَ
 مُحْضُوبًا . وَقُتِلَ مَضْرُوبًا . فَمِنْ عَمَّرَ مِنْهُمْ عَاشَ بِاللَّهِ سَعِيدًا . وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ
 مَاتَ فِي اللَّهِ شَهِيدًا . شَفَّوْا فِي عَالِمِ الْفَنَاءِ قَلِيلًا . وَسَعِدُوا فِي عَالِمِ الْبَقَاءِ
 طَوِيلًا . وَاسْتَخْلَفُوا عَلَى رِعَايَا الْمَسِيحِ أَيْمَةً يَهْدُونَ إِلَى مَقَارِ الْمَلَكُوتِ .
 مُؤَيَّدِينَ بِالْمَوَاهِبِ الرُّوحَانِيَّةِ وَوَقَارِ الْكُنُوتِ . . .

الباب الثاني في الخطب الحاسية

تحريض خالد على القتال في اجنادين

٣٤ يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنْصِرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ . وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَحْتَسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَصْبِرُوا عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِكُمْ . وَقَاتِلُوا
عَنْ حَرِّ يَمِّكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَدِينِكُمْ . وَلَيْسَ لَكُمْ مُلْجَأٌ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ وَمَكْنٌ
تَكْمُنُونَ فِيهِ . فَأَقْرَبُ نَوَا الْمَنَاجِبِ وَقَدِّمُوا الْمَضَارِبَ . وَلَا تَحْمِلُوا حَتَّى أَمْرُكُمْ
بِالْحَمْلَةِ . وَلَتَكُنِ السَّهَامُ مُجْتَمِعَةً إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْكِبَادِ الْقَسِيِّ كَأَنَّهَا
تُخْرَجُ مِنْ كَيْدِ قَوْسٍ وَاحِدٍ . فَإِنَّهُ إِذَا تَلَا حَقَّتِ السَّهَامُ رَشْقًا كَأَلْجَرَادِمْ
يَخْلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا سَهْمٌ صَائِبٌ . وَأَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَلْقَوْنَ عَدُوًّا مِثْلَ هَذِهِ الْقِيَّةِ هُمَاتِهِمْ
وَأَبْطَالِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ

خطبة أمراء المسلمين لاهل جيشهم قبل وقعة اليرموك

٣٥ وَلَمَّا حَانَ الْقِتَالُ خَرَجَ مُعَاذُ مَحْرَضًا النَّاسَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الدِّينِ
وَيَا أَنْصَارَ الْهُدَى وَالْحَقُّ أَعْلَمُوا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُتَالُ إِلَّا
بِالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ وَلَا تُدْرِكُ بِالْعَصِيَةِ وَالْتَّسِّيِ وَبِغَيْرِ عَمَلٍ مَرْضِيٍّ . وَلَا
يُؤْتِي اللَّهُ مَغْفِرَتَهُ الْوَاسِعَةَ إِلَّا الصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ . فَإِنَّهُ قَدْ قَسَمَ أَنْ
لَيْسَتْخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَأَسْتَحْيُوا رَحِمَهُمْ

اللَّهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرَاكُمْ اللَّهُ مُنْهَزِمِينَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَلَيْسَ لَكُمْ مُلْجَأٌ مِنْ دُونِهِ

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَطَافَ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَهُوَ شَاكٌّ فِي سِلَاحِهِ رَاكِبٌ فَرَسَهُ وَهُوَ يَقُولُ : مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنْتُمْ الْعَرَبُ الْكِرَامُ السَّادَةُ الْعِظَامُ وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي دِيَارِ الْأَعْلَاجِ مُنْقَطِعِينَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ . وَاللَّهُ لَا يُجَيِّكُمْ مِنْهُمْ الْيَوْمَ إِلَّا الطُّغْنُ وَالضَّرْبُ تَبْلُغُونَ بِذَلِكَ أَرْبَكُمْ وَتَتَأَلَوْنَ الْقُوزَ مِنْ رَبِّكُمْ . وَعَلِمُوا أَنَّ الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يُفَرِّجُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَيُنْجِي بِهِ مِنَ الْغَمِّ . فَاصْدُقُوهُمْ الْقِتَالَ فَإِنَّ النَّصْرَ يَنْزِلُ مَعَ الصَّبْرِ . فَإِنْ صَبَرْتُمْ مَلَكَتُمْ أَمْصَارَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَاسْتَعْبَدْتُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ . وَإِنْ وَلَّيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا مَفَاوِزُ لَا تُقْطَعُ إِلَّا بِالزَّادِ الْكَثِيرِ وَالْمَاءِ الْغَزِيرِ وَهُوَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى دَارٍ وَقُصُورٍ فَاْمْتَنِعُوا بِسُيُوفِكُمْ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (فتوح الشام للواقدي)

خطبة طارق قبل فتوح الاندلس

٣٦ لَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُونُ رَدْرِيقَ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ حَثَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ الْمَقْرُ . الْبُحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللَّهُ إِلَّا الصَّدَقُ وَالصَّبْرُ . وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ فِي هَذِهِ الْجُزَيْرَةِ أَضْيَعُ مِنَ الْأَيَّامِ . فِي مَادِبَةِ اللَّيَامِ . وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ . وَأَسْلَحَتْهُ وَأَقْوَاهُ مَوْفُورَةٌ

وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ لَكُمْ إِلَّا سُيُوفُكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ إِلَّا مَا تَسْتَخْصِصُونَهُ مِنْ
 أَيْدِي عَدُوِّكُمْ . وَإِنْ امْتَدَّتْ بِكُمْ الْأَيَّامُ عَلَى أَفْتِقَارِكُمْ وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ
 أَمْرًا ذَهَبَ رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَ الْقُلُوبُ مِنْ رِعْيِهَا عَنْكُمْ الْجُرْأَةُ عَلَيْكُمْ .
 فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانِ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُتَاجِرَةِ هَذَا
 الطَّاعِغَةِ . فَقَدْ أَلَقْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتَهُ الْحَصِينَةَ وَإِنْ أَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِيهِ
 لَمْ يَكُنْ إِنْ سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ . وَإِنِّي لَمْ أَحْذَرُكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ
 بِبُحْوَةٍ وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصَ مَتَاعٍ فِيهَا النَّفْسُ . أَبَدًا نَفْسِي .
 وَعَلِمُوا أَنْكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَةِ الْأَلَدِّ
 طَوِيلًا . فَلَا تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْقَرٍ مِنْ حَظِّي .
 وَقَدْ بَلَغْتُكُمْ مَا أَنْشَأَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَمِيمَةِ . وَقَدْ
 انْتَجَبْتُكُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَبْطَالِ عُرَبَانًا .
 وَرَضَيْتُكُمْ لِلْمُلُوكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ أَصْهَارًا وَأَخْتَانًا . ثَقَّةً مِنْهُ بِأَرْتِيَا حُكْمُ
 لِلطَّعَانِ . وَاسْتَمَحَّ حُكْمُ مُجَالِدَةِ الْأَبْطَالِ وَالْقُرَّسَانِ . لِيَكُونَ حَظُّهُ
 مِنْكُمْ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ . وَلِيَكُونَ
 مَعْنَهَا خَالِصَةً لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَمِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ . وَاللَّهُ
 تَعَالَى وَلِيُّ إِتْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ . وَعَلِمُوا أَنِّي
 أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلُ نَفْسِي
 عَلَى طَاعَةِ الْقَوْمِ لَذَرِيقَ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَهْلُوا مَعِيَ فَإِنْ
 هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفَيْتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُغَوِّزْكُمْ بَطْلٌ عَاقِلٌ تَسْنِدُونَ

أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ . وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ فَأَخْلُفُونِي فِي عَزَائِمِي
هَذِهِ وَأَحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَاسْكُتُوا أَلْهَمَ مِنْ فَتْحِ هَذِهِ الْجَزِيمَةِ بِقَتْلِهِ

خطبة ابي حمزة بالمدينة

٣٧ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : خُطَبْنَا أَبُو حَمْزَةَ خُطْبَةً شَكَّ فِيهَا
الْمُسْتَبْصِرُ وَرَدَّتِ الْمُرْتَابَ . قَالَ : أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ
بِسُنَّتِهِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ وَتَعْظِيمِ مَا صَغُرَتِ الْجَبَابِرَةُ فِي حَقِّ اللَّهِ .
وَتَصْغِيرِ مَا عَظُمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِمَامَةِ مَا أَحْيَا مِنَ الْجَوْرِ . وَإِحْيَاءِ مَا
أَمَاتُوا مِنَ الْحَقِّ . وَأَنْ يُطَاعَ اللَّهُ وَيُعْصَى الْعِبَادُ فِي طَاعَتِهِ فَالطَّاعَةُ
لِلْعِبَادِ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَا طَاعَةَ لِخَلْقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ نَدْعُو
إِلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَالْقِسْمِ بِالسُّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَوَضْعِ الْأَخْمَاسِ فِي
مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا . إِنَّا وَاللَّهُ مَا خَرَجْنَا أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا لَهْوًا
وَلَا لَعِبًا . وَلَا لِدَوْلَةِ مَلِكٍ زُيْدٍ أَنْ نَخُوضَ فِيهَا وَلَا لِثَارٍ قَدْ نِيلَ مِنَّا .
وَلَكِنْ لَمَّا رَأَيْنَا الْأَرْضَ قَدْ أَظْلَمَتْ وَمَعَالِمُ الْجَوْرِ قَدْ ظَهَرَتْ وَكَثُرَ
الْإِدْعَاءُ فِي الدِّينِ وَعَمِلَ بِالْهَوَى وَعُظِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَقُتِلَ الْقَائِمُ
بِالنَّسْطِ وَعُغِفَ الْقَائِلُ بِالْحَقِّ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يَنَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ
مُسْتَقِيمٍ . فَأَجْبِنَا دَعَايَ اللَّهِ (الْآيَةُ) فَأَقْبَلْنَا مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى قَلِيلِينَ
مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ . فَأَوَانَا اللَّهُ وَأَيَّدَنَا بِبَصَرِهِ فَأَصْبَحْنَا بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَعَلَى الَّذِينَ آعَوَانَا . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَوَّلُكُمْ خَيْرٌ أَوَّلٌ وَآخِرُكُمْ شَرٌّ
آخِرٌ يَا نَفْسَ أَنْفُسِكُمْ قَرَأْتُمْ وَفَقِهْتُمْ فَأَخْتَانُوكُمْ عَنْ كِتَابِ غَيْرِ ذِي عَوَجٍ

بِتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ وَاتِّحَالِ الْمُبْطِلِينَ . فَأَصْبَحْتُمْ عَنْ الْحَقِّ نَاكِينَ أَمْوَاتًا
غَيْرَ أَحْيَاءَ وَمَا تَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَصَحَّ أَصْلَكُمْ وَأَسْقَمَ فَرْعُكُمْ . كَانَ
آبَاؤُكُمْ أَهْلُ الْيَقِينِ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالَّذِينَ وَالْبَصَائِرِ الثَّاقِدَةِ وَالْقُلُوبِ
الْوَاعِيَةِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ . اسْتَعْبَدْتُمْ الدُّنْيَا فَأَذَلَّتْكُمْ
وَالْأَمَانِي فَأَضَلَّتْكُمْ . فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ بَابَ الدِّينِ فَأَفْسَدْتُمُوهُ . وَأَغْلَقَ عَنْكُمْ
بَابَ الدُّنْيَا فَفْتَحْتُمُوهُ . سَرَّاعُ إِلَى الْفِتْنَةِ بَطَاطُ عَنْ السُّنَّةِ . عُثْمَى عَنْ
الْبِرِّهَانِ . صُمٌّ عَنْ الْعِرْفَانِ . عَيْدُ الطَّمَعِ حُلَفَاءُ الْجَنِّعِ . نِعَمَ مَا وَرَّثَكُمْ
آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ وَبَسَّ مَا تَوَرَّثُونَ أَنْبَاءُكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ . نَصَرَ
اللَّهُ آبَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ . كَانَ عَدَدُ آبَائِكُمْ
قَلِيلًا طَيِّبًا وَعَدَدُكُمْ كَثِيرٌ خَبِيثٌ . اتَّبَعْتُمُ الْهَوَى فَارْدَأَكُمْ . وَاللَّهُوَ فَاسَّهَاكُمْ .
وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ تَرْجُرُكُمْ فَلَا تَرْتَدُّونَ . وَتَعْبُرُكُمْ فَلَا تَعْتَبِرُونَ . سَأَلْنَاكُمْ
عَنْ وَلَايَتِكُمْ هَؤُلَاءِ فَقُلْتُمْ وَاللَّهِ مَا فِيهِمْ الَّذِي يُعْلَمُ . أَخَذُوا أَمْالًا مِنْ
غَيْرِ صِلَةٍ فَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَّمُوا بِغَيْرِ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ . وَاسْتَأْثَرُوا بِفَيْئِنَا فَجَعَلُوهُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ وَقُلْنَا لَكُمْ :
تَعَالَوْا إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَّمُوا
بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ . فَقُلْتُمْ : لَا نَقْوَى عَلَى ذَلِكَ وَوَدِدْنَا أَنَا أَصْبَأْنَا مَنْ
يَكْفِينَا فَقُلْنَا : نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ثُمَّ اللَّهُ رَاعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ إِنْ ظَفَرْنَا
لِنُعْطِينَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . فَحِجْنَا فَأَتَقَيْنَا الرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا وَالسُّيُوفَ

بُجُوهِنَا فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ فَقَالْتُمْ نَا فَأَبْعَدَكُمْ اللَّهُ . قَوْلَ اللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ : لَا نَعْرِفُ الَّذِي تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُهُ لَكَانَ أَعْذَرَمَعَ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لِلْجَاهِلِ . وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَقِّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذَكُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ

(العقد الفريد لابن عبد ربه)

تقليد السلطان الى الملك الظاهر

(لما بُوع بالخلافة للمستنصر بالله سعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكتاب منبراً فقراً على الملك الظاهر تقليد السلطان وكان التقليد من إنشائه . صورته :)

٣٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَضْفَى عَلَى الْإِسْلَامِ مَلَائِسَ الشَّرَفِ . وَأَظْهَرَ بِعَجَّةٍ ذُرِّيَّهِ وَكَانَتْ خَافِيَةً بِمَا اسْتَحْكَمَ عَلَيْهَا مِنَ الصَّدْفِ . وَشَدِيداً مَا وَهَى مِنْ عَالِيهِ حَتَّى أَنْسَى بِهِ ذِكْرَ مَنْ سَلَفَ . وَقِيضَ لِنَصْرِهِ مُلُوكًا اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ اخْتَلَفَ . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي وَقَعَتِ الْأَعْيُنُ مِنْهَا فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ . وَالطَّافَةِ الَّتِي وَقَفَ الشَّاكِرُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ لَهُ عَنْهَا مُنْصَرَفٌ . وَبَعْدُ فَإِنْ أَوَّلَى الْأَوَّلِيَاءِ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ . وَأَحَقَّهُمْ أَنْ يُصْبِحَ الْقَلَمُ رَاكِعاً وَسَاجِداً لِتَسْطِيرِ مَنَاقِبِهِ وَبِرِّهِ . مِنْ سَعَى فَأَضْحَى سَعْيُهُ لِلْحَمْدِ مُتَقَدِّماً . وَدَعَا إِلَى طَوَاعَتِهِ فَأَجَابَ مَنْ كَانَ مُنْجِداً وَمُتَرَمِّماً . وَمَا بَدَتْ يَدُ فِي الْمَكْرَمَاتِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَمِعْصَاً وَلَا اسْتَبَاحَ سَيْفِهِ حَمَى وَغَى إِلَّا أَضْرَمَ مِنْهُ نَارًا وَأَجْرَى مِنْهُ دَمًا . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمُنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ مُحْتَضَةً بِالْمَقَامِ الْعَالِيِّ الْمُؤَلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلَكِيِّ الظَّاهِرِيِّ الرَّكْنِيِّ شَرَفَهُ اللَّهُ وَأَعْلَاهُ . ذَكَرَهُ الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ الْمُسْتَنْصِرِيُّ أَعَزَّ اللَّهُ

سُلْطَانَهُ تَنْوِيهاً بِشَرِيفِ قَدْرِهِ . وَاعْتِرَافاً بِصَنْعِهِ الَّذِي تَفَعَّدُ الْعِبَارَةُ
الْمُسْتَهْبَةَ وَلَا تَقُومُ بِشُكْرِهِ . وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَقَامَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ
بَعْدَ أَنْ أَفْعَدَتْهَا زَمَانُهُ الزَّمَانِ . وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ مَحَاسِنَ
وَإِحْسَانٍ . وَغُتِبَ دَهْرُهَا الْمُسِيءُ لَهَا فَأَعْتَبَ . وَأَرْضَى عَنْهَا زَمَنُهَا وَقَدْ
كَانَ صَالٍ عَلَيْهَا صَوْلَةُ مُنْضَبٍ . فَأَعَادَ لَهَا سِلْماً بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهَا
حَرْباً . وَصَرَفَ إِلَيْهَا ائْتِمَامَهُ فَرَجَعَ كُلُّ مُتَضَاقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَاسِعاً
رَحَباً . وَمَنْحَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ خُوراً وَعَطْفاً . وَأَظْهَرَ مِنْ
الْوِلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يَحْتَقِي . وَأَبْدَى مِنْ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِ
الشَّرِيعَةِ وَالْبَيْعَةِ أَمراً لَوْ رَامَهُ غَيْرُهُ لَا مَتَعَ عَلَيْهِ . وَلَوْ تَمَسَّكَ بِجَبَلِهِ
مُتَمَسِّكٌ لَا نَقَطَعَ بِهِ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَيْهِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ أَدْخَرَ هَذِهِ الْحُسْنَةَ
لِيُثْقَلَ بِهَا مِيزَانُ ثَوَابِهِ . وَيُخَفَّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابَهُ وَالسَّعِيدُ مِنْ
خَفَفَ مِنْ حِسَابِهِ . فَهَذِهِ مَنَقِبُهُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُخَلِّدَهَا فِي صَحِيفَةِ
صَنْعِهِ . وَمَكْرَمَةٍ تَصْنَمَتْ لِهَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ لَجْمِعِهِ . بَعْدَ أَنْ حَصَلَ
الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ . وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُ لَكَ هَذِهِ الصَّنَائِعَ . وَيَعْتَرِفُ
أَنَّهُ لَوْلَا ائْتِمَامُكَ لَا تَسَعُ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ . وَقَدْ قَلَدَكَ الدِّيَارَ
الْمِصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ . وَالْدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْحِجَازِيَّةَ وَالْيَمَنِيَّةَ
وَالْفَرَاتِيَّةَ . وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْقُسُوحَاتِ غَوِراً وَمُجَدِّداً . وَفَوْضَ أَمْرَ
جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حَتَّى أَصْبَحْتَ بِالْمَكَارِمِ فَرْداً . وَلَا جَعَلَ مِنْهَا
بَلْداً مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْناً مِنَ الْخُصُوفِ يُسْتَشْتَى . وَلَا جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ

تَعْدُ فِي الْأَعْلَى وَلَا فِي الْأَدْنَى . فَلَا حِطَّ أُمُورَ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا
حَامِلًا . وَخَلَصَ نَفْسَكَ مِنَ التَّعَاتِ الْيَوْمَ فَيَغْدُ تَكُونُ مُسْئُولًا لَا
سَائِلًا . وَدَعِ الْإِعْتِرَارَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا . وَمَا رَأَاهَا
أَحَدٌ بَعِيْنِ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا حَائِلًا زَائِلًا . فَالْسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ مِنْهَا أَمَالَهُ
الْمُوصُولَةُ . وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقَدَّمَ غَيْرَ التَّقْوَى مَرْدُودَةٌ لَا
مَقْبُولَةٌ . وَابْسُطْ يَدَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ
وَحَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ . وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ الْمَرْءِ ذُنُوبًا كُنِيَتْ عَلَيْهِ وَآثَامًا .
وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْهَا كَعِبَادَةِ الْعَابِدِ سِتِّينَ عَامًا . وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ
الْعَدْلِ إِلَّا وَاجْتَنَى ثَمَارَهُ مِنَ الْأَفْتَانِ وَرَجَعَ الْأَمْرُ بَعْدَ بَعْدٍ تَدَاعَى أَزْكَانُهُ
وَهُوَ مُشِيدُ الْأَزْكَانِ . وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ زَمَانِهِ . وَالسَّعِيدُ مَنْ
تَحَصَّنَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ . وَكَانَتْ أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَنْبَى مِنْ
الْأَعْيَادِ . وَأَحْلَى مِنَ الْعُودِ إِذَا حُلِيَ بِهَا عَاطِلُ الْأَجْيَادِ . وَهَذِهِ
الْأَقَالِمُ الْمَنْوُطَةُ بِكَ تَحْتَاجُ إِلَى نَوَابٍ وَحُكَامٍ . وَأَصْحَابِ رَأْيٍ
مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ . فَإِذَا اسْتَعْنَتْ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي أُمُورِكَ
فَقَبِّ عَلَيْهِ تَقِيًّا . وَاجْعَلْ عَلَيْهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ رَقِيًّا . وَأَسْأَلُ عَنْ
أَحْوَالِهِ فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ عَنْهُ مُسْئُولًا وَبِمَا اجْتَرَمَ مَطْلُوبًا . وَلَا
تُؤَلِّ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لَكَ لَا ذُنُوبًا . وَأَمْرُهُمْ
بِالْإِنَانَةِ فِي الْأُمُورِ وَالرِّفْقِ . وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى إِذَا ظَهَرَتْ أَدَلَّةُ الْحَقِّ .
وَأَنْ يُقَابِلُوا الضُّعَفَاءَ فِي حَوَائِجِهِمْ بِالثَغْرِ الْبَاسِمِ وَالْوَجْهِ الطَّلَقِ . وَأَنْ لَا

يَعْمَلُوا أَحَدًا عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ. وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ
تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَا إِخْوَانًا. وَأَنْ يُسْعَوْهُمْ بِرًا وَإِحْسَانًا. وَأَنْ
لَا يَسْتَحْلُوا حُرْمَتِهِمْ إِذَا اسْتَحَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ حِرْمَانًا. فَالْمُسْلِمُ أَخُو
الْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِ وَسُلْطَانًا. وَالسَّعِيدُ مَنْ تَسَبَّحَ وَلَا تَهَ فِي
أَخِيرِ عَلَى مَنَوَالِهِ. وَأُسْتَسْتَوْا بِسُقَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ. وَتَحْمَلُوا عَنْهُ
مَا تَعَجَّزُ قُدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَثْقَالِهِ. وَمِمَّا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُنْحَى مَا أُحْدِثَ مِنْ
سَيِّئِ السَّنَنِ. وَجُدَّ مِنَ الْمَظَالِمِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْفَحْشَى. وَأَنْ
يَشْتَرِيَ بِإِبْطَالِهَا الْحَمْدَ فَإِنَّ الْحَمْدَ رَخِيسَةٌ بِأَعْلَى ثَمَنِ. وَمِمَّا جِي
بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ فِي الدِّمِّ حَاصِلَةٌ. وَأَجْيَادُ الْخَزَائِنِ وَإِنْ
أَضْحَتْ بِهَا حَالِيَةً فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ. وَهَلْ أَشَقُّ مِنْ
أَحْتَبَ إِثْمًا. وَاكْتَسَبَ بِالمَسَاعِي الذَّمِّ ذِمًّا. وَجَعَلَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ
لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصًّا. وَتَحَمَّلَ ظُلْمَ النَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا. وَحَقِيقُ بِالْمَقَامِ الشَّرِيفِ الْمُؤَلَوِيِّ السُّلْطَانِي
الْمَلِكِي الظَّاهِرِيِّ الرَّكْنِيِّ أَنْ تَكُونَ ظُلَامَاتُ الْأَنَامِ مَرْدُودَةً بَعْدِلِهِ.
وَعَزَائِمُهُ تُخَفَّفُ ثَقَلًا لَا طَاقَةَ لَهُ بِحَمْلِهِ. فَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْإِحْسَانِ قَائِدًا.
وَصَنَعَتْ لَهُ الْأَيَّامُ مَا لَمْ تَصْنَعْهُ لغيرِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمُ مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ جَاءَ
آخِرًا. فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِكَ إِمَامٌ هَدَى أَوْجِبَ لَكَ
مَزِيَّةَ الْعَظِيمِ. وَنَبَّهَ الْخَلَائِقَ عَلَى مَا أَفْضَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ. وَهَذِهِ أُمُورٌ يَجِبُ أَنْ تُلَاحِظَ وَتُرَعَى. وَأَنْ يُوَالَى عَلَيْهَا حُدُّ

اللَّهُ فَإِنَّ الْحَمْدَ يَجِبُ عَلَيْهَا عَقْلًا وَشَرْعًا. وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّكَ صِرْتَ فِي
 الْأُمُورِ أَصْلًا وَصَادِرًا غَيْرَكَ قَرَعًا. وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا تَقْدِيمُ ذِكْرِهِ أَمْرُ
 الْجِهَادِ الَّذِي أَصْحَى عَلَى الْأُمَّةِ فَرَضًا. وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي يَرْجِعُ بِهِ
 مُسَوِّدُ الصَّخَائِفِ مُبِضًّا. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِالْآخِرِ الْعَظِيمِ.
 وَأَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَهُ الْمَقَامَ الْكَرِيمَ. وَبِكَ صَانَ اللَّهُ حِمَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ
 يُتَدَلَّ. وَيُعْزِمَكَ حِفْظَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نِظَامَ هَذِهِ الدُّوَلِ. وَسَيُفَكُّ أَثَرَ
 فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ فُرُوحًا لَا تَنْدَمِلُ. وَبِكَ يَرْجَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ
 الْخِلَافَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الْأَوَّلِ. فَأَيُّقِظْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ
 جَفْنًا مَا كَانَ غَافِيًا وَلَا هَاجِعًا. وَكُنْ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِمَامًا مَتَّبُوعًا
 لَا تَابِعًا. هَذَاكَ اللَّهُ إِلَى مَنَاجِجِ الْحَقِّ وَمَا زِلْتَ مُتَهِدِيًا إِلَيْهَا. وَأَلْزَمَكَ
 الْمُرَاشِدَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَبْدِيهِ عَلَيْهَا. وَاللَّهُ مُمِدِّكَ بِأَسْبَابِ نَصْرِهِ وَيُوزِعُكَ
 شُكْرَ نِعَمِهِ فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَسْتَمُّ بِشُكْرِهِ
 (للسيوطي)

٣٩ خطبة أبي أذينة يعري الاسود بن المنذر يقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه له

مَا كُلُّ يَوْمٍ يَنَالُ الْمَرْءُ مَا طَلَبَا وَلَا يُسَوِّغُهُ الْقُدَارُ مَا وَهَبَا
 وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ
 وَأَنْصَفُ النَّاسِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مَنْ
 وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ
 وَالْعَفْوُ لَا عَنَ الْأَكْفَاءِ مَكْرَمَةٌ
 قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي لَزِيدٍ لَقَدْ
 لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ الْمَوْصُولَ مُتَقَضِبًا
 سَقَى الْمُعَادِينَ بِالْكَاسِ الَّتِي شَرِبَا
 بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مِنْ قَلْبِهِمْ ضَرْبَا
 مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قُلْتَهُ كَذْبًا
 رَأَيْتَ رَأْيًا يَجْرُ الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلْهَا
هُمْ جَرِّدُوا السِّيفَ فَأَجْعَلْهُمْ لَهُ جُزْرًا
إِنْ تَعَفَّ عَنْهُمْ يَقُولُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
هُمْ أَهْلَةٌ غَسَّانٍ وَتَجِدُهُمْ
وَعَرَضُوا بِفِدَاءٍ وَاصْفَيْنَا لَنَا
أَيُّجْلِبُونَ دَمًا مِنَّا وَتَحْلِبُهُمْ
عَلَامٌ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ
إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
وَأَوْقِدُوا النَّارَ فَأَجْعَلْهُمْ لَهَا حَطَبًا
لَمْ يَعْفُ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوُهُ رَهْبًا
عَالٍ فَإِنْ حَاوَلُوا مُلْكًا فَلَا عِجَابًا
خِيَلًا وَإِبْلًا تَرُوقُ أُلُجْجُمُ وَالْعَرَبَا
رِسْلًا لَقَدْ شَرَفُونَا فِي الْوَرَى حَلَبًا
لَا فِضَّةَ قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبًا

٤٠ قال صفي الدين الحلي يحرض السلطان الملك الصالح على الاعتزاز من المغول

ومنافرتهم عند اقبالهم وبينه بعيد النحر

لَا يَمِطُّ بِأُجْمَدٍ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْخَطَرَا
وَمَنْ أَرَادَ أَلْعَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ
لَا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ نَحْلِ يَمْنَعُهُ
لَا يُبْلَغُ السُّؤْلُ إِلَّا بَعْدَ مُؤَلَةٍ
وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ لَوَمَاتٍ مِنْ ظُلْمٍ
وَأَغْزَرُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَظَرَتْ
فَقَدْ يُقَالُ عِثَارُ الرَّجُلِ إِنْ عَثَرَتْ
مَنْ دَبَّرَ الْعَيْشَ بِالْأَرَاءِ دَامَ لَهُ
يَهُونَ بِالرَّأْيِ مَا يَجْرِي الْقَضَاءُ بِهِ
مَنْ فَاتَهُ الْعِزُّ بِالْأَقْلَامِ أَذْرَكَهُ
وَلَا يَنَالُ أَلْعَى مَنْ قَدَّمَ الْحَذَرَا
قَضَى وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إِذْرَا كِهَا وَطَرَا
لَا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرَا
وَلَا يَتِمُّ الْمُنَى إِلَّا لِمَنْ صَبَرَا
لَا يَقْرَبُ الْوَرْدَ حَتَّى يَعْرِفَ الصَّدَرَا
عَيْنَاهُ أَمْرًا غَدَا بِالْغَيْرِ مُعْتَبَرَا
وَلَا يُقَالُ عِثَارُ الرَّأْيِ إِنْ عَثَرَا
صَفْوًا وَجَاءَ إِلَهُ الْخَطْبِ مُعْتَذَرَا
مَنْ أَخْطَأَ الرَّأْيَ لَا يَسْتَذِنُ الْقَدَرَا
بِالْيُسْرِ يَفْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا الشَّرَرَا

بِكُلِّ أَيْضَ قَدْ أَجْرَى الْفَرْدَ بِهِ
خَاضَ الْعِجَاجَةُ عُرياً نَافِماً أَنْقَشَتْ
لَا يَحْسُنُ الْحِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى إِلَّا فِتْيَ شَرَفَتْ
كَالصَّالِحِ الْمَلِكِ الْمَرْهُوبِ سَطْوَتُهُ
لَمَّا رَأَى الشَّرَّ قَدْ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ
رَأَى الْقَسِيَّ إِنَانًا فِي حَقِيقَتِهَا
فَجَرَدَ الْعَزَمَ مِنْ قَبْلِ الصِّفَاحِ لَهَا
يَكَادُ يُقْرَأُ مِنْ عُتُونِ هَمَّتِهِ
كَالْبَحْرِ وَالْدَّهْرِ فِي يَوْحِي نَدَى وَرَدَى
مَا جَادَ لِلنَّاسِ إِلَّا قَبْلَ مَا سَأَلُوا
لَا مُوَهٌ فِي بَذْلِهِ إِلَّا مَوَالُ قُلْتُ لَهُمْ
إِذَا غَدَا الْغُضْنُ غَضًّا مِنْ مَبَاتِهِ
مِنْ آلِ أُرْتُقِ الْمَشْهُورِ ذِكْرُهُمْ
أَحْمِلِينَ مِنَ الْخُطْبَى أَطْوَلَهُ
لَمْ يَرْحَلُوا عَنْ حِمَى أَرْضٍ إِذَا تَزَلُّوا
تَبَقَى صَنَائِعُهُمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ
لِلَّهِ دَرُّ سَمَا الشَّهْبَاءِ مِنْ فَلَكَ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَانِي لِذَوَاتِهِ

مَاءَ الرَّدَى فَلَوْ اسْتَقْطَرَتْهُ قَطَرًا
حَتَّى آتَى يَدَمِ الْأَبْطَالِ مُوْتَرًا
وَلَا يَلِيقُ الْوَفَا إِلَّا لِمَنْ شَكَرًا
خِلَالَهُ فَاطَّاعَ الدَّهْرُ مَا أَمَرَا
فَلَوْ تَوَعَّدَ قَلْبَ الدَّهْرِ لَا نَفْطَرَا
وَالْغَدَرَعْنَ نَابِهِ لِلْحَرْبِ قَدْ كَشَرَا
فَعَافَهَا وَاسْتَشَارَ الصَّارِمَ الذِّكْرَا
مَلَكٌ عَنِ الْبَيْضِ يَسْتَعْنِي بِمَا شَهَرَا
مَا فِي صَحَائِفِ ظَهْرِ الْغَيْبِ قَدْ سَطَرَا
وَاللَّيْثُ وَالْغَيْثُ فِي يَوْحِي وَغَى دَقَرَى
وَلَا عَفَا قَطُّ إِلَّا بَعْدَ مَا قَدَرَا
هَلْ تَقْدِرُ السُّحُبُ إِلَّا تُرْسِلَ الْبَطَرَا
مَنْ شَاءَ فَلْيَجْنِ مِنْ أَفْنَانِهِ الشُّرَا
إِذَا كَانَ كَالْمِسْكِ إِنْ أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا
وَالنَّاقِلِينَ مِنَ الْأَسْيَافِ مَا قَصَرَا
إِلَّا وَابَقُوا بِهَا مِنْ جُودِهِمْ أَثَرَا
وَالْغَيْثُ إِنْ سَارَ أَرَأَيْتَ بَعْدَهُ الزَّهَرَا
وَكَلَّمَا غَابَ نَجْمٌ أَطْلَعَتْ قَمَرَا
ذِكْرُ أَطْوَى ذِكْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَانْتَشَرَا

كَانَتْ عِدَاكَ لَهَا دَسْتُ فَقَدْ صَدَعْتَ حَصَاةَ جَدِّكَ ذَاكَ الدَّسْتُ فَأَنْكَسَرَ
فَأَوْقَعَ إِذَا غَدَرَ وَاسْوَطَ الْعَذَابِ بِهِمْ يَظَلُّ يَحْشَاكَ صَرْفُ الدَّهْرِ إِنْ غَدَرَ
وَأَرْعَبَ قُلُوبَ الْعَدَى تُنْصَرُّ بِخَذْلِهِمْ إِنْ أَلْنِيَّ بِفَضْلِ الرَّعْبِ قَدْ نَصَرَ
وَلَا تُكِيدَرُ بِهِمْ نَفْسًا مُطَهَّرَةً فَالْبَجْرُ مِنْ يَوْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْكَدَرَ
ظَنُّوا تَأَنِّيكَ عَجْزًا وَمَا عَلِمُوا أَنْ تَأَنِّيكَ عَجْزًا وَمَا عَلِمُوا
أَحْسَنَتْهُمْ فَبَغَوْا جَهْلًا وَمَا اعْتَرَفُوا لَكُمْ وَمَنْ كَفَرَ النُّعْمَى فَقَدْ كَفَرَ
وَأَسْعَدَ بَعِيدَكَ ذَا الْأَصْحَى وَصَحَّ بِهِ وَصَلَّ وَصَلَّ لِرَبِّ الْعَرْشِ مُؤَمَّرًا
وَأُتْحِرَ عِدَاكَ فَبِالْإِنْعَامِ مَا أَنْصَحُوا إِنْ كَانَ غَيْرُكَ لِلْإِنْعَامِ قَدْ تَحَرَّأَ

٦١ ولصقي الدين الحلي يجرّض السلطان الملك المنصور نجم الدين غازي ابن ارتق صاحب ماردين على حضوره حصار قلعة إربل حين أرسل الجيوش ولم يحضرها سنة اثنتين وسبعائة :

أَبْدَسْنَا وَجْهَكَ مِنْ حِجَابِهِ فَالسَّيْفُ لَا يَقْطَعُ فِي قَرَابِهِ
وَاللَّيْثُ لَا يَرْهَبُ مِنْ زَيْرِهِ إِذَا ائْتَدَى مُحْتَجِبًا بِغَايِهِ
وَالنَّجْمُ لَا يَهْدِي السَّبِيلَ سَارِيًا إِلَّا إِذَا أَسْفَرَ مِنْ حِجَابِهِ
وَالشَّهْدُ لَوْلَا أَنْ يُذَاقَ طَعْمُهُ لَمَّا غَدَا مُمِيزًا عَنْ صَابِهِ
إِذَا بَدَأَ نُورُكَ لَا يَصُدُّهُ تَرَاخُمُ الْمَوَكِبِ فِي أَرْتِكَابِهِ
وَلَا يَضُرُّ الْبَدْرُ وَهُوَ مُشْرِقٌ أَنْ رَفِيقَ الْعَيْمِ مِنْ نِقَابِهِ
قُمْ غَيْرَ مَأْمُورٍ وَلَكِنْ مِثْلَمَا هَزَّ الْحَسَامُ سَاعَةً أَجْتَذَاهِ
كَمْ مُدْرِكٍ فِي يَوْمِهِ بَعِزْمِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ فِي حِسَابِهِ
مَنْ كَانَتْ السُّمُرُ الدَّانُ رُسُلُهُ كَانَ بُلُوغُ النُّصْرِ مِنْ جَوَابِهِ

وَلَا تَقُلْ إِنَّ الصَّغِيرَ عَاجِزٌ
فَإَرَمَ ذُرَى قَلْعَتِهِمْ بِقَلْعَةٍ
فَإِنَّهَا إِذَا رَأَيْتَ مُقْبِلًا
إِنْ لَمْ تَحَالِكِ الدَّهْرَ فِي دَوَامِهِ
وَأَجَلْ لَهُمْ عَزَمًا إِذَا جَلَوْتَهُ
عَزَمَ مَلِيكَ يَخْضَعُ الدَّهْرُ لَهُ
تُحَاذِرُ الْأَحْدَاثُ مِنْ حَدِيثِهِ
قَدْ صَرَفَ الْحُجَابَ عَنْ حَضْرَتِهِ
إِذَا رَأَى الْأَمْرَ بَعَيْنَ فِكْرِهِ
وَإِنْ أَجَالَ رَأْيُهُ فِي مُشْكِلٍ
تَتَقَادُ مَعَ آرَائِهِ أَيَّامُهُ
لَا يَزْجُرُ الْبَارِحَ فِي اعْتِرَاضِهِ
يُقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ سِرِّ رَأْيِهِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بِبُورِهِ أَيَّامُهُ
يَكَادُ أَنْ تُلْهِمَهُ عَنْ طَعَامِهِ
مَا سَارَ لِلنَّاسِ ثَنَاءً سَائِرُ
إِذَا اسْتَجَارَ مَالُهُ بِكَفِّهِ
وَإِنْ كَسَا الدَّهْرُ الْأَنَامَ مَفْخَرًا
يَا مَلِكًا يَرَى الْعَدُوَّ قُرْبَهُ

هَلْ يَجْرَحُ اللَّيْثُ سِوَى ذُبَابِهِ
تَقْلَعُ أَسْ الطُّودُ مِنْ رُتَابِهِ
مَادَتْ وَخَرَ السُّورُ لِأَضْطِرَابِهِ
فَإِنَّهَا تَحْكِيهِ فِي أَنْقِلَابِهِ
فِي اللَّيْلِ أَغْنَى اللَّيْلُ عَنْ شَهَابِهِ
وَتَسْجُدُ الْمُلُوكُ فِي اعْتَابِهِ
وَتَجْزَعُ الْخُطُوبُ مِنْ خِطَابِهِ
وَصَيَّرَ الْهَيْبَةَ مِنْ حُجَابِهِ
رَأَى خَطَاءَ الرُّأْيِ مِنْ صَوَابِهِ
أَعَانَهُ الْحَقُّ عَلَى طِلَابِهِ
مِثْلَ أَنْقِيَادِ اللَّفْظِ مَعَ إِعْرَابِهِ
وَلَا غُرَابَ الْبَيْنِ فِي تَنْعَابِهِ
مَا سَطَرَ الْقَضَاءُ فِي كِتَابِهِ
كَأَنَّمَا تَبَسَّمُ عَنْ أَحْسَابِهِ
مَطَابِيبُ الْحَمْدِ وَعَنْ شَرَابِهِ
إِلَّا وَحَطَّ رَحْلُهُ بِبَابِهِ
أَعَانَهُ الْجُودُ عَلَى ذَهَابِهِ
ظَنَنْتُهُ يَجْلَعُ مِنْ ثِيَابِهِ
كَأَلَّا جَلَّ الْخُتُومُ فِي أَقْرَابِهِ

لَا تَبْذُلِ الْحِلْمَ لِغَيْرِ شَاكِرٍ
فَأَغْرُ الْعَدَى بِعِزَّةٍ مِنْ شَأْنِهَا
تُسَلِّمُ أَرْوَاحَ الْعَدَى إِلَى الرَّدَى
حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَبِّ رُتْبَةٍ
قَدْ رَفَعَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ
رَنُوا إِلَى الْمَلِكِ بَعَيْنِ غَادِرٍ
إِنْ لَمْ تُقَطَّعْ بِالطَّبِيِّ أَوْصَالُهُمْ
لَا تَقْبَلِ الْعُذْرَ فَإِنَّ رَبَّهُ
فَتَوْبَةُ الْمُقْلَعِ إِثْرُ ذَنْبِهِ
لَوْ أَنَّهُمْ خَافُوا كِفَاءَ ذَنْبِهِمْ
فَأَصْرِمُ حِبَالِ عِزِّهِمْ بِصَارِمٍ
يَعْتَذِرُ الْمَوْتُ إِلَى شَفَرَتِهِ
يُذَيِّقُهُمْ فِي شَيْبِهِ أَضْعَافَ مَا
يَأْمَلُكَ يَتَذَرُ الدَّهْرُ لَهُ
لَمْ يَكُ تَحْرِيزِي لَكُمْ إِسَاءَةً
وَلَا يَغِيبُ السِّيفُ وَهُوَ صَارِمٌ
ذِكْرُكَ مَشْهُورٌ وَنَظْمِي سَائِرٌ
ذِكْرُ جَمِيلٍ غَيْرَ أَنْ نَظْمُهُ
كَالدَّرِّ لَا يَظْهَرُ حُسْنَ عَقْدِهِ
فَإِنَّهُ يُفِضِي إِلَى إِعْجَابِهِ
إِتْيَانُ حَزْمِ الرَّأْيِ مِنْ أَبْوَابِهِ
وَتَرْجِعُ الْأَمْرَ إِلَى أَرْبَابِهِ
قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ
فَشَرُّوا السَّاعِدَ فِي طِلَابِهِ
أَطْمَعَهُ حِلْمُكَ فِي أَقْضَابِهِ
لَمْ تُقَطَّعْ أَلَا مَالٌ مِنْ أَسْبَابِهِ
قَدْ أَضْمَرَ التَّصْحِيفَ فِي كِتَابِهِ
وَتَوْبَةُ الْغَادِرِ مَعَ عِقَابِهِ
لَمْ يُقَدِّمُوا يَوْمًا عَلَى أَرْتِكَابِهِ
قَدْ بَالَغَ الْقُيُونُ فِي اتِّخَابِهِ
وَتَقْصُرُ أَلَا جَالٌ عَنْ عِتَابِهِ
أَذَاقَهُ الْقُيُونُ فِي شَبَابِهِ
وَتَحْدُمُ الْأَيَّامُ فِي رِكَابِهِ
وَلَمْ أَحُلْ فِي الْقَوْلِ عَنْ آدَابِهِ
هَزْؤُهُ يَدُ الْجَذِبِ فِي اتِّدَابِهِ
كَأَلَاهَا أَمْعَنُ فِي اغْتِرَابِهِ
يَزِيدُهُ حُسْنًا مَعَ أَصْطِحَابِهِ
إِلَّا جَوَارِ السِّلْكِ فِي أَثْقَابِهِ

الباب الثالث في المناظرات

مناظرة بين بلاد الاندلس

هذا ما خاطب به أدب الأندلس أبو بحر صفوان بن إدريس الأمير عبد الرحمن ابن
السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي :

٤٢ لَمَّا تَخَاصَمْتَ فِيكَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْأَمْصَارُ. وَطَالَ بِهَا الْوُقُوفُ
عَلَى حُبِّكَ وَالْإِقْتِصَارُ. كُلُّهَا يُفَصِّحُ قَوْلًا وَيَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى .
وَيُصَيِّحُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَيُصْنِي . وَيَتْلُو إِذَا بُشِّرَ بِكَ : ذَلِكَ مَا كُنَّا
نُبْغِي . تَمَرَّتْ (حِمَصُ) غَيْظًا . وَكَادَتْ تَقِيطُ قَيْظًا . وَقَالَتْ : مَا لَهُمْ
يَزِيدُونَ وَيَقْصُونَ وَيَطْمَعُونَ وَيَخْرُصُونَ . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . أَلَهُمُ السَّهْمُ الْأَسَدُ . وَالسَّاعِدُ الْأَشَدُّ . وَالنَّهْرُ الَّذِي
يَتَعَاقِبُ عَلَيْهِ الْجُزُرُ وَالْمُدُّ . أَنَا مِصْرُ الْأَنْدَلُسِ وَالنَّيْلُ نَهْرِي . وَسَمَائِي
الْأَنْسُ وَالنَّجْمُ زَهْرِي . إِنْ تَجَارَيْتُمْ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ . فَحَسْبِي أَنْ
أُفِضَ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ . وَإِنْ تَحْجَبْتُمْ بِأَشْرَفِ اللُّبُوسِ . فَأَيُّ إِزَارٍ
أَسْتَمْتُمُوهُ كَسْتَبُوسَ . إِلَى مَا شِئْتُمْ مِنْ أَبْنِيَةِ رِحَابٍ . وَرَوْضٍ
يَسْتَفِي بِضُرَّتِهِ عَنِ السَّحَابِ . قَدْ مَلَأَتْ زَهْرَاتِي وَهَادًا وَانْجَادًا .
وَتَوَشَّحَ سَيْفُ نَهْرِي بِحِدَائِقِي نِجَادًا . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِسَيِّدِنَا الْهُمَامِ وَأَحَقُّ .
الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ . فَظَرَّتْهَا (قُرْطَبَةُ) شَرْرًا وَقَالَتْ : لَقَدْ كَثُرَتْ
زُرًّا . وَبَذَرَتْ فِي الصَّخْرِ الْأَصَمِّ زُرًّا . كَلَامُ الْعِدَى صَرَبٌ مِنْ

الْهَذْيَانِ . وَإِنِّي لِلْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ مَتَى اسْتَحَالَ الْمُسْتَقْبَحُ مُسْتَحْسَنًا . وَمَنْ
 أَوْدَعَ أَجْفَانُ الْمُخْجُورِ وَسَنًا . أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا . يَعْجَبَا
 لِلْمَرَاكِزِ تُقَدَّمُ عَلَى الْأَسِنَّةِ . وَلِلْأَثْفَارِ تُفَضَّلُ عَلَى الْأَعْنَةِ . إِنْ أَدْعَيْتُمْ
 سَبَقًا . فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى . لِي أَلَيْتُ الْمُطَهَّرُ الشَّرِيفُ . وَالْأَسَمُ
 الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رِوَاغَهُ التَّعْرِيفُ . فِي بَقِيْعِي مَحَلُّ الرِّجَالِ الْأَفْاضِلِ .
 فَلْيَرْغَمْ أَنْفُ الْمُنَاضِلِ . وَفِي جَامِعِي مَشَاهِدُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ . فَحَسْبِي مِنْ
 نَبَاهَةِ الْقَدْرِ . فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَيَّ بِهَذَا السَّيِّدِ الْأَعْلَى . وَلَا أَرْضَى
 لَهُ أَنْ يُوْطَى غَيْرَ تَرَايِي نَعْلًا . فَأَقْرُوا لِي بِالْأُبُوَّةِ . وَأَنْقَادُوا لِي عَلَى
 حُكْمِ الْبُنُوَّةِ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ . وَكُفُّوا
 عَنْ تَبَارِكِيكُمْ . ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ . (فَقَالَتْ غَرْنَاطَةُ) : لِي
 الْمَعْقِلُ الَّذِي يَمْتَنِعُ سَاكِنُهُ مِنَ النُّجُومِ . وَلَا تَجْرِي إِلَّا تَحْتَهُ جِيَادُ الْغَيْثِ
 السُّجُومِ . فَلَا يَلْخَفُنِي مِنْ مُعَانِدٍ ضَرَرٌ وَلَا حَيْفٌ . وَلَا يَهْتَدِي إِلَيَّ خِيَالُ
 طَارِقٍ وَلَا طَيْفٌ . فَاسْتَسْلِمُوا قَوْلًا وَفِعْلًا . فَقَدْ أَقْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَعْلَى .
 لِي بِطَاحٍ تَقَلَّدَتْ مِنْ جَدَاوِلِهَا أَسْلَاكًا . وَأَطْلَعَتْ كَوَاكِبَ زَهْرَهَا
 فَعَادَتْ أَفْلَاكًا . فَحَسْبِي لَا يُطْمَعُ فِيهِ وَلَا يُحْتَالُ . فَدَعُونِي فَكُلُّ
 ذَاتِ ذِيلٍ تَحْتَالُ . فَأَنَا أَوَّلُ بِهَذَا السَّيِّدِ الْأَعْدَلِ . وَمَالِي بِهِ مِنْ عِوَضٍ
 وَلَا بَدَلٍ . وَلَمْ لَا يَعْطِفْ عَلَيَّ عَنَانُ مُجْدِهِ وَيَثْنِي . وَإِنْ أَشَدَّ يَوْمًا
 فَإِيَّايَ يَعْني :

بِلَادُهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِي . وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي زُرَابَا

فَمَا لَكُمْ تَعْتَرُونَ لِفَخْرِي وَتَنْتَمُونَ . وَتَتَأَخَّرُونَ فِي مِيدَانِي
وَتَقْدَمُونَ . تَبَرُّوْا إِلَيَّ مِمَّا تَزْعُمُونَ . ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
(فَقَالَتْ مَالِقَةُ) : أَتَتْرَكُونِي بَيْنَكُمْ هَمَلًا . وَلَمْ تُعْطُونِي فِي سَيِّدِنَا أَمَلًا .
وَلَمْ وَلِيَّ الْبَحْرِ الْعِمَّاجُ . وَالسَّيْلُ الْتِمَّاجُ . وَالْجَنَاتُ الْأَثِيرَةُ . وَالْفَوَاكِهُ
الْكَثِيرَةُ . لَدَيَّ مِنَ الْبَهْجَةِ مَا تَسْتَغْنِي بِهِ الْحُمَامُ عَنْ الْهَدِيلِ . وَلَا تَحْجُجُ
الْأَنْفُسُ الرِّقَاقُ الْحَوَاشِي إِلَى تَعْوِيزِ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلِ . فَمَا لِي لَا
أُعْطَى فِي نَادِيكُمْ كَلَامًا . وَلَا أَتَشْرَفُ فِي جَيْشِ فَخَارِكُمْ أَعْلَامًا . فَكَأَنَّ
الْأَمْصَارَ نَظَرَتْهَا أَرْذَرَاءُ . فَلَمْ تَرَ حَدِيثَهَا فِي مِيدَانِ الذِّكْرِ إِجْرَاءً .
لِأَنَّهَا مَوْطِنٌ لَا يُحْتَلَى مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَنَظُنُّ الْبِلَادَ تَأَوَّلَتْ فِيهَا قَوْلُ الْقَائِلِ :
إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تَحْبُهُ تَحْيَرٌ مِنْ إِبَابَتِهِ السُّكُوتُ
(فَقَالَتْ مُرْسِيَةُ) : أَمَامِي تَتَعَاطَوْنَ الْفَخْرَ . وَبِحَضْرَةِ الدَّرِّ .
تُنْفِقُونَ الصَّخْرَ . إِنْ عُدَّتِ الْمُنَافِرُ فَلَ مِنْهَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . أَيْنَ
أَوْشَالِكُمْ مِنْ بَحْرِي . وَخَزَرُكُمْ مِنْ لَوْلُؤِ تَحْرِي . فَلَ الرُّوضُ النَّضِيرُ .
وَالْمَرَأَى الَّذِي مَالَهُ مِنْ نَظِيرٍ . فَمِنْ دَوَحَاتٍ . كَمْ لَهَا مِنْ بُكُورٍ
وَرَوَحَاتٍ . وَمِنْ أَرْجَاءٍ . إِلَيْهَا تَمْدُ أَيْدِي الرِّجَاءِ . فَأَبْنَانِي فِيهِ فِي الْجَنَّةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ مُودَعُونَ . يَتَعَمُّونَ فِيمَا يَأْخُذُونَ وَيَدْعُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَا
تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدْعُونَ . فَأَنْقَادُوا لِأَمْرِي . وَحَازِرُوا
أَصْطِلَاءَ جَمْرِي . وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِنَا أَبِي زَيْدٍ . وَإِلَّا ضَرَبْتُكُمْ
ضَرْبَ زَيْدٍ . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهَذَا الْمَلِكِ الْمُسْتَأْثَرِ بِالْعَظِيمِ . وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا

دُوْحَظٍ عَظِيمٍ . (فَقَالَتْ بَلْسِيَّةُ) : فِيمَ الْجِدَالِ وَالْقِرَاعِ . وَعَلَامُ
 الْإِسْتِهَامِ وَالْإِقْتِرَاعِ . وَالْأَمِ التَّغْرِيزِ وَالتَّضَرُّجِ . وَتَحْتَ الرُّغْوَةِ
 اللَّبَنُ الصَّرِيحُ . أَنَا أَحْزُهُ مِنْ دُونِكُمْ . فَاحْمَدُوا نَارِي تَحْرُكُكُمْ
 وَهُدُونَكُمْ . فَيَا الْحَاسِنُ الشَّاحِجَةُ الْأَعْلَامِ . وَالْجَنَاتُ الَّتِي تُلْقَى إِلَيْهَا
 الْأَفَاقُ يَدُ الْإِسْتِسْلَامِ . وَبِرْصَافَتِي وَجَسْرِي أُعَارِضُ مَدِينَةَ السَّلَامِ .
 فَاجْمَعُوا عَلَى الْإِنْقِيَادِ لِلِي وَالسَّلَامِ . وَإِلَّا فَعَضُّوا بَنَانًا . وَاقْرَعُوا أَسْنَانًا .
 فَأَنَا حَيْثُ لَا تُدْرِكُونَ وَإِنِّي وَمَوْلَانَا لَا يُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا .
 (فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْتَمَتْ جَمْرَةً تَدْمِيرَ بِالشَّرَارِ) وَاسْتَدَّتْ أَسْهُمَهَا لِلنُّحُورِ
 الشَّرَارِ وَقَالَتْ : عِشْ رَجَبًا . تَرْتَجِبًا . أَبْعَدِ الْعِصْيَانَ وَالْعُقُوقِ .
 تَهَيَّأَنَّ لِرُتَبِ ذَوِي الْحُقُوقِ . هَذِهِ سَمَاءُ الْفُحْرِ فَمَنْ ضَمَّكَ أَنْ تُعْرِجِي .
 لَيْسَ بِعُشِكَ فَادْرُجِي . لَكَ الْوَصَبُ وَالْحَبْلُ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتِ
 قَبْلُ . أَتَيْتِهَا الصَّانِعَةَ الْقَاعِلَةَ . مَنْ أَدْرَاكِ أَنْ تُضْرِبِي وَمَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ . مَا
 الَّذِي يُجْدِيكَ الرُّوْضَ وَالزَّهْرَ . أَمْ يُفِيدُكَ الْجَدُولُ وَالنَّهْرُ . وَهَلْ
 يُصْلِحُ الْعُطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ . هَلْ أَنْتِ إِلَّا مَحْطُورُ حُلِّ النَّقَاقِ .
 وَمَنْزِلُ مَا لِسُوقِ الْخِصْبِ فِيهِ مِنْ نَقَاقٍ . ذَرَاكِ لَا يَكْتَحِلُ الطَّرْفُ فِيهِ
 بِهَجُوعٍ . وَقِرَاكِ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . فَإِلَامُ تَبَرُّزِ الْإِمَاءِ فِي
 مَنَصَّةِ الْعَقَائِلِ . وَلَكِنْ أَذْكُرِي قَوْلَ الْقَائِلِ :

بَلْسِيَّةُ بَيْنِي عَنِ الْقَلْبِ سَلَوَةٌ فَإِنَّكَ رَوْضٌ لَا أَحْنُ لِلزَّهْرِكِ
 وَكَيْفَ يَحِبُّ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّيَتْ عَلَى صَارِي جُوعٍ وَفِتْنَةِ مُشْرِكِ

يَدَايَ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكَ مَا مَحَمَّدَ . وَيَسِيلَ
 مِنْ تَسْدِيدِكَ مَا جَمَدَ وَلَا يُطِيلَ عَلَيْكَ فِي الْجَهْلَةِ الْأَمَدَ . وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ
 نَسْأَلُ أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَائِدِهِ . وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ
 أَعْدَائِهِ مِنْ قَوَائِدِهِ . وَيَمَكِّنَ حُسَامَهُ مِنْ رِقَابِ الْمُشَغَّيْنِ . وَيُوقِيَهُ
 وَجْهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ . وَيَصِلَ لَهُ تَأْيِيدًا وَتَأْيِيدًا .
 وَيُعِدَّ لَهُ الْإِيَّامَ حَتَّى تَكُونَ الْأَحْرَارُ لِعَبِيدِهِ عَبِيدًا . وَيُعِدَّ عَلَى
 الدُّنْيَا لِسَاطِ سَعْدِهِ وَبِهِ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ :

أَمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أَضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَ
 ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَتَأَقُّ عِبَادًا وَكُشْرًا . وَيَتَأَقُّ رُونَقًا وَبُشْرًا . عَلَى
 حَضْرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ . وَمَطَالِعِ أَنْوَارِهِمُ السَّنِّيَةِ الْجَلِيلَةِ . وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَبَرَكَاتِهِ
 (نفع الطيب لمقري)

نخبة من مغايرة بين السيف والقلم للشيخ جمال الدين ابن نباتة

٤٣ (قَالَ) . بَرَزَ الْقَلَمُ بِإِفْصَاحِهِ . وَنَشِطَ لِأَرْتِيَا حِهِ . وَرَقِيَ مِنْ
 الْأَنَامِلِ عَلَى أَعْوَادِهِ . وَقَامَ خَطِيبًا بِمَحَاسِنِهِ فِي حُلَّةِ مِدَادِهِ . وَالتَفَتَ
 إِلَى السَّيْفِ وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ .
 مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَجْمُنُونَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ وَشَرَّفَهُ
 بِالْقَسَمِ . وَخَطَّ بِهِ مَا قَدَّرَ وَقَسَمَ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَلَمَ مَنَارُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا .
 وَنِظَامُ الشَّرَفِ وَالْعُلْيَا . وَتَجَادِيحُ سُحُبِ الْخَيْرِ إِذَا أَحْتَاجَتِ الْهَمَمُ
 إِلَى السُّقْيَا . وَمِفْتَاحُ بَابِ الْإِيمَنِ الْعَجْرَبُ إِذَا أَعْيَا . وَسَفِيرُ الْمَلِكِ الْخُجْبُ .

وَعَذِيقُ الْمَلِكِ الْمُرَجَّبِ . وَزِمَامُ أُمُورِهِ السَّائِرَةِ . وَقَادِمَةُ أَجَنَّتِهِ
الطَّائِرَةِ . وَمُطْلَقُ أَرْزَاقِ عِفَاتِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ . وَأَنْمَلَةُ الْهُدَى الْمُشِيرَةِ إِلَى
ذَخَائِرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . بِهِ رُقِمَ الْكِتَابُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ .
وَسُنَنُهُ الَّتِي تَهْدِي الْخَوَاطِرَ الْخَوَاطِلَ . فَهُوَ فِي مَرَاضِي الدُّوَلِ عَوْنَةٌ
لِلسَّائِدِينَ . وَبَعِيْنُ اللَّهِ فِي لَيَالِي النَّفْسِ ثَقَلَبُ وَجْهِهِ فِي السَّاجِدِينَ . إِنْ
نُظِمَتْ قَرَايِدُ الْعُلُومِ فَإِنَّمَا هُوَ سِلْكُهَا . وَإِنْ عَلَتْ أَسْرَةُ الْكُتُبِ فَإِنَّمَا
هُوَ مَلِكُهَا . أَوْ رُقِمَتْ بُرُودُ الْبَيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ جَلَالُهَا . وَإِنْ تَشَعَّبَتْ فُنُونُ
الْحُكْمِ فَإِنَّمَا هُوَ أَمَانُهَا وَمَالُهَا . وَإِذَا انْقَسَمَتْ أُمُورُ الْمَمَالِكِ فَإِنَّمَا هُوَ
عِصْمَتُهَا وَثَمَلُهَا . وَإِنْ اجْتَمَعَتْ رَعَايَا الصَّنَائِعِ فَإِنَّمَا هُوَ إِمَامُهَا الْمُتَلَفِّعُ
يَسَوَادِهِ . وَإِنْ زَخَرَتْ بِحَارِ الْأَفْكَارِ فَإِنَّمَا هُوَ الْمُسْتَخْرِجُ دُرَرَهَا مِنْ
ظُلُمَاتِ مِدَادِهِ . وَإِنْ وَعَدَ وَفَى بِحُبْلِ النِّعَمِ . وَإِنْ أَوَّعَدَ أَخَافَ كَأَنَّمَا
يَسْتَمِدُّ مِنَ النِّعَمِ . هَذَا وَهُوَ لِسَانُ الْمُلُوكِ الْخُطَّابُ . وَرَسِيلُهَا لَا بُكَارِ
الْفَتْوحِ وَالْخُطَّابِ . وَالْمُنْفِقُ فِي تَعْمِيرِ دَوْلَتِهَا عَحْصُولُ أَنْفَاسِهِ .
وَالْمُتَحَمِّلُ أُمُورَهَا الشَّاقَّةَ عَلَى عَيْنِهِ وَرَأْسِهِ . وَالْمُتَمَيِّزُ لِحَدَادِ أَعْدَائِهَا
وَالسَّيْفُ فِي جَفْنِهِ نَائِمٌ . وَالْمُجَهِّزُ لِبَاسِهَا وَكَرَمُهَا جَيْشِي الْخُرُوبِ
وَالْمُكَارِمُ . وَالْجَارِي بِمَا أَمَرَ اللَّهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . وَالْمُسَوِّدُ
النَّاصِرُ فَكَأَنَّمَا هُوَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانٌ . طَلَمَّا ذَبَّ عَنْ حَرَمِهَا . فَشَدَّ
اللَّهُ أَرْزَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ . وَقَامَ فِي الْمُحَامَاةِ عَنْ دِينِهَا أَشْعَثَ أَغْبَرَلَوْ
أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرَهُ . وَقَاتَلَ عَلَى الْبُعْدِ وَالصَّوَارِمِ فِي الْقُرْبِ . وَأَوْتِيَ

مِنْ مُعْجَزَاتِ النُّبُوَّةِ نَوْعًا مِنَ النَّصْرِ بِالرُّعْبِ . وَبَعَثَ حِمَافِلَ السُّطُورِ
فَالْقِسِي دَالَاتُ وَالرَّمَا حُ أَلْقَاتُ وَاللَّامَاتُ لَامَاتُ . وَالْهَمَزَاتُ كَوَاسِرُ
الطَّيْرِ الَّتِي تَتَّبِعُ الْحِمَافِلَ . وَالْأَثَرُ بِهْ تَحْجَاهَا الْحُمْرُ مِنْ دَمِ الْكَلَى
وَالْمَفَاصِلِ . فَهُوَ صَاحِبُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعِلْمِ . وَسَاجِبُ ذِيْلِي
الْفَخَارِ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ . لَا يُعَادِيهِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ . وَلَيْسَ لِبُسِّهِ
وَطَبِيعِ عَلَى قَلْبِهِ . وَقَلَّ الْجِدَالُ مِنْ غَرَبِهِ . وَخَرَجَ فِي وَرَنِ الْمُعَارَضَةِ
عَنْ ضَرْبِهِ . وَكَيْفَ يُعَادَى مَنْ إِذَا كَرَعَ فِي نَفْسِهِ . قِيلَ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكُوْثُرَ . وَإِذَا ذُكِرَ شَأْنُهُ السِّيفُ قِيلَ إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . أَقُولُ
قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الشَّرَفِ وَخِيَلَانِهِ . وَالْفَخَارِ وَكِبْرِيَايِهِ .
وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِيمَا حَكَمَ . وَأَسْأَلُهُ التَّدْبِيرَ فِيمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ . ثُمَّ
اُكْتَفَى بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَدْوَاتِهِ . وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ دَوَاتِهِ مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ
الْقَائِلِ :

قَلَمٌ يَفْلُحُ الْجَيْشَ وَهُوَ عَرْمَرٌ وَالْيَيْضُ مَا سَلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ
وَهَبَتْ لَهُ الْأَجَامُ حِينَ نَشَأَهَا كَرَمَ السُّيُولِ وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ
فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَضَ السِّيفُ قَائِمًا عَجَلًا . وَتَلَمَّظَ لِسَانُهُ لِلْقَوْلِ مُرْتَجِلًا .
وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ . وَشَرَعَ حُدُودَهَا
فِي ذَوِي الْعِصْيَانِ فَأَغْصَتَهُمْ بِمَاءِ الْخُتُوفِ . وَشَيَّدَ مَرَاتِبَ الَّذِينَ

يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ وَعَقْدٌ مَرْصُوفٌ .
وَأَجْنَاهُمْ مِنْ وَرَقٍ حَدِيدٍهَا الْأَخْضَرُ ثَمَارَ نَعِيمِهَا الدَّانِيَةُ الْقُطُوفُ . أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ السَّيْفَ زَنْدُ الْحَقِّ الْوَرِيْ وَزَنْدُهُ الْقَوِيُّ . وَحَدُّهُ الْفَارِقُ
بَيْنَ الرَّشِيدِ وَالْغَوِيِّ . وَالنَّجْمُ الْهَادِي إِلَى الْغَرْزِ وَسَبِيلُهُ . وَالشَّعْرُ
الْبَلِيمُ عَنْ تَبَاشِيرِ فُلُولِهِ . وَخَصَّهُ اللَّهُ عَلَى الْأَقْلَامِ بِأَنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْهَا جَا .
وَأَطْلَعَهُ فِي لَيْلِي الْبَتِّعِ وَالشَّكِّ سِرَاجًا وَهَاجًا . وَفَتَحَ بَابَ الدِّينِ
بِمَصْبَاحِهِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ أَفْوَاجًا . فَهُوَ ذُو الرَّأْيِ الصَّابِ .
وَشَهَابُ الْغَزَمِ الثَّاقِبِ . وَسَمَاءُ الْغِزِّ الَّتِي زَيَّنَتْ مِنْ آثَارِهِ بَزِيْنَةَ
الْكَوَاكِبِ . وَأَلْحَدُ الَّذِي كَانَهُ مَاءٌ دَافِقٌ يُخْرِجُ عِنْدَ قَطْعِ الْأَجْسَادِ مِنْ
بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . لَا يُتَّخَذُ آثَارُهُ وَلَا يُنْكَرُ قَرَارُهُ . إِذَا اشْتَبَتْ
فِي الدُّجَى وَالنَّعْ نَارُهُ . يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ الْبَاسِ وَالْكَرَمِ . وَيُصَاغُ
فِي طَوْقِ الْحَلِيَّتَيْنِ فَهُوَ إِمَّا طَوْقُ فِي مُحُورِ الْأَعْدَاءِ وَإِمَّا خَلْخَالٌ فِي
عَرَاقِبِ أَهْلِ النِّقَمِ . وَتُحْسَمُ بِهِ أَهْوَاءُ الْفَتَنِ الْمُضِلَّةِ . وَتُخَذَفُ بِرِيْهِمَتِهِ
الْجَازِمَةُ حُرُوفُ الْعِلَّةِ . وَإِذَا انْمَحَى فِي سَمَاءِ الْقَتَامِ بِالضَّرْبِ فَهُوَ
الْقَوِيُّ الْأَسْتَطَاعَةُ الطَّوِيلُ الْمُعَمَّرُ . إِذَا قُصِفَ سِوَاهُ فِي سَاعَةٍ فَمَا
أَوْلَاهُ يَطُولُ الْإِحْسَانِ . وَمَا أَجْمَلَ ذِكْرُهُ فِي أَخْبَارِ الْمُعَمَّرِينَ وَمَقَاتِلِ
الْفُرْسَانِ . كَانَ الْغَيْثُ فِي غَمْدِهِ لِلطَّائِبِ الْمُتَمَجِّعِ . وَكَأَنَّهُ زِنَادٌ
يُسْتَضَاءُ بِهِ إِلَّا أَنْ دَفَعَ الدِّمَاءُ شَرْرَهُ الْمُتَمَجِّعُ . كَمْ قَدْ مَدَّ فَأَدْرَكَ
الطَّلَابَ . وَدَعَا النَّصْرَ بِلِسَانِهِ الْفُحْمَرِ مِنْ أَثَرِ الدِّمَاءِ فَاجَابَ . وَتَشَعَّبَتْ

الدُّوْلُ لِقَائِهِمْ نَصْرَهُ الْمُتَنْظَرِ . وَحَازَتْ أَبْكَارُ الْفَتْوحِ بِحَمْدِهِ الظَّفَرَ .
وَعَدَتْ أَيَّامُهَا بِهِ ذَاتَ حُجُولٍ مَعْلُومَةٍ وَغُرَرٍ . وَشَدَّتْ بِهِ الظُّهُورَ .
وَمَحَدَتْ عَلَانِيَتَهُ فِي الْأُمُورِ . وَاتَّخَذَتْهُ الْمُلُوكُ حِرْزًا لِسُلْطَانِيهَا . وَحِصْنًا
عَلَى أَوْطَانِهَا وَقُطْنَانِهَا . وَجَرَدَتْهُ عَلَى صُرُوفِ الْأَقْدَارِ فِي شَانِهَا .
وَنُدِبَ فَمَا أَعْيَتْ عَلَيْهِ الْمَصَالِحُ . وَبَاشَرَ اللَّيْمَ فَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَيْنَ
الْهُدَى وَالضَّلَالِ فَرَقٌ وَاضِحٌ . وَأَعَاثَ فِي كُلِّ فَضْلٍ فَهُوَ إِمَامًا لِعَمْدِهِ
سَعْدُ الْأَخْيَةِ وَإِمَامًا لِحَامِلِهِ سَعْدُ السُّعُودِ . وَإِمَامًا لِيَصِيدَ سَعْدُ الدَّابِحِ .
يَجْلِسُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَعْدَاءِ فَهَرًا . وَيُشْرَحُ أَنْبَاءَ الشَّجَاعَةِ قَائِلًا لِلْقَلَمِ :
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَهَلْ يُفَاخِرُ مَنْ وَقَفَ الْمَوْتُ
عَلَى بَابِهِ . وَعَضَّ الْحَرْبِ الضُّرُوسِ بِنَابِهِ . وَقَدِفَتْ شَيَاطِينُ الْقِرَاعِ
بِشَبِّهِ . وَمُنِحَ آيَاتٍ شَرِيفَةٍ مِنْهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ غَرْبِهِ . وَمِنْهَا : أَنَّ
اللَّهَ أَنْشَأَ بَرَقَهُ فَكَانَ لِلْمَارِدِ مَضْرَعًا . وَلِلرَّائِدِ مَرْتَعًا . أَقُولُ قَوْلِي
هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مِنْ لَفْظٍ يَجْمَعُ . وَرَأْيِي إِلَى الْخِصَامِ يَجْمَعُ .
وَلِسَانٍ يُجَوِّهُ اللَّدْدَ إِلَى أَنْ يُخْرِجَ فَيَجْرَحَ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي صَدِّ
الْبَاطِلِ وَصَرْفِهِ . وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ عَنْ حَقِّهِ بِظُلْفِهِ . ثُمَّ
اِخْتَفَى فِي بَعْضِ الْحَمَائِلِ . وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

سَلِ السِّيفَ عَنْ أَصْلِ الْفَخَّارِ وَفَرَعِهِ فَإِنِّي رَأَيْتُ السِّيفَ أَفْصَحَ مَقُولًا
(فَلَمَّا وَعَى الْقَلَمُ) خُطْبَتَهُ الطَّوِيلَةَ الطَّائِلَةَ . وَنَشْطَتَهُ الْجَلِيلَةَ الْجَائِلَةَ .

وَفِيهِمْ كِنَايَتُهُ وَتَلْوِيحُهُ . وَتَعْرِيزُهُ بِالذَّمِّ وَتَصْرِيحُهُ . وَتَعْدِيلُهُ فِي

الْحَدِيثَ وَتَجَرِيحَهُ . اسْتَغَاثَ بِاللَّفْظِ النَّصِيرِ . وَاحْتَدَّ وَمَا أَذْرَاكَ مَا حِدَّةُ
 الْقَصِيرِ . وَقَامَ فِي دَوَاتِهِ وَقَعْدَ . وَأَضْطَرَبَ عَلَى وَجْهِ الْقِرْطَاسِ وَارْتَعَدَ .
 وَعَدَلَ إِلَى السَّبِّ الصَّرَاحِ . وَرَأَى أَنَّهُ إِنْ سَكَتَ تَكَلَّمَ وَلَكِنْ بَأَفْوَاهِ
 الْجَرَّاحِ . فَأُتَحَرَفَ إِلَى السِّيفِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمُعْتَرِ بِطَبْعِهِ . الْمُعْتَرِ بِلَمْعِهِ .
 النَّاقِضُ حَبْلَ الْأُنْثَى بِقَطْعِهِ . النَّاسِخُ بِهَجِيرِهِ مِنْ ظِلَالِ الْعَيْشِ
 فَيْئًا . السَّرَابُ الَّذِي يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .
 الْحَيْسُ الَّذِي طَالَمَا عَادَتْ عَلَيْهِ عَوَائِدُ شَرِّهِ . أَتَعَرَّضُ لِسَيْبِي . وَتَتَعَرَّضُ
 لِمَكَايِدِ حَرْبِي . أَلَسْتُ ذَا الْخُدْعِ الْبَالِغَةِ وَالْحَرْبِ خُدْعَةً . وَالْمِنْ
 النَّافِعَةِ وَلَا خَيْرَ فَيْنَ لَا تَبْغِي إِلَّا نَامُ نَفْعُهُ . أَلَسْتُ الْمَسْوَدَ الْأَحَقَّ
 يَقُولُ الْقَائِلُ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَا
 أَتَفَاخِرُنِي وَأَنَا لِلْوَصْلِ وَأَنْتَ لِلْقَطْعِ . وَأَنَا لِلْعَطَاءِ وَأَنْتَ
 لِلْمَنْعِ . وَأَنَا لِلصِّلَحِ وَأَنْتَ لِلضَّرَابِ . وَأَنَا لِلْعِمَارَةِ وَأَنْتَ لِلْخَرَابِ .
 وَأَنَا الْمُعْمَرُ . وَأَنْتَ الْمُدْمَرُ . وَأَنْتَ الْمُقَلَّدُ وَأَنَا صَاحِبُ التَّقْلِيدِ . وَأَنْتَ
 الْعَابِتُ وَأَنَا الْمَجُودُ وَمَنْ أَوَّلَى مِنَ الْقَلَمِ بِالتَّجْوِيدِ . فَمَا أَفْجَحَ شَبْهَكَ .
 وَمَا أَشْنَعَ يَوْمًا تَرَى فِيهِ الْعُيُونُ وَجْهَكَ . أَعْلَى مِثْلِي يُشَقُّ الْقَوْلُ .
 وَيَرْفَعُ الصَّوْتُ وَالصَّوْلُ . وَأَنَا ذُو اللَّفْظِ الْمَكِينِ . وَأَنْتَ مِمَّنْ دَخَلَ
 تَحْتَ قَوْلِ الْقُرْآنِ : أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْحِصَامِ غَيْرُ مُبِينِ .
 فَقَدْ تَعَدَّيْتَ حَدَّكَ . وَطَلَبْتَ مَا لَمْ تَبْلُغْ بِهِ جَهْدَكَ . هَيْهَاتَ أَنَا الْمُنْتَصِبُ

لِمَصَالِحِ الدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي الْعِمْدِ طَرِيحٌ . وَالْمُتَعَبُ فِي تَهْيِيدِهَا وَأَنْتَ
 غَافِلٌ مُسْتَرِيحٌ . وَالسَّاهِرُ وَقَدْ مَهَّدَ لَكَ فِي الْعِمْدِ مَضْجَعٌ . وَالْجَالِسُ
 عَنْ يَمِينِ الْمَلِكِ وَأَنْتَ عَنْ يَسَارِهِ فَأَيُّ الْحَالَتَيْنِ أَرْفَعُ . وَالسَّاعِي فِي
 تَذْيِيرِ حَالِ الْقَوْمِ . وَالْمُقْنِي لِنَفْسِهِمُ الْعُمُرَ إِذَا كَانَ نَفْعُكَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
 يَوْمٍ . فَأَقْطَعْ عَنْكَ أَسْبَابَ الْمَفَاخِرَةِ . وَاسْتَرْ أَتْيَابَكَ عِنْدَ الْمَكَاشِرَةِ .
 فَمَا يَحْسُنُ بِالصَّامِتِ مُحَاوَرَةُ الْمُفْصَحِ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ . عَلَى
 أَنَّهُ لَا يُنْكَرُ لِمِثْلِكَ التَّصَدِّي . وَلَا يُسْتَعْرَبُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِي التَّعَدِّي . مَا
 أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَطَاعَ الْبَارِيَّ وَتَجَرَّأَتْ عَلَيْهِ . وَمَدَدَتْ يَدَ الْعُدْوَانِ إِلَيْهِ .
 أَوَلَسْتَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
 قَدْ سَلِمَتِ الرَّحْمَةُ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ . وَجَلَبَتِ
 الْقِسْوَةَ فَكَمْ هَيِّجَتْ سُبَّةَ حَمْرَاءَ . وَأَثَرَتْ دَهْمَاءَ . وَنَمَشَتْ الْوُجُوهَ
 وَكَيْفَ لَا وَأَنْتَ كَالظُّفْرِ كَوْنًا . وَقَطَعْتَ اللَّذَاتِ وَلَمْ لَا وَأَنْتَ
 كَالصَّبْغِ لَوْنًا . أَيْنَ بَطْشُكَ مِنْ حِلْمِي . وَجَهْلُكَ مِنْ عَلَمِي . وَجِسْمُكَ
 مِنْ جِسْمِي :

شَتَانُ مَا بَيْنَ جِسْمٍ صَنِيعٍ مِنْ ذَهَبٍ وَذَلِكَ جِسْمِي وَجِسْمٍ صَنِيعٍ مِنْ بَهَقٍ
 أَيْنَ عَيْنُكَ الزَّرْقَاءُ مِنْ عَيْنِي الْكَحْلَةِ . وَرَوَيْتُكَ الشُّنْعَاءُ مِنْ
 رَوَيْتِي الْجَمِيلَةَ . أَيْنَ لَوْنُ الشَّيْبِ مِنْ لَوْنِ الشَّبَابِ . وَأَيْنَ نَذِيرُ
 الْأَعْدَاءِ مِنْ رَسُولِ الْأَحْبَابِ . هَذَا وَكَمْ أَكَلْتُ الْأَكْبَادَ غِيظًا .

وَحَمَيْتَ الْأَضْعَانَ قَيْطًا . وَشَكَوتَ الصَّدَى فَسَقِيتَ وَلَكِنْ بِشَوَاطِ مِنْ
نَارٍ . وَأَخْتَتِ عَلَيْكَ الْأَيَّامُ حَتَّى أَنْتَعَلَ بِأَبْعَاضِكَ الْحِمَارُ . وَلَوْلَا
تَعَرُّضُكَ إِلَيَّ لَمَا وَقَعْتَ فِي الْمَقْتِ . وَلَوْلَا إِسَاءَتُكَ لَمَا كُنْتَ تُصَقِّلُ فِي
كُلِّ وَقْتٍ . فَدَعْ عَنْكَ هَذَا الْفَخْرَ الْمَدِيدَ . وَتَأَمَّلْ وَصْفِي إِذَا كُشِفَ
عَنْكَ الْغِطَاءُ فَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَافْهَمْ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ :
يَذَاقُضِي اللَّهُ فِي الْأَقْلَامِ إِذْ بُرِيتَ أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأَرُهُفَتِ خَدَمُ
(فَعِنْدَ ذَلِكَ وَثَبَ السَّيْفُ) عَلَى قَدِّهِ . وَكَادَ الْغَضَبُ يُخْرِجُهُ مِنْ
حَدِّهِ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَطَّاولُ عَلَى قِصْرِهِ . وَالْمَاشِي عَلَى طَرِيقِ غَرَرِهِ .
وَالْمَتَعَرِّضُ مِنِّي إِلَى الدَّمَارِ . وَالْمُتَحَرِّشُ بِي فَهُوَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ :
ذَنْبُهُ قَشٌّ وَيَتَحَرَّشُ بِالنَّارِ . لَقَدْ شَمَرْتَ عَنْ سَاقِكَ حَتَّى أَغْرَقَتْكَ
الْغَمَرَاتُ . وَأَتَعَبْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَا تُدْرِكُ إِلَى أَنْ أَذْهَبَهَا التَّعَبُ
حَسَرَاتٍ . أَوْلَسْتَ الَّذِي طَلَمَّا أَرَعَشَ السَّيْفُ لِلْهِيمَةِ عِطْفَكَ . وَنَكَّسَ
لِلْخِدْمَةِ رَأْسَكَ وَطَرَفَكَ . وَأَمَرَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ السَّكِينُ فَقَطَعَ
قِفْلَكَ وَشَقَّ أَنْفَكَ . وَرَفَعَكَ فِي مُهْمَاتٍ خَامِلَةٍ وَحَطَّكَ . وَجَذَبَكَ
لِلِاسْتِعْمَالِ وَقَطَّكَ . فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ جَسَرْتَ . وَعَبَسْتَ عَلَى مِثْلِي
وَبَسَرْتَ . وَأَنْتَ السُّوقَةُ وَأَنَا الْمَلِكُ . وَأَنَا الصَّادِقُ وَأَنْتَ الْمُؤْتَفَكُ .
وَأَنْتَ لِصُونِ الْحُطَامِ وَأَنَا لِصُونِ الْمَمَالِكِ . وَأَنْتَ لِحِفْظِ الْمَزَارِعِ وَأَنَا
لِحِفْظِ الْمَسَالِكِ . وَأَنْتَ لِلْفَلَاحَةِ وَأَنَا لِلْفَلَاحِ . وَأَنْتَ حَاطِبُ اللَّيْلِ
مِنْ نَفْسِهِ وَأَنَا سَارِي الصَّبَاحِ . وَأَنَا الْبَاصِرُ وَأَنْتَ الْأَرْمَدُ . وَأَنَا

الْمُخْدُومُ الْأَبْيَضُ وَأَنْتَ الْخَادِمُ الْأَسْوَدُ . وَأَقْسِمُ بِمَنْ صَيَّرَ فِي قَبْضِي
 أَنْوَاعَ الْيَمِينِ إِنَّكَ عَنْ بُلُوغِ قَدْرِي لِأَذَلِّ رُتْبَةٍ . وَعَنْ بَرِي كَيْفِي
 لِأَخْيَبِ طَلْبَةٍ . فَإِنِّي لَا أَنْكُرُ قَوْلَ بَعْضِ أَرْبَابِكَ حَيْثُ قَالُوا
 أَفَّ لِرِزْقِ الْكُتْبَةِ أَفَّ لَهُ مَا أَصْعَبَهُ
 يُرَتِّشُ الرِّزْقُ بِهِ مِنْ شِقِّ تِلْكَ الْقَصَبَةِ
 يَا قَلَمًا يَرْفَعُ فِي الطَّرْسِ لَوْجَهِي ذَنْبَهُ
 مَا أَعْرِفُ الْمُسْكِينَ إِلَّا كَاتِبًا ذَا مِثْرَبَةٍ

إِنْ عَايَنْتَ الدِّيَّانَ وَقَعْتَ فِي الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ . أَوْ الْبَلَاغَةَ
 سَحَرْتَ وَبَالَغْتَ فَأَنْتَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَوْ فَخَرْتَ بِتَشْيِيدِ الْعُلُومِ فَمَا لَكَ
 مِنْهَا سِوَى نَمْحَةِ الطَّرْفِ . أَوْ بِرَقْمِ الْمَصَاحِفِ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى
 حَرْفٍ . أَوْ جَمَعْتَ عَمَلًا فَإِنَّمَا جَمَعْتَ لِلتَّكْسِيرِ . أَوْ رَفَعْتَ إِلَى طَرَفِكَ
 رَجْعَ الْبَصَرِ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ . وَهَلْ أَنْتَ فِي الدُّوَلِ إِلَّا خِيَالٌ
 تَكْتَفِي الْهَمَمُ بِطَيْفِهِ . أَوْ إِصْبَعٌ تَلْعَقُ بِهَا الرِّزْقُ إِذَا أَكَلَ الضَّارِبُ
 بِقَائِمِ سَيْفِهِ . وَسَاعٍ عَلَى رَأْسِهِ قَلٌّ مَا أَجْدَى . وَسَارٍ رُبَّمَا أُعْطِيَ قَلِيلًا
 وَكَادَى . ثُمَّ وَقَفَ وَكَادَى . أَيْنَ أَنْتَ مِنْ حَظِّي الْأَسْنَى وَكَيْفِي الْأَغْنَى .
 وَمَا خَصِصْتُ بِهِ مِنَ الْجَوْهَرِ الْقَرْدِ إِذَا عَجَزْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَرْضِ
 الْأَذْنَى . كَمْ بَرَزْتَ فَمَا أَغْنَيْتَ فِي مَهْمِهِ . وَكَمْ خَرَجْتَ مِنْ دَوَاتِكَ
 لِتَسْطِيرِ سَيْتِهِ . فَخَرَجْتَ كَمَا قِيلَ مِنْ ظُلْمَةٍ إِلَى ظُلْمَةٍ . وَهَبْ أَنَّكَ كَمَا
 قُلْتَ مَفْتُوقُ اللِّسَانِ . جَرِي الْجَنَانِ . مُدَاخِلُ مِخْلَبِكَ بَيْنَ ذَوِي الْاِقْتِنَاصِ .

مَعْدُودٌ مِنْ شَيَاطِينِ الدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي الطَّرْسِ وَالنَّفْسِ بَيْنَ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ .
 فَلَوْ جَرَيْتَ خَلْفِي إِلَى أَنْ تَحْفَى . وَصَحْتَ بِصِرِّيكَ إِلَى أَنْ تَحْفَتَ وَتَحْفَى .
 لَمَا كُنْتُ مِنِّي إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْمُدْرَةِ مِنَ السَّمَاءِ الرَّاحِ . وَالْبَعْرَةِ عَلَى تَيَّارِ
 الْحِضَمِّ الطَّافِحِ . فَلَا تَعِدْ نَفْسَكَ بِمُعْجَزِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ يَمِينُ . وَلَا تَحْلِفْ
 لَهَا أَنْ تَبْلُغَ مَدَايِ فَلَيْسَ لِمُخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ . وَمِنْ صَلَاحِ تَجْمِكَ
 أَنْ تَعْتَرِفَ بِفَضْلِي الْأَكْبَرِ . وَتُؤْمِنَ بِمُعْجَزَتِي الَّتِي بَعَثَتْ مِنْكَ إِلَى
 الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ . لَتَسْتَوْجِبَ حَقًّا . وَتَسْلَمَ مِنْ نَارِ حَرِّ تَلْطِئِي لَا
 يُصْلَاهَا إِلَّا الْأَشَقَى . وَإِنْ لَمْ يَتَضَعْ لِرَأْيِكَ إِلَّا الْإِضْرَارَ . وَأَبَتْ
 حَصَائِدُ لِسَانِكَ إِلَّا أَنْ تُوقِعَكَ فِي النَّارِ . فَلَا رَحْمَى اللَّهُ عَزَائِكَ
 الْقَاصِرَةِ . وَلَا جَمْعَ عَقَارِبَ لَيْلِ نَفْسِكَ الَّتِي إِنْ عَادَتْ فَإِنَّ نِعَالَ
 السُّيُوفِ لَهَا حَاضِرَةٌ . ثُمَّ قَطَعَ الْكَلَامَ . وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
 السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَاحِ لَا سَوْدُ الصَّخَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 فَلَمَّا تَحَقَّقَ تَحْرِيفُ الْقَلَمِ حَرَجَهُ . وَفَهِمَ مِقْدَارَ الْغَيْظِ الَّذِي
 أَخْرَجَهُ . وَسَمِعَ هَذِهِ الْمُقَالَةَ الَّتِي يَقْطُرُ مِنْ جَوَانِبِهَا الدَّمُ . وَرَأَى أَنَّهُ هُوَ
 الْبَادِي بِهَذِهِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْبَادِي أَظْلَمُ . رَجَعَ إِلَى خِدَاعِهِ . وَتَنَحَّى عَنْ
 طَرِيقِ قِرَاعِهِ . وَعَلِمَ أَنَّ الدَّهْرَ دَهْرُهُ . وَالْقَدَرُ عَلَى حُكْمِ الْوَقْتِ قَدَرُهُ .
 وَأَنَّهُ أَحَقُّ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

لَحْنُهَا مُعَرَّبٌ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنْ إِعْرَابَ غَيْرِهَا مُلْحُونُ

فَأَلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلْتَهَبُ فِي قَدْحِهِ . وَالْخَارِجُ عَمَّا نَسِبَ
إِلَيْهِ مِنْ صَفْحِهِ . مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي السَّبَابِ . وَالتَّطْفِيفُ فِي كَيْلِ
الْجَوَابِ . وَأَيْنَ عِلْمُ الشُّيُوخِ عِنْدَ جَهْلِ الشَّبَابِ . أَمَا كَانَ الْأَحْسَنُ بِكَ
أَنْ تَتْرَكَ هَذَا الرَّفَثَ . وَتَلَمَّ أَخَاكَ عَلَى الشَّعَثِ . وَتَحَلَّمَ كَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ
السَّيِّدُ . وَتَرَكُو عَلَى الْغَيْظِ كَمَا يَزُكُو عَلَى النَّارِ الْجِدُّ . أَمَا تَعْلَمُ أَنِّي مُعِينُكَ
فِي تَشْيِيدِ الْمَمَالِكِ . وَرَفِيقُكَ فِيمَا تَسْلُكُهُ لِنَفْعِهَا مِنَ الْمَسَالِكِ . أَمَا أَنَا
وَأَنْتَ لِلْمَلِكِ كَالْيَدَيْنِ . وَفِي تَشْيِيدِهِ كَالرُّكْنَيْنِ . وَمَا أَرَاكَ عِبْتَنِي فِي
الْأَكْثَرِ إِلَّا بِخَوَلِ الْجَسَدِ الَّذِي لَيْسَ خَلْقُهُ عَلَيَّ . وَضَعْفُهُ الَّذِي لَيْسَ
أَمْرُهُ إِلَيَّ . عَلَى أَنَّ أَذْكَى النُّسَبَاتِ أَعْلَاهَا وَأَذْنَفُهَا . وَهَذِهِ سَادَاتُ
الْعَرَبِ تُعَدُّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهَا الْأَظْهَرِ . وَحُسْنِهَا الْأَشْهَرِ . وَلَوْ أَنَّكَ تَقُولُ
بِالْفَصَاحَةِ . وَتَقِفُ فِي هَذِهِ السَّاحَةِ . لَأَسْمَعْتُكَ فِي ذَلِكَ مِنْ
أَشْعَارِهِمْ . وَأَتَحَفُّكَ بِمَا يَفْخَرُونَ بِهِ مِنْ آثَارِهِمْ . فَيَا لِلَّهِ مِنْ هَذِهِ
الْحُجَّةِ الْبَارَةِ . وَالْكِرَّةِ الْخَاسِرَةِ . وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ مَا عِبْتَنِي بِهِ مِنْ
فَقْرِ الْأَنْبِيَاءِ . وَذُلِّ الْحُكَمَاءِ . عَلَى أَنَّ إِطْلَاقَاتِ مَعْرُوفِي مَعْرُوفَةٌ .
وَسَطَوَاتِ أَمْرِي فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ الْمَكْسُوفَةِ مَكْسُوفَةٌ . فَاسْتَغْفِرِ
اللَّهَ بِمَا فَرَطَ فِي مَقَالِكَ . وَالتَّفَوُّيْضُ مِنْ عَوَائِدِ أَحْتِمَالِكَ . فَلَا
نُسَيْتَ بِنَا الْأَضْدَادَ وَلَا تُسَلِّطْ بِفِرْقَتِنَا الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ .
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ . وَأَغْضُضِ الْآنَ مِنْ خِيَلَانِكَ بَعْضَ هَذَا
الْغَضِّ . وَلَا تَشْكُ أَنِّي قَسِيْمُكَ وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَهْدِدَ . وَتُجَرِّدَ

الشَّعْبَ وَتَحَدَّدَ . فَادْكُرْ مَحَلَّتَنَا فِي أَيْدِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْمُلْكِيَّةِ
 الْمُؤَيَّدَةِ . أَيْدِ اللَّهِ نِعْمَهَا . وَجَارَى بِالْإِحْسَانِ شَيْهَهَا . وَأَيَّظْ فِي
 الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ سَيْفَهَا وَقَلَمَهَا . وَلَا عَطَلَ مَشَاهِدَ الْمُدْحِ مِنْ أُنْسِهَا .
 وَلَا أَخْلَى فَرَائِضَ الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ مِنْ قِيَامِ خَمْسِهَا . فَاقْسِمْ مِنْ بَأْسِهِ
 بِاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَمِنْ بَشَرِ طَلْعِهِ بِالْقَمَرِ إِذَا أُنْسَقَ . لَوْ تَجَاوَرَ
 الْأَسَدُ وَالظَّبَاءُ . تِلْكَ أَيْدِ لَوْرَدَا بِالْأَمْنِ فِي مَنَهْلٍ . وَرَتَعَا فِي
 رَوْضٍ لَا يُجْهِلُ . فَمَا يَنْبَغِي لَنَا بَيْنَ تِلْكَ الْأَنَامِلِ غَيْرُ سُلُوكِ الْأَدَبِ .
 وَالْمُعَاصِدَةِ عَلَى مَخَاطِرِ الْأَزْمَاتِ وَالنُّوبِ . وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ وَلَا
 عِوَجٍ . وَالْحَدِيثِ مِنْ تِلْكَ الرَّاحَةِ عَنِ النُّجَرِ وَلَا حَرَجٍ . هَذِهِ نَصِيحَتِي
 إِلَيْكَ وَالِدَيْنِ النَّصِيحَةُ . وَاللَّهُ تَعَالَى يُطْلِعُكَ عَلَى مَعَانِي الرُّشْدِ
 الصَّرِيحَةِ . وَيَجْعَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْغَيِّ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَيُسَيِّدُكَ مَا تَقَدَّمَ
 مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَكْسُ
 السَّيْفِ طَرَفَهُ وَقَبْلَ خَدِيعَةِ الْقَلَمِ قَائِلًا لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَتَقَهُ :
 وَأَمْسَكَ عَنِ الْمُسَاعَبَةِ خِيفَةَ الزَّلَلِ . فَإِنَّ السُّيُوفَ مَعْرُوفَةٌ بِالْحُلُلِ .
 ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الضَّعِيفُ الْجَبَّارُ . الْبَارِغُ فِي لَيْلِ الْمِدَادِ نَجْمَاوَكُمْ فِي النُّجُومِ
 غَرَارًا . لَقَدْ تَظَلَّمْتَ مِنْ أَمْرِ أَنْتَ الْبَادِي بِظُلْمِهِ . وَتَسَوَّرْتَ إِلَى فَتْحِ
 بَابِ أَنْتَ السَّابِقُ إِلَى فَتْحِ خَتَمِهِ . وَقَدْ فَهَمْتُ الْآنَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ
 أَمْرِ أَيْدِ الشَّرِيفَةِ وَنِعْمَ مَا ذَكَرْتَ . وَأَحْسِنَ بِمَا أَشَرْتَ . وَمَا أُنْسَانِيهِ
 إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَقَدْ تَعَاظْتَ عَنْ قَوْلِكَ الْأَحْسَنِ . وَرَدَدْتُكَ

إِلَى أُمِّكَ الدَّوَاةِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ . وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَزِيدَ مُحَاسِنَ تِلْكَ الْيَدِ الْعَالِيَةِ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ فَإِنَّهَا الْيَدُ الَّتِي :
لَوْ أَثَرُ التَّقْيِيلِ فِي يَدِ مُنْعِمٍ . لَمَحَا بِرَاجِمٍ كِفْهًا التَّقْيِيلُ
وَالرَّاحَةُ الَّتِي :

تَسْعَى الْقُلُوبُ لِغَوْثِهَا وَلِغِيثِهَا فَيُجِيبُهُ التَّأْمِينُ وَالتَّأْمِيلُ
وَالْأَنَامِلُ الَّتِي عَلَّمَهَا اللَّهُ بِالسِّيفِ وَالْقَلَمِ . وَمَكَّنَهَا مِنْ رِثْبَتِي
الْعِلْمِ وَالْعِلْمِ . وَدَارَكَ بِكِرْمِهَا آمَالَ الْعَفَاةِ بَعْدَ إِنْ وَلَا وَلَمْ . وَلَوْ لَا أَنَّ هَذَا
الْمُضْمَارَ يَضِيقُ عَنْ وَصْفِهِ السَّابِقِ إِلَى غَايَةِ الْخُصْلِ . وَنَجْدِهِ الَّذِي إِذَا
جَرَّ ذَيْلَهُ وَدَّ الْفَضْلُ لَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُ بِالْفَضْلِ . لَا طَلَّتْ إِلَّا فِي ذِكْرِ
مَجْدِهَا الْأَوْضَحِ . وَأَفْصَحَتْ فِي مَدْحِهَا وَلَا يُنْكَرُ لِمِثْلِهَا أَنْ أَنْطَقَتْ
الْصَامِتَ فَأَقْصَحَ . ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَ مَا تَقْدَمُ مِنَ الْقَوْلِ الْمَزِيدِ . وَالْمُجَادَلَةِ
الَّتِي عَزَّ أَمْرُهَا عَلَى الْحَدِيدِ . أَقَرَّرْتَ أَنَّتِ أُنَّا لِلْمَلِكِ كَالْيَدَيْنِ . وَلَمْ
تُقَرِّ أُنَّا الْيَمِينِ . وَفِي آفَاقِهِ كَالْقَمَرَيْنِ . وَلَمْ تَذْكُرْ أُنَّا الْوَاضِحَةَ
الْجَبِينِ . وَمَا يَشْفِي ضَنَائِي وَيُرْوِي صَدَائِي إِلَّا أَنْ يُحْكَمَ بَيْنَنَا مِنْ لَا
يُرَدُّ حُكْمُهُ . وَلَا يُتِمُّ فُهْمُهُ . فَيُظْهِرُ أُنَّا الْمَفْضُولُ مِنَ الْفَاضِلِ . وَالْخَذُولُ
مِنَ الْخَذَلِ . وَيُقْصِرُ عَنِ الْقَوْلِ الْمُنَاطِرُ . وَيَسْتَرِيحُ الْمُنَاضِلُ . وَقَدْ
رَأَيْتُ أَنْ يُحْكَمَ بَيْنَنَا الْمَقَامُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَشْرَتْ إِلَى يَدِهِ الشَّرِيفَةِ .
وَتَوَسَّلَتْ بِمُحَاسِنِهَا اللَّطِيفَةِ . فَإِنَّهُ مَا لِكُ زِمَامِنَا . وَمُنْشَى عَمَامِنَا .
وَمُصَرَّفُ كَلَامِنَا . وَحَامِلُ أَعْبَانِنَا . الَّذِي مَا هَوَى لِلْهَوَى وَصَاحِبُ

أَمْرَنَا وَنَهَيْنَا وَتَأَلَّهَ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . لِيَفْضَلَ الْأَمْرَ بِحُكْمِهِ .
وَيُقَدِّمَنَا إِلَى مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ فَيُحْكَمَ بَيْنَنَا بِعِلْمِهِ . فَقَدِّمْ خَيْرَةَ اللَّهِ عَلَى
ذَلِكَ الْأَشْتِرَاطِ . وَقُلْ بَعْدَ تَقْيِيلِنَا الْأَرْضَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْبَسَاطِ :
خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ .
وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . فَتَشِطَّ الْقَلَمُ فَرَحًا . وَمَشَى فِي أَرْضِ
الطَّرْسِ مَرَحًا . وَطَرِبَ لِهَذَا الْجَوَابِ . وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . وَقَالَ : سَمِعًا
وَطَاعَةً . وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ السَّاعَةِ

يَا بَرْدَ ذَلِكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كِبْدِي

أَلَا نَظَرَ مَا تَبَغَّيَانِ . وَفُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَقْيَانِ . وَحُكِمَ
بَيْنَنَا الرَّأْيُ الْمُنِيرُ . وَبَنَانَا بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَلَا يُنْسِكُ مِثْلُ خَيْرٍ . ثُمَّ
تَفَاصَلَ عَلَى ذَلِكَ . وَتَرَاصَيَا عَلَى مَا يُحْكَمُ بِهِ الْمَالِكُ . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا وَأَنْتَبَهَ الْمَمْلُوكُ مِنْ سِنَةِ فِكْرِهِ . وَطَالَعَ بِمَا أُخْتُجَ سَوَادُ هَذِهِ
الَّيْلَةِ فِي سِرِّهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الَّتِي هِيَ
نِظَامُ الْمَفَاحِرِ . وَمَقَامُ الْمَآثِرِ . وَغَوْثُ الشَّاكِي وَغَيْثُ الشَّاكِرِ . وَيُمِيتُ
بِظُلَالِ مَقَامِهِ الَّذِي لَا تَكْسِيرُ الْأَيَّامُ مِقْدَارَ مَا هُوَ جَائِزٌ . وَلَا تَجْبِرُ مَا هُوَ
كَاسِرٌ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (خزانة الادب للحموي)

رسالة لابن الوردي في السيف والقلم

٤٤ لَمَّا كَانَ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ عُدَّتِي الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَعُمْدَتِي الدُّوَلِ
فَإِنْ عَدِمْتُهُمَا دَوْلَةٌ فَلَا حَوْلَ . وَرُكْنِي إِسْنَادِ الْمُلْكِ الْمُعَرِّبِينَ عَنْ

الْخَفُوضُ وَالْمَرْفُوعُ . وَمُقَدَّمَتِي تَحِيَّةُ الْجَدَلِ الصَّادِرِ عَنْهُمَا الْمُحْمُولُ
 وَالْمَوْضُوعُ . فَكَرْتُ أَيْهَمَا أَعْظَمُ فُخْرًا . وَأَعْلَى قَدْرًا . فَجَلَسْتُ لَهُمَا مَجْلِسَ
 الْحُكْمِ وَالْقَوَى . وَمَثَلْتُهُمَا فِي الْفِكْرِ حَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى . وَسَوَّيْتُ
 بَيْنَ الْخُصْمَيْنِ فِي الْإِكْرَامِ . وَاسْتَنْطَقْتُ لِسَانَ حَالِهِمَا لِلْكَلَامِ
 (فَقَالَ الْقَلَمُ :) بِسْمِ اللَّهِ نُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا . وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا .
 وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ بَارِي الْقَلَمِ . وَمُشْرِفِهِ بِالْقَسَمِ .
 وَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَا خَلَقَ . وَجَمَلَ الْوَرَقَ بَعْضُهُ كَمَا جَمَلَ الْفُضْنَ بِالْوَرَقِ .
 وَالصَّلَاةَ عَلَى الْقَائِلِ : جَفَّتِ الْأَقْلَامُ . فَإِنَّ الْقَلَمَ قَصَبُ السَّبَاقِ .
 وَالْكَاتِبُ بِسَبْعَةِ أَقْلَامٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْكِتَابِ فِي السَّعْرِ الطَّبَاقِ .
 جَرَى بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . وَنَابَ عَنِ اللِّسَانِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ . طَالَمَا أَرَبَى
 عَلَى الْبَيْضِ وَالسَّمْرِ فِي ضَرَائِبِهَا وَطَعَانِهَا . وَقَاتَلَ فِي الْبُعْدِ وَالصَّوَارِمِ
 فِي الْقُرْبِ مِلْءَ أَجْفَانِهَا . وَمَاذَا يُشْبِهُ الْقَلَمَ فِي طَاعَةِ نَاسِهِ . وَمَشْيِهِ
 لَهُمْ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ . (قَالَ السِّيفُ :) بِسْمِ اللَّهِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ .
 وَأَزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ
 آيَةَ السِّيفِ . فَعَظَّمَهَا حُرْمَةً الْجَرْحِ وَأَمَنَ خِيفَةَ الْخَيْفِ وَالصَّلَاةَ عَلَى
 الَّذِي نَقَذَ بِالسِّيفِ سَطُورَ الطُّرُوسِ . وَخَدَمْتَهُ الْأَقْلَامُ مَا شِئَ عَلَى
 الرُّؤُوسِ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَرْهَفَتْ سِيُوفُهُمْ . وَبُنِيَتْ بِهَا عَلَى
 كَسْرِ الْأَعْدَاءِ حُرُوفُهُمْ . فَإِنَّ السِّيفَ عَظِيمُ الدَّوْلَةِ . شَدِيدُ الصَّوْلَةِ .
 مَحَاسِنُ الطَّرِيقِ . وَأَسَاغَ مُنَوَّعَ الْإِسَاعَةِ . مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِهِ

فِي قَهْرِ الْأَعْدَاءِ تَعَبَ . وَكَيْفَ لَا وَفِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ .
 فَإِنْ كَانَ الْقَلَمُ شَاهِدًا فَالسَّيْفُ قَاضِي . وَإِنْ اقْتَرَبَتْ مُجَادَلَتُهُ بِأَمْرِ
 مُسْتَقْبَلِ قِطْعَةِ السَّيْفِ بِفِعْلِ مَا ضِي . بِهِ ظَهَرَ الدِّينُ . وَهُوَ الْعُدَّةُ
 لِقَمْعِ الْمُعْتَمِدِينَ . حَمَلَتْهُ دُونَ الْقَلَمِ يَدُ نَبِيْنَا . فَشَرَفَ بِذَلِكَ فِي الْأُمَمِ
 شَرَفًا بَيْنَنَا . الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِهِ . وَلَا سِيَمَا حِينَ يُسَلُّ فِتْرَى وَدَقَ الدَّمِ
 يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِهِ . زَيْتُ بَرِيَّةِ الْكَوَاكِبِ سَمَاءُ غَمَدِهِ . وَصَدَقَ الْقَائِلُ :
 السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنْ صَدِّهِ . لَا يَعْثُ بِهِ الْحَامِلُ . وَلَا يَتَوَلَّاهُ
 كَالْقَلَمِ بِأَطْرَافِ الْأَنَامِلِ . مَا هُوَ كَالْقَلَمِ الْمُسَبَّهِ بِقَوْمٍ عُرُوا عَنْ
 لُبْسِهِمْ . ثُمَّ نَكَسُوا كَمَا قِيلَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ . فَكَانَ السَّيْفُ خَلِيقَ مَنْ مَاءٍ
 دَافِقٍ . أَوْ كَوَكَبٍ رَاشِقٍ . مُقَدَّرًا فِي السَّرْدِ . فَهُوَ الْجَوْهَرُ الْقَرْدُ .
 لَا يُشْرَى كَالْقَلَمِ بِشَيْءٍ بَخْسٍ . وَلَا يَبْلَى كَمَا يَبْلَى الْقَلَمُ بِسَوَادٍ وَطَسٍ .
 كَمْ لِقَائِهِ الْمُتَنَظِّرُ . مِنْ أَثَرٍ فِي عَيْنٍ أَوْ عَيْنٍ فِي أَثَرٍ . فَهُوَ فِي حَرَابِ
 الْقَوْمِ قِيَامُ الْحَرْبِ . وَلِهَذَا جَاءَ مَطْبُوعُ الشَّكْلِ دَاخِلَ الضَّرْبِ . (قَالَ
 الْقَلَمُ) : أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . يُفَاخِرُ
 وَهُوَ الْقَائِمُ عَنِ الشِّمَالِ الْجَالِسُ عَلَى الْيَمِينِ . أَنَا الْخُصُوصُ بِالرَّيِّ
 وَأَنْتَ الْخُصُوصُ بِالصَّدَى . أَنَا آلَةُ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ آلَةُ الرَّدَى . مَا
 لَيْتَ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ السَّعِيرِ . وَمَا حُدِثَ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ كَبِيرٍ . أَنْتَ
 تَنْفَعُ فِي الْعُمُرِ سَاعَةً . وَأَنَا أَفْنِي الْعُمُرَ فِي الطَّاعَةِ . أَنْتَ لِلرَّهْبِ .
 وَأَنَا لِلرَّغَبِ . وَإِذَا كَانَ بَصْرُكَ حَدِيدًا فَبَصْرِي مَا ذَهَبَ . أَيْنَ

تَقْلِيدُكَ مِنْ اجْتِهَادِي . وَأَيْنَ نَجَاسَةِ دَمِكَ مِنْ تَطْهِيرِ مِدَادِي . (قَالَ
السَّيْفُ) : أَمِثْلُكَ يُعِيرُ مِثْلِي بِالْدمَاءِ . فَطَالَمَا أَمَرْتُ بَعْضَ فِرَاحِي وَهِيَ
السَّكِينُ . فَأَصْبَحْتَ مِنَ النَّفَاثَاتِ فِي عُقْدِكَ يَا مِسْكِينَ . فَأَحَلَّتْ
مِنْ الْحَيَاةِ جُثْمَانَكَ . وَشَقَّتْ أَنْفَكَ وَقَطَعَتْ لِسَانَكَ . وَيكُ إِن كُنْتَ
لِلدِّيَوَانِ فَحَاسِبْ مَهْمُومُ . أَوْ لِلْإِنْشَاءِ فَخَادِمُ يُخْدُومُ . أَوْ لِلْبَلِيعِ
فَسَاحِرُ مَذْمُومُ . أَوْ لِلْفَقِيهِ فَنَاقِصُ فِي الْمَعْلُومِ . أَوْ لِلشَّاعِرِ فَسَائِلُ
مَحْرُومُ . أَوْ لِلشَّاهِدِ فَخَائِفُ مَسْمُومُ . أَوْ لِلْمُعَلِّمِ فَلَحِي الْقِيُومِ . وَأَمَّا أَنَا
فَلِي الْوَجْهُ الْأَزْهَرُ . وَالْحَلِيَّةُ وَالْجَوْهَرُ . وَالْهَيْبَةُ إِذَا اشْهَرُ . وَالصُّعُودُ
عَلَى الْمُنْبَرِ . شَكْلِي الْحَسَنُ عَلِيٌّ . وَلَمْ لَأَحْمَلْكَ الْخَطْبُ بَدَلِي . ثُمَّ إِنِّي
مَمْلُوكُ كَمَالِكَ . فَإِنَّكَ كَنَاسِكَ . أَسْلُكُ الطَّرَاقِ . وَأَقْطَعُ الْعَلَّاقِ .
(قَالَ الْقَلَمُ) : أَمَّا أَنَا فَأَبْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَأَلِيفُ الْعُدَيْرِ وَحَلِيفُ الْهَوَاءِ .
وَأَمَّا أَنْتَ فَأَبْنُ النَّارِ وَالْدُّخَانِ . وَبَارِزُ الْأَعْمَارِ وَخَوَّانُ الْإِخْوَانِ .
تَفْضُلُ مَا لَا يُفْضَلُ . وَتَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ . لَا جَرَمَ شِيرِ
السَّيْفِ وَصُقْلَ قَفَاهُ . سُقِيَ مَاءٌ حَمِيمًا قُطِّعَ مَعَاهُ : يَا غَرَابَ الْبَيْنِ .
وَيَا عُدَّةَ الْحَيْنِ . وَيَا مُعْتَلَّ الْعَيْنِ . وَيَا ذَا الْوَجْهَيْنِ . كَمْ أَفْنَيْتَ وَأَعْدَمْتَ .
وَأَرَمْتَ وَأَيْتَمَّتْ . (قَالَ السَّيْفُ) : يَا ابْنَ الطَّيْنِ . أَلَسْتُ ضَامِرًا
وَأَنْتَ بَاطِنٌ . كَمْ جَرَيْتَ بِعَكْسٍ . وَتَصَرَّفْتَ فِي مَكْسٍ . وَزَوَّرْتَ
وَحَرَّفْتَ . وَنَكَّرْتَ وَعَرَّفْتَ . وَسَطَّرْتَ هَجُوعًا وَشَتْمًا . وَخَلَّدْتَ عَارًا
وَذَمًّا . أَبْشِرْ بِفَرْطِ رَوْعَتِكَ . وَشِدَّةِ خِيفَتِكَ . إِذَا قِستَ بَيَاضَ

صَفِيحَتِي بِسَوَادِ صَحِيفَتِكَ . قَالَ لَنْ خِطَابَكَ فَأَنْتَ قَصِيرُ الْمُدَّةِ . وَأَحْسَنُ
جَوَابَكَ فَمِنْ دِي حَدَّةٌ . وَأَقْلَلُ مِنْ غِلْظَتِكَ وَجْهِكَ . وَأَشْتَقِلُ عَنْ
دَمٍ فِي وَجْهِهِ بِمِدَّةٍ فِي وَجْهِكَ . وَإِلَّا فَأَذْنِي ضَرْبَةً مِنِّي تَرُومُ
أَرْوَمَتَكَ . فَتَسْتَأْصِلُ أَصْلَكَ وَتَجْتَثُّ جِرْثُومَتَكَ . فَسَقِيًا لِمَنْ غَابَ بِكَ
عَنْ غَايِكَ . وَرَعِيًا لِمَنْ أَهَابَ بِكَ لِسَانُ إِهَابِكَ . (فَلَمَّا رَأَى الْقَلَمُ)
السَّيْفَ قَدْ أَحْتَدَّ . أَلَانَ لَهُ مِنْ خِطَايِهِ مَا أَشْتَدَّ . وَقَالَ : أَمَّا الْأَدَبُ
فَيُؤْخَذُ عَنِّي . وَأَمَّا اللَّطْفُ فَيُكْتَسَبُ مِنِّي . فَإِنْ لَنْتُ لَنْتَ . وَإِنْ أَحْسَنْتُ
أَحْسَنْتَ . نَحْنُ أَهْلُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . وَلِهَذَا تَجْمَعُ فِي الدَّوَاةِ الْوَاحِدَةِ
مِنَّا جَمَاعَةٌ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهْلُ الْحِدَّةِ وَالْخِلَافِ . وَلِهَذَا لَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ
سَيْفَيْنِ فِي غِلَافٍ . (قَالَ السَّيْفُ) : أَمَكْرًا وَدَعْوَى عَفَاةٍ . لِأَمْرٍ مَا
جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ لَوْ كُنْتُ كَمَا زَعَمْتَ ذَا أَدَبٍ . لَمَا قَابَلْتُ رَأْسَ
الْكَاتِبِ بِعُقْدَةِ الذَّنْبِ . أَنَا ذُو الصِّيتِ وَالصَّوْتِ . وَغَرَادَايَ لِسَانَا
مَشْرِفِي يَرْتَجِلُ غَرَابَ الْمَوْتِ . أَنَا مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَالْقَلَمُ مِنْ
صَلْصَالٍ كَالْفَحَّارِ . وَإِذَا زَعَمَ الْقَلَمُ أَنَّهُ مِثْلِي أَمَرْتُ مَنْ يَدُقُّ رَأْسَهُ
بِنَعْلِي . (قَالَ الْقَلَمُ) : صَهْ فَصَاحِبُ السَّيْفِ بِالسَّعَادَةِ كَالْأَعْزَلِ .
(قَالَ السَّيْفُ) : مَهْ فَهَلَمَّ الْبَلِيعُ بَغَيْرِ حَظٍّ مَغْزَلٍ . (قَالَ الْقَلَمُ) : أَنَا
أَزْكَى وَأَطْهَرُ . (قَالَ السَّيْفُ) : أَنَا أَبْعَى وَأَبْهَرُ . فَتَلَا (ذُو الْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ :
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ . فَتَلَا (صَاحِبُ السَّيْفِ) لِسَيْفِهِ : فَصَلَ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرَ .
فَتَلَا (ذُو الْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ : إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . (قَالَ) : أَمَّا وَكِتَابِي

الْمَسْطُورِ. وَبَنِي الْمَعْمُورِ. وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَالْقُرْآنَ ذِي التَّجِيلِ.
 إِنْ لَمْ تَكُفَّ عَنِّي غَرْبَكَ، وَتُبْعِدَ مِنِّي قُرْبَكَ. لَا كُتِبَتْكَ مِنْ الصِّمِّ
 الْبُكْمِ. وَلَا سَطِرَنَّ عَلَيْكَ بَعْلِي سَجَلًا بِهَذَا الْحُكْمِ. (قَالَ السِّيفُ):
 أَمَا وَمَتَّى الْمَتْنِ. وَفَتَحِي الْمُبِينِ. وَلِسَانِي الرَّطْبَيْنِ. وَوَجْهِي الصِّلَيْنِ.
 إِنْ لَمْ تَعْبَ عَنِّي بِيَاضِي بِسَوَادِكَ. لَا سَخِمَنَّ وَجْهَكَ بِمِدَادِكَ. وَلَقَدْ
 كَسَبْتَ مِنَ الْأَسَدِ فِي الْغَايَةِ. تَوْقِيعَ الْعَيْنِ وَالصَّلَابَةِ. مَعَ آتِي مَا
 أَلَوْتُكَ نَصْحًا. أَفْتَضِرُّ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا. (قَالَ الْقَلَمُ): سَلِّمْ إِلَيَّ
 مَعَ مَنْ سَلَّمَ. إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ.
 وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ. أَوْ كُنْتَ
 أَطْرَى فَأَنَا أَطْرَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَغْلَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا
 أَعْتَبُ. أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضَبُ. (قَالَ السِّيفُ): كَيْفَ لَا
 أَفْضَلُكَ وَالْمَرْءُ الْفَلَانِي شَادُّ أَرْزِي. (قَالَ الْقَلَمُ): كَيْفَ لَا أَفْضَلُكَ
 وَهُوَ عَزَّ نَصْرُهُ وَلِيَّ أَمْرِي

(قَالَ الْحُكْمُ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ): فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَجَّتَيْنِ
 نَاهِضَتَيْنِ. وَالْيَتِيمَتَيْنِ بَيْنَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ. وَعِلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 نِسْبَةً صَحِيحَةً إِلَى هَذَا الْمَرْءِ الْكَرِيمِ. وَرَوَايَةً مُسْنَدَةً عَنْ حَدِيثِهِ
 الْأَقْدِيمِ. لَطَقْتُ الْوَسِيلَةَ. وَدَقَّقْتُ الْحِيلَةَ. حَتَّى رَدَدْتُ الْقَلَمَ إِلَى
 كَنِّهِ. وَأَعْتَمَدْتُ السِّيفَ فَنَامَ مَلَأَ جَفْنَهُ. وَأَخَّرْتُ بَيْنَهُمَا التَّرَجِيحَ.
 وَسَكَتُ عَمَّا هُوَ عِنْدِي الصَّحِيحُ. إِلَى أَنْ يَحْكُمَ الْمَرْءُ بَيْنَهُمَا بِعِلْمِهِ. وَيُسَكِّنَ

سُورَةَ غَضَبِهِمَا الْوَافِرِ وَجَلَّاهُمَا الْمُدِيدِ بِبَسِيطِ جِلْمِهِ . وَيُعَايِلُهُمَا بِمَا وَقَرَ
فِي صَدْرِهِ مِنَ الْوَفَارِ وَسَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ السَّكِينَةِ . وَإِذَا كَانَ فِي
هَذِهِ الْمَدِينَةِ مَا لِكُنَا فَلَا يُفْتَى وَمَا لِكَ فِي الْمَدِينَةِ

مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان

٢٥ هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه وما در بينهم من تدبير الراي في حرب خراسان
أيام تحاملت عليهم العمال واعفت . فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكاتبة على أن نكتوا
ببعثهم ونقصوا موثقتهم وطردها العمال والتوا بما عليهم من الخراج . وحمل المهدي ما يجب من
مصلحتهم ويكره من عنهم على أن أقال عثرهم واغفر زلتهم . واحتمل دألهم تطولاً بالفضل
والتساعاً بالعفو وأخذاً بالحجة ورقفاً بالسياسة . ولذلك لم يزل مذمومة الله أعباء الخلافه
وقلده أمور الرعيه رفيقاً بمدار سلطانه بصيراً باهل زمانه باسطاً للمعدلة في رعيته تسكن الى
كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحلمه . فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده
هواده ولا إغضاء ولا مدهاهة اثره للحق وقياماً بالعدل وأخذاً بالخرم . فدعا اهل خراسان
الاعتذار بحلمه والثقة بعفوه أن كسروا الخراج وطردها العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق .
ثم خلطوا اجتماعاً باعتذار وحصومة باقرار وتنصلاً باعتلال . فلما انتهى ذلك الى المهدي خرج
الى مجلس خلته وبعث الى نفر من حمته ووزرائه فأعلمهم الحال واستنصهم للرعيه . ثم أمر
الموالي بالابتداء وقال للعباس بن محمد : أي عم تعقب قولنا وكن حكماً بيننا . وأرسل الى
ولديه موسى وهارون فاحضرها الأمر وشاركها في الراي وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم
وابتات مقاتلهم في كتاب

(فَقَالَ سَلَامٌ صَاحِبُ الْمُظَالِمِ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةً
وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً اسْتَفْرَعْتَ رَأْيَهُمْ وَاسْتَفْرَقْتَ أَشْغَالَهُمْ وَاسْتَفْقَدْتَ
أَعْمَارَهُمْ . وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ . وَلِهَذِهِ
الْأُمُورِ الَّتِي جُعِلْنَا فِيهَا غَايَةً وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ
الْحَرْبِ وَسَاسَةِ الْأُمُورِ وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَفُرْسَانِ الْهَزَاهِرِ وَإِخْوَانِ
التَّجَارِبِ وَأَطْفَالِ الْوَقَائِعِ الَّذِينَ وَسَّخَتْهُمْ سِحَالُهَا . وَفَيَّاتَهُمْ ظِلَالُهَا .

وَعَقَّبَهُمْ شِدَائِدُهَا . وَقَرَّمَتْهُمْ نَوَاجِذُهَا . فَلَوْ عَجَمْتَ مَا قَبْلَهُمْ وَكَشَفْتَ مَا
عِنْدَهُمْ لَوَجَدْتَ نَظَائِرَ تَوَيْدِ أَمْرِكَ . وَتَجَارِبَ تَوَاقُقِ نَظَرِكَ . وَلَحَادِيثَ
تُقَوِّي قَلْبَكَ . فَأَمَّا نَحْنُ مُعَاشِرَ عَمَلِكَ وَأَصْحَابَ دَوَاوِينِكَ فَحَسَنُ بِنَا
وَكَثِيرُ مِنَّا أَنْ نَقُومَ بِثَقَلِ مَا حَمَلْتَنَا مِنْ عَمَلِكَ وَأَسْتَوْدَعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ .
وَسَغَلْتَنَا بِهِ مِنْ إِمْضَاءِ عَدْلِكَ وَإِنْفَازِ حُكْمِكَ وَإِظْهَارِ حَقِّكَ .
(فَاجَابَهُ الْمُهْدِيُّ) : إِنْ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةٌ وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةٌ وَفِي
كُلِّ حَالٍ تَدْبِيرٌ يُبْطِلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَدْبِيرِ
سُلْطَانِنَا . (قَالَ) : نَعَمْ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَنْتَ مَتَّسِعُ الرَّأْيِ وَثِقُ الْعُقْدَةِ .
قَوِي الْمُنَّةِ بَلِيغُ الْفُطْنَةِ . مَعْصُومُ النَّيَّةِ مُحْضَرُ الرُّوْيَةِ . مُوَيِّدُ الْبَدِيَّةِ
مُوقِقُ الْعَزِيمَةِ . مُعَانٌ بِالظَّفَرِ مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ . إِنْ هَمَمْتَ فَقِي عَزْمَكَ
مَوَاقِعَ الظَّنِّ . وَإِنْ أَجْتَمَعْتَ صَدَعَ فِعْلِكَ مُلْتَبِسُ الشَّكِّ . فَأَعِزِّمْ يَدَ
اللَّهِ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ . وَقُلْ يُنْطِقِ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ . فَإِنْ جُنُودُكَ
جَمَّةٌ وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ . (فَاجَابَهُ
الْمُهْدِيُّ) : إِنْ الْمُشَاوَرَةَ وَالْمُنَاطَرَةَ بَابَا رَحْمَةٍ وَمِفْتَاحَا بَرَكَةٍ لَا يَهْلِكُ
عَلَيْهِمَا رَأْيٌ وَلَا يَتَفِيلُ مَعَهُمَا حَزْمٌ . فَاشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ وَقُولُوا بِمَا يَخْضُرُكُمْ
فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ وَتَوَفَّقَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . (قَالَ الرَّبِيعُ) : أَيُّهَا
الْمُهْدِيُّ إِنْ تَصَارِيفُ وَجْهِهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ . وَإِنَّ الْإِشَارَةَ بِبَعْضِ
مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ . وَلَكِنَّ خُرَاسَانَ أَرْضٌ بَعِيدَةٌ الْمَسَافَةِ مُتَرَاخِيَةٌ
الشُّقَّةِ مُتَقَاوِنَةُ السَّبِيلِ . فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْبِيرِ وَمُبْرَمِ

التَّحْدِثِ وَلِبَابِ الصَّوَابِ رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ وَقَلْبُهُ تَدْبِيرُكَ فَلَيْسَ
 وَرَاءَهُ مَذْهَبُ طَائِعِينَ وَلَا دُونُهُ مُعَلِّقُ لُحُومَةِ عَائِبٍ. ثُمَّ أَجَبَتْ الْبُرْدُ
 بِهِ وَأَنْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ كَانَ بِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ. وَقَدْ
 حَدَّثَ مِنْهُمْ مَا يَنْفُضُهُ. فَالْسَّرُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلُ وَتَرِدَ عَلَيْكَ
 الْكُتُبُ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ.
 فَتُحَدِّثُ رَأْيًا غَيْرَهُ وَتَبْتَدِيعُ تَدْبِيرًا سِوَاهُ. قَدْ أَنْفَرَجَتْ الْخُلُقُ وَتَحَلَّتْ
 الْعُقَدُ وَاسْتَرَحَى الْخِتَاقُ وَامْتَدَّ الزَّمَانُ. ثُمَّ لَعَلَّامُ مَوْقِعِ الْآخِرَةِ كَمَصْدِرِ
 الْأَوَّلَى. وَلَكِنَّ الرِّأْيَ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَفَقَّكَ اللَّهُ أَنْ تَصْرِفَ إِجَالََةَ
 النَّظَرِ وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ فِيمَا جَمَعْتَنَاهُ وَاسْتَشَرْتَنَاهُ فِيهِ. مِنَ التَّدْبِيرِ
 الْحَرِيمِمْ وَالْحِلِّ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى الطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ فَاضِلٍ. وَعَقْلٍ
 كَامِلٍ. وَوَرَعٍ وَاسِعٍ لَيْسَ مَوْصُوفًا بِهَوَى فِي سِوَاكَ. وَلَا مُتَمَهِّمًا فِي
 أَثَرَةٍ عَلَيْكَ وَلَا ظَنِينًا عَلَى دِخْلَةٍ مَكْرُوهَةٍ. وَلَا مَنْسُوبًا إِلَى بَدْعَةٍ
 مَحْذُورَةٍ. فَيَقْدَحَ فِي مُلْكِكَ وَيُرِيضَ الْأُمُورَ لِغَيْرِكَ. ثُمَّ تَسْنِدُ إِلَيْهِ
 أُمُورَهُمْ وَتَقْوِضُ إِلَيْهِ حَرِيمَهُمْ وَتَأْمُرُهُ فِي عَهْدِكَ وَوَصِيَّتِكَ إِيَّاهُ
 بِلزومِ أَمْرِكَ مَا لَزَمَهُ الْحَزْمُ وَخِلَافِ نَهْيِكَ إِذَا خَالَفَهُ الرِّأْيُ عَنْ
 اسْتِحْوَاجِ الْأُمُورِ وَأَشْتِدَادِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يُنْقَضُ أَمْرُ الْغَائِبِ عَنْهَا
 وَيُثَبَّتُ رَأْيُ الشَّاهِدِ لَهَا. فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَوَائِبُ أَمْرِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ
 وَسَقَطَ عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ تَمَّتِ الْحِيلَةُ وَقَوِيَتِ الْمَكِيدَةُ وَتَفْعَدَ الْعَمَلُ
 وَاحِدَ النَّظَرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ): أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنَّ

وَلِي الْأُمُورِ وَسَائِسِ الْحُرُوبِ رُبَّمَا نَحْيُ جُنُودَهُ وَفَرَّقَ أَمْوَالَهُ فِي غَيْرِ
مَا ضَيَّقَ أَمْرُ حَرَبِهِ وَلَا ضَغْطَةُ حَالٍ اضْطَرَّتْهُ فَيَقْعُدُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا
وَبَعْدَ التَّفَرُّقَةِ لَهَا عَدِيمًا مِنْهَا فَاقْدًا لَهَا لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا يَصُولُ بَعْدَهُ
وَلَا يَفْزَعُ إِلَى ثِقَةٍ . فَالْأَرَأَيْ لَكَ أَيُّهَا الْمُهْدِي وَفَقَّكَ اللَّهُ أَنْ تُغْفَى
خَزَائِنُكَ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْأَمْوَالِ وَجُنُودَكَ مِنْ مُكَابَدَةِ الْأَسْفَارِ
وَمُقَارَعَةِ الْخِطَارِ وَتَغْرِيرِ الْقِتَالِ . وَلَا تُسْرِعَ لِلْقَوْمِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى مَا
يَطْلُبُونَ وَالْعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ فَيَفْسُدَ عَلَيْكَ أَذْيُهُمْ وَتَجْرِي مِنْ رَعِيَّتِكَ
غَيْرُهُمْ . وَلَكِنْ أَغْزِهِمْ بِالْحِيلَةِ وَقَاتِلْهُمْ بِالْمَكِيدَةِ وَصَارِعْهُمْ بِاللِّسَنِ
وَحَاتِلْهُمْ بِالرِّفْقِ . وَأَبْرِقْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَأَرْعِدْ نَحْوَهُمْ بِالْفِعْلِ . وَأَبْعَثْ
الْبُعُوثَ وَجَنِّدِ الْجُنُودَ وَكُتِبَ الْكِتَابُ وَاعْقِدِ الْأُلُويَةَ وَأَنْصِبِ
الرَّيَاةَ . وَأَظْهِرْ أَنَّكَ مُوجِّهٌ إِلَيْهِمُ الْجِيُوشَ مَعَ أَخْنَقِ قَوَادِكِ عَلَيْهِمُ
وَأَسْوِيهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ . ثُمَّ أَدْسِسِ الرُّسُلَ وَأَبْثَثِ الْكُتُبَ وَضَعْ بَعْضَهُمْ
عَلَى طَمَعٍ مِنْ وَعْدِكَ وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ مِنْ وَعْدِكَ . وَأَوْقِدْ بِذَلِكَ
وَأَشْبَاهَهُ نِيرَانِ التَّحَاسُدِ فِيهِمْ وَأَغْرِسْ أَشْجَارَ التَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ . حَتَّى
تُمَلَأَ الْقُلُوبُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَتَنْطَوِي الصُّدُورُ عَلَى الْبَغْضَةِ وَيَدْخُلَ
كُلًّا مِنْ كُلِّ الْحَذَرِ وَالْهَيْبَةِ . فَإِنْ مَرَامَ الظُّفْرِ بِالْعِيْلَةِ . وَالْقِتَالِ بِالْحِيلَةِ .
وَالنَّهَابَةِ بِالْكِتَابِ وَالْمُكَابَدَةِ بِالرُّسُلِ وَالْمُقَارَعَةَ بِالْكَلَامِ . اللَّطِيفُ
الْمُدْخِلُ فِي الْقُلُوبِ الْقَوِي الْمَوْفِعُ مِنَ النُّفُوسِ الْمُعْشُودِ بِالْحُجْجِ
الْمَوْصُولِ بِالْحَيْلِ الْمُبْنِي عَلَى اللَّيْلِ الَّذِي يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ وَيَسْتَرِقُ

الْعُقُولَ وَالْأَرْاءَ. وَيَسْتَمِيلُ الْأَهْوَاءَ. وَيَسْتَدْعِي الْمَوَاتَاةَ أَنْفَذَ مِنْ الْقِتَالِ
 بِظُبَاتِ السُّيُوفِ وَأَسِنَّةِ الرِّمَاحِ. كَمَا أَنَّ الْوَالِيَّ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ طَاعَةَ
 رَعِيَّتِهِ بِالْحَيْلِ وَيُفَرِّقُ كَلِمَةَ عَدُوِّهِ بِالْمَكَايِدَةِ أَحْكَمُ عَمَلًا وَأَطْفُ
 مَنْظَرًا وَأَحْسَنُ سِيَاسَةً مِنَ الَّذِي لَا يَتَأَلَّ ذَلِكُ إِلَّا بِالْقِتَالِ وَالْإِتْلَافِ
 لِلْأَمْوَالِ وَالتَّغْرِيرِ وَالْخَطَارِ. وَلَيَعْلَمُ الْمُهْدِيُّ أَنَّهُ إِنْ وَجَّهَ لِقَاتِهِمْ رَجُلًا
 لَمْ يَسِرْ لِقَاتِهِمْ إِلَّا بِجُنُودٍ كَثِيفَةٍ تَخْرُجُ عَنْ حَالٍ شَدِيدَةٍ وَتَقْدُمُ عَلَى
 أَسْقَارِ صَيِّقَةٍ وَأَمْوَالٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَفُؤَادٍ غَشَّيَةٍ إِنْ اسْتَنْفَدُوا مَالَهُ
 وَإِنْ اسْتَصْحَبَهُمْ كَانُوا عَلَيْهِ لَالَةً. (قَالَ الْمُهْدِيُّ): هَذَا رَأْيِي قَدْ أَسْفَرَ
 نُورَهُ وَأَبْرَقَ ضَوْهَهُ وَتَمَثَّلَ صَوَابُهُ لِلْعُيُونِ وَجَدَّ حَقُّهُ فِي الْقُلُوبِ.
 وَلَكِنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ عَلِيٍّ. فَقَالَ: مَا تَقُولُ.
 (قَالَ عَلِيٌّ): أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنْ أَهْلَ خُرَّاسَانَ لَمْ يَقْبَلُوا عَنْ طَاعَتِكَ وَلَمْ
 يَنْصَبُوا مِنْ دُونِكَ أَحَدًا يَقْدَحُ فِي تَغْيِيرِ مُلْكِكَ وَيُرِيضُ الْأُمُورَ
 لِفَسَادِ دَوْلَتِكَ. وَلَوْ فَعَلُوا لَكَانَ الْخَطْبُ أَلْسَرَ وَالشَّانُ أَصْغَرَ.
 وَالْحَالُ أَذَلُّ لِأَنَّ اللَّهَ مَعَ حَقِّهِ الَّذِي لَا يَخْذُلُهُ وَعِنْدَ مَوْعِدِهِ الَّذِي لَا
 يُخْلِفُهُ. وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَطَائِفَةٌ مِنْ شِيعَتِكَ الَّذِينَ جَعَلَكَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَالِيًا. وَجَعَلَ الْعَدْلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا. طَلَبُوا حَقًّا
 وَسَأَلُوا أَنْصَافًا. فَإِنْ أَجَبْتَ إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَنَقَسْتَ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتْلَاحَمَ
 مِنْهُمْ حَالٌ أَوْ يَخْذُثَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَتَقِ اطَّعْتَ أَمْرَ الرَّبِّ. وَأَطَقْتَ
 نَارَةَ الْحَرْبِ. وَوَقَرْتَ خَزَائِنَ الْمَالِ. وَطَرَحْتَ تَغْرِيرَ الْقِتَالِ. وَحَمَلَ

النَّاسَ مَحْمَلٌ ذَلِكَ عَلَى طَبِيعَةِ جُودِكَ وَسَيِّجَةِ حِلْمِكَ وَإِسْبَاحِ خَلِيقَتِكَ
وَمَعْدَلَةِ نَظَرِكَ . فَأَمِنْتُ أَنْ تُنْسَبَ إِلَيَّ ضَعْفٌ وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ
دُرْبَةً . وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تُجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا اُعْتَدَلْتُ بِكَ وَبِهِمْ
الْحَالُ وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مِيدَانِ الْخُطَابِ فَمَا أَرَبُ الْمُهْدِيَّ أَنْ يَعْبُدَ إِلَى طَائِفَةٍ
مِنْ رَعِيَّتِهِ مُقَرَّرِينَ بِمَمْلَكَتِهِ مُذْعَنِينَ بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ
قُدْرَتِهِ فِيمَلِكُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَيَحْتَلِعُ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفُ عَلَى الْحِلِّ
مَعَهُمْ . ثُمَّ يُجَارِيهِمْ السُّوءُ فِي حَدِّ الْمُقَارَعَةِ وَمِضْمَارِ الْخُطَابَةِ . أَيْرِيْدُ
الْمُهْدِيَّ وَفَقَهُ اللَّهَ الْأَمْوَالَ فَلَعَمْرِي لَا يَنَالُهَا وَلَا يَنْظُرُ بِهَا إِلَّا بِإِنْفَاقٍ
أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يُطَلَبُ مِنْهُمْ وَإِضْعَافٍ مَا يَدَّعِي قَبْلَهُمْ . وَلَوْ نَالَهَا فَحُمِلَتْ
إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ بِخَرَابِطِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا وَطَالَ عَلَيْهِمْ
بِهَا لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ بِهِ يَعْرِفُ مِنَ الْجُودِ الَّذِي طَبِعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَهْمَةَ نَفْسِهِ فِيهِ . فَإِنْ قَالَ الْمُهْدِيُّ : هَذَا رَأْيِي
مُسْتَقِيمٌ سَدِيدٌ فِي أَهْلِ الْخُرَاجِ الَّذِينَ شَكَّوْا ظُلْمَ عَمَّا لَنَا وَتَحَامَلُوا وَلَا تَنَا .
فَأَمَّا الْجُنُودُ الَّذِينَ نَقَضُوا مَوَاقِيقَ الْعُهُودِ وَأَنْطَقُوا لِسَانَ الْأَرْجَافِ
وَفَتَحُوا بَابَ الْمُعْصِيَةِ وَكَسَرُوا قَيْدَ الْقِتْنَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَهُمْ
نَكَالًا لِغَيْرِهِمْ وَعِظَةً لِسَوَاهِمُ . فَيَعْلَمُ الْمُهْدِيُّ أَنَّهُ لَوْ أُوْتِيَ بِهِمْ
مَغْلُولِينَ فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ثُمَّ اتَّسَعَ لِحْنُ دِمَائِهِمْ عَفْوَهُ .
وَلَا قَالَةَ عَثَرَتِهِمْ صَحْحَهُ . وَاسْتَبَقَاهُمْ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ حِزْبِهِ أَوْ لِمَنْ يَارَاهُمْ
مِنْ عَدُوِّهِ لِمَا كَانَ يَدْعَا مِنْ رَأْيِهِ وَلَا مُسْتَكْرَأَ مِنْ نَظَرِهِ . لَقَدْ عَلِمَتْ

الْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ عَفْوًا وَأَشَدَّهُمْ وَفْعًا وَأَصْدُقُهُمْ صَوْلَةً.
 وَنَهْهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ عَفْوٌ وَلَا يَتَكَاذَهُ صَفْحٌ وَإِنْ عَظُمَ الذَّنْبُ وَجَلَّ
 الْخَطْبُ. قَالَ رَأَيْ لِمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ اللَّهُ أَنْ يُحْلِلَ عَقْدَهُمُ الْغَيْظَ بِالرَّجَاءِ الْحُسْنِ
 ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْعَفْوِ عَنْهُمْ. وَأَنْ يَذْكُرَ أَوَّلَى حَالَاتِهِمْ وَضِيعَةَ عِيَالِهِمْ
 بِرَأْسِهِمْ وَتَوْسَعًا لَهُمْ. فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ وَأَرْكَانُ دَعْوَتِهِ وَأَسَاسُ حَقِّهِ
 الَّذِينَ يَعِزَّتِهِمْ يَصُولُ وَبِحُجَّتِهِمْ يَقُولُ. وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ
 مَسَاحِطِهِ وَتَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَأَنْطَوُوا فِيهِ عَنْ إِجَابَتِهِ. وَمَثَلُهُ فِي
 قَلَّةِ مَا غَيَّرَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ أَوْ نُقِلَ عَنْ حَالِهِ لَهُمْ أَوْ تَغَيَّرَ مِنْ نِعْمَتِهِ
 بِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مُتَنَاصِرَيْنِ مُتَوَازِرَيْنِ أَصَابَ أَحَدُهُمَا خَبَلٌ
 عَارِضٌ وَلَهُوَ حَادِثٌ فَهَضَّ إِلَى أَخِيهِ بِالْأَذَى وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِالْمَكْرُوهِ.
 فَلَمْ يَزِدْ أَخُوهُ إِلَّا رِقَّةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ وَأَحْتِيَالًا لِمُدَاوَةِ مَرَضِهِ وَمُرَاجَعَةِ
 حَالِهِ عَطْفًا عَلَيْهِ وَرِيًّا بِهِ وَمَرَحَّةً لَهُ. (فَقَالَ الْمَهْدِيُّ:) أَمَّا عَلِيٌّ فَقَدْ
 كَوَى سَمْتَ اللَّيَالِي. وَفَضَّ الْقُلُوبَ فِي أَهْلِ خُرَّاسَانَ. وَلِكُلِّ نَبَاٍ
 مُسْتَقَرٍّ. فَقَالَ: مَا تَرَى يَا أَبَا مُحَمَّدٍ (يَعْنِي مُوسَى أَبْنَهُ). (فَقَالَ مُوسَى:)
 أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ لَا تَسْكُنْ إِلَى حَلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ
 وَأَنْتَ تَرَى الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فِعْلِهِمْ. أَلْحَالُ مِنَ الْقَوْمِ يُنَادِي
 بِخُصْمِ رَقَّةٍ شَرٍّ وَخَفِيَّةٍ حَمْدٍ. قَدْ جَعَلُوا الْمَعَادِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا وَاتَّخَذُوا الْعِلَلَ
 مِنْ دُونِهَا حِجَابًا. رَجَاءُ أَنْ يُدَافِعُوا الْأَيَّامَ بِالتَّأْخِيرِ وَالْأُمُورَ بِالتَّطْوِيلِ
 فَيَكْسِرُوا حِيلَ الْمَهْدِيِّ فِيهِمْ وَيَقْتُلُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ. حَتَّى يَتَلَاَحَمَ أَمْرُهُمْ

وَتَتَلَاَقَ مَا دَتَهُمْ وَتَسْتَفْجِلَ حَرْبَهُمْ وَتَسْتَمِرَّ الْأُمُورُ بِهِمْ . وَالْمُهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ غَرَّةٍ وَلِبَاسِ أَمْنَةٍ قَدْ فُتِرَ لَهَا وَأُنِسَ بِهَا وَسَكَنَ إِلَيْهَا . وَلَوْلَا مَا اجْتَمَعَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَبَةِ بِالْقِتَالِ وَالْإِضْمَارِ لِلْقِرَاعِ عَنْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ أَوْ شَيْطَانِ فُسَادٍ لَرَهَبُوا عَوَاقِبَ أَخْبَارِ الْوَلَاةِ . وَغَبَّ سَكُونُ الْأُمُورِ فَلَيْشَدَّ الْمُهْدِيُّ وَقَعَهُ اللَّهُ أَرْزَهُ لَهُمْ وَيَكْتُبَ كِتَابَهُ نَحْوَهُمْ وَلِيَضَعَ الْأَمْرَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَحْضُرُهُ فِيهِمْ . وَلِيُوقِنَ أَنَّهُ لَا يُعْطِيهِمْ خُطَّةً يُرِيدُ بِهَا صَلَاحَهُمْ إِلَّا كَانَتْ دُرْبَةً إِلَى فُسَادِهِمْ وَقُوَّةً عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَدَاعِيَةً إِلَى عَوْدَتِهِمْ وَسَبَبًا لِفُسَادِ مَنْ يَحْضُرَتُهُ مِنَ الْجُنُودِ . وَمَنْ يَبَايَهُ مِنَ الْوُفُودِ . الَّذِينَ إِنْ أَقْرَهُمْ وَتِلْكَ الْعَادَةُ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَرْبِ . لَمْ يَبْرَحْ فِي قَتْلِ حَادِثٍ وَخِلَافٍ حَاضِرٍ لَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ دِيْنٌ وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا . وَإِنْ طَلَبَ تَغْيِيرَهُ بَغَيْرِ اسْتِحْكَامِ الْعَادَةِ وَاسْتِمْرَارِ الدَّرْبَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالْعُقُوبَةِ الْمُرْطَطَةِ وَالْمَوْئِنَةِ الشَّدِيدَةِ . وَالرَّأْيُ لِلْمُهْدِيِّ وَقَعَهُ اللَّهُ أَنْ لَا يُقِيلَ عَثَرَتَهُمْ وَلَا يَقْبَلَ مَعْذَرَتَهُمْ حَتَّى تَطَّاهُمُ الْجِيُوشُ وَتَأْخُذَهُمُ السُّيُوفُ . وَيَسْتَحْرَّ بِهِمُ الْقَتْلُ وَيُحْدِقَ بِهِمُ الْمَوْتُ . وَيَحِيطَ بِهِمُ الْبَلَاءُ وَيُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الذِّلُّ . فَإِنْ فَعَلَ الْمُهْدِيُّ بِهِمْ ذَلِكَ كَانَ مَقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سَوْءٍ فِيهِمْ . وَهَزِيمَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سَوْءٍ فِيهِمْ . وَاحْتِمَالُ الْمُهْدِيِّ فِي مَوْئِنَةِ غَزَوْتِهِمْ هَذِهِ تَضَعُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً وَنَفَقَاتٍ عَظِيمَةً (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَأَحْكُمْ يَا أَبَا الْفَضْلِ . (فَقَالَ

أَلْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَمَّا الْمَوَالِي فَأَخَذُوا بِفُرُوعِ الرَّأْيِ
 وَسَلَكُوا جَنَابَاتِ الصَّوَابِ وَتَعَدَّوْا أُمُورًا قَصَرَ بَنْظَرُهُمْ عَنْهَا أَنَّهُ لَمْ
 تَأْتِ تِجَارِبُهُمْ عَلَيْهَا. (وَأَمَّا الْفَضْلُ) فَأَشَارَ بِالْأَمْوَالِ أَنَّ لَا تُثَقَّفَ
 وَالْجُنُودُ أَنَّ لَا تُفَرَّقَ. وَبِأَنَّ لَا يُعْطَى الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا وَلَا يُبْذَلُ لَهُمْ
 مَا سَأَلُوا. وَجَاءَ بِأَمْرِ بَيْنَ ذَلِكَ اسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِمْ وَاسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ
 وَإِنَّمَا يَهِيحُ جُسِيَّاتِ الْأُمُورِ صِغَارُهَا. (أَمَّا عَلِيٌّ) فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَأَفْرَدَ
 الرِّقْقَ وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمَطَ أَمْرُهُ وَسَفَهَ حَقَّهُ اللَّيْنُ بِحَتًّا وَالْخَيْرُ
 مُحْضًا لَمْ يَخْلُطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعْطِفُ الْقُلُوبَ عَلَى لَيْنِهِ وَلَا يَشَرُّ يَجْبِسُهُمْ
 إِلَى خَيْرِهِ. فَقَدْ مَلَكَهُمْ الْخَلْعُ لِعُذْرِهِمْ وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ لِشَيْءِ أَعْنَاقِهِمْ.
 فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّ لَهُمْ وَلَا شِدَّةٍ
 وَزُرَّةٍ فِي رُؤُوسِهِمْ يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَسْتَصْرِخُونَ
 بِهَا رَأْيَ الْمُهْدِيِّ فِيهِمْ. وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ
 بِاللَّيْنِ الْخُضِّ وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ وَالرَّأْيُ فِيهِمْ
 وَمَا قَدْ يُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِمْ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَجَعَلَ
 فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْمَلِكِ الْكَبِيرِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَلَا
 تُدْرِكُهُ الْفِكْرُ وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا. فَلَوْلَا
 أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوفُهُمْ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا.
 (وَأَمَّا مُوسَى) فَأَشَارَ بِأَنَّ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا وَأَنَّ يُرْمَوْا بِشَرِّ
 لَا خَيْرَ مَعَهُ. وَإِذَا اضْمَرَّ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ

أَخْوَفَ مُفْرَدًا وَالشَّرَّ مُجَرَّدًا لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ وَلَا لِيْنٌ يَشِيهِمْ اُسْتَدَّتْ
الْأُمُورُ بِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدٍ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمْ
الْحُمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْأَنْفَةُ مِنَ الدَّلَّةِ وَالْإِمْتِعَاضُ مِنَ الْقَهْرِ فَيَدْعُوهُمْ
ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ وَالْإِسْتِسَالِ فِي الْقِتَالِ وَالْإِسْتِسْلَامِ
لِلْمَوْتِ . وَإِمَّا أَنْ يَتَقَادُوا بِالْكَرِهِ وَيَدْعُوا بِالْقَهْرِ عَلَى بَغْضَةٍ لَازِمَةٍ
وَعَدَاوَةٍ بَاقِيَةٍ تَوْرَثُ النِّفَاقَ وَتُعِيبُ الشَّقَاقَ . فَإِذَا امْكَنَتْهُمْ فُرْصَةٌ
أَوْ ثَابَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ أَوْ قَوِيَتْ لَهُمْ حَالٌ عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصَبِّ وَأَغْلَظَ
وَأَشَدِّ مِمَّا كَانَ . (وَقَالَ) فِي قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَكْفَى
دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ بَرْهَانٍ وَأَبِينُ خَبِيرٍ . بَأَنْ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيُهُ وَحَزَمَ نَظَرُهُ عَلَى
الْإِرْشَادِ بِعِتَّةِ الْجِيُوشِ إِلَيْهِمْ وَتَوَجُّهِهِ الْبُعُوثِ تَحْوَهُمْ مَعَ إِعْطَائِهِمْ
مَا سَأَلُوا مِنْ الْحَقِّ وَاجْبَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْعَدْلِ . (قَالَ الْمُهْدِيُّ):
ذَلِكَ رَأْيِي . (قَالَ هَارُونُ): خَلَطْتَ الشَّدَّةَ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ بِاللِّينِ .
وَأَنْتَظِمُ أَمْرُ الدُّنْيَا بِاللِّينِ . فَصَارَتِ الشَّدَّةُ أَمْرَ فِطَامٍ لِمَا تَكْرَهُ وَعَادَ
اللِّينُ أَهْدَى قَائِدٍ إِلَى مَا تُحِبُّ . وَلَكِنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ . (قَالَ الْمُهْدِيُّ):
لَقَدْ قُلْتُ قَوْلًا بَدِيعًا . وَخَالَفْتُ بِهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيعًا . وَالْمَرْءُ مُؤْمِنٌ
بِمَا قَالَ وَظَنِينَ بِمَا ادَّعَى حَتَّى يَأْتِيَ بَيْتَهُ عَادِلَةٌ وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ فَأَخْرَجَ عَمَّا
قُلْتُ . (قَالَ هَارُونُ): أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَالْإِعْجَامُ
قَوْمٌ مَكْرَةٌ . وَرَبَّمَا اعْتَدَلَتْ الْحَالُ بِهِمْ وَاتَّفَقَتِ الْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ . فَكَانَ
بَاطِنُ مَا يُسِرُّونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُعْلِنُونَ . وَرَبَّمَا افْتَرَقَتِ الْحَالَانِ وَخَالَفَ

أَلْقَبُ اللِّسَانِ فَانْطَوَى الْقَلْبُ عَلَى مَحْجُوءَةٍ ثُبُنُ . وَاسْتَسَرَّ بِمَدْخُولَةٍ
لَا تَعْلَنُ . وَالطَّيِّبُ الرَّفِيقُ بِطِبِّهِ الْبَصِيرُ بِأَمْرِهِ الْعَالِمُ بِمَقْدَمِ يَدِهِ
وَمَوْضِعِ مِيسَمِهِ لَا يَتَعَجَّلُ بِالْذَّوَاءِ حَتَّى يَقَعَ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . فَالرَّأْيُ
لِلْمُهْدِيِّ وَفَقَهُ اللَّهُ أَنْ يَفِرَّ بَاطِنُ أَمْرِهِمْ فَرَّ الْمُسْنَةَ . وَيَخْضُ ظَاهِرُ
حَالِهِمْ فَخَضَّ السَّقَاءُ بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ وَمُؤَالَاةِ الْعُيُونِ
حَتَّى تَهْتِكَ حُجُبَ عُيُونِهِمْ وَتَكْشِفَ أَغْطِيَةَ أُمُورِهِمْ . فَإِنْ أَنْفَرَجَتْ
أَحَالُ وَأَفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتْ
الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ وَأَنْقَادَ الرِّجَالِ إِلَيْهِ . وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِيَدَيْنِ
يَعْتَقِدُونَهُ وَإِثْمٌ يَسْتَحْلُونَهُ عَصَبُهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا وَرَمَاهُمْ بِعُقُوبَةٍ
لَا عَفْوَ مَعَهَا . وَإِنْ أَنْفَرَجَتْ الْعُيُونُ وَاهْتَصَرَّتِ السُّتُورُ وَرَفَعَتْ
الْحُجُبُ وَأَحَالُ فِيهِمْ مَرِيعَةٌ وَالْأُمُورُ فِيهِمْ مُعْتَدِلَةٌ فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا
وَأَعْمَالٍ يُكْرَهُنَهَا وَظُلَامَاتٍ يَدْعُونَهَا وَحُقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا بِمَاتَةٍ
سَابِقَتِهِمْ وَدَالَةٍ مُنَاصَحَتِهِمْ فَالرَّأْيُ لِلْمُهْدِيِّ وَفَقَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَسَّعَ لَهُمْ
بِمَا طَلَبُوا وَيَتَجَانَفَى لَهُمْ عَمَّا كَرَهُوا وَيَشْعَبَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا
وَيَرْثَقَ مِنْ فَنَقِهِمْ مَا قَطَعُوا . وَيُؤَلِّي عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا وَيُدَاوِي بِذَلِكَ
مَرَضَ قُلُوبِهِمْ وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ . فَإِنَّمَا الْمُهْدِيُّ وَأُمَّتُهُ وَسَوَادُ أَهْلِ
تَمْلِكِهِ بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّبِ الرَّفِيقِ وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ وَالرَّاعِي الْجَرَبِ الَّذِي
يَحْتَالُ لِمَرِّ ابْنِ غَنَمِهِ وَضَوَالِ رِعْيَتِهِ حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا .
وَيُرَدِّدُ الصَّخِيحَةَ إِلَى أُنْسِ حِمَاةِهَا . ثُمَّ إِنَّ خُرَاسَانَ بِخَاصَّةِ الدِّينِ لَهُمْ

دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ وَمَا تَهْ مُقْبُولَةٌ وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَحُفُوقٌ وَاجِبَةٌ . لِأَنَّهُمْ
أَيَّدِي دَوْلَتِهِ وَسُيُوفُ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارُ حَقِّهِ وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ . فَلَيْسَ مِنْ
شَأْنِ الْمُهْدِيِّ الْأَضْطَغَانُ عَلَيْهِمْ وَلَا الْمُواخَذَةُ لَهُمْ وَلَا التَّوَعُّرُ بِهِمْ وَلَا
الْمُكَافَأَةُ بِإِسَاءَتِهِمْ . لِأَنَّ مُبَادَرَةَ حَسَمِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ
تَقْوَى وَمَحَاوَلَةٌ قَطَعَ الْأَصُولُ ضَيْلَةً قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ أَخْزَمُ فِي الرَّأْيِ
وَأَصَحُّ فِي التَّدْبِيرِ مِنَ التَّأْخِيرِ لَهَا وَالتَّهْلُؤِ بِهَا . حَتَّى يَلْتَمِ قَلِيلُهَا
بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا فِي جُمْهُورِهَا . (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : مَا زَالَ
هَارُونُ يَقَعُ وَقَعَ الْحَيَا حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ الْقَدَحِ مِنَ الْمَاءِ . قَالَ وَانْسَلَّ
أَنْسَالُ السِّيفِ فِيمَا أَدْعَى قَدَعُوا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّأْيُ .
وَتَنَى بَعْدَهُ هَارُونُ وَلَكِنْ مِنْ لَأَغْنَةِ الْخَيْلِ وَسِيَاسَةِ الْحَرْبِ وَقَادَةِ
النَّاسِ إِنْ أَمَعَنَ بِهِمُ اللَّجَاجُ وَأَفْرَطَتْ بِهِمُ الدَّالَّةُ . (قَالَ صَالِحٌ) :
لَسْنَا نَبْلُغُ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ بِدَوَامِ الْبَحْثِ وَطُولِ الْفِكْرِ أَذْنَى فِرَاسَةٍ رَأَيْكَ
وَبَعْضَ لَحْظَاتِ نَظْرِكَ . وَلَيْسَ يَنْقُصُ عَنْكَ مِنْ يُوتَاتِ الْعَرَبِ
وَرِجَالَاتِ الْعَجَمِ ذُو دِينَ فَاضِلٍ وَرَأْيِ كَامِلٍ وَتَدْبِيرِ قَوِيٍّ . تُقَلِّدُهُ
حَرْبَكَ وَتَسْتَوْدِعُهُ جُنْدَكَ . مِمَّنْ يَحْتَمِلُ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلِعُ
بِالْأَعْيَاءِ الثَّقِيلَةِ . وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَمِيُونُ النِّقِيَةِ مُبَارَكُ الْعَزِيمَةِ مُخْبِرُ
التَّجَارِبِ مُحْمُودُ الْعَوَاقِبِ مَقْصُومُ الْعَزَمِ . فَلَيْسَ يَقَعُ اخْتِيَارُكَ وَلَا
يَقِفُ نَظْرُكَ عَلَى أَحَدٍ ثَوَّلِيهِ أَمْرَكَ وَتُسْنِدُ إِلَيْهِ نَعْرَكَ إِلَّا أَرَاكَ اللَّهُ
مَا نَحَبُ وَجَمَعَ لَكَ مِنْهُ مَا تُرِيدُ

(قَالَ الْمَهْدِيُّ): إِنِّي لَا زُجُو ذَٰلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ اللَّهِ فِيهِ وَحُسْنِ
مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ أَحِبُّ الْمَوَافَقَةَ عَلَى الرَّأْيِ وَالْإِعْتِبَارَ لِلْمَشَاوَرَةِ فِي
الْأَمْرِ الْمُهْمِّ. (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْيَتِّ): أَهْلُ خُرَّاسَانَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ قَوْمٌ
ذَوُو عِزَّةٍ وَمَنْعَةٍ وَشَيَاطِينُ خَدَعَةٍ. زُرُوعُ الْحِمِيَّةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ. وَمَلَأْسُ
الْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ. فَالرُّؤْيَةُ عَنْهُمْ عَازِبَةٌ وَالْعَجَلَةُ عَنْهُمْ حَاضِرَةٌ.
تَسْبِقُ سِيُولَهُمْ مَطَرُهُمْ وَسِيُولُهُمْ عَذْلُهُمْ. لِأَنَّهُمْ بَيْنَ سَفَلَةٍ لَا تَعْدُو
مَبْلَغَ عَفْوِهِمْ وَمَنْظَرِ عِيُونِهِمْ. (وَبَيْنَ) رُؤْسَاءٍ لَا يَلْجَأُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا
يُفْطَمُونَ إِلَّا بِالْمَرِّ. وَإِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ وَضِعَاعًا لَمْ تَقْدَلْهُ الْعُظَمَاءُ.
وَإِنْ وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيْفًا تَحَامَلُ عَلَى الضُّعْفَاءِ. وَإِنْ أَخَّرَ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ
وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَسْمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ
بَنِي أَبِيهِ نَاصِحًا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أَمْلَاؤُهُمْ بِلَا أَنْفَةٍ
تَلْزَمُهُمْ وَلَا حِمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ وَلَا مُصِيبَةٍ تُقْرِهُهُمْ تَقَفَّتِ الْأَيَّامُ بِهِمْ
وَتَرَاخَتْ أَحْالُ بِأَمْرِهِمْ. فَدَخَلَ بِذَٰلِكَ مِنَ الْقِسَادِ الْكَبِيرِ وَالضَّيَاعِ
الْعَظِيمِ مَا لَا يَتَلَفَاهُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ وَجَدَ. وَلَا يَسْتَصْلِيهِ
وَإِنْ جَهَدَ. إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ وَشَرٍّ كَبِيرٍ. وَلَيْسَ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللَّهُ
فَاطِمًا عَادَاتِهِمْ. وَلَا قَارِعًا صِفَاتِهِمْ. بِمَثَلِ أَحَدٍ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لهُمَا وَلَا
عَدْلَ فِي ذَٰلِكَ بَيْنَهُمَا. أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مُوَصَّلٌ بِسَمْعِكَ وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ
بِعَيْنِكَ. وَصَخْرَةٌ لَا تُعْزَعُ وَبَيْسَمَةٌ لَا تُثْنَى وَبَازِلٌ لَا يُفْزَعُ صَوْتُ
الْحَجَلِ. نَقِيَّ الْعَرَضِ زَيَّةُ النَّفْسِ جَلِيلُ الْخَطَرِ قَدْ اتَّضَعَتِ الدُّنْيَا عَنْ

قَدْرِهِ وَسَمَاتُحُوا الْآخِرَةَ بِهَيْمَتِهِ . فَجَعَلَ الْغَرَضَ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا
 وَالْغَرَضَ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ مُوْطِنًا . فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا . وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا .
 وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ . وَأَنْصَحُ بِنِي أَبِيكَ . رَجُلٌ قَدْ غَذِيَ بِلَطِيفِ
 كَرَمَتِكَ . وَنَبَتَ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ . وَنَشَأَ عَلَى قَوَائِمِ أَدَبِكَ . فَإِنْ
 قَلَدَتْهُ أَمْرُهُمْ وَحَمَلَتْهُ نِقَلُهُمْ وَأَسْنَدَتْ إِلَيْهِ ثَعْرَهُمْ كَانَ قَفْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ
 وَبَابًا أَعْلَقَهُ نَهْيُكَ . فَجَعَلَ الْعَدْلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَمِيرًا وَالْإِنْصَافَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا . وَإِذَا أَحْكَمَ الْمُنْصَفَةَ وَسَلَكَ الْمَعْدَلَةَ فَأَعْطَاهُمْ مَا لَهُمْ
 وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ غَرَسَ فِي الَّذِي لَكَ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ
 لَكَ فِي السُّوَيْدَاءِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ طَاعَةً رَاسِخَةً الْعُرُوقِ بَاسِطَةً الْفُرُوعِ
 مُتَمَاتِلَةً فِي حَوَاشِي عَوَامِهِمْ مُتَمَكِّنَةً فِي قُلُوبِ خَوَاصِهِمْ . فَلَا يَبْقَى
 فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا قُوَّةٌ . وَلَا يَلْزَمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا آدَوُهُ . وَهَذَا أَحَدُهُمَا .
 وَالْآخَرُ عَوْدٌ مِنْ غِيَضَتِكَ وَنَبْعَةٌ مِنْ أَرْوَمَتِكَ فِي السَّنِّ كَهْلُ الْحِلْمِ
 رَاجِحُ الْعَقْلِ مَحْمُودُ الصَّرَامَةِ مَأْمُونُ الْخِلَافِ يُجَرِّدُ فِيهِمْ سَيْفَهُ وَيَبْسُطُ
 عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ . وَهُوَ فُلَانُ
 أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ فَسَلْطَنُهُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَجْهَهُ بِالْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ . وَلَا
 تَمْنَعُكَ ضَرَاةُ سِنِّهِ وَحِدَاثَةُ مَوْلِدِهِ فَإِنَّ الْحِلْمَ وَالثِّقَّةَ مَعَ الْحِدَاثَةِ خَيْرُ
 مِنَ الشُّكِّ وَالْجَهْلِ مَعَ الْكُهُولَةِ . وَإِنَّمَا أَحَدَانِكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ فَيَا طَبْعَكُمْ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَخْتَصَّكُمْ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْأَعْمَالِ وَمَحَاسِنِ
 الْأُمُورِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ الْأَنْفُسِ كَفَرَاخِ عَنَاقِ الطَّيْرِ

أَلْمَحْكَمَةَ لِأَخْذِ الصِّدِّ بِلَا تَذْرِيبٍ . وَالْعَارِفَةَ لَوُجُوهِ النِّفَعِ بِلَا تَأْدِيبٍ .
فَالْحِلْمَ وَالْعِلْمَ وَالْعَزْمَ وَالْحَزْمَ وَالْجُودَ وَالْتُّودَةَ وَالرِّفْقَ ثَابِتٌ فِي
صُدُورِكُمْ مَزْرُوعٌ فِي قُلُوبِكُمْ مُسْتَحْكَمٌ لَكُمْ مُتَكَامِلٌ عِنْدَكُمْ بِطَائِعِ
لَا زِمَةٍ وَغَرَائِزِ نَابِتَةٍ . (قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) : إِفْتَاءُ أَهْلِ بَيْتِكَ
أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذَكَرَ . وَأَهْلُ خُرَّاسَانَ فِي حَالِ عِزٍّ عَلَى مَا
وَصِفَ . وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمُهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي
الْجُنُودِ وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ . وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ وَلَا
بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجُيُوشِ وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ . دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ
عَظِيمَانِ وَخَطَرَانِ مُهْلَوَانِ . أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَغْتَمِرُونَ مِنْهَا مِنْهُ
وَيَحْتَرِقُونَ مِنْهَا فِيهِ . وَيَجْتَرِبُونَ بِهَا عَلَيْهِ فِي النُّهُوضِ بِهِ وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ وَالْخِلَافِ
عَلَيْهِ . قَبْلَ مَا حِينَ الْأَخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ وَالتَّكْشُفِ لِحَالِهِ وَالْعِلْمِ بِطَبْعِهِ .
وَالْأَمْرِ الْآخَرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ وَالْجُنُودَ الَّتِي يَسُوسُ إِذَا لَمْ
يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالتَّجْدَةَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ وَالْهَيْبَةِ انْكَسَرَتْ
تَجَاعَتُهُمْ وَمَاتَتْ تَحَدُّتُهُمْ وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ إِلَى حِينَ اخْتِبَارِهِمْ
وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ . قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ . وَبِبَابِ الْمُهْدِيِّ
وَفَقَهُ اللَّهُ رَجُلٌ هَيِّبٌ نَبِيهٌ خَبِيكٌ صَيِّتٌ . لَهُ نَسَبٌ زَالٌ وَصَوْتُ عَالٍ .
قَدْ قَادَ الْجُيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ . وَتَأَلَّفَ أَهْلُ خُرَّاسَانَ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ
بِالْمَقَّةِ . وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثَّقَةِ . فَلَوْ وَلَّاهُ الْمُهْدِيُّ أَمْرَهُمْ لَكَفَّاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ
(قَالَ الْمُهْدِيُّ) : جَانِبَتْ قَبْصَدَ الرِّمِيَةِ وَأَبَيْتَ إِلَّا عَصِيَّةً . إِذْ

رَأَيْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا كَرَأَيْ عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا . وَلَكِنْ أَيْنَ
تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ . (قَالُوا) : لَمْ يَنْعِنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَيْبَةً جَدَّةً .
وَتَسِيحَ وَحْدِهِ . وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ . بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَذْنَى فَضْلِهِ .
وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ وَسَتَرَ مِنْ دُونِ عِبَادِهِ عِلْمَ
مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ حَوَادِثِ الْأُمُورِ
وَرَيْبِ الْمُنُونِ الْمُخْتَرَمَةِ لِحَوَالِي الْقُرُونِ وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ . فَكَرِهْنَا
شِسْوعَهُ عَنْ مَحَلَّةِ الْمُلْكِ وَدَارِ السُّلْطَانِ وَمَقَرِّ الْإِمَامَةِ وَالْوَلَايَةِ .
وَمَوْضِعِ الْمَدَانِ وَالْخَزَائِنِ وَمُسْتَقَرِّ الْجُنُودِ وَمَعْدِنِ الْجُودِ . وَتَجْمَعُ الْأَمْوَالُ
الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِدَارِ الْمُلْكِ وَمَصِيدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ . وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ
الطَّمَعِ وَثَوَارِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدْعِ وَفُرْسَانَ الضَّلَالِ وَأَبْنَاءَ الْمَوْتِ .
وَقُلْنَا : إِنْ وَجَّهَ الْمُهْدِيُّ وَلِيَّ عَهْدِهِ فَحَدَّثَ فِي جُيُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ
حَدَّثَ بِجُنُودِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُهْدِيُّ أَنْ يُعْهِمَهُمْ بَعْدَهُ إِلَّا
أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ . وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ إِنْ تَنَقَّسَتْ
الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ . وَاسْتَدَارَتْ الْحَالُ بِإِمَامِهِ . حَتَّى يَقَعَ عَوْضٌ لَا يُسْتَعْنَى
عَنْهُ أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ . صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلُ
خَطَرًا لَهُ تَبَاعُوبُهُ مُتَّصِلًا . (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : الْخُطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ
إِلَيْهِ . وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ . نَحْنُ أَهْلُ الْآيَةِ نَجْرِي مِنْ
أَسْبَابِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ عَلَى سَابِقِ مِنَ الْعِلْمِ وَتَحْتِشُومُ مِنَ
الْأَمْرِ . وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِاجْتِمَاعِهِ إِلَيْنَا وَتَكَامُلِ بَحْدَائِهِ عِنْدَنَا . فِيهِ

نَذِرْ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ . إِنَّهُ لَا بُدَّ لِيَّ بِعَهْدِي (وَوَلِيَّ عَهْدِي عَقْبِي
بَعْدِي) أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ الْبُعُوثُ وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ . أَمَّا
الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ وَيَعْمَلُ فِيهِمْ حِيلَهُ . ثُمَّ يُخْرِجُ لَشِطَاءِ إِلَيْهِمْ
حَقًّا عَلَيْهِمْ يُرِيدُ أَنْ لَا يَدَعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدَعِ
وَفِرْسَانِ الضَّلَالِ إِلَّا تَوَطَّاهُ بِحَرِّ الْقَتْلِ وَالْبَسَةِ قِنَاعِ الْقَهْرِ وَقَلْدَهُ
عُلُوقِ الدَّلِّ . وَلَا أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ عَمَلُوا فِي قِصِّ جَنَاحِ الْفِتْنَةِ وَإِحْمَادِ
نَارِ الْبِدْعَةِ وَنُصْرَةِ وِلَاةِ الْحَقِّ إِلَّا أَجْرَى عَلَيْهِمْ دِيمَ فَضْلِهِ وَجَدَاوِلِ
نُصْلِهِ . فَإِذَا خَرَجَ مِنْ مَعَا بِهِ مُجْمَعًا عَلَيْهِ لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَنْ
قَدَّعَمَتْ حِيلَهُ وَكَدَحَتْ كُتْبُهُ وَنَفَذَتْ مَكَابِدُهُ . فَهَدَّاتِ نَافِرَةٌ
الْقُلُوبَ وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْأَهْوَاءِ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ انْتَحَتِفُونَ بِالرِّضَا .
فَيَمِيلُ نَظْرًا لَهُمْ وَرَأَاهُمْ وَتَعَطَّفَا عَلَيْهِمْ إِلَى عَدُوٍّ قَدْ أَخَافَ سَيْلَهُمْ
وَقَطَعَ طَرِيقَهُمْ وَمَنَعَ حُجَّاجَهُمْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ وَسَلَبَ تِجَارَهُمْ رِزْقَ اللَّهِ
الْحَلَالَ . وَأَمَّا الْآخِرُ فَإِنَّهُ يُوجِّهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ يُعْتَقِدُ لَهُ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَاءِ
مَا يَطْلُبُونَ وَبَدَلِ مَا يَسْأَلُونَ . فَإِذَا سَمَحَتْ الْفِرْقُ بِقِرَابَتِهَا لَهُ وَجَنَحَ
أَهْلُ النَّوَاجِي بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَهُ فَأَضَعَتْ إِلَيْهِ الْأَفْنَدَةَ وَاجْتَمَعَتْ لَهُ
الْكَلِمَةُ وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ قَصْدَ لِأَوَّلِ نَاحِيَةٍ بَحَثَ بِطَاعَتِهَا وَأَلْقَتْ
بِأَرْمَتِهَا فَأَلْبَسَهَا جَنَاحَ نِعْمَتِهِ وَأَنْزَلَهَا ظِلَّ كَرَامَتِهِ وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ جَبَابَتِهِ .
ثُمَّ عَمَّ الْجَمَاعَةَ بِالْمُعْدَلَةِ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ نَاحِيَةٌ
دَانِيَةٌ وَلَا فِرْقَةٌ قَاصِيَةٌ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَرَكَتُهُ . وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا مَنَفَعَتُهُ .

فَأَغْنَى فَقِيرَهَا . وَجَبَرَ كَسِيرَهَا . وَرَفَعَ وَضِعَهَا . وَزَادَ رَفِيعَهَا مَا خَلَا تَا حَيْتَيْنِ
 نَاحِيَةً يَغْلِبُ عَلَيْهَا الشَّقَاءُ وَتَسْتَمِيلُهُمُ الْأَهْوَاءُ فَلْتَسْتَحْفُ بِدَعْوَتِهِ وَتُبْطِئُ
 عَنْ إِبْجَابَتِهِ وَتَتَأَقَلُّ عَنْ حَقِّهِ فَتَكُونُ آخِرَ مَنْ يَبْعَثُ وَأَبْطَأَ مَنْ يُوَجِّهُ .
 فَيَضْطَلِي عَلَيْهَا مَوْجِدَةٌ وَيَبْتَنِي لَهَا عِلَّةٌ . لَا يَلْبِثُ أَنْ يَجِدَ بِحَقِّ يَزِمُهُمْ
 وَأَمْرٍ يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَتَسْتَلْجِمُهُمُ الْحَيُوشُ وَتَأْكُلُهُمُ السُّيُوفُ وَتَسْتَحْرِ بِهِمْ
 الْقَتْلُ وَيَحِيطُ بِهِمُ الْأَسْرُ وَيُفْنِيهِمُ التَّبَعُ . حَتَّى يُخْرِبَ الْبِلَادَ وَيُوتِمَ
 الْأَوْلَادَ وَنَاحِيَةً لَا يَنْسُطُ لَهُمْ أَمَانًا وَلَا يَقْبَلُ لَهُمْ عَهْدًا وَلَا يَجْعَلُ لَهُمْ ذِمَّةً .
 لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْفُرْقَةِ وَتَدْرَعُ حِلَابَ الْفِتْنَةِ وَرَبَضَ فِي شِقِّ
 الْعَصَا . وَلَكِنَّهُ يَقْبَلُ أَعْلَامَهُمْ وَيَأْسِرُ قَوَادِهِمْ . وَيَطْلُبُ هَرَابَهُمْ فِي
 حُلُجِّ الْجِبَالِ وَقَلَلِ الْجِبَالِ وَخَمَلِ الْأَوْدِيَةِ وَبُطُونِ الْأَرْضِ تَقْثِيلًا
 وَتَغْلِيلًا وَتَكْيِيلًا حَتَّى يَدْعَ الدِّيَارَ خَرَابًا وَالنِّسَاءَ أَيَامَى . وَهَذَا أَمْرٌ لَا
 نَعْرِفُ لَهُ فِي كُنْهِنَا وَقَتْنَا وَلَا نَصْخِ مِنْهُ غَيْرَ مَا قُلْنَا تَفْسِيرًا . وَأَمَّا مُوسَى
 وَلِيَّ عَهْدِي فَهَذَا أَوَانُ تَوَجُّهِهِ إِلَى خُرَاسَانَ وَحُلُولِهِ بِجُرْجَانَ . وَمَا
 قَضَى اللَّهُ مِنَ الشُّخُوصِ إِلَيْهَا وَالْمَقَامِ فِيهَا خَيْرٌ لِمُسْلِمِينَ مَغَبَّةً وَلَهُ
 بِإِذْنِ اللَّهِ عَاقِبَةٌ مِنَ الْمَقَامِ . بِحَيْثُ يُغَمَّرُ فِي حُلُجِّ بُحُورِنَا وَمَدَافِعِ
 سِيُولِنَا وَجَمَاعِ أَمْوَاجِنَا . فَيَتَصَاغَرُ عَظِيمُ فَضْلِهِ وَيَتَذَابُ مَشْرِقُ نُورِهِ
 وَيَقْتَلُ كَثِيرٌ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْهُ . فَمَنْ يَصْحَبُهُ مِنَ الْوُرَرَاءِ وَيُخْتَارُهُ مِنَ
 النَّاسِ . (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْكَلْبِيِّ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ وَلِيَّ عَهْدِكَ أَصْبَحَ
 لِأَمَتِكَ وَأَهْلِ مِلَّتِكَ عَلَمًا قَدْ ثَلَّثَتْ لِحْوَهُ أَعْنَاقُهَا وَمَدَّتْ سَمْتَهُ أَبْصَارُهَا .

وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جَوَارِهِ لَكَ عَطَلٌ أَحَالَ غُفْلَ الْأَمْرِ
وَاسِعَ الْعُذْرِ . فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى تَذْيِيرِهِ
فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَامَّةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ .
وَتَسْأَلَ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بَرِّهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَلَتِهِ
وَتَذْيِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَوُزَارِيهِ وَأَصْحَابِيهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سِيقَ إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ
الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدَّهَا اسْتِمَالَةً
لِرَأْيِهِمْ وَعَطْفًا لِأَهْوَائِهِمْ . فَلَا يَعْلَمُ الْمُهْدِيُّ وَفَقَهُ اللَّهُ نَاطِرًا لَهُ فِيمَا
يُقَوِّي عُمْدَ مَمْلَكَتِهِ وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وَلَايَتِهِ وَيَسْتَجْمِعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرِ
هُوَ أَزِينُ حَالِهِ وَأَظْهَرُ لِحَالِهِ . وَأَفْضَلُ مَغَبَّةٍ لِأَمْرِهِ وَأَجَلُ مَوْقَعًا فِي
قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نُفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ
بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَابْتِلَاجِ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ مِنْ مَرْحَمَةٍ
تُظْهِرُ مِنْ فِعْلِهِ وَمَعْدَلَةٍ تَنْشُرُ عَنْ أَثَرِهِ وَمَحَبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ . وَأَنْ يَخْتَارَ
الْمُهْدِيُّ وَفَقَهُ اللَّهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ وَفَقَهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ
أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَأْنَسُ الرِّعْيَةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا .
ثُمَّ تَسْهَلُ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَتَفْتَحُ بَابُ الْمَعْرُوفِ كَمَا قَدْ كَانَ
فَتْحُ لَهُ وَسَهْلٌ عَلَيْهِ

(قَالَ الْمُهْدِيُّ) : صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ ثُمَّ بَعَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى
فَقَالَ : أَيُّ بَنِي إِبْنِكَ قَدْ أَصْبَحَتْ لِسَمَتِ وَجْهِهِ الْعَامَّةُ نُصْبًا وَلِسَمَتِي
أَعْطَافِ الرِّعْيَةِ غَايَةً . فَحَسَنَتْكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتْكَ نَائِيَةٌ وَأَمْرُكَ

ظَاهِرٌ . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا وَلَا
تَطْبُ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهِمَا . فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافِيكَ مِنْ أَسْخَطِهِ
عَلَيْكَ إِثَارَكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارَكَ رِضَا
مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةً مِنْ رُسُلِهِ وَبِقَايَا
مِنْ صِفْوَةِ خَلْقِهِ وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ يُجَدِّدُ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ
وَيُشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ . وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَائِهِ أَنْصَارًا وَعَلَى
إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا يَسُدُّونَ الْحُلُلَ وَيُقِيمُونَ الْمِائِلَ وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ
الْفُسَادَ . وَإِنْ أَهْلُ خُرَّاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا
الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ بِطَاعَتِهِمْ وَنَسْتَصْرِفُ زُلُومَ الْعِظَائِمِ
بِمَنَاصِحَتِهِمْ . وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِغَزَائِمِهِمْ وَنُرَاحِمُ زُكْنَ الدَّهْرِ
بِبَصَائِرِهِمْ . فَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أُرْجِفَتْ كُنُفُهَا خَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا
أَبْرَزَتْ صَفْحَتَهَا وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا . قَدْ مَضَتْ
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ أَخْبَدَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ وَقَصَمَتْ
دَوَاعِيَ الْبِدَعِ وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ . وَلَمْ يَنْفِكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا
مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا الَّتِي
أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعْفَتَهُمْ . وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ
الْأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ الذِّلِّ وَقِتَاعِ الْخَوْفِ
وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ وَمُخَالَفَةِ الْأَسَى وَجُهْدِ الْبَأْسِ وَالضَّرِّ . فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ
لِبَاسُ كَرَمَتِكَ وَأَنْزِلُهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ . ثُمَّ أَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ

طَاعَتِهِمْ وَوَسِيلَةَ دَأْتِهِمْ وَمَأْتَةَ سَابِقَتِهِمْ وَحُرْمَةَ مُنَاصَحَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ
إِلَيْهِمْ وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ وَالْإِثَابَةِ لِحُسْنِهِمْ وَالْإِقَالَةَ لِسَيِّئِهِمْ . أَيُّ بَنِي
ثُمَّ عَلَيْكَ أَلْعَامَةُ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا
بِالْإِنْصَافِ لَهَا . وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِي كُلِّ بَلَدٍ
وَحِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تَوَلَّيَ أَمْرَهُمْ وَتَجْعَلَ
الْعَدْلَ حَاجِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ . فَإِنْ أَحْسَنَ مُجِدَّتْ وَإِنْ أَسَاءَ عُذِرَتْ .
وَلَا يَنْفَكَنَّ فِي ظِلِّ كَرَامَتِكَ نَازِلًا وَبَعْرَى حَبْلِكَ مُتَعَلِّقًا رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا
كَرِيمَةٌ مِنْ كَرَامَتِ رِجَالِ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُ يُبَوِّتَاتِ الشَّرَفِ لَهُ أَدَبٌ
فَاضِلٌ وَحِلْمٌ رَاجِحٌ وَدِينٌ صَحِيحٌ . وَالْآخَرُ لَهُ دِينَ غَيْرُ مَعْمُورٍ وَمَوْضِعٌ
غَيْرُ مَدْخُولٍ بِصِيرُ بَقْلِيْبِ الْكَلَامِ وَتَصْرِيفُ الرَّأْيِ وَأَنْمَاءُ الْعَرَبِ
وَوَضْعُ الْكُتُبِ عَالِمُ بِحَالَاتِ الْحُرُوبِ وَتَصَارِيفِ الْخُطُوبِ . يَضَعُ آدَابًا
نَافِعَةً وَأَثَارًا بَاقِيَةً مِنْ مَحَاسِنِكَ وَتَحْصِينَ أَمْرِكَ وَتَحْلِيَةَ ذِكْرِكَ .
فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ وَتُدْخِلُهُ فِي أَمْرِكَ . فَرَجُلٌ أَصْبَتْهُ كَذَلِكَ فَهُوَ
يَأْوِي إِلَى مَحَلَّتِي وَيَدْعِي فِي خُضْرَةِ جَنَانِي . وَلَا تَدْعُ أَنْ تَخْتَارَكَ مِنْ
فُقَهَاءِ الْبُلْدَانِ وَخِيَارِ الْأَمْصَارِ أَقْوَامًا يَكُونُونَ حَيْرَانَكَ وَسَمَارَكَ
وَأَهْلَ مُشَاوَرَتِكَ فِيمَا تُوَرِّدُ وَأَصْحَابَ مُنَاطَرَتِكَ فِيمَا تُصَدِّرُ . فَسِرْ عَلَى
بَرَكَاتِ اللَّهِ أَصْحَابِكَ اللَّهُ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ دَلِيلًا يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
قَلْبَكَ وَهَادِيًا يُنْطِقُ بِالْخَيْرِ لِسَانَكَ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

الباب الرابع في المقامات

محنة من مقامات ابن الوردي

المقامة الانطاكية

٤٦ حَدَّثَ إِنْسَانٌ . مِنْ مَعْرِةِ النُّعْمَانِ . قَالَ : كَثِيرًا مَا كُنْتُ
أَسْمَعُ بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ . الثَّنَاءَ عَلَى نَزِهِ أَنْطَاكِيَّةَ . وَأَنَّهَا قَطْعُ لِمَنْ لَمْ يَصِلْهَا .
وَخُرُوجُ لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا . وَلَقَرَطِ ثَنَائِهِ عَلَيْهَا . تَجَهَّزْتُ لِلْمَسِيرِ إِلَيْهَا .
فَلَمَّا دَخَلْتُهَا . وَشَاهَدْتُهَا وَتَأَمَّلْتُهَا . أَكْبَرْتُ طَوْلَهَا وَطَوْلَهَا . وَعَجِبْتُ
لِحَصَاتِهَا وَالْعَاصِي دَائِرَ حَوْلَهَا . فَأَتَيْتُ مِنْ بَدَايَتِهَا . إِلَى دَارِ
وَلَايَتِهَا . فَوَجَدْتُ وَالِي الْمَدِينَةِ . شَابًا ذَا سَكِينَةٍ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ .
وَأَجْلَسَنِي إِلَيْهِ . أَخَذَ فِي مُوَالَسَتِي . وَأَظْهَرَ الْإِبْتِهَاجَ بِعِجَالَتِي .
فَقَبَضَتْهُ بِحَسَنِ زِينَتِهِ . وَطِيبِ مَدِينَتِهِ . فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ . وَتَرَنَّمَ مُنْشِدًا :
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ صَدُوقٍ أُلُوْدَ تَحْسَبُهُ فِي رَاحَةٍ وَلَدَيْهِ أَلْهَمُ وَالْكَمْدُ
لَا تَغِيْطُنَ بَنِي الدُّنْيَا بِنِعْمَتِهِمْ فَرَاخَةَ الْقَلْبِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَحَدُ
قُلْتُ : لِلَّهِ دَرُفَصَاتُكَ . مَا السَّبَبُ فِي عَدَمِ رَاحَتِكَ . قَالَ :
لَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بَيْنَ عَرَبٍ وَرُومٍ . وَأَنَا مَعَهُمْ فِي الْحَيِّ
الْقِيُومِ . لَا أُطِيقُ فِيهِمْ قَرَارًا . لَوْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا .
وَمَنْ يَطِيقُ الْجَمْعَ بَيْنَ الصِّدِّيقِ . أَمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مُوَالَاةِ نَذِيرِ .
وَكَيْفَ يَظْفَرُ سَاكِنُ أَنْطَاكِيَّةَ بِنِيلِ أَرْبٍ . وَقَدْ حَنَيْتُ أَضْلَعُ الْعَجَمِ

عَلَى بُغْضِ الْعَرَبِ . كَمْ أَجِدُ وَيَلْعَبُونَ . وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ :
 مِنْ كُلِّ فَظٍّ أَعْجَبِي غَثَّ الْكَلَامِ مَذْمُومِ
 إِنْ نَبَّهَتْهُ مَرْوَةٌ فَتَقُولُ عُجْمَتُهُ نَمِ

قُلْتُ : قَصَّرَ عَنْ خَطَاكَ خُطَاكَ . وَاشْكُرْ مِنْ أَنْطَاكَ أَنْطَاكَ .
 فَسُورُهَا مَنِيْعٌ . وَعَاصِيهَا مُطِيْعٌ . وَأَطْيَارُهَا تَحْنُ إِلَى نَعْمَاتِهَا الْجَوَارِحُ .
 وَأَنْهَارُهَا مَطْرَدَةٌ . وَعَيْونُهَا سَوَارِحُ . وَتَسْمِيهَا يُبْطِلُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ
 السَّحِيْقِ . وَسَاكِنُهَا يُزْهِى عَلَى الْغَضَنِ الْوَرِيقِ . يَصْدَأُ بِهَوَانِهَا السِّلَاحُ .
 وَتُجَلَّى بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَرْوَاحُ . بِرِيَّةٍ بَحْرِيَّةٍ . سَهْلِيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ :

مُتَكَامِلٌ فِيهَا السُّرُورُ لِمَنْ فِيهَا يَوْمًا أَقَامَ كَمَا تَكَامَلَ سُورُهَا
 وَخَلَّتْ قُلُوبُ قُصُورِهَا فَاسْتَضْحَكَتْ إِذْ عَاشَ شَاكِرُهَا وَمَاتَ كَفُورُهَا
 مَنْ حَلَّ فِيهَا نَالَ وَصَلَ حَبِيْبَهَا وَشَفَى كَلِمَ الرُّوحِ مِنْهُ طُورُهَا
 مَا تِلْكَ إِلَّا جَنَّةُ الدُّنْيَا وَهَا وَلَدَانَهَا حُلِيْتُ عَلَيْكَ وَحُورُهَا
 فَمُضِيَّةٌ وَسَنِيَّةٌ وَنَدِيَّةٌ أَرْجَاؤُهَا وَرِيَاضُهَا وَقُصُورُهَا
 لَمَّا بَكَى فَقَدْ اْلَهُومُ سَحَابُهَا صَحَكَتْ وَقَدْ عَاشَ السُّرُورُ رُحُورُهَا
 قَالَتْ سَيْوْفٌ وَالسَّيْوْفُ نُهُورُهَا قَدْ أَسْبَلَتْ دُونَ اْلَهُومِ سُتُورُهَا
 جَمَعَتْ فَنُونَ الطَّيْبِ فِي أَفْنَانِهَا وَعَلَا عَلَى الْمِسْكِ الذِّكِّي عَيْرُهَا
 تَصْفِيْقُ عَاصِيَهَا الْمَطِيْعُ مَرْقِصٌ أَغْصَانُهَا لَمَّا شَدَّتْهُ طُيُورُهَا
 فَرُبُّوعُهَا مَخْرُوسَةٌ وَسُفُوحُهَا مَأْنُوسَةٌ لَا يَنْطَوِي مَلْشُورُهَا

فَأَعْجَبَ لِأَرْضِ كَالسَّمَاءِ مُنِيرَةٍ أَضْحَتْ تُضِيءُ شُمُوسَهَا وَبَدُورُهَا
 قَتَبَيْتُمْ وَتَشْتَمُّ أَرْجَاؤُهَا أَرْجَاؤُهَا الْفُضْنُ النَّضِيرُ تَطِيرُهَا
 فَلَمَّا أَتَمَّتْ جَلَاءَ هَذِهِ الْعُرُوسِ وَرَقَمَهَا سَامِعُوهَا عَلَى وَجَنَاتِ
 الطُّرُوسِ. قَالَ الْوَالِي: لَقَدْ زِدَتْ وَصْفَهَا. وَشَخَّتْ عَلَى الْبِلَادِ أَنْفَهَا.
 وَمَا أَنْطَاكِيَّةُ لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ. إِلَّا طَرَفُ سَكَنَتِهِ الْأَطْرَافُ. فَلَوْ
 أَنْكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ. وَأَرْهَقْتَ الْعِدَّةَ لِنَقْصِ الْبَيْعَتَيْنِ. وَأَغْلَقْتَ
 بَابَ الْبَحْرِ. وَجَسَرْتَ عَلَى قَطْعِ الْجِسْرِ. وَسَوَدَتِ الْيَضَاءُ. وَأَيَّسَتْ
 الْحَضْرَاءَ. لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا النِّظْمِ الْأَنِيقِ. فِي اسْتِرْقَاقِ هَذَا
 الْبَلَدِ الْعَمِيقِ. وَمَاذَا تَرَكْتَ لِدِمَشْقَ مِنَ الْمَنَّةِ وَالصَّفَةِ. وَقِيلَ إِنَّهَا فِي
 الْأَرْضِ هِيَ الْجَنَّةُ لَقَدْ عَرَفْتَ النِّكْرَةَ وَنَكَّرْتَ الْمَعْرِفَةَ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ
 حَجَلًا. وَأَشَدَّ مَرْتَجَلًا:

مَدَحْتَ أَنْطَاكِيَّةً حَتَّى تَوَارَى عَقْلُهَا
 وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَمَا ذَكَرْتَهُ مَحَلُّهَا
 لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ عَلَا عَلَيْهَا ذُلُّهَا
 فَكَيْفَ لَا أَنْفُضُهَا وَكَيْفَ لَا أَمْلُهَا
 وَعَجْمُهَا أَكْثَرُهَا وَعَرَبِيهَا أَقْلُهَا
 لَوْلَا حَبِيبُ سَاكِنٍ فِيهَا وَلَوْلَا ظِلُّهَا
 لَقُلْتُ مِنْ مَدْنٍ لَظَى لَكِنِّي أَجْلُهَا
 لَكِنِّي أَقُولُ قَوْلَةً لَيْسَ يُرَدُّ عَنْهَا

لَوْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ مَا فَارَقْتُهَا أَهْلَهَا
فَلَمَّا تَمَّ الْوَالِي نِظَامَهُ . ابْتَدَرْتُ مَلَامَهُ . وَقُلْتُ : إِذَا رَغِبْتَ عَنْ
أَنْطَاكِيَّةَ وَأَهْلِهَا . فَمَا وَجْهُ مُقَامِكَ فِيهَا . فَقَالَ : أَلْزَمَنِي أَنْ أُقِيمَ .
مَرْسُومَ كَرِيمٍ . يَمْنَعُ عَمْرِي بِالْعَطَا . وَإِذَا خُولِفَ سَطَا . فَكَيْفَ الْخَلَاصُ .
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . مِنْ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمَاءِ أَرْفَعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ . وَلِعَظُمَ
السَّمَكَةُ فِيهَا قَدْرُ كَبِيرٍ :

فَقُلْتُ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُ مَقَالَهُ وَغَرْتُ لَهَا وَيْلَاهُ مِنْ سُوءِ حَالِهَا
أَلَا طَالَمَا كَانَتْ أَسْرَةً مُلْكِهَا مُكَلَّلَةً بِالذُّرِّ قَبْلَ زَوَالِهَا
وَكَمْ خَفَقَتْ فِيهَا الْبُودُ وَكَمْ حَوَتْ مُلُوكًا تَرَى الْجُوزَاءُ تَحْتَ نِعَالِهَا
مُعْظَمَةٌ فِي الْمَلَّتَيْنِ بِحُسْنِهَا مُكْرَمَةٌ فِي الدَّوْلَتَيْنِ بِمَالِهَا
أَلَمْ تَحْتَرَمْ فِيهَا حَيْبًا زَيْلَهَا وَمَا أَنْتَ لَوْ أَنْصَفْتَنِي مِنْ رِجَالِهَا
وَسَافَرْتَ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَقْتَ مُنْشَدًا وَعَيْنَايَ كُلُّ أَسْعَدَتْ بِسِجَالِهَا
فَقِنَانِكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ لَقَدْ هَزَلْتُ حَتَّى بَدَأَ مِنْ هُزَالِهَا

نخبة من مقامات شهاب الدين الخفاجي

من مقامتي الغربة والمغربة

٤٧ حَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ رِيَّانَ . عَنْ شَقِيقِ بْنِ النُّعْمَانِ . قَالَ : لَمَّا هَزَّتْنِي
أَرْحِيَّةُ الشَّبَابِ . إِلَى اقْتِعَادِ سَنَامِ الْأَرْضِ عَلَى غَارِبِ الْإِغْتِرَابِ .
وَقَدْ أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مَا جَدٍ . يَحْتَنِي جَنَى الْجُدِّ وَتَجْنِي لَهُ ثَمَارُ
الْحَامِدِ . وَتَعَطَّلَتْ مِنْ كَرِيمٍ تَلَفْتُ عَلَيْهِ الْحَافِلُ . وَتَسِيرُ فِي ظِلَالِ

أَعْلَامِهِ الْحَافِلُ . وَتَبَدَّلَتْ بِأَنْسَهَا وَحْشًا . فَلَا تَرَى غَيْرَ جَانِعٍ يَنْجَسًا .
 أَقْسَمْتُ بِبَيْتٍ سَأَلْتُ يَطْحَاهُ أَغْنَاكَ الْمُطَايَا . وَتَمِلُ رُكْبَانُهُ بِكَاسِ
 السُّرَى فِي الْغَدَايَا وَالْعَشَايَا . لَا غَرْبَ نِ غَرْبَةٍ قَارِظِيَّةٍ يَخْتَفِقُ مِنْهَا قَلْبُ
 الْحَافِقِينَ . وَتَدْبُعُ أَدِيمَ الْجَسَدِ عَلَى تَمَرِّ الْجَدِيدِينَ . وَتُثْسِي صَخْرَةَ
 السُّوَالِ عَنْ حُصَيْنٍ . وَتُثْسِي غَطْفَانَ . غَرْبَةَ سِنَانٍ . فَقَالَ لِي خَبِيرُ
 الْأَيَّامِ : أَلْهَجْرَةُ مِنْ سُنَنِ الْكَرَامِ . كَمَا قَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَيْطُ .
 وَقَدْ كُنْتُ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ . إِذَا أَرَادَ اللَّهُ سَعَةَ رِزْقِ عَبْدٍ
 حَبَّ لَهُ الْأَسْفَارُ . فَزَجَرَتْ السَّانِحَ وَالْبَارِحَ . وَالطَّائِرَ الْغَادِي
 وَالرَّائِحَ . حَتَّى رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَنْبَلَجَ . وَمَرَّ بِي طَائِرٌ أَغْرَمَ مِنَ الْبَلَجِ .
 فَمَسَّكَتُ بِذَيْلِ الْحَزْمِ . وَصَمَّمْتُ عَلَى الْعَزْمِ . وَقُلْتُ :

يَقُولُكَ طَه سَافِرُوا تَعْمَلُوا لَقَدْ بَدَّلِي قَالُ فِي الْمَطَالِبِ رَائِحُ
 فَمَا خَطُّ فِي رَمَلٍ وَلَا طَرَقَ الْحَصَى كَأَيْدِي جِيَادٍ فِي السَّرَابِ سَوَائِحُ
 وَجَنَّبْتُ الْجِيَادَ إِلَى الْمُهَارِي . وَلَبِستُ حُلَةً دُجَى مُزْدَرَّةً بِالْدَّرَارِي .
 مَعَ صُفُورٍ عَلَى مُتُونٍ أَعُوجِيَّاتٍ وَرُكَّابٍ . بِأَقْدَامِ أَقْدَامٍ تَرَفُّ بَيْنَ غَرَزِ
 وَرُكَّابٍ . عَلَى سُنَنِ ذَوْدٍ وَزَوَارِقَ . وَسُرُوحِ سَوَائِحٍ فِي بِحَارِ السَّرَابِ
 غَوَارِقَ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنَا أَلَالُ . بَيْنَ رِفَاقِ صَنْبٍ وَآلٍ . عَلَى عَيْسٍ
 مَا لَهَا غَيْرُ النَّصَبِ عِقَالُ . وَظُهُورِ سَوَائِحٍ مَا لَهَا غَيْرُ الْكَلَالِ شِكَالُ .
 حَتَّى زَلْنَا عَلَى الْخُورَتِقِ وَالسَّيْدِيرِ . وَأَنْخَنَامَطَايَا الْعَزْمِ بَيْنَ رَوْضَةٍ
 وَغَدِيرٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ بَيْضَةِ الْبَلَدِ . وَطَوْدِهَا الَّذِي لَهُ بَسْفُهَا أَرْفَعُ سَنَدِ .

فَقَالُوا : هُوَ النَّصْرُ بْنُ كِنَانَةَ . الْمُقْرِطُسُ سِهَامُ أَرَاهُ مِنْ أَعَزِّ كِنَانَةٍ .
 شَيْخٌ لَيْسَ عَمَامُ دَهْرِهِ الثَّلَاثَ . فَهِيَ عَلَى هَامَةِ هَمَّتِهِ ثَلَاثٌ . مِنْ
 شَجَرَةٍ مُورِقَةٍ النَّسَبِ . مُثْمَرَةٍ بَيَانِعِ ثَمَارِ الْحَسَبِ . جَاهُهُ عَرِيضٌ
 طَوِيلٌ . فَأَيْضُ عَلَى الْعَدُوِّ وَالْخَلِيلِ . وَطِبُّ شَمَائِلِهِ فِي كُلِّ نَادٍ اُنْتَشَرَ .
 فَنَمَّةٌ رَوْضَاتٍ تَرْدِي الزَّهَرَ . هَيَّجَهَا نَضْحٌ مِنْ نَضْحِ السَّحَرِ . فَقُلْتُ :
 بَخِ بَخِ الْجَاهُ زَكَاةُ الشَّرَفِ . وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَقَدْ
 اُنْتَصَفَ . وَمَنْ تَرَدَّى بِسَاطِعِ الْأَنْوَارِ . وَاحْتَبَى بِحَبَاءِ الْوَقَارِ . وَلَمْ
 يَبْقَ لَهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ . فَالسَّعَادَةُ لَهُ شِعَارٌ وَدَنَارٌ . فَقُلْتُ :
 سَافِيزُ لَهُ وَعَلَى أَجَلٍ رَدًّا . وَاذْهَبْ إِلَيْهِ فِي رَفَقَتِي غَدًا . فَلَمَّا
 عَطَسَ الصَّبَاحُ . وَشَمَّتَهُ كُلُّ ذَاتِ جَنَاحٍ . وَرَفَعَتْ ذُكَاؤُهَا رَأْسَهَا
 مِنْ مَشْرِقِ الْأَنْوَارِ . فَاشْرَقَتْ عَلَى عَالَمِ الْكُونِ وَالْقَسَادِ لِنَشَاهِدِ مَا
 فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ . أَتَيْتُ دَارَهُ . فَرَأَيْتُ بُدُورًا لَهَا الْمُنَازِلُ دَارَةً . دَارُ
 يُسَافِرُ بِهَا النَّظَرُ . وَيَتَسَابَقُ فِي مُحَاسِنِهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ . دَاخِلُهَا بِهِوَ
 وَقُصُورٌ . وَسَرَادِقٌ لَا يَعْرِفُ كَمَالَهُ الْقُصُورُ . فِي صَدْرِهَا هُمَامٌ خَلْفَهُ
 وَسَادَةٌ . أَحَدَقَ بِهِ وَجُوهُ أَعْيَانٍ وَسَيَادَةٌ . يَتَنَفَّسُونَ بِأَنْفَاسِ النُّعَامَى .
 بَيْنَ أَوْرَاقِ رِيحَانٍ وَخِرَامَى :

لَوْ اُنْصَفُوهُ لَقَامُوا فِي مَجَالِسِهِ عَلَى الرُّؤُوسِ قِيَامَ الظِّلِّ فِي الْمَاءِ
 فَقُلْتُ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ وَيَاكَ . وَلَا زَالَتْ مِسْكَاةُ أُنْسِكَ مُشْرِقَةً
 بُحْيَاكَ . فَرَدَّ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَمَارَدَهَا . وَأَمَدَّهَا بِطَلَاقَةِ بَشْرِ

كَانَتْ سُلَمًا لِكِرَامَةٍ أَعَدَّهَا . وَحَوْلَهُ مِنْ حَوَاشِيهِ قِيَامٌ . وَأَعْصَانُ
 غِلْمَانٍ يَنَادِيهِ قِيَامٌ . كَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ . يَتَهَلَّلُ لِشَرِّهِمْ بِكُلِّ
 خَيْرٍ وَمَيِّرٍ . فِي رَوْضٍ نَادٍ مُثِيرٍ مُورِقٍ . عَلَيْهِ تَحَايِلُ جُودٍ مُغْدِقٍ .
 فَتَجَادُّ بَنَاهُدَابُ الْحَدِيثِ . وَأَتَى بِنَوَادِرَ حَارَّةٍ مِنْ كُلِّ تَلِيدٍ وَحَدِيثٍ .
 فَلَمَّا خَضْنَا لِحَاجَةِ الْكَلَامِ وَوَقَفْتَ الْأَقْلَامُ عَلَى سَاحِلِ التَّمَامِ . قَالَ لِي :
 هَاتِ مِنْ هَنَاتِكَ . وَأَنْشِدْنِي مَا قُلْتَهُ مِنْ آيَاتِكَ . فَأَنْشَدْتُهُ مِنْهَا :

سَلِّ الزَّمَانُ عَلَيَّ عَضْبَةً لِيَرُوعَنِي وَأَحَدَ غَرْبَةٍ ^{حده}
 وَأَسْأَلُ مِنْ جَفْنِي كَرَا ^{هـ} مُرَانِمًا وَأَسْأَلُ غَرْبَةً يَجْرِي الدَّمْعُ
 وَأَجَالِنِي فِي الْأَفْقِ أَطَا ^{وي} شَرْقَةً وَأَجُوبُ غَرْبَةً ^{مغربه}
 فَيَكُلُّ جَوْ طَلْعَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَةً ^{غروب}
 وَكَذَا الْمَغْرَبُ شَخْصُهُ مُتَغَرِّبٌ وَتَوَاهُ غَرْبَةً ^{بميده}

فَلَمَّا أَرْتَوَى الْحَدِيثُ مِنْ أَعْذَابِ الْمَوَارِدِ وَالْمُصَادِرِ . وَرَجَعَ الْحَوَارُ
 حَارًّا النَّوَادِرِ . بَارِدًا الْبَوَادِرِ . قَالَ : لَا فِضَّ اللَّهُ فَالِكَ . وَلَا أَقْضَى فِي
 مَهْدِ الْهِنَا مَثْوَاكَ . فَقَدْ تَرَكْتَ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ . وَجَلَوْتَ خِرَائِدَ فِكْرِكَ
 فِي مَعْرُضِ أَنْيَقٍ . وَلَمْ تُثَرِّدْ دُرَّ الْمَدَامِعِ . إِلَّا مِنْ دُرٍّ مُودَعٍ فِي
 صَدْفِ الْمَسَامِعِ . وَمَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عَلَى الرَّاقِدِ . وَأَهْوَنَ السَّقَمِ عَلَى
 الْعَائِدِ . وَقَدْ أَصَبْتَ دَارَ الْمُقَامَةِ . فَأَنْتَ جَارُ أَبِي دُوَادَ بَدَارِ الْكِرَامَةِ .
 فَارْزَمَهُ لُزُومُ الطُّوقِ جِيدَ الْحُمَامَةِ . فَأَمَّا لَكَ لَا تَظْمَأُ بِهَذَا الْمُقَامِ .
 وَكَيْفَ يَظْمَأُ مَنْ كَانَ جَارَ الْغَمَامِ .

مَا بَيْنَ عَصْرِ سَابِقٍ مُتَلَقِّ شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَا حِقَّ يَتَطَلَّعُ

نخبة من مقامات بدیع الزمان الحمذاني

المقامة الاهوازية

٤٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ فِي رَفَقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلُ . لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرٌ بِكُرِّ الْأَمَالِ . أَوْ مُحْتَطٌّ حَسَنُ الْإِقْبَالِ . مَرْجُو الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ . فَأَفْضُنَا فِي الْعَشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا . وَالْأُخُوَّةَ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا . وَالشَّرْبَ فِي أَيِّ وَقْتٍ تَتَعَاطَاهُ . وَالْأَنْسَ كَيْفَ نَتَّهَادَاهُ . وَفَائِتِ الْحُطَّ كَيْفَ نَتَلَفَاهُ . وَالشَّرَابَ مِنْ أَيْنَ نُحْصِلُهُ . وَالْجُلُسَ كَيْفَ نُزَيِّنُهُ . فَقَالَ : أَحَدُنَا عَلَى أَلَيْتٍ وَالتَّزَلُّ . وَقَالَ آخَرُ : عَلَى الشَّرَابِ وَالتَّنْصِلُ . وَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى الْمُسِيرِ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي طَمَرَيْنِ فِي يَمَانِهِ عُكَّازَةٌ . وَعَلَى كَتِفِهِ جِنَارَةٌ . فَطَطَّرْنَا لَمَّا رَأَيْنَا الْجِنَارَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا . وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحًا . فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْفَطِرُ . وَالسَّمَاءُ تَنْكَدِرُ . وَقَالَ : لَتَرْنَهَا صَغْرًا . وَلَتَرَكْبْنَهَا كَرْهًا وَقَسْرًا . مَا لَكُمْ تَطْطِيرُونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسِيرَكْبَهَا أَخْلَافُكُمْ . وَتَتَقَدَّرُونَ سَرِيحًا وَطِيَّةً أَبَاؤُكُمْ . وَسَيْطَاهُ أَبْنَاؤُكُمْ . أَمَا وَاللَّهِ لَتُحْمَلَنَّ عَلَى هَذِهِ الْعِيدَانِ . إِلَى تَلَكُمُ الدَّيْدَانِ . وَلَتُنْقَلَنَّ بِهَذِهِ الْحِيَادِ . إِلَى تَلَكُمُ الْوَهَادِ . وَقَدْ حَانَ جِينُهُ وَيُحْكِمُ تَطْطِيرُونَ . كَأَنَّكُمْ تُخَيَّرُونَ . وَتَتَكْرَهُونَ . كَأَنَّكُمْ مُنْزَهُونَ . هَلْ تَنْفَعُ هَذِهِ الطَّيْرَةُ . يَا فَجْرَةَ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَلَمَّا نَعَصَ

مَا كُنَّا عَقْدَنَاهُ . وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ . فَمَلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ : مَا أَحْوَجُنَا
إِلَى وَعْظِكَ . وَأَعَشَقْنَا لِلْفُظْكَ . وَلَوْ شِئْتَ لَزِدْتَ قَالَ : إِنْ وَرَاءَكُمْ
مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عَشْرِينَ حِجَّةً :

وَإِنْ أَمَرْنَا قَدْ سَارَ عَشْرِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
وَمِنْ قَوْقُكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارُكُمْ .

يُعَامِلُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِحِلْمٍ وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِعِلْمٍ . فَلْيَكُنِ
الْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ . لَيْلًا تَأْتُوا بِنُكْرٍ . فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشَعَرْتُمُوهُ . لَمْ
تَجْهَوْا . وَمَتَى ذَكَّرْتُمُوهُ . لَمْ تَمْرُحُوا . وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ . فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ .

وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ . فَهُوَ زَانِرُكُمْ . قُلْنَا : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : أَطُولُ مِنْ أَنْ
تُحَدَّ . وَآكُثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ . قُلْنَا : فَسَاحُ الْوَقْتِ . قَالَ : رَدُّ فَائِدِ
الْعُمُرِ . وَدَفْعُ نَازِلِ الْأَمْرِ . قُلْنَا : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ
مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرِهَا . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا

المقامة القزوينية

٤٩ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : غَزَوْتُ الثُّغَرَ بِقَرْوَيْنَ . سَنَةَ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ . فِيمَنْ غَزَاهُ . فَمَا أَجَزْنَا خَزَنًا . إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا . حَتَّى وَقَفَ
السَّيْرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا . فَأَلَّتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَى ظِلِّ أَثَلَاتٍ . فِي
حُجْرَتَاهُمَا عَيْنُ كِلْسَانَ الشَّمْعَةِ . أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ . تَسِيحُ فِي الرِّضْرَاضِ .
سَيِّحُ النَّضْنَضِ . فَلَمَّا مِنْ الطَّعَامِ مَا نَلْنَا . ثُمَّ مَلْنَا إِلَى الظِّلِّ فَقُلْنَا . فَمَا
مَلَكْنَا النَّوْمَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا نَكَرَ مِنْ صَوْتِ حِمَارٍ فَذَادَ عَنِ الْقَوْمِ .

رَأَيْدُ النَّوْمِ . وَفَتَحْتُ التَّوَامَتَيْنِ إِلَيْهِ وَقَدْ حَالَتْ الْأَشْجَارُ دُونَهُ .
وَأَصْنَعْتُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ . عَلَى إِيقَاعِ الطُّبُولِ :
أَدْعُو إِلَى اللَّهِ فَهَلْ مِنْ مُجِيبٍ إِلَى ذَرَى رَحْبٍ وَمَرَعَى خَصِيبٍ
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَعِيبُ
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبُ
إِنْ أَكْ أَمَنْتُمْ فَكَمْ لَيْلَةٍ حَجَّدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ الْمُرِيبُ
يَا رَبِّ خِزِيرٍ تَمَشَّطُهُ وَمُسْكِرٍ أَعْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبُ
ثُمَّ هَدَانِي اللَّهُ وَأَنْتَ أَشْنِي مِنْ ذِلَّةِ الْكُفْرِ اجْتِهَادُ الْمُصِيبُ
فَظَلْتُ أَخْفِي الدِّينَ فِي أُسْرَتِي وَأَعْبُدُ اللَّهَ بِقَلْبٍ مُنِيبُ
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ الْعِدَى وَلَا أَرَى الْكَعْبَةَ خَوْفَ الرَّقِيبُ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ إِذَا جَنَنِي لَيْلٌ وَأَضْبَانِي يَوْمٌ عَصِيبُ
رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي فَتَجَنَّنِي إِنِّي فِيهِمْ غَرِيبُ
ثُمَّ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وَمَا سِوَى الْعِزِّ أَمَامِي جَنِيبُ
فَقَدْكَ مِنْ سِيرِي فِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ الطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبُ
حَتَّى إِذَا جُرْتُ بِلَادَ الْعِدَى إِلَى حِمَى الدِّينِ نَفَضْتُ الْوَجِيبُ
فَقُلْتُ إِذْ لَأَحَ شِعَارُ الْهَدَى نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبُ
فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْبَيْتَ قَالَ : يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعِزِّ لَا الْعِشْقُ
شَاقَهُ . وَلَا الْفَقْرُ سَاقَهُ . وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا .
وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا . وَخِيَلًا مُسَوِّمَةً . وَقَطَائِرَ مُقَنْطَرَةً . وَعُدَّةً وَعَعِيدًا .

وَمَرَاكِبَ وَعَيْدًا . وَخَرَجَتْ خُرُوجَ الْحَيَّةِ مِنْ حُجْرِهِ . وَبَرَزَتْ بَرُوزَ
 الطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ . مُؤَثِّرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ . جَامِعًا مَيْتَايَ إِلَى يُسْرَايَ .
 وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ . فَلَوْ دَفَعْتُ النَّارَ بِشَرَارِهَا . وَزِمْتُمُ الرُّومَ
 بِجِحَارِهَا . وَأَعْتَمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعِدَةً وَإِسْعَادًا . وَمُرَافِدَةً وَإِرْقَادًا .
 وَلَا شَطَطَ فَكُلُّ عَلَى قَدَرٍ قُدْرَتِهِ . وَحَسَبَ ثَرْوَتِهِ . وَلَا أَسْتَكْثِرُ
 الْبَدْرَةَ . وَأَقِلُّ الدَّرَّةَ . وَلَا أَرْدُ الثَّمَرَةَ . وَلِكُلِّ مَنِّي سَهْمَانِ سَهْمِ أَذِلَّتِهِ
 لِقَاءً . وَآخِرُ أَفْوَقِهِ بِاللُّعَاءِ . وَأَرَشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ . عَنْ قَوْسِ
 الظُّلَمَاءِ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَاسْتَفَزَنِي رَائِعُ الْفَاطِيهِ وَسَرَوْتُ
 حِلَابَ النَّوْمِ . وَوَدَعْتُ إِلَى الْقَوْمِ . فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْقَنْحِ
 الْإِسْكَندَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَرَّهُ . وَزِيٍّ قَدْ نَكَرَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمَرَ عَلِيَّ
 بِعَيْنِهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذِيْلِهِ . وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ .
 ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلَوْتُ بِهِ فَقُلْتُ أَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ النَّبِيِّ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مَعَ الزَّمَانِ كَحَالِي مَعَ النَّسَبِ
 نَسِي فِي يَدِ الزَّمَانِ إِذَا سَامَهُ انْقِلَبَ
 أَنَا أَمْسِي مِنَ النَّبِيِّ طَوَّاعِي مِنَ الْعَرَبِ

المقامة الناجية

٥٠ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَتِيبَةٍ فَضِلُّ
 مِنْ رَفَقَاتِي قَدْ أَكْرَمَنَا الْفَصَاحَةُ . وَمَا وَدَعْنَا الْحَدِيثَ حَتَّى قَرَعَ عَلَيْنَا
 الْبَابُ . فَقُلْتُ : مَنْ الْمُتَنَابُ . فَقَالَ : وَفْدُ اللَّيْلِ وَرَيْدُهُ . وَقُلْتُ الْجُوعُ

وَطَرِيدُهُ . وَغَرِيبُ نَصْوِهِ طَلِيحٌ . وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ . وَمِنْ دُونَ قَرْنِيهِ
مَهَامُهُ فَيْحٌ . وَصَيْفُ ظِلِّهِ خَفِيفٌ . وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ . فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ .
فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ الْبَابِ وَانْخَارَاحِلَتُهُ . وَجَمَعْنَا رَحِلَتَهُ . وَقُلْنَا : دَارَكَ
أَتَيْتَ . وَأَهْلَكَ وَأَفَيْتَ . وَهَلُمَّ أَلَيْتَ . وَصَحَكْنَا إِلَيْهِ وَدَحَبْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ
ضَالَّتَهُ وَسَاعَدَنَاهُ حَتَّى شَبِعَ . وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أُنِسَ . وَقُلْنَا : مَنْ الطَّالِعُ
بِمَشْرِقِهِ . أَلْقَانِ بِمَنْطِقِهِ . فَقَالَ : لَا يَعْرِفُ الْعُودُ كَالْعَاجِمِ . وَأَنَا
الْمَعْرُوفُ بِالنَّاجِمِ . عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لَا خَبْرَهُ . فَعَصَرْتُ أَعْصَرَهُ .
وَحَلَبْتُ أَشْطَرَهُ . وَجَرَبْتُ النَّاسَ لَا عَرَفَهُمْ فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ .
وَالْعُرْبَةُ لِأَذْوَقِهَا لَحْتِي أَرْضُ إِلَّا فَقَاتُ عَيْنَهَا . وَلَا أَنْتَظَمْتُ رَفْعَهُ
إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا . فَأَنَا فِي الشَّرْقِ أَذْكُرُ . وَفِي الْغَرْبِ لَا أَنْكُرُ . فَمَا مَلِكُ
إِلَّا وَطِنْتُ بِسَاطِهِ . وَلَا خُطْبُ إِلَّا خَرَقْتُ بِسَاطَهُ . وَمَا سَكَنْتُ حَرْبُ
إِلَّا وَكُنْتُ فِيهَا سَفِيرًا . قَدْ جَرَبَنِي الدَّهْرُ فِي زَمَنِي رِضَائِهِ وَبُؤْسِهِ .
وَلَقِينِي بِوَجْهِي بِشَرِّهِ وَبُؤْسِهِ . فَمَا بُحْتُ لِبُؤْسِهِ إِلَّا لِبُؤْسِهِ :
وَإِنْ كَانَ صَرْفُ الدَّهْرِ قَدْ مَاضَى بِي وَحَمَلَنِي مِنْ رِيهِ مَا يُحْمَلُ
فَقَدْ جَاءَ بِالْإِحْسَانِ حَيْثُ أَطْلَنِي مَحَلَّةٌ صِدْقٍ لَيْسَ عَنْهَا مُحْوَلُ
قُلْنَا : لَا فُضَّ فَوْكُ . وَلِلَّهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ . مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إِلَّا
عَلَيْكَ وَلَا يَحِلُّ النُّطْقُ إِلَّا لَكَ . فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَعَرَّبْتَ . وَمَا
الَّذِي يَجِدُوا مَلِكََ أَمَامَكَ . وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَامَكَ . قَالَ : أَمَّا
الْوَطَنُ . فَأَلَيْنُ . وَأَمَّا الْوَطَرُ . فَأَلْمَطَرُ . وَأَمَّا السَّائِقُ فَأَلْضَرُّ . وَالْعَيْشُ

الرُّ. قُلْنَا : فَلَوَأَقْتِ هَذَا الْمَكَانَ لَقَا سَمْنَاكَ الْعُمْرَ قَمَا دُونَهُ وَلَصَادَفَتْ
 مِنْ الْأَمْطَارِ مَا يَذْرَعُ . وَمَنْ الْأَنْوَاءُ مَا يُكَرِّعُ . قَالَ : مَا اخْتَارُ عَلَيْكُمْ
 صَحْبًا . وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِتْنَاءَكُمْ رَحْبًا . وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَالْمَاءُ لَا يَرْوِي
 الْعِطَاشَ . قُلْنَا : فَأَيُّ الْأَمْطَارِ يُرْوِيكَ . قَالَ : مَطَرُ خَلْفِي وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 سَجِسْتَانَ أَتَيْتُهَا الرَّا حِلَهَ وَبَحْرًا يَوْمُ الْمُنَى سَاحِلَهَ
 سَقَصِدُ أَرْجَانِ إِنْ زُرْتَهَا بِوَاحِدَةٍ مَائَةٍ كَامِلَهَ
 وَفَضْلُ الْأَمِيرِ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهَ
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَخَرَجَ وَودَعْنَاهُ . وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بَرْهَةً نَشْتَاقُهُ .
 وَيُوَلُّنَا فِرَاقَهُ . فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمَ غَيْمٍ فِي سَمَطِ الثَّرِيَّا جُلُوسٌ إِذِ الْمُرَاكِبُ
 تُسَاقُ وَالْجُنَابُ تُقَادُ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا : مَنْ الْهَاجِمُ .
 فَإِذَا شَيْخُنَا النَّاجِمُ . يَرْفُلُ فِي نَيْلِ الْمُنَى . وَذَيْلِ الْغِنَى . فَقُمْنَا إِلَيْهِ
 مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا : مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ . فَقَالَ : جِمَالٌ مُوقَرَّةٌ وَبَغَالٌ
 مُثْقَلَةٌ . وَحَقَائِبُ مُثْقَلَةٌ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا خَلْفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا
 مَا يُسْمِعُ الْعَافِينَ إِلَّا هَاكُمَا لَفْظًا وَلَيْسَ يُجَابُ إِلَّا هَاتِيهَا
 إِنْ الْمَكَارِمِ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجِهٍ بِيضٌ وَكَانَ الْحَالُ فِي وَجَنَاتِهَا
 بِأَبِي شَمَائِلَهَ الَّتِي تَجْلُو الْعُلَا وَيدَا تَرَى الْبَرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا
 مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتٍ دَهْرٍ إِنِّي مِمَّنْ يَعُدُّ الدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَسَأَلْنَا اللَّهَ بَقَاءَهُ . وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ .

وَأَقَامَ النَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ . عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ . وَلَا
يَنْصَرِفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدَحِ أَيَّامِهِ . وَالتَّحْدِثِ بِإِنْعَامِهِ

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقيدية

٥١ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ . قَالَ : أَرَمَعْتُ الشُّخُوصَ مِنْ بَرْقَعِيدَ .
وَقَدْ شَمْتُ بَرْقَ عِيدٍ . فَكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . أَوْ أَشْهَدُ بِهَا
يَوْمَ الزَّيْتَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ يَفْرُضُهُ وَنَفْلُهُ . وَأَجْلَبَ بِحَيْلِهِ وَرَجْلُهُ . أَتَبَعْتُ
السَّنَةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ . وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْيِيدِ . وَحِينَ التَّامِّ جَمْعِ
الْمُصَلَّى وَانْتِظَمِ . وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكُظْمِ . طَلَعَ شَيْخٌ فِي سَمَلَيْنِ . مَحْجُوبُ
الْمُقَلَّتَيْنِ . وَقَدْ اعْتَصَدَ شَبَهَ الْخَلَاةِ . وَاسْتَقَادَ لِعُجُوزِ كَالسَّغَلَةِ .
فَوَقَفَ وَقْفَةً مُتَهَافٍ . وَحَيَّائِحَةً خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَعَ مِنْ دُعَائِهِ . أَجَالَ
خَمْسَهُ فِي وَعَائِهِ . فَأَبْرَزَ مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كُتِبَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاعِ . فِي أَوَانِ
الْفَرَاغِ . فَنَاولَهُنَّ عَجُوزَهُ الْحَزْبُونَ . وَأَمَرَهَا أَنْ تَتَوَسَّمَ الزُّبُونَ . فَمَنْ
أَسْتَدَى يَدَيْهِ . أَلْقَتْ وَرَقَةً مِنْهُنَّ لَدَيْهِ . فَأَتَاكَ لِي الْقَدَرُ
الْمُعْتُوبُ . رُقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُوقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمُمْنًا بِمُتَالٍ وَمُتَحَالٍ وَمُتَعَالٍ
وَخَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ قَالَ لِي لِإِقْلَالِي
وِإِعْمَالِي مِنَ الْعُمَالِ لِي فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي

فَكَمْ أَصْلَى بِأَذْحَالٍ وَإِحْمَالٍ وَتَرَحَالٍ
وَكَمْ أخطرُ فِي بَالٍ وَلَا أخطرُ فِي بَالٍ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جَا رَ أَطْفَا لِي أَطْفَالِي
قَالُوا أَنْ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَّا جَهَزْتُ أَمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالٍ
وَلَا جَرَّتْ أَذْيَالِي عَلَى مَسَبِّ إِذْلَالِي
فَمَحْرَابِي أَحْرَى بِي وَأَسْمَالِي أَسْمَى لِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخْفِيفَ أَنْتْقَالِي بِمِثْقَالٍ
وَيُطْفِئُ حَرَّ بَلْبَالِي بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالٍ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا اسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ الْأَيَّاتِ ثَقْتُ إِلَى
مَعْرِفَةِ مُلْحَمَهَا . وَرَاقِمِ عِلْمَهَا . فَنَاجَيْتُ الْفِكْرُ بَانَ الْوَصْلَةَ إِلَيْهِ الْعُجُوزُ .
وَأَفْتَانِي بَانَ حُلُوانَ الْمَعْرِفِ بِجُوزُ . فَرَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَفْرِى الصُّفُوفَ
صَفًّا صَفًّا . وَتَسْتَوْكِفُ الْأَكْفَ كَفًّا كَفًّا . وَمَا إِنْ يَنْجُ لَهَا عَنَاءٌ . وَلَا
يَرْتَحُّ عَلَى يَدِهَا إِنَاءٌ . فَلَمَّا اكْدَى اسْتِعْطَافُهَا . وَكَدَّهَا مَطَافُهَا . عَادَتْ
بِالِاسْتِرْجَاعِ . وَمَالَتْ إِلَى إِرْجَاعِ الرِّقَاعِ . وَأَنَسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ
رُقْعَتِي . فَلَمْ تَنْجُ إِلَى بُقْعَتِي . وَآبَتْ إِلَى الشَّيْخِ بِأَكِيَّةٍ لِلْحُرْمَانِ . شَاكِيَّةٌ
تَحْمَلُ الزَّمَانَ . فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ . وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ

ثُمَّ قَالَ لَهَا مَيِّ النَّفْسِ وَعَدِيهَا . وَاجْمَعِي الرِّقَاعَ وَعُدِّيهَا . فَقَالَتْ :
لَقَدْ عَدَدْتُهَا . لَمَّا اسْتَعَدْتُهَا . فَوَجَدْتُ يَدَ الصَّيَاحِ . قَدْ غَالَتْ إِحْدَى
الرِّقَاعِ . فَقَالَ : تَعْسًا لَكَ يَا لَكَاعِ . اُنْحَرِمُ وَيَحْكُ الْقَنْصَ وَالْحِبَالَةَ .
وَالْقَبَسَ وَالذَّبَالَةَ . إِنَّمَا لَضَعْتُ عَلَى إِبَالَةٍ . فَأَنْصَاعَتْ تَقْصُ مَدْرَجَهَا .
وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا . فَلَمَّا دَانِي قُرْنَتْ بِالرُّقْعَةِ دِرْهَمًا وَقِطْعَةً . وَقُلْتُ لَهَا :
إِنْ رَغِبْتَ فِي الشُّوفِ الْمَعْلَمِ . وَأَشَرْتَ إِلَى الدَّرْهِمِ . فَبُوحِي بِالسِّرِّ
الْمُبْهِمِ . وَإِنْ أَبَيْتَ أَنْ تَشْرِي . فَخِذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرِجِي . فَمَالَتْ إِلَى
اِسْتِحْلَاصِ الْبَدْرِ التَّمِّ . وَالْأَبْلَجِ الْهَمِّ . وَقَالَتْ : دَعْ جَدَا لَكَ . وَسَلِّ عَمَّا
بَدَا لَكَ . فَاسْتَطْلَعَتْهَا . طَلَعَ الشَّيْخُ وَبَلَدَتْهُ . وَالشَّعْرُ وَنَاسِجَ بُرْدَتِهِ .
فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سُرُوجٍ . وَهُوَ الَّذِي وَشَى الشَّعْرَ الْمُنْسُوجَ .
ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرْهَمَ خِطْفَةً الْبَاشِقِ . وَمَرَقَتْ مُرُوقَ السَّهْمِ
الرَّاشِقِ . فَخَاجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ . وَتَأَجَّجَ كَرْبِي
لِصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ . وَأَثَرْتُ أَنَّ أَفَاجِيَهُ وَأَنَاجِيَهُ . لِأَعْجَمَ عُودَ فِرَاسَتِي فِيهِ .
وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَحْطِي رِقَابِ الْجَمْعِ . الْمُنْهِي عَنْهُ فِي الشَّرْعِ .
وَعَفْتُ أَنْ يَتَذَى بِي قَوْمٌ . أَوْ يَسْرِيَ إِلَيَّ لَوْمٌ . فَسَدَكْتُ بِنِكَانِي .
وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيََانِي . إِلَى أَنْ أَنْقَضَتْ الْخُطْبَةُ . وَحَقَّتِ الْوُثْبَةُ .
فَحَفَفْتُ إِلَيْهِ . وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى اَلْتَّحَامِ جَفْنِيهِ . فَإِذَا الْمُعَيَّتِي الْمَعِيَهُ ابْنُ
عَبَّاسٍ . وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَّاسٍ . فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي . وَأَثَرْتُهُ بِأَحَدِ
قُصِي . وَأَهْبَتْ بِهِ إِلَى قُرْصِي . فَهَسَّ لِمَاعِرَفَتِي وَعِرْفَانِي . وَلَبَّى دَعْوَةَ .

رُغْمَانِي . وَأَنْطَلَقَ وَيَدَي زِمَامُهُ . وَظَلِّي إِمَامُهُ . وَالْحُجُوزُ ثَالِثَةُ الْآثَانِي .
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَحْتَقِي عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي وَأَحْضَرْتُهُ
عُجَالَةَ مُكْنَتِي . قَالَ لِي : يَا حَارِثُ أَمَعْنَا ثَالِثُ . فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا
الْحُجُوزُ . قَالَ : مَا دُونَهَا سِرٌّ حُجُوزُ . ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتِي . وَرَأَى ابْتَوَامَتِي .
فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهَهُ يَقْدَان . كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ
بَصَرِهِ . وَعَجِبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيرِهِ . وَلَمْ يُقْلِنِي قَرَارُ . وَلَا طَاوَعَنِي
أَصْطِبَارُ . حَتَّى سَأَلْتُهُ مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَامِي . مَعَ سِرِّكَ فِي الْمَعَامِي .
وَجَوِّبْكَ الْمَوَامِي . وَإِنِّي أَلَاكَ فِي الْمَرَامِي . فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ . وَتَشَاغَلَ
بِاللَّهْنَةِ . حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ . أَتَانِي إِلَيَّ نَظَرَهُ . وَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَايِهِ وَمَقَاصِدِهِ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمِّي وَلَا غُرَاوَانٌ يَحْذُوا لِقَى حَذْوِ وَالِدِهِ
ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْهَضْ إِلَى الْخُدْعِ فَأَتِنِي بِغَسُولٍ يَرُوقُ الطَّرْفَ .
وَيُنْقِي الْكَفَّ . وَيُعِيمُ الْبَشْرَةَ . وَيُعْطِرُ النِّكْمَةَ . وَيَشُدُّ اللَّثَّةَ . وَيُقَوِّي
الْمُسْعِدَةَ . وَلِيَكُنْ نَظِيفَ الطَّرْفِ . أَرِيحَ الْعَرْفَ . فِتْيَ الدَّقِّ . نَاعِمَ
السُّخْرِ . يَحْسِبُهُ الْلَامِسُ ذُرُورًا . وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا . وَأُقْرِنَ بِهِ
خِلَالَةَ نَقِيَّةِ الْأَصْلِ . مَحْبُوبَةِ الْوَصْلِ . أُنِيقَةَ الشَّكْلِ . مَدْعَاةً إِلَى
الْأَكْلِ . لَهَا نَمَاقَةُ الصَّبِّ . وَصِمَالُ الْعُضْبِ . وَآلَةُ الْحَرْبِ . وَلُدُونَةُ
الْفُضْنِ الرُّطْبِ . قَالَ : فَهَضَمْتُ فِيهَا أَمْرًا . لِأَذْرَاعِنَا الْعَمْرِ . وَلَمْ أَهْمَ
إِلَى أَنَّهُ قَصْدٌ أَنْ يَخْدَعَ . بِإِذْخَالِي الْخُدْعَ . وَلَا تَطْنِيتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنْ

الرَّسُولِ . فِي اسْتِدْعَاءِ الْحِلَالَةِ وَالْعُسُولِ . فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ . فِي
أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ . وَجَدْتُ الْجَوْقَ قَدْ خَلَا . وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ
أَجْفَلَا . فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا . وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا . فَكَانَ
كَمَنْ قَسَّ فِي الْمَاءِ . أَوْ عَرَّجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ

المقامة الاسكندرية

٥٢ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ طَحْيَانِي مَرَحُ الشَّبَابِ . وَهَوَى الْإِكْتِسَابِ .
إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْعَانَةٍ . وَغَانَةٍ . أَخُوذُ الْغَمَارِ . لِأَجْنِي الثَّمَارِ .
وَأَفْتَحُمُ الْأَخْطَارَ . لِكَيْ أَذْرِكَ الْأَوْطَارَ . وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ
الْعُلَمَاءِ . وَبَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ . أَنَّهُ يَلْزِمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ . إِذَا
دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ . أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ . وَيَسْتَخْلَصَ مَرَاضِيَهُ . لِيَسْتَدَّ
ظَهْرَهُ عِنْدَ الْحِصَامِ . وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جُورَ الْحُكَّامِ . فَاتَّخَذْتُ هَذَا
الْأَدَبَ إِمَامًا . وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا . فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً . وَلَا وَلَجْتُ
عَرِيَةً . إِلَّا وَامْتَرَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِرَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ . وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ
تَقَوِّيَ الْأَجْسَادَ بِالْأَرْوَاحِ . فَيَنِمُّ أَنَا عِنْدَ حَاكِمِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ . فِي
عَشِيَّةِ عَرِيَّةٍ . وَقَدْ أَحْضَرَ مَالَ الصَّدَقَاتِ . لِيَفْضَهُ عَلَى ذَوِي الْقَلَقَاتِ .
إِذَا دَخَلَ شَيْخُ غَفْرِيَّةٍ . تَعْتَلَهُ أَمْرَاءُ مُصِيبَةٍ . فَقَالَ : أَيْدِ اللَّهُ الْقَاضِي .
وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاضِي . إِنِّي أَمْرَأَةٌ مِنْ أَكْرَمِ جُرْثُومَةٍ . وَأَطْهَرِ أَرْوَمَةٍ .
وَأَشْرَفِ خُوُولَةٍ وَعُمُومَةٍ . مِيسَمِي الصَّوْنُ . وَشَيْتِي الْهُونُ . وَخُلِقِي نِعَمُ
الْعَوْنُ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ . وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي بِنَاءَ الْمُجْدِ .

وَأَرْبَابُ الْجَدِّ . سَكَنَهُمْ وَبَكَّتْهُمْ . وَعَافَ وَصَلَتْهُمْ وَصَلَتْهُمْ . وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ
عَاهَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَلْفَةٍ . أَنْ لَا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِي حِرْقَةٍ . فَقَبِضَ الْقَدَرُ
لِنَصِيي . وَوَصِيي . أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدْعَةَ نَادِي أَبِي . فَأَقْسَمَ بَيْنَ
رَهْطِهِ . أَنَّهُ وَفَّقَ شَرْطِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ .
فَبَاعَهُمَا بِدُرَّةٍ . فَأَغْتَرَّ أَبِي بِزُخْرَفَةِ مُحَالِهِ . وَزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ .
فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي . وَرَحَّلَنِي عَنْ أَنْاسِي . وَنَقَلَنِي إِلَى
كَبِيرِهِ . وَحَصَلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ . وَجَدْتُهُ قَعْدَةً جُثْمَةً . وَأَلْقَيْتُهُ صُجْعَةً
نُومَةً . وَكُنْتُ صُجْبَتُهُ بِرِيشِ وَزِي . وَأَثَابَ وَرِي . فَمَا بَرَحَ يَبِيعُهُ فِي
سُوقِ الْهَضْمِ . وَيَتْلِفُ ثَمَنَهُ فِي الْخَضْمِ . وَالْقَضْمِ . إِلَى أَنْ مَرَّقَ مَالِي
بِأَسْرِهِ . وَأَنْفَقَ مَالِي فِي عُسْرِهِ . فَلَمَّا أُنْسَانِي طَعْمَ الرَّاحَةِ . وَغَادَرَبَيْتِي
أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ . قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ لَا مَحَبَّةَ بَعْدَ بُوسٍ . وَلَا عِطْرَ بَعْدَ
عُرُوسٍ . فَأَنْهَضَ لِلْإِكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ . وَأَجْنَبِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ .
فَزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ . لِمَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ .
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ . كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ . وَكَلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ شُبْعَةٌ . وَلَا تَرَقُّ لَهُ
مِنْ الطَّوَى دَمْعَةٌ . وَقَدْ قُدُّتُهُ إِلَيْكَ . وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ . لِتَعْجُمَ عُودَ
دَعْوَاهُ . وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ . فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ
وَعَيْتُ قِصَصَ عَرْسِكَ . فَبَرَهَنَ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ . وَإِلَّا كَشَفْتُ
عَنْ لَبْسِكَ . وَأَمَرْتُ بِحَبْسِكَ . فَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الْأَفْعَوَانِ . ثُمَّ شَمَرَ
لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ . وَقَالَ :

اِسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبُ يُضْحَكُ مِنْ شَرِّهِ وَيُنْتَجِبُ
 أَنَا أَمْرُؤُ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ عَيْبٌ وَلَا فِي فُجَّارِهِ رَيْبٌ
 سَرُوجُ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا وَالْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسِبُ
 وَشُغْلِي بِالدَّرْسِ وَالتَّجَرُّ فِي آلِ عِلْمٍ طَلَّابِي وَحَبَّذَا الطَّلَبُ
 وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيزُ وَالْخَطَبُ
 أَغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْشَرُ الْإِلَّاهِي مِنْهَا وَأَتَنَجَّبُ
 وَأَجْتَنِي الْإِلْيَافَ الْجَنِّيَّ مِنْ آلِ قَوْلٍ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَخْتَطِبُ
 وَأَخْذُ اللَّفْظِ فِضَّةٌ فَإِذَا مَا صُغِّتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
 وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَمْتَرِي كَشْبًا بِالْأَدَبِ الْمُفْتَتَى وَآخْتَلَبُ
 وَيَمْتَطِي أَخْصِي لِحْرَمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ قَوْفَهَا رُبُّ
 وَطَالَمَا زَفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ
 فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلِكُ الرَّجَاءَ بِهِ أَكْثَدُ شَيْءٍ فِي سُوقِهِ الْأَدَبُ
 لَا عِرْضَ أَبْنَاءِهِ يُصَانُ وَلَا كَانَهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جِفُ
 فَحَارَ لِي لِمَا مُنِيتُ بِهِ مِنْ اللَّيَالِي وَصَرَفَهَا عَجَبُ
 وَصَاقَ دَرْعِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدَيَّ وَسَاوَرْتَنِي الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
 وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سُلُوكٍ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحَسَبُ
 قَبِيعَتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ وَلَا بَتَاتُ إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ
 وَادْنَتْ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي بِحِمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ

ثُمَّ طَوَيْتُ الْحُشَا عَلَى سَفَبٍ خَمْسًا فَلَمَّا أَمَضْنِي السَّفَبُ
 لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرْضًا أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرِبُ
 فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَالْعَيْنُ عَبْرَى وَالْقَلْبُ مَكْتَبُ
 وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبْتُ بِهِ جَدَّ التَّرَاضِي فَمَحْدَثُ الْغَضَبِ
 فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُمَهَا أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
 أَوْ أَتْنِي إِذْ عَزَمْتُ خُطْبَهَا زَخَرْتُ قَوْلِي لِيَمِجَّ الْأَرَبُ
 فَوَالَّذِي سَارَتْ الرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ لَسْتُحْمُهَا النُّجُبُ
 مَا الْمُنْكَرُ بِالْمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي وَلَا شِعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ
 وَلَا يَدِي مَذْ لَشَاتٍ نِيْطُ بِهَا إِلَّا مَوَاضِي الْبِرَاعِ وَالْكُتُبُ
 بَلْ فِكْرَتِي تَنْظُمُ الْقَلَائِدَ لَا كَفِّي وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا السُّنْبُ
 فَهَذِهِ الْحِرْفَةُ الْمُسَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَحْوِي بِهَا وَاجْتَلِبُ
 فَأَذِنَ لِشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا وَلَا تُرَاقِبْ وَأَحْكُمْ بِمَا يَجِبُ
 قَالَ : فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ . وَاكْمَلَ إِشَادَهُ . عَطَفَ الْقَاضِي إِلَى

الْفَتَاةِ . بَعْدَ أَنْ شُفِفَ بِالْأَبْيَاتِ وَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ
 الْحُكَّامِ . وَوَلَاةِ الْأَحْكَامِ . انْقِرَاضُ جِيلِ الْكِرَامِ . وَمَيْلُ الْأَيَّامِ
 إِلَى اللَّئَامِ . وَإِنِّي لِأَخَالُ بَعْلَكَ صَدُوقًا فِي الْكَلَامِ . بَرِيًّا مِنَ الْمَلَامِ .
 وَهَاهُوَ قَدْ اعْتَرَفَ لَكَ بِالْقَرَضِ . وَصَرَّحَ عَنِ الْخُصِّ . وَبَيَّنَّ مُصْدَقُ
 النَّظْمِ . وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَعْرُوقُ الْعَظَمِ . وَإِعْنَاتُ الْمُعْذِرِ مَلَامَةٌ . وَحَسْبُ
 الْمُسِيرِ مَأْمَةٌ . وَكِتْمَانُ الْفَقْرِ زَهَادَةٌ . وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ .

فَارْجِعِي إِلَى خَدْرِكَ . وَأَعْذِرِي أَبَا عَذْرِكَ . وَنَهْنِهِي عَنْ غَرْبِكَ . وَسَلِّمِي
لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهَا فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً . وَنَاوَلَهَا مِنْ
دَرَاهِمِهَا قَبْصَةً . وَقَالَ لَهَا : تَعْلَلِي بِهَذِهِ الْعُلَالَةَ . وَتَدَيَّا بِهَذِهِ الْبُلَالَةَ .
وَأَصْبِرِي عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ . فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقَمَحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ
عِنْدِهِ . فَهَضَاوِ لِلشَّيْخِ فَرَحَةَ الْمُطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ . وَهَزَّةَ الْمُسْرِ بَعْدَ
الْإِعْسَارِ . قَالَ أَلْأَرْوِي : وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةً بَزَعَتْ سَمْسُهُ .
وَبَزَعَتْ عِرْسُهُ . وَكَدَتْ أَفْصَحَ عَنْ أَقْتِنَانِهِ . وَأَثَارِ أَفْنَانِهِ . ثُمَّ أَشْفَقْتُ
مِنْ عُثُورِ الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ . وَتَرْوِيقِ لِسَانِهِ . فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ أَنْ
يُرْسِخَهُ لِإِحْسَانِهِ . فَأَحْجَمْتُ عَنِ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرْتَابِ . وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ
كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ . إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَّلَ . وَوَصَلَ إِلَى مَا
وَصَلَ : لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَتَطَلَّقُ فِي أَثَرِهِ . لَأَتَانَا بِفَصِّ خَبْرِهِ . وَبِمَا يُنْشَرُ
مِنْ حَبْرِهِ . فَأَتْبَعَهُ الْقَاضِي أَحَدَ أَمْنَائِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْتَّجَسُّسِ عَنْ أَنْبَاءِهِ .
فَمَا لَيْثَ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهِّدًا . وَفَقْهَرُ مُتَهَقِّهَا . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : مَهْيَمُ .
يَا أَبَا مَرْيَمَ . فَقَالَ : لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا . وَسَمِعْتُ مَا أُنْشَأُ لِي طَرَبًا . فَقَالَ
لَهُ : مَا ذَا رَأَيْتَ . وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ . قَالَ : لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ
يُصَقِّقُ يَدَيْهِ . وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ . وَيُعَرِّدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ : وَيَقُولُ :
كَدْتُ أَصْلِي بِبَلِيَّةٍ مِنْ وَقَاحِ شَمَرِيَّةٍ
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ
فَصَحِيحُ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِيَّتُهُ . وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ . فَلَمَّا فَاءَ

إِلَى الْوَقَارِ . وَعَقَّبَ الْأَسْتَعْرَابَ بِالْأَسْتَعْقَارِ . قَالَ : اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ
 عِبَادِكَ الْقَرَّيْنِ . حَرِّمَ حَبْسِي عَلَى الْمُتَادِّينِ . ثُمَّ قَالَ لِذَلِكَ الْأَمِينِ :
 عَلَيَّ بِهِ . فَأَنْطَلَقَ مُجِدًّا بِطَلْبِهِ . ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَأَيْهِ . مُخْبِرًا بِنَائِهِ . فَقَالَ لَهُ
 الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ . لَكُنْفِي الْحَذَرَ . ثُمَّ لَأَوَّلِيتهُ مَا هُوَ بِهِ أَوَّلَى .
 وَلَا رَيْتُهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأَوَّلَى . قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا
 رَأَيْتُ صَغُورَ الْقَاضِي إِلَيْهِ . وَفُوتَ ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ . غَشِيَتْنِي نَدَامَةٌ
 الْقَرَزْدَقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ . وَالْكُسَعِيِّ لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ
 المقامة البغدادية

٥٣ رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ . قَالَ : نَدَوْتُ بِضَوَا حِي الزُّورَاءِ مَعَ
 مَشِيخَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ . لَا يَلْقَى لَهُمْ مُبَارٍ يُعَارِ . وَلَا يَجْرِي مَعَهُمْ مُمَارٍ فِي
 مِضْمَارٍ . فَأَفْضَنَّا فِي حَدِيثٍ يَفْضَحُ الْأَرْهَارَ . إِلَى أَنْ نَصَفْنَا النَّهَارَ . فَلَمَّا
 غَاضَ دَرُّ الْأَفْكَارِ . وَصَبَتْ النُّفُوسُ إِلَى الْأَوْكَارِ . لَحْنًا عَجُوزًا تُقْبِلُ
 مِنَ الْبُعْدِ . وَتُحْضِرُ إِحْضَارَ الْجُرْدِ . وَقَدْ اسْتَلَّتْ صَبِيَّةٌ أَنْحَفَ مِنْ
 الْمَغَازِلِ . وَأَضْعَفَ مِنَ الْجَوَازِلِ . فَمَا كَذَّبَتْ إِذْ رَأَتْنَا . أَنْ عَرَّتْنَا . حَتَّى
 إِذَا مَا حَضَرْتَنَا . قَالَتْ : حَيَّا اللَّهُ الْمَعَارِفَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَارِفَ .
 أَعْلَمُوا يَا مَالِ الْأَمِلِ . وَثِمَالِ الْأَرَامِلِ . أَنِّي مِنْ سَرَوَاتِ الْقَبَائِلِ .
 وَسَرَيَاتِ الْعَقَائِلِ . لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبَعْلِي يَحْلُونَ الصَّدْرَ وَيَسِيرُونَ الْقَلْبَ .
 وَيَمْطُونَ الظَّهْرَ . وَيُولُونَ الْيَدَ . فَلَمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الْأَعْضَادَ . وَفَجَعَ
 بِالْجَوَارِحِ الْأَكْبَادَ . وَانْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ . نَبَا النَّاطِرُ . وَجَفَا الْحَاجِبُ .

مَا بَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاغِبًا وَلَا لِرَوْعٍ قَالَ حَالُ الْجَرِيضِ
 فَصَيَّصْتُ مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى بِحَارِ جُودٍ لَمْ تَنْخَلْهَا تَقِيضُ
 وَأَوْدَعَتْ مِنْهُمْ بَطُونُ الثَّرَى أَسَدُ التَّحَامِي وَأَسَاءَةُ الْمَرِيضِ
 فَحَمَلِي بَعْدَ الْمَطَايَا الْمَطَا وَمَوْطِنِي بَعْدَ الْيَقَاعِ الْخَضِيضِ
 وَأَفْرُخِي مَا تَأْتِي تَشْتَكِي بُوَسَّالَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضُ
 إِذَا دَعَا الْقَانِتَ فِي لَيْلِهِ مَوْلَاهُ نَادَوْهُ بِدَمْعٍ يَفِيضُ
 يَارَازِقَ النَّعَابِ فِي عُشِهِ وَجَارِ الْعَظَمِ الْكَسِيرِ الْمُهِيضِ
 أَمَحْ لَنَا اللَّهُمَّ مِنْ عِرْضِهِ مِنْ دَنَسِ الدَّمِ نَقِي رَحِيضِ
 يُطْفِئُ نَارَ الْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ بِمَذَقَةٍ مِنْ حَارِرٍ أَوْ مَخِيضِ
 فَهَلْ فُتِيَ يَكْشِفُ مَا نَابَهُمْ وَيَغْنَمُ الشُّكْرَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضِ
 قَالَ الرَّأْيِي : فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَعَتْ بِأَيْمَانِهَا أَعْشَارُ الْقُلُوبِ .
 وَاسْتَخَرَجَتْ خَبَايَا الْجُيُوبِ . حَتَّى مَا حَاها مِنْ دِينِهِ الْأَمْتِيَا . وَارْتَاخَ
 لِرَفْدِهَا مَنْ لَمْ تَنْخَلْهُ يَرْتَاخُ . فَلَمَّا أَفْعَوْعَمَ جِيْبَهَا تَبْرًا . وَأَوْلَاهَا كُلُّ مَنَا
 بَرًّا . تَوَلَّتْ تَلَوَّهَا الْأَصَاغِرُ . وَفُوْهَا بِالشُّكْرِ الْفَاغِرُ . فَاشْرَأَبَّتِ الْجَمَاعَةُ
 بَعْدَ مَمَرِّهَا . إِلَى سَبْرِهَا . لَتَبَلَوْ مَوَاقِعَ بَرِّهَا . فَكَفَلَتْ لَهُمْ بِاسْتِثْبَاتِ
 السَّرِّ الْمَرْمُوزِ . وَنَهَضَتْ أَقْفُوْا ثَرَّ الْعُجُوزِ . حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى سُوقِ
 مُعْتَصَةِ بِالْأَنَامِ . مُخْتَصَّةً بِالزَّحَامِ . فَأَنْعَمَسَتْ فِي الْعُمَارِ . وَأَمَلَسَتْ
 مِنَ الصَّبِيَةِ الْأَنْعَمَارِ . ثُمَّ عَاجَتْ بِخُلُوبِهَا إِلَى مَسْجِدِ خَالٍ . فَأَمَاطَتْ
 الْجِلَابَ . وَنَضَّتِ النَّعَابَ . وَأَنَا أَنَحُّهَا مِنْ خِصَاصِ الْبَابِ . وَأَرْقُبُ مَا

وَذَهَبَتِ الْعَيْنُ . وَفَقِدَتِ الرَّاحَةَ . وَصَلَدَ الزَّنْدُ . وَوَهَنَتِ الْيَمِينُ .
 وَضَاعَ الْيَسَارُ . وَبَانَتْ الْمِرْفَقُ . وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثِيَّةٌ وَلَا نَابٌ . فَمَذُغَ أَخْبَرَ
 الْعَيْشُ الْأَخْضَرَ . وَأَزُورَ الْمُحِبُّبُ الْأَصْفَرَ . أَسْوَدَ يَوْمِي الْأَبْيَضُ .
 وَأَبْيَضَ فَوْدِي الْأَسْوَدُ . حَتَّى رَأَيْتُ لِي الْعَدُوَّ الْأَزْرَقُ . فَحَبَّذَا الْمَوْتَ
 الْأَحْمَرُ . وَتَلَوِي مَنْ تَرَوْنُ عَيْنُهُ فِرَارَهُ . وَتَرَجَاهُ أَصْفَرَارَهُ . قُصَوِي
 بَغِيَةَ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةً . وَقُصَارَى أَمْنِيَّتِهِ بُرْدَةً . وَكُنْتُ أَلَيْتُ أَنْ لَا
 أَبْذُلَ الْحَرْبَ إِلَّا لِلْحَرْبِ . وَلَوْ أَنِّي مِتُّ مِنَ الضَّرِّ . وَقَدْ نَاجَيْتِي الْقُرُونَةُ .
 بَانَ تَوَجُّدَ عِنْدَكُمْ الْمُعْوَنَةُ . وَأَذْنِي فِرَاسَةَ الْحَوْبَاءِ . بِأَنْتُمْ يَتَابِعُ
 الْحَبَاءِ . فَضَرَّ اللَّهُ أَمْرًا أَبْرَقَسِي . وَصَدَّقَ تَوْسَمِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ بَعِينِ
 يُقْذِيهَا الْجُمُودُ . وَيُقْذِيهَا الْجُودُ . قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَهَمْنَا لِبِرَاعَةِ
 عِبَارَتِهَا . وَوَلَّحْ أَسْتَعَارَتِهَا . وَقُلْنَا لَهَا : قَدْ قَتَنَ كَلَامُكَ . فَكَيْفَ الْحَامُكِ .
 فَقَالَتْ : يَفْخِرُ الصَّخْرُ . وَلَا فَخْرَ . فَقُلْنَا : إِنْ جَعَلْتَنَا مِنْ رُؤَاتِكَ . لَمْ نَبْخُلْ
 بِمَوَاسَاتِكَ . فَقَالَتْ : لَا رَيْتَكُمْ أَوْلَا شِعَارِي . ثُمَّ لَا رَوَيْتَكُمْ أَشْعَارِي .
 فَأَبْرَزَتْ رُذْنَ دِرْعِ دَرِيْسٍ . وَبَرَزَتْ بَرَزَةَ عَجُوزِ دَرْدِيسٍ . وَأَنْشَدَتْ :
 أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَشْتَكَاءَ الْمَرِيضِ رَيْبَ الزَّمَانِ الْمُتَعَدِّي الْغَيْضِ
 يَا قَوْمُ إِنِّي مِنْ أَنْاسٍ عَنُوا دَهْرًا وَجَفَنَ الدَّهْرُ عَنْهُمْ غَضِيضُ
 فَيَحَارُهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعُ وَصَلِيَّتُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَفِيضُ
 كَانُوا إِذَا مَا نَجَعَةٌ أَعَوَّرَتْ فِي السَّنَةِ الشَّهَاءَ رَوْضًا أَرِيضُ
 تُشَبُّ لِلْسَّارِينَ نِيرَانُهُمْ وَيُطْعِمُونَ الضَّيْفَ لِحْمَاءَ غَرِيضُ

سَبْدِي مِنَ الْعَجَابِ . فَلَمَّا انْسَرَتْ أَهْبَةُ الْخَفَرِ . رَأَيْتُ حَيًّا أَبِي زَيْدٍ
قَدْ سَقَرَ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَيْهِ . لِأَعْنِفَهُ عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ . فَاسْلَقْنِي
أَسْلَفَاءَ الْمُتَمَرِّدِينَ . ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَةَ الْمُغَرِّدِينَ . وَأَنْدَفَعَ يُشِيدُ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَدْهَرِي أَخَاطَ عِلْمًا بِقُدْرِي
وَهَلْ دَرَى كُنْهَ غَوْرِي فِي الْخُدْعِ أَمْ لَيْسَ يَدْرِي
كَمْ قَدْ قُرْتُ بَلِيهِ بِحِيلَتِي وَبِمَكْرِي
وَكَمْ بَرَزْتُ بِعُرْفِ عَلَيْهِمُ وَبِذِكْرِي
أَصْطَادُ قَوْمًا يَوْعُظُ وَآخِرِينَ بِشِعْرِي
وَأَسْتَفْزُ بِحُلِّ عَقْلًا وَعَقْلًا بِخَمْرِي
وَتَارَةً أَنَا صَخْرٌ وَتَارَةً أُخْتُ صَخْرِي
وَلَوْ سَلَكْتُ سَبِيلًا مَأْلُوفَةً طُولَ عُثْمَرِي
لَخَابَ قِدْحِي وَقِدْحِي وَدَامَ عُسْرِي وَخُسْرِي
فَقُلْ لِمَنْ لَامَ هَذَا عُذْرِي قَدُونَكَ عُذْرِي

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَلَمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرِهِ . وَبَدِيعَةِ أَمْرِهِ .
وَمَا زَخَرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ . عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ الْمُرِيدَ . لَا يَسْمَعُ
التَّنْفِيدَ . وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ . فَتَنَيْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي . وَأَبْثَنُتُهُمْ
مَا أَثْبَتَهُ عِيَانِي . فَوَجَّهُوا لِضِيعَةِ الْجَوَائِزِ . وَتَعَاهَدُوا عَلَى مُحَرَّمَةِ الْعَجَائِزِ

المقامة الكرجية

٥٤ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ قَالَ : شَتَوْتُ بِالْكَرَجِ لِدَيْنٍ أَفْضَيْهِ .

وَأَرْبِ أَقْصِيهِ . فَلَوْتُ مِنْ شَتَائِهَا الْكَالِحَ . وَصِرَّهَا النَّافِحَ . مَا عَرَفَنِي
جَهْدَ الْبَلَاءِ . وَعَكَفَ بِي عَلَى الْأَصْطِلَاءِ . فَلَمْ أَكُنْ أَزَايِلُ وَجَارِي . وَلَا
مُسْتَوْقِدَ نَارِي . إِلَّا لِضُرُورَةٍ أَدْفَعُ إِلَيْهَا . أَوْ إِقَامَةَ جَمَاعَةٍ أَحَافِظُ عَلَيْهَا .
فَاضْطَرَرْتُ فِي يَوْمٍ جَوْهَ مَرْمَرٍ . وَدَجَنهُ مَكْفَهَرٍ . إِلَى أَنْ بَرَزْتُ مِنْ
كِنَانِي . لَهُمْ عَنَانِي . فَإِذَا سَمِعْتُ عَارِي الْجِلْدَةِ . بِأَدْيِ الْجُرْدَةِ . وَقَدْ
أَعْتَمَ بَرِيظَةٌ . وَاسْتَفَرَّ بِنُؤَيْطَةٍ . وَخَوَالِيهِ جَمْعُ كَيْفِ الْحَوَاشِي . وَهُوَ
يُنْشِدُ وَلَا يُحَاشِي :

يَا قَوْمَ لَا يُنِسُّكُمْ عَنْ فَقْرِي أَصَدَقُ مِنْ عُرْيِي أَوَانُ الْقُرِّ
فَاعْتَبِرُوا بِمَا بَدَأَ مِنْ ضُرِّي بَاطِنَ حَالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي
وَحَازِرُوا أَنْقِلَابَ سَلَمِ الدَّهْرِ فَإِنِّي كُنْتُ نَبِيَهُ الْقَدْرِ
أَوْيَ إِلَى وَفَرٍ وَحَدٍّ يَفْرِي تَفِيدُ صُفْرِي وَتَبِيدُ سُفْرِي
وَتَشْتَكِي كُومِي غَدَاةَ أَقْرِي فَجَرَدَ الدَّهْرُ سَيْوْفَ الْقَدْرِ
وَشَنَّ غَارَاتِ الرِّزَايَا الْعُبْرَ وَلَمْ يَزَلْ يَسْخَنِي وَيَبْرِي
حَتَّى عَفَتْ دَارِي وَغَاضَ دَرِّي وَبَارَسَ عُرْيِي فِي الْوَرَى وَشَعْرِي
وَصِرْتُ نَضْوَ فَاكَةٍ وَعُسْرَ عَارِي الْمَطَا مُجْرَدًا مِنْ قَشْرِي
كَأَنِّي الْمَنْزَلُ فِي التَّعْرِي لَا دِفْءَ لِي فِي الصَّنِّ وَالصَّبْرِ
غَيْرُ النَّصْبِي وَأَصْطِلَاءِ الْجَمْرِ فَهَلْ خِضَمٌ ذُو رِدَاءٍ غَمْرٍ
يَسْتُرُنِي بِمُطَرَفٍ أَوْ طَهْرٍ طَلَابَ وَجْهِ اللَّهِ لَا لِشُكْرِي
ثُمَّ قَالَ : يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ . الرَّافِلِينَ فِي الْفِرَاءِ . مَنْ أَوْتَى خَيْرًا

فَلْيَنْقُ . وَمَنْ أَسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ . فَإِنَّ الدُّنْيَا عَرُورٌ . وَالذَّهْرُ
عُثُورٌ . وَالْمُسْكَنَةُ زُورَةٌ طَيْفٌ . وَالْفُرْصَةُ بُزْنَةٌ صَيْفٌ . وَإِنِّي وَاللَّهِ
أَطْلَمًا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ . وَأَعْدَدْتُ الْأُهْبَ لَهُ قَبْلَ مُوَافَاتِهِ . وَهَذَا
أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي . سَاعِدِي وَسَادَتِي . وَجَلَدَتِي . بُرْدَتِي . وَحَفْنَتِي .
جَفْنَتِي . فَلْيَمْتَرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي . وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي . فَإِنَّ السَّعِيدَ
مَنْ أُنْعِظَ بِسَوَاهُ . وَأُسْتَعَدَّ لِسَرَاهُ . فَقِيلَ لَهُ قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ .
فَاجْلُ لَنَا سَبْكَ . فَقَالَ : تَبًّا لِمُقْتَحِرٍ . يَعْظُمُ نَحْرٍ . إِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقَى .
وَالْأَدَبُ الْمُتَقَى . ثُمَّ أَلْشَدَّ :

لَعَمْرُكَ مَا إِلَّا نَسَانٌ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخْرُ بِنَفْسِهِ
ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحْقُوقًا . وَاجْرَنَتْهُ مُقَقِّقًا . وَقَالَ : اللَّهُمَّ يَا مَنْ غَمَرَ
بِنَوَالِهِ . وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ . أَعْنِي عَلَى الْبُرْدِ وَأَهْوَالِهِ . وَأَتَّخِ لي حُرًّا يُؤَثِّرُ
مِنْ خِصَاصَةٍ . وَيُوَاسِي وَلَوْ بِفِصَاصَةٍ . قَالَ الرَّاوِي : فَلَمَّا جَلَّى عَنْ
النَّفْسِ الْعِصَامِيَّةِ . وَأَلْمَحَ الْأَصْمِيَّةِ . جَعَلَتْ مَلَامَحُ عَيْنِي تَجْمُهُ .
وَمَرَامِي لَحْظِي تَرْجُهُ . حَتَّى اسْتَبْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ . وَأَنَّ تَعْرِيَهُ أَحْوَلُهُ
صَيْدٍ . وَلَعَّ هُوَ أَنَّ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكَهُ . وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَبْتَكَهُ . فَقَالَ :
أَفْسِمُ بِالسَّمِّ وَالْقَمَرِ . وَالزُّهْرِ وَالرَّهْرِ . إِنَّهُ لَنْ يَسْتُرَنِي إِلَّا مَنْ
طَابَ خِيَمُهُ . وَأَشْرَبَ مَاءَ الْمُرُوءَةِ أَدِيمُهُ . فَعَقَلْتُ مَا عَنَاهُ . وَإِنْ لَمْ يَذَرِ
الْقَوْمَ مَعْنَاهُ . وَسَاءَ لِي مَا يَعْانِيهِ مِنَ الرِّعْدَةِ . وَأَفْشَعَارِ الْجِلْدَةِ . فَعَمَدَتْ

لِقَرَوَةٍ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاشِي . وَفِي اللَّيْلِ فِرَاشِي . فَضَوَّتْهَا عَنِّي . وَقُلْتُ
لَهُ : أَقْبَلَهَا مِنِّي . فَأَكْذَبَ أَنْ أَقْرَاهَا . وَعَيْنِي تَرَاهَا . ثُمَّ أَتَشَدَّ
لِلَّهِ مِنَ الْبَسَنِ قَرَوَةً أَصْحَتْ مِنَ الرِّعْدَةِ لِي جُنَّةُ
الْبَسَنِهَا وَاقِيًا مُهْجَتِي وَفِي شَرِّ الْإِنْسِ وَأَجَنَّةُ
سَيِّئَتِي الْيَوْمَ ثَنَائِي وَفِي غَدٍ سَيِّئَتِي سُنْدُسُ أَجَنَّةُ
قَالَ : فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ . بِافْتِنَانِهِ فِي الْبَرَاةِ . أَلْقَوْا عَلَيْهِ
مِنَ الْفِرَاءِ الْمُنْغَشَّةِ . وَالْجِلْبَابِ الْمَوْشَاةِ . مَا آدَهُ ثِقْلُهُ . وَلَمْ يَكْدُ يَقْلُهُ .
فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ . مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ . وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ
ارْتَفَعَتِ النِّقْيَةُ . وَبَدَتْ السَّمَاءُ نَقِيَّةً . فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّ مَا قَرَسَكَ
الْبُرْدُ . فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدُ . فَقَالَ : وَيَكُ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ . سُرْعَةُ
الْعَدْلِ . وَلَا تَعْجَلْ بِإَوْمٍ هُوَ ظَلَمٌ . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .
فَوَالَّذِي نَوَّرَ الشَّيْبَةَ . وَطَبَّ تُرْبَةَ طَيْبَةَ . لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ لِرُحْتِ بِالْحَيَّةِ .
وَصَفَرِ الْعَيْبَةِ . ثُمَّ زَرَعَ إِلَى الْفَرَارِ . وَتَبَرَّقَعَ بِالْأَكْفَهَرَارِ . وَقَالَ : أَمَا
تَعْلَمُ أَنَّ شُنْشَنِي الْأَنْتَقَالَ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ . وَالْإِنْعَاطَافُ مِنْ عَمْرٍو
إِلَى زَيْدٍ . وَأَرَاكَ قَدْ عَقَيْتَنِي وَعَقَيْتَنِي . وَأَفْتَنِي أَضْعَافَ مَا أَفَدْتَنِي .
فَأَعْنِي عَافَاكَ اللَّهُ مِنْ لَعْنِكَ . وَأَسَدُّ دُونِي بَابَ جِدِّكَ وَلَهْوِكَ .
فَجَبَدْتُهُ جَبْدَ التَّلْعَابَةِ . وَجَجَعْتُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ . وَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
أُورَاكَ . وَأَعْطَيْ عَلَى عَوَارِكَ . لَمَا وَصَلْتَ إِلَى صَلَةٍ . وَلَا أَنْفَلَبْتَ أَكْسَى
مِنْ بَصَلَةٍ . فَجَازَنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ . وَسَتْرِي لَكَ وَعَلَيْكَ . بِأَنْ

تَسْمَحْ لِي بِرِدِّ الْقُرُوءِ . أَوْ تُعَرِّفَنِي كَافَاتِ الشُّتُوَةِ . فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَ
الْمُتَعَجِّبِ . وَازْمَهَرَ أَرْمَهَرَ ارْتَعَصِبَ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا رِدُّ الْقُرُوءِ فَأَبْعَدُ
مِنْ رِدِّ أَمْسِ الدَّائِرِ . وَالْمَيْتِ الْغَايِرِ . وَأَمَّا كَافَاتِ الشُّتُوَةِ فَسُجَّانَ مَنْ
طَبَعَ عَلَى ذَهْنِكَ . وَأَوْهَى وَعَاءِ خَزْنِكَ . حَتَّى أَنْسَيْتَ مَا أَنْشَدْتُكَ
بِالْذُّكْرِ . لِأَبْنِ سَكْرَةٍ :

جَاءَ الشِّتَاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ سَبْعُ إِذَا الْقَطْرِ عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا
كِنْ وَكَيْسُ وَكَانُونُ وَكَاسُ طَلَا بَعْدَ الْكِبَابِ وَكَفُّ نَاعِمٍ وَكِسَا
ثُمَّ قَالَ : جَبَابُ يَشْفِي . خَيْرٌ مِنْ جَلْبَابٍ يَدْفِي . فَأَكْتَفَى بِمَا
وَعَيْتَ وَأَنْكَفَى . فَقَارَفْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ قُرُوتِي لَشَتَوَاتِي . وَحَصَلْتُ عَلَى
الرَّعْدَةِ طُولِ شَتَوَاتِي

المقامة التفليسية

هـ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاهَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى مُذْ يَفَعْتُ .
أَنْ لَا أُوخِّرَ الصَّلَاةَ مَا اسْتَطَعْتُ . فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ الْفُلُواتِ . وَلَهُوَ
الْحُلُواتِ . أُرَاعِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ . وَأَحَازِرُ مِنْ مَأْثِمِ الْفُواتِ . وَإِذَا
رَاقَعْتُ فِي رِحْلَةٍ . أَوْ حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ . مَرَحَبْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا .
وَأَقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا . فَأَتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلِيسَ . أَنْ صَلَّيْتُ
مَعَ زُمْرَةِ مَفَالِيسَ . فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ . فَأَزْمَعْنَا الْإِنْفِلَاتَ . بَرَزَ شَيْخٌ
بَادِي اللُّقُوءِ . بَالِي الْكُسُوءِ وَاللُّقُوءِ . فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ حُلِقَ مِنْ
طِينَةِ الْحُرِّيَّةِ . وَتَفَوَّقَ دَرَّ الْعَصِيَّةِ . إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْنَةً . وَأَسْتَمِعَ

مِنِّي نَفْثَةً . ثُمَّ لَهُ الْخِيَارُ مِنْ بَعْدُ . وَبِيَدِهِ الْبَدَلُ وَالرَّدُّ . فَعَقَدَ لَهُ الْقَوْمُ
الْحَبِي . وَرَسُوا أَمْثَالَ الرَّبِّي . فَلَمَّا آنَسَ حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ . وَرَزَانَةَ
حَصَاتِهِمْ . قَالَ : يَا أُولِي الْأَبْصَارِ الرَّامِقَةِ . وَالْبَصَارِ الرَّائِقَةِ . أَمَا
يُغْنِي عَنْ الْخَبَرِ الْعِيَانُ . وَيُنَبِّئُ عَنِ النَّارِ الدُّخَانُ . شَيْبٌ لَا يُخُ .
وَوَهْنٌ قَادِحٌ . وَدَاءٌ وَاضِحٌ . وَالْبَاطِنُ فَفَاضِحٌ . وَلَقَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ
مِمَّنْ مَلَكَ وَمَالَ . وَوَلِيَ وَآلَ . وَرَفَضَ وَأَنَالَ . وَوَصَلَ وَصَالَ . فَلَمْ
تَرَلِ الْجَوَائِحُ تَسَحَّتْ . وَالنَّوَابِ تَسَحَّتْ . حَتَّى الْوَكْرُ قَفَرُ . وَالْكَفُّ
صَفَرُ . وَالشَّعَارُ ضَرُ . وَالْعَيْشُ مَرُ . وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعُونَ مِنَ الطَّوَى .
وَيَتَمَنُّونَ مُصَاصَةَ النَّوَى . وَلَمْ أَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ . وَانْكَشَفَ لَكُمْ
الدَّفَائِنُ . إِلَّا بَعْدَ مَا شَقِيتُ وَلَقِيتُ . وَشَبْتُ مِمَّا لَقِيتُ . فَلَيْتَنِي لَمْ
أَكُنْ بَقِيتُ . ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوَّهَ الْأَسِيفُ . وَأَنشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ :
أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ سُجَّانَهُ تَقَلُّبَ الدَّهْرِ وَعُدْوَانَهُ
وَحَادِثَاتِ قَرَعَتْ مَرَوْتِي وَقَوَّضَتْ مَجْدِي وَبَنَانَهُ
وَاهْتَصَرَتْ عُودِي وَيَا وَيلَ مَنْ تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ أَغْصَانَهُ
وَأَمَحَلَتْ رَبْعِي حَتَّى جَلَتْ مِنْ رَبْعِي الْمَحَلْ جِرْدَانَهُ
وَعَادَرْتَنِي حَارًّا بَارًّا أَكَابِدُ الْفَقْرِ وَأَشْجَانَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَخَا ثُرْوَةٍ يَسْتَبُ فِي النِّعْمَةِ أَرْدَانَهُ
يَحْتَسِطُ الْعَافُونَ أَوْرَاقَهُ وَيَحْمَدُ السَّارُونَ نِيرَانَهُ
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ

وَأَزُورَ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَانَهُ
 فَهَلْ فَتَى يَحْزُنُهُ مَا يَرَى مِنْ ضَرْبِ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
 فَيَقْرِجَ أَلْهَمَ الَّذِي هَمَّهُ وَيُصْلِحَ الشَّانَ الَّذِي شَانَهُ
 قَالَ الرَّأَوِي : فَصَبَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَشِيْتَهُ . لَسْتُ نَجِشَ خُبَاتِهِ .
 وَتَسْتَفِضَ حَقِيَّتَهُ . فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُبَّتِكَ . وَرَأَيْنَا دَرَّ
 مُزْنَتِكَ . فَعَرَفْنَا دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ . وَأَحْسِرِ اللَّثَامَ عَنْ نِسْبَتِكَ . فَأَعْرَضَ
 إِعْرَاضَ مَنْ مُنِيَ بِالْإِعْنَاتِ . وَجَعَلَ يَلْعَنُ الضَّرُورَاتِ . وَيَتَأَفَّفُ
 مِنْ تَغْيِضِ الْمُرُوءَاتِ . ثُمَّ أُنْشِدَ بَلَقُطٍ صَادِعٍ . وَجَرَسٍ خَادِعٍ :
 لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ قَرْعٍ يَدُلُّ جَنَاهُ الَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
 فَكُلُّ مَا حَلَا حِينَ تَوَقَّى بِهِ وَلَا تَسْأَلِ الشَّهَدَ عَنْ نَحْلِهِ
 وَمِمِّزٍ إِذَا مَا اُعْتَصَرَتِ الْكُرُومُ سُلَاقَةُ عَصْرِكَ مِنْ خَلِهِ
 لِتُعْلِي وَتُرْخِصَ عَنْ خَبَرَةٍ وَتَشْرِي كَلًّا شَرَى مِثْلِهِ
 فَعَارَ عَلَى الْقَطَنِ الْوُدْعِي دُخُولَ الْعَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ
 قَالَ : فَازْدَهَى الْقَوْمُ بِذِكَايِهِ وَدَهَايِهِ . وَاخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ
 دَائِهِ . حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خَبَايَا الْخُبَنِ . وَخَفَايَا الشُّبَنِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا هَذَا
 إِنَّكَ حَمَتَ عَلَى رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ . وَتَعَرَّضْتَ لِحَلِيَّةٍ حَلِيَّةٍ . فَخُذْ هَذِهِ الصَّبَابَةَ .
 وَهَبْهَا لَا خَطَأَ وَلَا إِصَابَةَ . فَزَلَّ فَلَهُمْ مَنَزَلَةُ الْكُثْرِ . وَوَصَلَ قَبُولُهُ
 بِالشُّكْرِ . ثُمَّ تَوَلَّى يَجْرُ شِقَّهُ . وَيَنْهَبُ بِالْحَبْطِ طَرَفَهُ . قَالَ الْخُبَرُ بِهِذِهِ
 الْحِكَايَةِ : فَصُورِي أَنَّهُ مُحِلٌّ لِحَلِيَّتِهِ . مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ . فَهَضَمْتُ

أَنْهَجُ مِنْهَا جُهُ . وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ . وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَرًّا . وَيُوسِعُنِي هُجْرًا .
 حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ . وَأَمَكْنَ التَّحْقِيقُ . نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ .
 وَمَا حَصَّ بَعْدَ مَا عَشَّ . وَقَالَ : إِنِّي لِأَخَا لَكَ أَخَا غَرِيَّةٍ . وَرَايِدُ صُحْبَةٍ .
 فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيَرْفُقُ . وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيَنْفُقُ . فَقُلْتُ
 لَهُ : لَوْ أَتَانِي هَذَا الرَّفِيقُ . لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ . فَقَالَ لِي : قَدْ وَجَدْتَ
 فَأَغْبَيْطُ . وَأَسْتَكْرِمْتُ فَأَرْتِطُ . ثُمَّ صَحِيحٌ مَلِيًّا . وَتَمَثَّلَ لِي بِشَرًّا
 سَوِيًّا . فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوحِيُّ لَا قَلْبَةَ بِجِسْمِهِ . وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ .
 فَفَرَحْتُ بِلِقَائِهِ . وَكَذِبَ لِقَوَاتِهِ . وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ . عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ .
 فَشَحَا فَاهُ . وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ :

ظَهَرْتُ بِرِثٍ لِكَيْمَا يُقَالَ قَمِيرٌ يُزَجِّي الزُّمَانَ الزُّجَجِي
 وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلِحْتُ فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى
 وَلَوْلَا الرِّثَاءَةُ لَمْ يُرِثْ لِي وَلَوْلَا التَّفَاجُّ لَمْ أَلْقَ فُلْجَا
 ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهَذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ . وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ .
 فَإِنْ كُنْتُ الرَّفِيقَ . فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ . فَمَسَرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدِينَ .
 وَرَافَقْتُهُ عَامِلِينَ أَجْرَ دَيْنٍ . وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ . فَأَبَى
 الدَّهْرُ الْمُسْتُ

المقامة المروية

٥٦ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : حُبَّ إِلَيَّ مُذْ سَعَتْ قَدَمِي .
 وَنَفَتْ قَلْبِي . أَنْ أَتَّخِذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً . وَالْإِقْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْمَةً .

فَكُنْتُ أَنْقَبُ عَنْ أَخْبَارِهِ . وَخَزَانَةُ أَسْرَارِهِ . فَإِذَا أُلْقِيَتْ مِنْهُمْ بَغِيَّةُ
الْمُلْتَمَسِ . وَجُذُودَةُ الْمُتَقَبِّسِ . شَدَدَتْ يَدَيَّ بَعْرَزِهِ . وَاسْتَنْزَلَتْ مِنْهُ
زَكَاةَ كَنْزِهِ . عَلَى آيِي لَمْ أَلْقَ كَالسَّرُوجِيِّ فِي غَزَاةِ السُّحْبِ . وَوَضَعَ
الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرَ مِنَ الْمَثَلِ . وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَمَرِ
فِي الثَّقَلِ . وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ . وَأَسْتَحْسَنَ مَقَامَاتِهِ . أَرْغَبُ فِي
الْإِغْتِرَابِ . وَأَسْتَعِذُّ بِالسَّفَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ . فَلَمَّا
تَطَوَّحْتُ إِلَى مَرَوْ . وَلَا غَرَوْ . بَشَّرَنِي بِمَلَقَاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ . وَالْقَالُ
الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْخَيْرِ . فَلَمْ أَزَلْ أُنْشِدُهُ فِي الْمَحَافِلِ . وَعِنْدَ تَلْقَى
الْقَوَافِلِ . فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا . وَلَا أَرَى لَهُ أَثَرًا وَلَا عَثِيرًا . حَتَّى غَلَبَ
الْيَأْسُ الطَّمَعَ . وَأَزْوَى التَّأْمِيلُ وَأَنْقَمَعَ . فَإِنِّي لَذَاتُ يَوْمٍ بِمَحْضَرَةٍ
وَالِي مَرَوْ . وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ الْفَضْلَ وَالسَّرَّو . إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلْقٍ
مِمْلَاقٍ . وَخُلِقَ مَلَّاقٍ . فَحَيَّا الْوَالِيَّ تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ . إِذْ أَلْقَى رَبَّ التَّاجِ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَعْلَمَ وَفِيَتِ الدَّمَّ . وَكُفِيَتِ الْهَمَّ . أَنَّ مِنْ عُدَّتِ بِهِ
الْأَعْمَالُ . أَعْلَقَتْ بِهِ الْأَمَالُ . وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ . رُفِعَتْ إِلَيْهِ
الْحَاجَاتُ . وَأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ . وَوَاتَاهُ الْقَدَرُ . آدَى زَكَاةَ النِّعَمِ . كَمَا
يُودَى زَكَاةَ النِّعَمِ . وَالتَّرَمَ لِأَهْلِ الْحُرْمِ . مَا يُلْتَرَمُ لِلْأَهْلِ وَالْحُرْمِ . وَقَدْ
أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ . وَعِمَادَ عَصْرِكَ . تُرْجَى الرُّكَّابُ إِلَى
حَرَمِكَ . وَتُرْجَى الرِّغَائِبُ مِنْ كَرَمِكَ . وَتُنْزَلُ الْمَطَالِبُ بِسَاحَتِكَ .
وَتُسْتَنْزَلُ الرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِكَ . وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

وإِحْسَانُهُ لَدَيْكَ عَمِيًّا . ثُمَّ إِنِّي شَيْخُ رَبِّ بَعْدَ الْإِثْرَابِ . وَعَدِمَ
 الْأَعْشَابَ حِينَ شَابَ . قَصَدْتُكَ مِنْ مَحَلَّةٍ نَارِحَةٍ . وَحَالَةٍ رَازِحَةٍ .
 آمَلُ مِنْ بَحْرِكَ دَفْعَةً . وَمِنْ جَاهِكَ رِفْعَةً . وَالتَّامِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ
 السَّائِلِ . وَنَائِلِ النَّائِلِ . فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ . وَأَحْسِنْ كَمَا
 أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُلَوِي عِذَارَكَ . عَمَّنْ أُرْدَارَكَ . وَأَمَّ
 دَارَكَ . أَوْ تَقْبِضَ رَاكَ . عَمَّنْ أُمْتَاكَ . وَامْتَارَ سَمَاكَ . فَوَاللَّهِ
 مَا مَجَّدَ مِنْ جَمْدٍ . وَلَا رَشَدَ مِنْ حَشَدٍ . بَلِ اللَّيْبُ مِنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ .
 وَإِنْ بَدَأَ بِعَائِدَةٍ عَادَ . وَالْكَرِيمُ مَنْ إِذَا اسْتَوْهَبَ الذَّهَبَ . لَمْ يَهَبْ
 أَنْ يَهَبَ . ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أَكْلَ غَرَسِهِ . وَيَرْصُدُ مَطِيبَةَ نَفْسِهِ .
 وَأَحَبُّ الْوَلِيِّ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطِفَتْهُ ثَمْدٌ . أَمْ لِقَرِيحَتِهِ مَدْدٌ . فَأَطْرَقَ
 رُؤْيِي فِي اسْتِيرَاءِ رَنْدِهِ . وَاسْتِشْقَافِ فِرْنِدِهِ . وَالتَّبَسُّ عَلَى أَبِي زَيْدٍ
 سِرُّ صَمْتِهِ . وَإِرْجَاءُ صَلَاتِهِ . فَتَوَغَّرَ غَضَبًا . وَأَنْشَدَ مُقْتَضِبًا :

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ لِأَنْ بَدَأَ خَلَقَ السَّرْبَالَ سُبْرُوتًا
 وَلَا تَضَعِ لِأَخِي التَّامِيلَ حُرْمَتَهُ أَكَانَ ذَا لَسَنِ أَمْ كَانَ سَكِيَّتًا
 وَأَنْفَحِ بِعُرْفِكَ مَنْ وَافَاكَ مُحْتَبَطًا وَأَنْعَشِ بَعُوْثَكَ مَنْ أَلْقَيْتَ مِنْكَوْتًا
 فَخَيْرُ مَالٍ أَلْقَى مَالُ أَشَادَ لَهُ ذِكْرًا تَنَاقَلَهُ الرُّكْبَانُ أَوْ صِيْتًا
 وَمَا عَلَى الْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهَبَةٍ غَنَبٌ وَلَوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَاقُوتًا
 لَوْلَا الْمَرْوَةُ ضَاقَ الْعُذْرُ عَنْ قَطْنٍ إِذَا أَشْرَابَ إِلَى مَا جَاوَزَ الْقُوتَا
 لَكِنَّهُ لَا بَيْتَاءَ الْمَجْدِ جَدٍّ وَمِنْ حَبِ السَّمَاكِ ثَنَى تَحْوِ الْعُلَى لَيْتَا

وَمَا تَنْشَقْ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ إِلَّا وَأَزْرَى بَشْرَ الْمِسْكِ مَقْمُوتًا
وَالْحَمْدُ وَالْجَلُّ لَمْ يُقْضَ اجْتِمَاعُهُمَا حَتَّى لَقَدْ خِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتًا
وَالسَّمْعُ فِي النَّاسِ مَحْبُوبٌ خَلَايِقُهُ وَالْجَامِدُ الْكَفِّ مَا يَنْفَكُ مَقْمُوتًا
وَالشَّيْخُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ يُوسِعُنَّهُ أَبَدًا ذِمًّا وَتَبَكُّيتًا
فَجَدَّ يَمَا جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ حَتَّى يَرَى مُجْتَدِي جَدِّوَالِكَ مَبْهُوتًا
فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : تَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ . فَأَيُّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ .
فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَنْ عُرْضٍ . وَأَنشَدَ وَهُوَ مُغْنِصٌ :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مِنْ أَبِيهِ وَرَزْ خَلَالَهُ ثُمَّ صَلِّهِ أَوْ قَاصِرِمِ
فَمَا يَشِينُ السَّلَافَ حِينَ حَلَا مَذَاقُهَا كَوْنُهَا ابْنَةَ الْحِصَرِمِ
قَالَ : فَقَرَّبَهُ الْوَالِي لِبَيَانِهِ الْقَائِنِ . حَتَّى أَحَلَّهُ مَقْعَدَ الْحَاقِنِ . ثُمَّ
فَرَضَ لَهُ مِنْ سُيُوبِ نَيْلِهِ . مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ وَقَصَرَ لَيْلِهِ . فَهَضَّ
عَنْهُ بِرُذْنِ مَلَانٍ . وَقَلْبِ جَذْلَانٍ . وَتَبَعْتُهُ حَازِيًا حَذْوَهُ . وَقَافِيَا خَطْوَهُ .
حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ . وَفَصَلَ عَنْ غَايِهِ . قُلْتُ لَهُ : هُنْتُتَ يَمَا أُوتِيتَ .
وَمُلِّيتَ يَمَا أُوْلِيتَ . فَاسْفَرَّ وَجْهَهُ وَتَلَا لَا . وَوَالَى شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ
خَطَرَ اخْتِيَالًا . وَأَنشَدَ أَرْتِجَالًا :

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِالْحِمَاقَةِ حَظًّا أَوْ سَمَا قَدْرُهُ لَطِيبِ الْأُصُولِ
فَفَضْلِي أُنْتَفَعْتُ لَا بِفُضُولِي وَيَقُولِي أُرْتَفَعْتُ لَا بِقُيُولِي
ثُمَّ قَالَ : تَعَسًّا لِمَنْ جَدَّبَ الْأَدَبَ . وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّفَ فِيهِ وَدَّابَ .
ثُمَّ وَدَّعَنِي وَذَهَبَ . وَأَوْدَعَنِي اللَّهُمَّ

البابُ الخامس في اللطائف

عبد الله بن الحجاج عند عبد الملك بن مروان

٥٧ لما قتل عبد الله بن الزبير وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته أحتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس. فدخل حجرة فقال له: مالك يا هذا لا تأكل. قال: لا أستحل أن آكل حتى تأذن لي. قال: إني قد أذنت للناس جميعاً. قال: لم أعلم. فأكل بأمره. قال: كل فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويحب من فعله. فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه وجلس خواصه بين يديه وتفرق الناس فجاء عبد الله بن الحجاج ووقف بين يديه. ثم استأذنه في الأئساد فأذن له فأشده:

أبلغ أمير المؤمنين فإني مما لقيت من الحوادث موجد
منع القرار فحيت نحوك هارباً جيش يجر ومقب يتلمع
فقال عبد الملك: وما خوفك لأمر لك لو لا أنك مريب. فقال
عبد الله:

كنّا نتحنّ البصار مرّة وإليك إذ عمي البصار نرجع
إنّ الذي يعصيك منا بعدها من دينه وحياته متودع
آتي رضاك ولا أعود ليلها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع

أَعْطِي نَصِيئَتِي الْخَلِيفَةَ نَاجِعًا . وَخَرَامَةَ الْأَنْفِ الْمُقَوِّدَ فَاتَّبِعْ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا لَا نَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ
وَبِذَنِّكَ . فَإِذَا عَرَفْتَ الْحَوْبَةَ قَبِلْنَا التَّوْبَةَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

وَلَقَدْ وَطَّئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطَآءً . وَأَبْنُ الزُّبَيْرِ فَعَرَّشَهُ مُتَضَعِعٌ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَا زِلْتُ تَضْرِبُ مِنْكَ عَنْ مَنْكَ تَعْلُو وَيُسْفِلُ غَيْرُكُمْ مَا يَرْفَعُ
وَوَطَّئْتُهُمْ فِي الْحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا حَدَثًا يُؤْسُ وَغَارًا يَتَجَمَّعُ
فَحَوَى خَلَاقَتَهُمْ وَلَمْ يَظْلِمْ بِهَا الْقَرْمُ قَرْمُ بَنِي قُصَيٍّ الْأَزْعُ
لَا يَسْتَوِي خَاوِي نُجُومٍ أَفْلٌ وَالْبَدْرُ مُنْجِمًا إِذَا مَا يَطْلُعُ
وُضِعَتْ أُمِّيَّةٌ وَاسْطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعَتْ وَسْطُهُمْ فَنَعِمَ الْمَوْضِعُ
بَيْتُ أَبُو الْعَاصِي بَنَاهُ بِرَبْوَةٍ عَالِي الْمَشَارِفِ عِزُّهُ مَا يُدْفَعُ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ تَوَرَّيْتُكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتُرِيدُنِي فَأَيُّ
الْفَسَقَةِ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ . فَقَالَ :

جَرَبْتُ أَصْنِيئَتِي يَدُ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مُعَادِيهَا مَا تَرَجِعُ
وَأَرَى الَّذِي يَرِجُو ثَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتْ نُجُومُهُمْ وَتَجَمَّكَ يَسْطَعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ :
فَأَنْعَشْ أَصْنِيئَتِي الْأَلَاءَ كَانَتْهُمْ حَجَلٌ تَدْرَجُ بِالْشَّرِّ جَوْعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا أَنْعَشُهُمْ اللَّهُ وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيدًا
مِنْ سُلَاسِمِهِمْ فَانْهَمُ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضْنُ جَمْعُهُ يَوْمَ الْقَلِيبِ فَحِزَ عَنْهُمْ أَجْمَعُ
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَعَلَّكَ أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْفَقْتَهُ فِي
 غَيْرِ حَقِّهِ . وَأَرْصَدْتَ بِهِ لُشَاقَةً أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَعَدَدْتَهُ لِمُعَاوَنَةِ أَعْدَائِهِ .
 فَزَعَرَهُ مِنْكَ إِذْ اسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
 أَذْنُو لِرَحْمَنِي وَتَجَبَّرَ فَاقْتِي فَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمُدْفَعُ
 فَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَمِنْتُ وَرَبَّ الْكُعْبَةِ . فَقَالَ عَبْدُ
 الْمَلِكِ : كُنْ مِنْ شَيْئِ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ . قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ هُوَ قَدْ
 وَطِئْتُ دَارَكَ وَأَكَلْتُ طَعَامَكَ وَأَشَدُّتُكَ . فَإِنْ قَتَلْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَنْتَ
 وَمَا تَرَاهُ . وَأَنْتَ بِنَا عَلِيكَ فِي هَذَا عَارِفٌ . ثُمَّ عَادَ إِلَى إِنْشَادِهِ فَقَالَ :
 ضَاقتُ ثِيَابُ الْمُتْلِسِينَ وَفَضْلُهُمْ عَنِّي فَأَلَيْسَنِي فَثُوبُكَ أَوْسَعُ
 فَنَبَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ مِطْرَفًا كَانَ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ . أَلَيْسَهُ لَا لَيْسَتْ .
 فَاتَّخَفَ بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْلَى لَكَ . وَاللَّهِ لَقَدْ طَاوَلْتُكَ طَمَعًا فِي
 أَنْ يَقُومَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ فَيَقْتُلَكَ . فَأَبَى اللَّهُ ذَلِكَ فَلَا تُجَاوِرُنِي فِي بَلَدٍ .
 وَأَنْصَرِفْ آمِنًا فَهَمَّ حَيْثُ شِئْتَ . ثُمَّ أَمْضَى لَهُ الْأَمَانُ (لِلْأَصْبَهَانِيِّ)

اجازة عبيد البرص وامرئ القيس

٥٨ أَيْ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَقَالَ لَهُ عُبَيْدٌ : كَيْفَ
 مَعْرِفَتُكَ بِالْأَوَايِدِ . فَقَالَ : أَلْقِ مَا أَحْيَيْتَ . فَقَالَ عُبَيْدٌ :
 مَا حَبَّةٌ مِثَّةٌ قَامَتْ بِمِيتَتِهَا دَرْدَاءٌ مَا أَتَبَتْ سِنًّا وَأَضْرَاسًا
 فَقَالَ أَمْرَأُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَائِهَا فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طُولِ الْمَكْثِ أَكْدَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا السُّودُ وَالْيَبِضُ وَالْأَسْمَاءُ وَاحِدَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا النَّاسُ تَمَسَّاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ السَّحَابُ إِذَا الرَّحْمَنُ أَرْسَلَهَا رَوَى بِهَا مِنْ مُحُولِ الْأَرْضِ آيَانَا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا مُرْتَجَاتُ عَلَى هَوْلِ مَرَائِكِبِهَا يَقْطَعْنَ طُولَ الْمَدَى سَيْرًا وَإِمْرَاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ النُّجُومُ إِذَا حَالَتْ بِمَطَالِعِهَا شَبَّهَتْهَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ أَقْبَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا الْقَاطِعَاتُ لِأَرْضٍ لَا أُنِيسَ بِهَا تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الرِّيَّاحُ إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا الْفَاجِعَاتُ جَهَارًا فِي عِلَاقَةٍ أَشَدَّ مِنْ فَيْلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْمُنَايَا فَمَا يُبْقِينَ مِنْ أَحَدٍ يَكْفِيَنَّ حَقِّي وَمَا يُبْقِينَ أَكْيَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا السَّابِقَاتُ سِرَاعُ الطَّيْرِ فِي مَهْلِ لَا يَشْتَكِينَ وَلَوْ أَجْمَعَتْهَا فَاسًا

فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْجِيَادُ عَلَيْهَا الْقَوْمُ قَدْ سَجَّوْا كَانُوا لَهْنٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ أَحْلَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدُ :

مَا الْقَاطِعَاتُ لِأَرْضِ الْجَوِّ فِي طَلْقِ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَمَا يَسْرِينِ قِرْطَاسَا

فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْأَمَانِي يُتْرَكُنُ الْفَتَى مَلِكًا دُونَ السَّمَاءِ وَلَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدُ :

مَا الْحَاكِمُونَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ وَلَا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ النَّاسَا

فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ

تِلْكَ الْمَوَازِينُ وَالرَّحْمَانُ أَنْزَلَهَا رَبُّ الْبَرِّيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ مِقْيَاسَا

٥٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَاوِرٍ : دَخَلْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى صَدِيقٍ لَنَا

نَعُودُهُ وَيَبِينُ يَدَيْهِ بِرُكَّةٍ قَدْرَاقَ مَاؤُهَا. وَصَحَّتْ سَمَاؤُهَا. وَقَدْرُصٌ تَحْتَ

دَسَاتِيرِهَا نَارُنْجٌ قَتَنَ قُلُوبَ الْحُضَارِ. وَمَلَأَ بِالْحَاسِنِ عَيُونَ النُّظَارِ.

فَكَأَنَّمَا رُفِعَتْ صَوَاجِحُ فِضَّةٍ عَلَى كُرَاتٍ مِنَ النُّضَارِ فَأَشَارَ الْحَاضِرُونَ

إِلَى وَضْفِهَا فَقُلْتُ بَدِيهَا :

أَبْدَعْتَ يَا ابْنَ هِلَالٍ فِي فِسْقِيَّةٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهَا بِمَا لَمْ يُعْهَدِ

عَجَبًا لِأَمْوَاهِ الدَّسَاتِيرِ الَّتِي قَاضَتْ عَلَى نَارُنْجِهَا الْمُتَوَقِّدِ

فَكَأَنَّهُنَّ صَوَاجِحٌ مِنْ فِضَّةٍ رُفِعَتْ لِضَرْبِ كُرَاتٍ خَالِصِ عَسْجَدِ

علي بن ظافر عند الملك العادل

٦٠ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: وَمِنْ أَعْجَبِ مَا ذُهِتَ بِهِ وَرُمِيتُ إِلَّا أَنْ اللَّهُ
بِفَضْلِهِ نَصَرَ وَأَعْطَى الظُّفَرَ وَأَعَانَ خَاطِرِي الْكُلِيلَ. حَتَّى مَضَى مَضَاءُ
السَّيْفِ الصَّقِيلِ. أَيُّ كُنْتُ فِي خِدْمَةِ مَوْلَانَا الْعَادِلِ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ)
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةً إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ مَعَ مَنْ صَمَّتْ حَاشِيَةُ الْعَسْكَرِ الْمُنْصُورِ
مِنَ الْكُتَابِ وَدَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّمِائَةٍ وَخُنُ بِالْثَغْرِ مُقِيمُونَ بِالْخِدْمَةِ.
مُرْتَضِعُونَ لِأَفَاوِيقِ النُّعْمَةِ. فَحَضَرَتْ مَعَ مَنْ حَضَرَ لِلْهَنَاءِ. مِنَ الْفُقَهَاءِ
وَالْعُلَمَاءِ. وَالْمَشَاحِجِ وَالْكَبَرَاءِ. وَجَمَاعَةِ الدِّيَّانِ وَالْأُمَرَاءِ. فِي يَوْمٍ مِنْ
أَيَّامِ الْجُلُوسِ لِامْتِضَاءِ الْأَحْكَامِ. وَالْعَرْضِ لَطَوَائِفِ الْأَجْنَادِ بِالتَّامِّ. فَلَمْ
يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَلَا مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَّا حَضَرَ مُهَيَّئًا. وَمِثْلَ شَاكِرٍ
وَدَاعِيَا. فَلَمَّا غَصَّ الْجُلُوسُ بِأَهْلِهِ. وَشَرِقَ بِجَمْعِ النَّاسِ وَحَفْلِهِ. وَخَرَجَ
مَوْلَانَا السُّلْطَانُ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ) إِلَى مَجْلِسِهِ. وَاسْتَقَرَّ فِي دَسْتِهِ. أَخْرَجَ
كِتَابًا نَاوَلَهُ إِلَى الصَّاحِبِ الْأَجَلِّ صَفِيِّ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَلِيٍّ وَزِيرِ دَوْلَتِهِ. وَكَبِيرِ جَمَلَتِهِ. وَهُوَ مَفْضُوزُ الْحَتَامِ. مَفْكُوكُ الْفِدَامِ فَفَتَحَهُ
فَإِذَا فِيهِ قِطْعَةٌ وَرَدَّتْ مِنَ الْمُؤَلَّى الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ أَبْقَاءُ اللَّهِ. كَتَبَهَا إِلَيْهِ
يَتَشَوَّفُهُ وَيَسْتَطِيعُهَا لِزِيَارَتِهِ وَرِقْمَهُ وَيَسْتَحِثُّ عَوْدَ رِكَابِهِ إِلَى الشَّامِ.
لِلْمُتَاغِرَةِ بِهَا وَقَعَ عَدُوُّهَا. وَيَعْرِضُ بِذِكْرِ مَضَرِّ شِدَّةِ حَرْهَا وَقَدْ جَرَّهَا.
وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى خِدْمَتِهِ بِالْثَغُورِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا. وَالْآيَاتُ:
أَرْوِي رِمَاحَكَ مِنْ نُحُورِ عِدَاكَ وَأَنْهَبُ بِخَيْلِكَ مَنْ أَطَاعَ سِوَاكَ

وَأَزْكَبْ خِيُولَاكَ السَّعَالِي شُرَبًا
وَأَجْلِبْ مِنَ الْأَبْطَالِ كُلِّ سَمِيعٍ
وَأَسْتَرْعِفِ الشُّرَّ اللَّدَانِ وَرَوَّهَا
وَسِرِ الْغَدَاةَ إِلَى الْغَدَاةِ مُبَادِرًا
وَأَقْرِنْ رِمَاحَكَ بِالْثُّغُورِ فَإِنَّهَا
فَالْعَزِي فِي نَصَبِ الْحِيَامِ عَلَى الْعِدَى
وَالنَّصْرُ مَقْرُونٌ بِهَيْبَتِكَ الَّتِي
فَإِذَا عَزِمْتَ وَجَدْتَ مِنْ هَوَاطِنِ
وَالنَّصْرِ فِي الْأَعْدَاءِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ
وَالْعَجْزُ أَنْ تُسَيِّ بِمِصْرٍ مُحِيَّمًا
فَارِحْ خُشَّاشَتِكَ الْكَرِيمَةَ مِنْ لُظَى
فَلَقَدْ عَدَا قَلْبِي عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ
وَأَنْهَضُ إِلَى رَاجِي لِقَاكَ مُسَارِعًا
وَأَبْرُدُ فُؤَادَ الْمُسْتَهَامِ بِنَظَرَةٍ
وَأَشْفِ الْغَدَاةَ عَلِيلَ صَبِّ هَائِمٍ
فَسَعَادَتِي بِالْعَادِلِ الْمَلِكِ الَّذِي
فَبَقِيَتْ لِي يَا مَالِكِي فِي غِيْطَةٍ
فَلَمَّا تَلَا الصَّاحِبُ عَلَى الْحَاضِرِينَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا. وَجَلَّ مِنْهَا الْعُرُوسُ
الَّتِي حَارَتْ مِنَ الْحَاسِنِ أَبْعَدَ غَايَاتِهَا. أَخَذُوا فِي اسْتِحْسَانِ نِظَامِهَا.

وَأَضْرِبْ بِسَيْفِكَ مَنْ يَشُقُّ عَصَاكَ
يَفْرِي بِعِزِّكَ كُلِّ مَنْ يَشْنَاكَ
وَأَسْقِ الْمُنْيَةَ سَيْفَكَ السَّقَاكَ
بِالضَّرْبِ فِي هَامِ الْعُدُودِ رَاكَ
مُشْتَاكَةً أَنْ تُبْتَنَى بِعُلَاكَ
تُرْدِي الطُّغَاةَ وَتَدْفَعُ الْمَلَكَ
قَدْ أَصْبَحَتْ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَاكَ
وَإِذَا نَهَضْتَ وَجَدْتَ مَنْ يُخْشَاكَ
أَحْلَى مِنَ الْكَاسِ الَّذِي رَوَّاكَ
وَتَحِلَّ فِي تِلْكَ الْعِرَاصِ عُرَاكَ
مِصْرٍ لِكَيْ تُحْظِيَ الْغَدَاةَ بِذَاكَ
شَغَفًا وَلَا حَرَّ الْبِلَادِ هُنَاكَ
فُنَيَّيْ مِنْ كُلِّ الْأُمُورِ لِقَاكَ
وَأَعِدْ عَلَيْهِ الْعَيْشَ مِنْ رُؤْيَاكَ
أَضْحَى مِنْهُ مِنَ الْحَيَاةِ مِنْكَ
مَلِكُ الْمُلُوكِ وَقَارَنَ الْأَفْلَاكَ
وَجَعَلَتْ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فِدَاكَ
فَلَمَّا تَلَا الصَّاحِبُ عَلَى الْحَاضِرِينَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا. وَجَلَّ مِنْهَا الْعُرُوسُ
الَّتِي حَارَتْ مِنَ الْحَاسِنِ أَبْعَدَ غَايَاتِهَا. أَخَذُوا فِي اسْتِحْسَانِ نِظَامِهَا.

وَتَنَاسَقَ غَرِيبُ السَّيِّمَاتِهَا. وَالشَّيْءُ عَلَى الْخَطِيطِ الَّذِي نَظَّمْ مُحْكَمَ آيَاتِهَا
وَأَطْلَعَ مِنْ مَشْرِقِ فِكْرِهِ آيَاتِهَا. فَقَالَ السُّلْطَانُ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ):
زَيْدٌ مَنْ يُجِيبُهُ عَنَّا بِآيَاتٍ عَلَى قَافِيَتِهَا. فَاتَّفَقَتْ مُسْرِعًا إِلَيَّ وَأَنَا عَلَى
يَمِينِهِ وَقَالَ: يَا مَوْلَانَا مَمْلُوكُكَ فُلَانٌ هُوَ فَارِسُ هَذَا الْمَيْدَانِ. وَالْمُعْتَادُ
لِلتَّخَلُّصِ فِي مَضَائِقِ هَذَا الشَّانِ. ثُمَّ قَطَعَ وَصَلًا مِنْ دَرَجٍ كَانَ بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْقَاهُ إِلَيَّ. وَعَمِدَ إِلَى دَوَاتِهِ فَأَدَارَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ:
أَهَكَذَا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ. قَالَ: نَعَمْ أَنَا جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
مُتَّقِدَ الْخَطِيطِ حَاضِرَ الذِّهْنِ سَرِيعَ إِبَاقَةِ الْفِكْرِ. فَقَالَ السُّلْطَانُ: وَعَلَى
كُلِّ حَالٍ قُمْ إِلَى هَهُنَا لِنَتَكَفَّ عَنْكَ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ. وَتَقْطَعَ جَلْبَةً
الْحَاضِرِينَ. وَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ عَنْ يَمِينِ أَلْيَتِ الْحَشَبِ الَّذِي هُوَ
مُنْفَرَّدٌ بِهِ قُمْتَ وَقَدْ قَعَدَتْ رِجْلِي الْخِزَالَا. وَذَهَبِي اخْتِلَالَا. لِهَيْبَةِ
الْجُلُوسِ فِي صَدْرِي وَكَثْرَةِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُتَرْقِّينَ لِي الْمُنْتَظَرِينَ
حُلُولِ فَاتِرَةِ السَّمَاءَةِ بِي. فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَاسَتْ حَتَّى ثَابَ إِلَيَّ خَاطِرِي.
وَأَثَالَ الشَّعْرُ عَلَى صَمَائِرِي. فَكُنْتُ أَرَى فِكْرِي كَأَلْبَازِي الصُّوْدِلَا
يَرَى كَلِمَةً إِلَّا أَنْشَبَ فِيهَا مَنَسْرَهُ. وَلَا مَعْنَى إِلَّا شَكٌّ فِيهِ ظَفَرُهُ.
فَقُلْتُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ:

وَصَلَتْ مِنَ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ ثَخَفَةٌ مَلَأَتْ بِفَاخِرِ دُرِّهَا الْأَسْلَاكَ
أَيَّاتُ شِعْرِ كَالْجُجُومِ جَلَالَةً فَلَذَا حَكَّتْ أَوْرَاقَهَا الْأَفْلَاكَ
عَجَبًا وَقَدْ جَاءَتْ كَمِثْلِ الرُّوْضِ إِذْ لَمْ تُذَوِّهَا بِالْحَرِّ نَارُ ذَكَكَ

جَلَّتِ الْمُؤْمَنَاتُ عَنْ الْفَوَادِ كَيْثُ مَا تَجْلُو بِفِرَّةٍ وَجْهَكَ الْأَحْلَاكَ
كَقَمِيصِ يُوسُفَ إِذْ شَفَّ يَعْقُوبَ رِيَاءُ شَفَتِي مِثْلُهُ رِيَاكَ
قَدْ أَعْجَزَتْ شُعْرَاءُ أَهْلِ زَمَانِنَا حُسْنًا فَلِمَ لَا تَعْجِزُ الْأَمْلَاكَ
مَا كَانَ هَذَا الْفَضْلُ يُكِنُّ مِثْلُهُ أَنْ يَخْتَوِيَهُ مِنَ الْأَنَامِ سِوَاكَ
لِمَ لَا أَعِيبُ عَنْ الشَّامِ وَهَلْ لَهُ مِنْ حَاجَةٍ عِنْدِي وَأَنْتَ هُنَاكَ
أَمْ كَيْفَ أَخْشَى وَالْأَلَادُ جَمِيعُهَا حَمِيَّةٌ فِي جَاهِ طَعْنٍ قَتَاكَ
يَكْفِي الْأَعَادِي حُرًّا بِأَسِكَ فِيهِمْ أَضَاعَفَ مَا يَكْفِي الْوَلِيَّ نَدَاكَ
مَا زُرْتُ مِصْرَ لَغَيْرِ ضَبْطِ ثُغُورِهَا فَلَذَا صَبَرْتُ فَدَيْتُ عَنْ رُؤْيَاكَ
أَمْ الْأَلَادِ عَلَا عَلَيْهَا قَدْرُهَا لَا سِيَّأَ مَذْ شَرِّقَتْ بِخُطَاكَ
طَابَتْ وَحَقَّ لَهَا وَلَمْ لَا وَهِيَ قَدْ حَوَتْ الْمُعَلَّى فِي الْقِدَاحِ أَخَاكَ
أَنَا كَالسَّحَابِ أَزُورُ أَرْضًا سَافِيًا حِينًا وَأَمُحُّ غَيْرَهَا سُقْيَاكَ
مُكْنِي جِهَادًا لِلْعَدُوِّ لِأَتِي أَنْزَوْهُ بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ دِرَاكَ
لَوْلَا الرِّبَاطُ وَفَضْلُهُ لَقَصَدْتُ بِالسَّيْرِ الْحَثِيثِ إِلَيْكَ نَيْلَ رِضَاكَ
وَلَنْ أَتَيْتُ إِلَى الشَّامِ فَإِنَّمَا يَخْتَنِي شَوْقِي إِلَى لُقْيَاكَ
إِنِّي لَا أَمْنُكَ أَلْحَبَّةً جَاهِدًا وَهَوَايَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ هَوَاكَ
فَأَفْخَرُ فَقَدْ أَصْبَحْتُ بِرَبِّاسِكَ الْحَامِ مِي وَكُلُّ مُلْكٍ يَخْشَاكَ
لَا زِلْتُ تَقْهَرُ مِنْ يُعَادِي مُلْكَنَا أَبَدًا وَمَنْ عَادَاكَ كَانَ فِدَاكَ
وَأَعِيشُ أَنْظِرْ ابْنَكَ الْبَاقِي أَبَا وَتَعِيشُ تُخَدِّمُ فِي السُّعُودِ أَبَاكَ
ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَكَانِي وَقَدْ بَيَّضْتُهَا وَحَلَيْتُ بِزَهْرِهَا سَاحَةَ الْفِرَاطِ

الْأَيْضُ وَرَوْضَتَهَا . فَلَمَّا رَأَى السُّلْطَانُ (خَدَّ اللَّهُ مُلْكَهُ) قَدْ عُدْتُ
 قَالَ : أَعَمِلْتُ شَيْئًا . ظَنَّا مِنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ فِي تِلْكَ الْحَقَّةِ مُتَعَدِّرٌ . وَبُلُوغُ
 الْغَرَضِ فِيهَا غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ . فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : أَلْشِدْنَا فَصَمَتَ النَّاسُ
 وَحَدَقَتِ الْأَبْصَارُ وَأَصَاخَتِ الْأَسْمَاعُ . وَظَنَّ النَّاسُ بِي الظُّنُونِ .
 وَتَرَقَّبُوا مِنِّي مَا يَكُونُ . فَمَا تَوَالَى إِنْشَادِي حَتَّى صَفَقَتِ الْأَيْدِي إعْجَابًا .
 وَتَعَاوَزَتِ الْأَعْيُنُ اسْتِعْزَابًا . وَحِينَ انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ مَوْلَانَا الْكَامِلِ
 يَا نَبِيَّ الْمُعَلَّى إِذَا ضَرِبَتْ قِدَاحُهُمْ . وَسَرِدَتْ أَمْدَاحُهُمْ . أُغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ
 دَمْعًا لَذِكْرِهِ . وَأَبَانَ صَمْتُهُ مَخْنِي الْحُبَّةَ فَأَعْلَنَ بِسِرِّهِ . وَحِينَ انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا
 قَاضٍ دَمْعُهُ . وَلَمْ يُمْكِنْهُ مَنَعُهُ . ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ فَرَجِيَّةً مِنْ خَاصِ
 مَلَابِسِهِ كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى كَتِفِي (بدائع البدائنه للازدي)

للبياتي يرثي ضرسه بعد قلعه

٦١

أَيُّ طُودٍ مِنَ الرُّوَاسِي الْعِظَامِ فَجَعَنَّا بِهِ يَدُ الْأَيَّامِ
 هَدَمْتُهُ نَوَازِلُ الدَّهْرِ وَالْدَّهْرُ وَلُوعُ يَهْدِمُ عِزَّ الْكِرَامِ
 فَهَوَى شَاطِئًا مِنَ الذُّرَّةِ الْقَعَسَاءَ قَسْرًا وَأَنْفَهُ فِي الرِّغَامِ
 صَاحِبُ كَانَ لِي وَفِيَّ وَبِي بَرًّا حَفِيًّا يُعَوِّلُنِي بِالتَّزَامِ
 وَخَلِيلِي فِي كُلِّ مَخْصَصَةٍ كَانَتْ عَتِيدَ الْإِطْعَامِ وَالْإِنْعَامِ
 أَبْيَضُ الْوَجْهِ فِي الْقَالَيْنِ الْمَلْسِ صَعْبُ الْمِرَاسِ عِنْدَ الصَّدَامِ
 كَأَسِرِّ طَاحِنٍ إِذَا اضْطَدَّ الصَّفَّانِ مَاضِي الشُّبَا أَلَدُ الْخِصَامِ
 ضَمَضَتْ رُكْنَهُ الْخُطُوبُ وَثَلَّتْ عَرْشُ سُلْطَانِهِ الْمُنِيعِ السَّامِي

أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ هِيَاتِ أَنِّي أَتَيْتَا مِنْ بَعْدِهِ بِطَعَامٍ
يَا رَفِيقِي مَذْكَنتُ طِفْلاً إِلَى أَنْ جَلَّ الشَّيْبُ مَفْرَقِي بِالْثَغَامِ
وَصَدِيقِي الَّذِي تَحَوَّلْتُ مِنْ جَدِّ وَاهُ قُوَّتِي وَقُوَّتِي وَقَوَايِ
مَنْ يَرُوضُ الصَّعَابَ بَعْدَكَ مِنَ اللَّبْطَشِ مِنَ الْقِرَاعِ مَنْ لِلصِّدَامِ
رَبٌّ قَشِرَ مَحْضَتَهُ عَنْ لُبَابِ وَلُحُومٍ عَرَقَتْهَا عَنْ عِظَامِ
مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ حَتَّى بَنَتْ فَأَذْهَبَ مُتَمًّا بِسَلَامِ
وَتَأَسَّى فَكَمْ صَرِيعٍ بِهَذَا الشَّغْرِ أَرَدَتْهُ غَارَةٌ الْأَيَّامِ
أَبْدَلْتَنِي عَنِ الثَّرْيَا بِنِي نَعَشٍ كُرُورُ السَّيْرِ وَالْأَعْوَامِ
فَجَعَلْتَنِي بِكُلِّ أَبْيَضٍ طَلَّ عِ الشَّيَا مُسْتَأْسِدٍ بِسَامِ
أَيَّ وَثَرٍ تَبَغَّى التَّوَارِلُ مِنِّي بَعْدَ ضَعْفِ الْقَوَى وَفَتِ الْعِظَامِ
مَنْ يُرْذُ صُحْبَةُ الزَّمَانِ طَوِيلاً فَلْيُوطِّنْ نَفْساً عَلَى الْأَلَامِ
كُلُّ صَعْبٍ يَهُونُ إِنْ أَنْعَمَ إِلَهُ عَلَى عَبْدِهِ بِحُسْنِ الْخِتَامِ

٦٢ حدث أبو هريرة النخوي قال : كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للاضحى .
فجعل يعلفه ويُسَمِّنُهُ فَأَقْلَتْ يوماً عَلَى قَنْدِيلٍ لَهُ كَانَ يُسْرِجُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسِرَاجٍ وَفَارُورَةٍ
لِلزَيْتِ . فَفَطَنَهُ فَكَسَرَهُ وَانْصَبَّ الزَّيْتَ عَلَى ثِيَابِهِ وَكَتَبَهُ وَفَرَّاشَهُ . فَلَمَّا بَايَنَ ذَلِكَ ذَبَحَ الْكَبْشَ
قَبْلَ الْاَضْحَى وَقَالَ يَرْتِي سِرَاجُهُ :

يَا عَيْنِ ابْكِي لِقَدْ مَسْرَجَةٌ
كَانَتْ إِذَا مَا الظَّلَامُ الْبَسَنِي
شَقَّتْ بِسِرَانِهَا غِمَاطِلَةً
صَيْنِيَّةُ الصَّيْنِ حِينَ أَبْدَعَهَا
كَانَتْ عُمُودَ الصِّيَاءِ وَالنُّورِ
مِنْ خُنْدُسِ اللَّيْلِ ثَوْبَ دِيَجُورِ
شَقًّا رَعَى اللَّيْلَ بِالْدِيَا جِيرِ
مُصَوِّرِ الْحُسْنِ بِالتَّصَاوِيرِ

وَقَبْلَ ذَا بَدْعُهُ أُتِجَ لَهَا مِنْ قَبْلِ الدَّهْرِ قَرْنُ يَتَّقُو
وَصَكَّهَا صَكَّةً فَمَا لَبِثَتْ أَنْ وَرَدَتْ عَسْكَرَ الْمَكَاسِيرِ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَقَدْ لَهَا تَرَكَتْ ذِكْرًا سَيَبْقَى عَلَى الْأَعَاصِيرِ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ الزَّمَانَ يَأْسِرُهُ فَلَمْ يُشَبَّ يُسْرُهُ بِتَغْسِيرِ
وَمَنْ أَبَاحَ الزَّمَانُ صَفْوَتَهُ فَلَمْ يُشَبَّ صَفْوُهُ بِتَكْدِيرِ
مِسْرَجِي لَوْ فُدِيتَ مَا بَحَلْتُ عَنْكَ يَدُ الْجُودِ بِالْذَّانِيرِ
لَيْسَ لَنَا فِيكَ مَا نُقَدِّرُهُ لَكِنَّمَا الْأَمْرُ بِالْمَقَادِيرِ
مِسْرَجِي كَمْ كَشَفْتَ مِنْ ظُلْمٍ جَلَّيْتَ ظِلْمَهَا بِتَوِيرِ
أَوْحَشْتَ الدَّارُ مِنْ ضِيَانِكَ وَالسَّيْتُ إِلَى مَطْنِجٍ وَتَوِيرِ
قَلْبِي خَزِينُ عَلَيْكَ إِذْ سَجَلْتُ عَلَيْكَ بِالْذَّمْعِ عَيْنُ تَمِيرِ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِكَ الزَّمَانُ فَقَدْ أَبْقَيْتَ مِنْكَ الْحَدِيثَ فِي الدُّورِ
دَعْ ذِكْرَهَا وَأَهْجُ قَرْنِ نَاطِحِهَا وَأَسْرُدْ أَحَادِيثَهُ بِتَغْسِيرِ
كَانَ حَدِيثِي أَنِي أَشْرَيْتُ فَمَا أَشْرَيْتُ كِبْشًا سَلِيلَ خَنْزِيرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِالنَّوَى أَسْمُهُ وَاللَّبَنِ وَالْقَتِّ وَالْأَنَاجِيرِ
أَبْرِدُ الْمَاءِ فِي الْقِلَالِ لَهُ وَاتَّقِ فِيهِ كُلَّ مَحْذُورِ
تَخْدُمُهُ طَوْلَ كُلِّ لَيْتَهَا خِدْمَةُ عَبْدٍ بِالذَّلِّ مَأْسُورِ
فَلَمْ يَزَلْ يَغْتَذِي السُّرُورَ وَمَا أَلَا يَحْزُونُ فِي عَيْشِهِ كَمَسْرُورِ
حَتَّى عَدَا طَوْرَهُ وَحَقَّ لِمَنْ يَكْفُرُ نِعْمَى تَقْرِيْبُ تَغْيِيرِ
فَمَدَّ قَرْنِيهِ نَحْوَ مِسْرَجَةٍ تُعَدُّ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

شَدَّ عَلَيْهَا بَقْرُنْ ذِي حَنْقٍ
وَلَيْسَ يَقْوَى بِرَوْقِهِ جَبَلٌ
فَكَيْفَ يَقْوَى عَلَيْهِ مِسْرَجَةٌ
تَكْسَرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ
فَأَدْرَكَتْهُ شُعُوبٌ فَأَنْشَعَبَتْ
أَدِيلٌ مِنْهُ فَأَدْرَكَتْهُ يَدٌ
يَلْتَهِبُ الْمَوْتُ فِي ظُبَاهُ كَمَا
وَمَزَقَتْهُ الْمُدَى فَمَا تَرَكَتْ
وَأَعْتَالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدْرٌ
فَمَزَقَتْ لَحْمَهُ بِرَأْسِهَا
وَأَخْتَلَسَتْهُ الْجِدَاءُ خَلْسًا مَعَ الْغُرَبَانِ لَمْ تَرْدَجِرْ لِتَكْسِيرِ
يَهْتَمُّ الْحَاءُهَا بِتَكْسِيرِ
سِلَاحُهَا فِي شَفَى الْمُنَاقِيرِ
سِلَاحُهَا فِي شَبَا الْأَظَافِيرِ
قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ عُرْسًا
وَلَا مُغْنٍ سِوَى هُمَاهُمَا
يَا كَبِشْ ذُقْ إِذْ كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي
بَغَيْتَ ظُلْمًا وَالْبَغْيُ مَضْرَعٌ مِنْ
أُضْيِيَّةٍ مَا أَظُنُّ صَاحِبَهَا
مَعُودٍ لِلنَّطَاحِ مَشْهُورٍ
صَلْدٌ مِنَ الشُّمُخِ الْمَذَاكِرِ
أَرْقُ مِنْ جَوْهَرِ الْقَوَارِيرِ
وَمَا صَحِيحُ الْهَوَى كَهَمْسُورٍ
بِالرَّوْعِ وَالشَّلْوِ غَيْرُ مَقْشُورٍ
مِنْ أَلْنَايَا بَجْدٍ مَطْرُورٍ
تَلْتَهِبُ النَّارُ فِي الْمَسَاعِيرِ
كَفُّ الْقِرَى مِنْهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ
صَيَّرَهُ نَهْزَةً السَّنَانِيرِ
وَبَذَرَتْهُ أَشَدَّ تَبْذِيرِ
تَرْدَجِرْ لِتَكْسِيرِ
يَهْتَمُّ الْحَاءُهَا بِتَكْسِيرِ
سِلَاحُهَا فِي شَفَى الْمُنَاقِيرِ
سِلَاحُهَا فِي شَبَا الْأَظَافِيرِ
بِلَا أَفْتِقَارٍ إِلَى مَزَامِيرِ
إِذَا تَمَطَّتْ لَوَارِدِ الْعِيرِ
لِمُدْيَةِ الْمَوْتِ كَأَنَّ تَحْيِيرِ
بَغْيٌ عَلَى أَهْلِهِ بِتَغْيِيرِ
فِي قَسَمِهِ لَحْمَهَا بِمَاجُورِ

٦٣ قال ابو العلاء المعري من قصيدة على لسان درع يخاطب سيفاً

أَلَمْ يَبْلُغْكَ فَتْكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَسِنَّةِ وَالرُّجَاجِ
وَأَنِّي لَا يُغَيِّرُ لِي قَتِيرًا خَضَابُ كَالْمُدَامِ بِإِلْمِزَاجِ
مَنْعَتُ الشَّيْبِ مِنْ كَتَمِ التَّرَاقِي وَلَمْ أَمْنَعُهُ مِنْ خَطَرِ الْعِجَاجِ
فَهَلْ حَدَّثْتَ بِالْحَرْبَاءِ يَلْقَى بِرَأْسِ الْعَيْرِ مُوَضَّحَةَ الشَّجَاجِ
يَصِيحُ ثَعَالِبُ الْمُرَانِ كَرَبًا صِيَاحَ الطَّيْرِ تَطَرُّبُ لَا تَبْرَاجِ
حَرَامٌ أَنْ يُرَاقَ تَجِيعُ قَرْنٍ يَجُوبُ النَّفْعَ وَهُوَ إِلَى لَاحِي
يُقَضِّبُ عَنْهُ أَمْرَاسُ الْمَنَايَا لِبَاسُ مِثْلِ أَغْرَاسِ التِّسَاجِ
تَعَوَّذْ بِي حَلِيفُ التَّلَاجِ قَدَمًا وَفَارِسُ لَمْ تَهْمَ بِعَقْدِ تَاجِ
شَهِدْتُ الْحَرْبَ قَبْلَ ابْنِي بَعْضٍ وَكُنْتُ زَمَانَ صَحْرَاءِ النَّبَاجِ
فَلَا يَطْمَعُكَ فِي الْغَمَرَاتِ وَرَدِي فَإِنِّي رَبَّةُ الْمُرِّ الْأَجَاجِ
فَإِنْ تَرَكْتُ بَعْدَكَ لَا تَخْفَنِي وَإِنْ تَهْجُمَ عَلَيَّ فَعَيْرُ نَاجِ
مَتَى تَرُمِ السُّلُوكَ بِي الرِّزَايَا تَجِدُ قَضَاءَ مُبَهَمَةِ الرُّتَاجِ
يَرُدُّ حَدِيدَكَ الْهِنْدِيَّ سَرْدِي رُفَاتًا كَالْحَطِيمِ مِنَ الرُّجَاجِ
تُنَاجِنِي إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِي أَتَدْرِي وَيَبْغِيكَ مَنْ تُنَاجِي
كَأَنَّ كُؤُوبَهَا مُتَكَاثِرَاتٍ نَوَى قَسْبِ تَرْصُخِ النَّوَاجِي
مُؤَمَّهَةٌ كَأَنَّ بِهَا ارْتِعَاشًا لِقَرَطِ السِّنِّ أَوْ دَاءِ اخْتِلَاجِ
تَضَيِّفُنِي الدَّوَابِلُ مُكْرَهَاتٍ فَتَرَحَّلُ مَا أَذِيقَتْ مِنْ لِمَاجِ
إِذَا مَا السَّهْمُ حَاوَلَ سِفِيَّ نَهْجًا فَإِنِّي عَنْهُ ضَيْقَةُ الْفِتَاجِ

وَهَلْ تَعْشَوْنَ النَّبَالَ إِلَى ضِيَاءِ
يَهُونُ عَلَيَّ وَالْحِدَثَانُ طَاغٍ
فَلَوْ طَعِنَ أَلْفَتِي بِأَشَدِّ غُصْنٍ
أَخَاتِنِي ظِمَاءُ الْخَطِّ لَجَأٌ
وَلَيْسَ لِكُرِّ يَوْمِ الشَّرِّ نَافٍ
سِوَى كَرٍّ مِنَ الْأَذْرَاعِ سَاجٍ

٦٤ وقال أيضاً من قصيدة على لسان رجل يسأل أمه عن درع أبيه

مَا فَعَلْتَ دِرْعُ وَالِدِي أَجَرَتْ
فِي نَهْرٍ أَمْ مَشَتْ عَلَى قَدَمٍ
أَمْ اسْتَعِيرَتْ مِنَ الْأَرَاقِمِ فَأَرَتْ
تَدَّتْ عَوَارِيهَا بَنُو الرِّقَمِ
أَمْ بَعَثَهَا بَتْنَيْنِ مَصْلُحَةٍ
فِي سَنَةِ وَالسَّمَاءِ لَمْ تَقَمِ
عَابِسَةً لَمْ يَجِدْ بِهَا الْأَسَدُ
الطَّبِيَّةَ الْإِضَاعَاتِ الرَّهْمِ
أَمْ كُنْتَ صَيَّرْتَهَا لَهُ كَفْنًا
فَتِلْكَ لَيْسَتْ مِنْ آلِهِ الرَّجَمِ
لَعَلَّهُ أَنْ يَجِيءَ مُدْرَعًا
يَوْمَ رُجُوعِ النَّفُوسِ فِي الرِّمَمِ
أَمْ كُنْتَ أَوْدَعْتَهَا أَخَا ثِقَةٍ
فَخَانَ وَالْحَوْنُ أَفْجَى الشِّيمِ
صَافِيَةً فِي الْجَرِّ صَافِيَةً
لَيْسَتْ بِمَطْوِيَةٍ عَلَى قَتَمِ
كَأَنَّمَا وَالْتِصَالُ تَأْخُذُهَا
أَضَاءُ حَزْنٍ تَجَادُّ بِالْدِّيمِ
صَنَّ بِهَا رَبَّهَا لِضَيْتِهَا
بِهِ وَكَمْ ضَنْةٍ مِنَ الْكِرَمِ
تَحْسِبُهَا مِنْ رُصَابِ غَادِيَةٍ
مَجْمُوعَةٍ أَوْ دُمُوعِهَا السُّجَمِ
صَاحِكَةً بِالسِّهَامِ سَاخِرَةٍ
بِالرُّمَحِ هَزَاءَةٌ مِنَ الْخُدُمِ
عَادَتُهَا أَرْمَاهَا ظُبًا وَقَنًا
مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَأُخْتِهَا إِرَمِ

تَعْرِهَا غِرَّةَ السَّرَابِ نَهَى فِي نَاجِرِي النَّهَارِ مُحْتَدِمِ
أَوْعَمِلُ الْكُفْرَ مِنْ يَدَيْنِ بِهِ فِي الْبَعْثِ إِبَّانَ مَجْمَعِ الْأُمَمِ
ذَاتُ قَتِيرٍ شَابَتْ بِمَوْلِدِهَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا مِنَ الْقَدَمِ
فَمَا عَدَدْنَا بِيَاضَهَا هَرَمًا حِينَ يُعَدُّ الْيَاضُ فِي الْهَرَمِ
مَا خَضَبَتْهُ الْمُهْنَدَاتُ لَهَا وَلَا أَلْعَوَالِي سِوَى رَشَاشِ دَمِ
مَلْبَسُ قَيْلٍ مَا خِيطَ مُشَبِّهُهُ لِدَارِمِ قَبْلَنَا وَلَا دَرِمِ
رَأَاهُ كَهْلَانُ مِنْ مَعَاقِلِهِ فِي الْحَرْبِ دُونَ الْعَيْدِ وَالْحَشَمِ
عَذَّبَهَا أَهْلُ الْكِبَى صَانِعُهَا فِي جَاحِمٍ مِنْ وَقُودِهِ ضَرِمِ
يَفْرُغْنَهَا صَبُّ الْعَذَاةِ كَمَا يَهَابُ نَقْعًا مِنْ بَارِدِ شِمِ
يَدُ النَّيَايَا إِذَا تُصَاحَّهَا أَعْيَى بِهَا مِنْ يَدَيْنِ فِي رَحِمِ
مَعَالِي الرِّجِيِّ عِنْدَهَا عَبْلُ مُلَقًى وَسُخْمُ النَّصَالِ كَالسَّحْمِ
فَهِيَ قَمُ الْعُودِ بَزَّهْنُ بِهِ وَهْنٌ شَوْكُ الْقَتَادِ وَالسَّلَمِ

لاي الحفص الفارضي في التغزل بالكمالات الالهية

٦٥

أَوْمِضُ بَرْقٍ بِالْأُبَيْرِقِ لَاحًا أَمْ فِي رَبِّي تَجِدُ أَرَى مِصْبَاحًا
أَمْ تِلْكَ لَيْلِي الْعَامِرِيَّةُ (١) أَسْفَرَتْ لَيْلًا فَصَيَّرَتْ الْمُسَاءَ صَبَاحًا
يَا رَاكِبَ الْوُجُنَاءِ (٢) وَوَقِيتَ الرَّدَى إِنْ جُبْتَ خَرْنَا أَوْ طَوَيْتَ بَطَاحًا
وَسَلَكْتَ تَعْمَانَ الْأَرَاكِ (٣) فَفُجَّجَ إِلَى وَادٍ (٤) هُنَاكَ عَهْدُهُ فَيَاحَا

(١) قال الشيخ حسن البوريني: أراد بليل العامرية ذات وجود الحق والعزة الالهية

(٢) المراد براكب الوجناء (السالك في طريق الخلاص القاهرة نفسه

(٣) اسم مكان وكفى به عن الدخول في التجليات الالهية (٤) أراد به الرياض السماوية

فَبَايَعِنِ الْعَلَمَيْنِ (١) مِنْ شَرْقِيهِ
وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى ثَنِيَّاتِ اللُّوَى (٢)
وَاقْرِ السَّلَامَ أَهْلَهُ (٣) عَنِّي وَقُلْ
يَا سَاكِنِي نَجِدُ أَمَّا مِنْ رَحْمَةٍ
هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلْمَشُوقِ (٤) تَحِيَّةً
يُنْجِي بِهَا مَنْ كَانَ يَحْسَبُ هَجْرَكُمْ
يَا أَهْلَ وِدْيِ هَلْ لِرَاجِي وَصْلِكُمْ
مُذْ غَبِثْتُ عَنْ نَاطِرِي لِي أَنَّهُ
وَإِذَا ذَكَرْتَكُمْ أَمِيلُ كَأَنِّي
وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ
سَقِيًّا لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ جِيرَةٍ (٥)
حَيْثُ أُلْجِئْتُ وَطَنِي وَسُكَّانُ الْغَضَا
وَأَهْلُهُ أَرَبِي وَظِلُّ نَحْلِهِ
وَأَهَّا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيبِهِ
قَسَمًا بِمَكَّةَ وَالْمَقَامِ وَمَنْ أَتَى أَوْ
مَا رَمَحَتْ رِيحُ الصَّبَا شَيْخَ الرَّبِّي

عَرَجَ . وَأَمَّ أَرِنَهُ أَفْوَاحًا
فَأَنشَدَ فَوَادًا بِأَلَا يُطِخْ طَاحًا
عَادَرْتُهُ لِحَنَابِكُمْ مُلْتَاحًا
لِأَسِيرِ إِلْفٍ لَا يُرِيدُ سَرَاخًا
فِي طَيِّ صَافِيَةِ الرِّيَّاحِ رَوَاحًا
مَرْحًا وَيَعْتَقِدُ الْمَرْحَ مَرْحَا
طَمَعُ فَيَنْعَمُ بِالْهُ اسْتَرْوَاحًا
مَلَأَتْ نَوَاحِي أَرْضِ مِصْرَ نَوَاحًا
مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمْ سَقِيتُ الرَّاحَا
أَلْقَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شِخَاخًا
كَأَنَّ لِيَالِنَا بِهِمْ أَفْرَاحًا
سَكَنِي وَوَرْدِي الْمَاءُ فِيهِ مُبَاحًا
طَرَبِي وَرَمَلَةٌ وَادِيهِ مَرَاخَا
أَيَّامٍ كُنْتُ مِنَ اللُّغُوبِ مَرَاخَا
بَيْتَ الْحَرَامِ مُلِيًّا سِيَاخَا
إِلَّا وَأَهْدَتْ مِنْكُمْ أَرْوَاحَا

(١) كنى ثنيت اللوى عن الصفات الربانية.

(١) أراد بالعلمين النفس والقلب

(٢) هم الاولياء والطوباويون . وكذلك ساكنو نجد

وبوصوله عن تجلي الحضرة الالهية

(٣) يعني عن زمان رجاء بالبر

(٤) يريد بالمشوق نفسه الحائفة بحبه تعالى

والصلاح مع الاولياء

نخريّة ابي الحفص الفارضي وشرحها للشيخ حسن البوريي

٦٦

شَرَّبَنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرَمُ
(شربنا) اي معاشر السالكين في طريق الله تعالى . (على ذكر الحبيب) اي المحبوب وهو
الحق تعالى . وقد يراد (بالذكر) الذكر باللسان او بالقلب والجنان . وأشار الى ان ذكر الله
عنده من أقوى أسباب الطرب . (مدامة) أي خمرة . والمعنى هنا شراب المحبة الالهية الناشئة
من شهود آثار الاسماء الجمالية المحضرة العلية . وقوله (سكرونا) أي غبنا لذّة وطرباً بنشأة تلك
الخمرة . وقوله (من قبل ان يخلق الكرم) يشير الى قول القائل : ألسنتُ انا ربكم قبل ان
يخلق الكرم الى الوجود

لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ تَمْسُ يَدَيْهَا هَلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُرَجَّتْ نَجْمٌ
هذا البيت غيب في بابه فانه مشتمل على ذكر ألفاظ يناسب بعضها بعضاً وهي البدر
والشمس والهلل والنجم وكذلك الكأس والادارة والمزج . وقوله : لها البدر كأس اي قلب
العالم المحقق العامل (وهي شمس) اي المدامة المراد بها المعرفة الالهية التي تفيض انوارها في جميع
الكائنات تشبه الشمس في طلوعها واشراقها . وقوله يديرها اي ينشر اسماء تلك الحضرة الالهية
وصفاتها . وقوله هلال هو ذاك البدر الا انه معتجب

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا أَهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا وَلَوْلَا سَنَاها مَا تَصَوَّرَهَا أُلُوهُمْ
يقول : لولا روائح تلك الحضرات لما اهتديت الى الاسماء الحسنى والصفات العليا لان غيرها
عطر الاكوان . وقوله : لولا سناها الخ كنى به عن النور الروحاني الذي بضوءه ادرك الانسان
حقيقة الوجود الالهي

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النَّهْيِ كَتَمٌ
يقول : ان زخارف الدنيا تشغل القلوب الغافلة عن النهوض الى شهود تعجيبات الحق . ويشبه
خفاء تلك الحقيقة عند العقول البشرية خفاء الأسرار وكتمها في صدور الذين اوتوا العلم الالهي
فَإِنْ ذَكَرْتُ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نُشَاوِي وَلَا عَارٌ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمٌ
يعني ان ذكرت تلك الحضرة عند المتأهلين بالاستعداد لقبول انوار الفيض الرباني فيصحبون

سكارى ويعجبون عن أوهامهم في التحقق بمعاني الجلال

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدِّانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اسْمٌ
يقول : انه بتقاصر الهمم الروحية على نيل هذه المدامة وانحراف قلوب البشر اخفت

العلوم الالهية شيئاً فشيئاً من صدور الرجال حتى توارت ولم يبقَ منها إلا الاسم
وإن خَطَرَتْ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ أَمْرِي أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَأَرْتَحِلَ الْهَمُّ
يقول ان تجلي العزة الالهية يبذل كل غم ويشمل القلوب بكل فرح
وَلَوْ نَظَرَ النَّدْمَانُ خَتَمَ إِنَائِهَا لَأَسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخِتَمُ
يقول ان أثر التجلي الرباني في قلب السالكين جدير بتبديد سقامهم

وَلَوْ نَضَّحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَأَنْتَعَشَ الْجَسْمُ
وَلَوْ طَرَحُوا فِي فِيءٍ حَاطِطٍ كَرَمَهَا عَلِيًّا وَقَدْ أَشَقَى لِفَارَقِهِ السُّقْمُ
وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِئِهَا مُقَعَّدًا مَشَى وَتَنَطَّقُ مِنْ ذِكْرِي مَذَاقِهَا الْبُكْمُ
وَلَوْ عَمِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طَيْبِهَا وَفِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُّ
وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ لَمَّا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ أَلْتَجَمُ
وَلَوْ جُلِيتْ سِرًّا عَلَى أَكْمِهِ غَدَاً بَصِيرًا وَمِنْ رَأْوِقِهَا تَسْمَعُ الصَّمُّ
وَلَوْ أَنَّ رُكْبًا يَمُمُّوا تَرْبَ أَرْضِهَا وَفِي الرُّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَّا ضَرَّهُ السَّمُّ
وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى جَبِينِ مُصَابِ جَنِّ أَبْرَاهُ الرِّسْمُ
وَفَوْقَ لَوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رَقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مِنْ تَحْتِ اللِّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ
تَهْدَبُ أَخْلَاقُ النَّدَامَى فِيهِتْدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزَمِ مِنْ لَالَهُ عَزَمُ
وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفَّهُ وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَالَهُ حِلْمُ
وَلَوْ نَالَ قَدَمُ الْقَوْمِ لَثَمَ فِدَائِهَا لَأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّهُمَّ

اراد الشاعر هذه الايات صفة ما تنجيه الحضرة الالهية في البشر وذوي العاهات من برء
اسقامهم ان شملت قلوبهم الحقائق العرفانية وان أرادوا نفع المسالك الربانية

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بَوَصَفِهَا خَيْرٌ أَجَلَ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ
صَفَاءُ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَا وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

قد جمع الشاعر اوصافه عز وجل فان هذه الصفات باعتبار تجلّي حقيقتها الغيبة عليه ظاهرة له باربعة اوصاف الصفاء والطف والضياء والروح فهي روح مجرد عن كثافات العناصر الاربعة بعيدة عن كل جسم حتى

تَقْدَمُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثَهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلُ هُنَا وَلَا رَسْمُ
يُرِيدُ ان وجود الله قد سبق وجود الكائنات باجمعها قبلما تُبدع الصور الحسية في عالم الكون
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا أُخْتِجَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ
أي بواسطة هذه الحكمة قد خلقت الكائنات وانما قد خفيت عن الخطاة والذين لم
يُدرِكُوا الْإِلَهِيَّاتِ

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجًا اِتِّحَادًا وَلَا جِرْمُ تَخَلُّهُ جِرْمُ
يقول انه لفرط شغفه بهذه الحكمة الربانية قد كاد يستحيل اليها

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلُ وَلَا بَعْدَ بَعْدِهَا وَقَبْلِيَّةُ الْآبَعَادِ فَهِيَ لَهَا حَتْمُ
وَقَالُوا شَرِبْتَ الْإِثْمَ كَلًّا وَإِنَّمَا شَرِبْتَ الَّتِي فِي زَكِيمَا عِنْدِي الْإِثْمُ
ان هذا البيت رد على من اتهمه بشرب الخمر فيقول ان سكره لا بالخمر المعتصرة من
الغيب بل بالعزة الالهية التي هام بمحبتها

هَنِيئًا لِأَهْلِ الدَّرِ كَمْ سَكَرُوا بِهَا وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا
يقول انه يستطوب الرهبان والعباد الذين شربوا من هذه المدامة بل رغبوا الى مشاهدة
الجمال الالهي

وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشَائِي مَعِيَ أَبَدًا تَبَقَى وَإِنْ بَلَى الْعَظَمُ
يقول ان قلبه تشرب بحبة الله فلا يعدمها وان فاجأته المنية

فَمَا سَكَنْتُ وَالْهَمُّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النِّعَمِ الْعَمُّ
فَلَا عَيْشُ فِي الدُّنْيَا لِنَ عَاشٍ صَاحِبِيَا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سَكْرًا بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكْ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ
هذا القول اغراء بشرب هذه المدامة السماوية التي اصحمت مبدأ كل سرور فانها حيثما حلت
تضمحل اكدار العالم وخطوب الدهر

الباب السادس في الوصف

وصف المطر والسحابة

٦٧ أَخْبَرَ نَاعِبُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ مَطَرٍ
فَقَالَ: اسْتَقَلَّ سَدٌّ مَعَ انْتِشَارِ الطُّفْلِ فَشَصَا وَأَحْزَالَ. ثُمَّ انْفَهَرَتْ
أَرْجَاؤُهُ. وَأَحْمَوَتْ أَرْحَاؤُهُ. وَأَبْذَعَرَتْ فَوَارِقُهُ. وَتَضَاخَكَتْ بَوَارِقُهُ.
وَأَسْتَطَارَ وَادِقُهُ. وَأُرْتَمَتْ جُوبُهُ. وَأُرْتَعَنَ هَيْدُهُ. وَحَشَكَتْ
أَخْلَافُهُ. وَأَسْقَلَتْ أَرْدَافُهُ. وَأَنْشَرَتْ أَكْنَافُهُ. فَالْعُدُّ مُرْتَجِسٌ. وَالْبَرْقُ
مُخْتَلِسٌ. وَالْمَاءُ مُنْجِسٌ. فَأَتَرَعَ الْعُدْرُ. وَأَنْثَتْ الْوُجْرُ. وَخَلَطَ
الْأَوْعَالُ بِالْأَجَالِ. وَقَرَنَ الصِّيرَانُ بِالرِّئَالِ. فَلِلْأُودِيَةِ هَدِيرٌ. وَلِلشَّرَاجِ
خَرِيرٌ. وَلِلتَّلَاعِ زَفِيرٌ. وَحَطَّ النَّبْعُ وَالْعُتَمُ مِنَ الثَّلَلِ الشَّمُّ. إِلَى
الْقِيَعَانِ الصَّخْمِ. فَلَمْ يَبْقَ فِي الثَّلَلِ إِلَّا مُعْصَمٌ مُجَرَّنِيثٌ. أَوْ دَاحِضٌ
مُجَرَّجٌ. وَذَلِكَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ

٦٨ أَخْبَرَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ عَنْ
مَطَرٍ صَابٍ بِلَادِهِمْ فَقَالَ: نَشَأَ عَارِضًا. فَطَلَعَ نَاهِضًا. ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامْضًا.
فَاعْتَنَّى فِي الْأَفْطَارِ فَأَشْجَاهَا. وَأَمْتَلَّ فِي الْأَفَاقِ فَعَطَّاهَا. ثُمَّ ارْتَجَزَ
فَهَمَّهُمْ. ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ. فَأَرَكَّ وَدَثَّ وَبَغَشَّ. ثُمَّ قَطَّقَطَ فَأَفْرَطَ. ثُمَّ دِيمَ
فَأَغْمَطَ. ثُمَّ رَكَدَ فَأَتَجَمَّ. ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ. وَجَادَ فَأَنْعَمَ. فَقَمَسَ الرَّبِّيُّ.

وَأَفْرَطَ الزُّبَى . سَبْعًا تَبَاعًا . مَا يُرِيدُ أَنْقِشَاعًا . حَتَّى إِذَا أُرْتَوَتْ الْحُزُونُ .
وَتَصَحَّصَتِ الْمُتُونُ . سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ
٦٩ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ غَنِيٍّ يَذْكُرُ
مَطَرًا أَصَابَهُمْ فِي غَيْبٍ جَدَّبَ فَقَالَ : تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ وَقَدْ كَلَبَتِ الْأَحْمَالُ .
وَتَقَاصَرَتِ الْأَمَالُ . وَعَكَفَ الْيَاسُ . وَكُظِمَتِ الْأَنْفَاسُ . وَأَصْبَحَ
الْمَاشِي مُضْرَمًا . وَالْمُتَرَبُّ مُعْدِمًا . وَجُفِيتِ الْحَلَائِلُ . وَامْتُهِنَتِ
الْعُقَائِلُ . فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَّامًا . كَنُحُورًا سَجَّامًا . بَرُوقُهُ مَتَالِقَةٌ وَرَعُودُهُ
مُتَقَعِّعَةٌ . فَسَحَّ سَاجِيًا رَاكِدًا ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ . ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ
الشَّمَالَ فَطَحَرَتْ رُكَّامُهُ . وَفَرَّقَتْ جَهَامُهُ . فَأَنْقَشَعَ مَحْمُودًا . وَقَدْ أَحْيَا
فَأَغْنَى . وَجَادَ فَارُوَى . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَكُتُ نِعْمُهُ . وَلَا تَقْدُ
قِسْمُهُ . وَلَا يَخِيبُ سَائِلُهُ . وَلَا يَنْزُرُ نَائِلُهُ

٧٠ وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : مَرَرْتُ بِغَلَمَةٍ مِنْ
الْأَعْرَابِ فَقُلْتُ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيهِ دِرْهَمًا . فَقَالُوا :
كُلُّنَا يَصِفُ (وَهُمْ ثَلَاثَةٌ) . فَقُلْتُ : صِفُوا فَأَيُّكُمْ أَرْتَضِيَتْ صِفَتُهُ
أَعْطَيْتُهُ الدِّرْهَمَ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : عَنْ لَنَا عَارِضٌ قَصْرًا تَسْوِقُهُ الصَّبَا
وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ . يَجُوبُ حُبُّ الْمُعْتَبِكِ حَتَّى إِذَا أَرْلَامَتْ صُدُورُهُ .
وَأُنْجَلَتْ خُصُورُهُ . وَرَجَعَ هَدِيرُهُ . وَأَصْعَقَ زَيْرُهُ . وَأَسْتَقَلَّ نَشَاصُهُ .
وَتَلَامَ خَصَاصُهُ . وَارْتَجَّ أَرْتَعَاصُهُ . وَأَوْقَدَتْ سِقَابُهُ . وَامْتَدَّتْ أَطْنَابُهُ .
تَدَارَكَ وَدَقَهُ . وَتَأَلَّقَ بَرْقُهُ . وَخَفِزَتْ تَوَالِيهِ . وَأُلْسِفَتْ عَزَالِيهِ .

فَعَادَرَ الثَّرَى عَمِدًا . وَالْعَزَازَ ثَنَدًا . وَالْحُثَّ عَقْدًا . وَالصَّخَا ضِعَ مَتَوَاصِيَةً .
وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً . (قَالَ الْآخَرُ) : تَرَأَتْ أَلْحَايِلُ مِنَ الْأَفْطَارِ . تَحْنُ
حَيْنَ الْعِشَارِ . وَتَتَرَامَى بِشُهْبِ النَّارِ . قَوَاعِدُهَا مُتَلَا حِكَةً . وَبَوَاسِفُهَا
مُتَضَا حِكَةً . وَأَرْجَاؤُهَا مُتَقَادِفَةٌ . وَأَرْجَاؤُهَا مُتَرَا صِفَةٌ . فَوَصَلَتْ الْغَرْبَ
بِالشَّرْقِ . وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ . سَحَّادِرًا كَأَمْتَابِ الْكَأْكَأِ . فَضْضَحَتْ الْجَفَاجِفَ .
وَأَنْهَرَتْ الصَّفَافِيفَ . وَحَوَّضَتِ الْأَصَالِفَ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ مُحْسِبَةً مُحْمُودَةً
الْأَثَارِ . مَوْقُوفَةً الْحَبَارِ . (وَقَالَ الثَّلَاثُ) : وَاللَّهِ مَا خَلَتْهُ بَلَغَ خَمْسًا : هَلُمَّ
الدَّرْهَمَ أَصِفْ لَكَ . قُلْتُ : لَا أَوْ تَقُولُ كَمَا قَالَا . فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَا بَذَنَّهُمَا وَصَفًا . وَلَا فَوْقَنَّهُمَا رَصَفًا . قُلْتُ : هَاتِ لِلَّهِ أَبُوكَ . فَقَالَ : بَيْنَا
الْحَاضِرُ بَيْنَ الْيَاسِ . وَالْإِبْلَاسِ . قَدْ غَمَرَهُمُ الْإِشْفَاقُ . رَهْبَةً الْإِمْلَاقِ .
قَدْ حَبَّتِ الْأَنْوَاءُ . وَرَقَرَفَ الْبَلَاءُ . وَأَسْتَوَى الْقُنُوطُ عَلَى الْقُلُوبِ .
وَكَثُرَ الْإِسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ . أُرْتَا حَ رَبُّكَ لِعِبَادِهِ . فَأَلْشَأَ سَحَابًا
مُسْجَمًا كَنَهْوَرًا . مَعْنُونًا مَحْلُولًا . ثُمَّ أَسْتَقَلَّ وَأَخْزَالَ . فَصَارَ
كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ . وَكَالْأَرْضِ الْمَدْحُورَةِ فِي لَوْحِ الْهَوَاءِ . فَأَحْسَبَ
الْبُشُورَ . وَأَتَانِقَ الْهُجُولَ . وَأَحْيَا الرِّجَاءَ . وَأَمَاتَ الضَّرَاءَ . وَذَلِكَ مِنْ
قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . (قَالَ) : فَمَلَأَ وَاللَّهِ الْيَفْعُ صَدْرِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَرَاهِمًا وَكُتِبَتْ كَلَامُهُمْ (صفة السحاب والغيث لابن دريد)

لابن الاثير في وصف الخيل

٧١ (قُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَذْهَمَ) : وَطَلَمًا أَمْتَطَيْتُ صَهْوَةَ مُطَهَّمٍ

نَهْدٍ . فَغَيِّتُ عَنْ نَشْوَةِ الْكُمَيْتِ مِنْ ذَاتِ نَهْدٍ . يُسَاقُ الرِّيحَ فَيَغِيرُ
 فِي وَجْهِهَا دُونَ شَقِّ غُبَارِهِ . وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا رَجَعَتْ حَسْرَى فِي
 مَضَامِرِهِ . نُسِبَ إِلَى الْأَعْوَجِ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي الْكُرِّ وَالْقَرِّ . وَقَدْ
 حَقَّقَتْ عَلَيْهِ عَيْنُ الشَّمْسِ إِذْ لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَرَسَّمَ ظِلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا
 مَرَّ . لَيْلِي الْإِهَابَ لَطَمَ جَنِينَهُ الصَّبَاحُ بِنَهَائِهِ . فَعَدَا عَلَيْهِ وَخَاضَ
 يَقْتَصُّ مِنْهُ فِي أَحْشَائِهِ . كَمَا قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِيُّ :

وَكَاثِمًا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَنِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
 وَقَدْ أَغْتَدِي عَلَيْهِ وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا فَلَا يَفُوتُنِي الْأَجْدَلُ . وَإِذَا
 أَطْلَقْتُهُ لَصِيدِ الْوَحْشِ رَأَيْتُنِي عَلَى مُجَرَّدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ
 (وَقُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ هَيَّيْنِ) : فَرَسٌ لَهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ حَسَبُ
 وَمِنْ الْكُرْدِيَّةِ نَسَبُ . فَهُوَ مِنْ بَيْنِهِمَا مُسْتَنَجٌ . لَا يَنْسَبُ إِلَى خُبَيْبٍ
 وَلَا إِلَى أَعْوَجَ . وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ رَحْبُ اللَّبَانِ . عَرِيضُ الْبَطَانِ .
 سَلِسُ الْعِنَانِ . يَنْثَنِي عَلَى قَدَرِ الطَّعَانِ . وَعَلَى قَدَرِ الْكُرَةِ وَالصَّوْجَانِ .
 قَدْ اسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَادِمًا وَمُتَأَخِّرًا . فَإِذَا أَقْبَلَ خِلْتَهُ مَرْتَفِعًا . وَإِذَا أَدْبَرَ
 خِلْتَهُ مُنْحَدِرًا . كَأَنَّهُ فِي حُسْنِهِ دُمِيَّةٌ مَجْرَابٍ . وَفِي خَلْقِهِ ذُرْوَةٌ هَضَابٍ .
 وَهُوَ فِي سَبَاقِهِ وَخَلْقِهِ مُخَلَّقٌ بِخُلُقِ الْمَضَامِرِ . وَبِدَمِ الشَّرَابِ وَالصُّوَارِ
 فَهُوَ مَنَسُوبٌ إِلَى ذَوَاتِ الْقَوَادِمِ . وَإِنْ كَانَ مُحْسُوبًا فِي ذَوَاتِ
 الْقَوَائِمِ . كَأَنَّمَا ثَنَى لِحَامَهُ عَلَى سَالِفَةِ عُقَابٍ . وَشَدَّ حِزَامَهُ عَلَى بَارِقَةٍ
 سَحَابٍ
 (الوشي الرقوم لابن الأثير)

سفر البحر

٧٢ لَمَّا رَكِبْنَا الْبَحْرَ . وَحَلَلْنَا مِنْهُ بَيْنَ السَّحْرِ وَالنَّحْرِ . شَاهَدْنَا مِنْ
أَهْوَالِهِ . وَتَنَافَى أَحْوَالِهِ . مَا لَا يُعْبِرُ عَنْهُ . وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهٌ
الْبَحْرِ صَعْبُ الْمَرَامِ جِدًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طِينٌ فَمَا عَسَى صَبْرُنَا عَلَيْهِ

فَكَمْ اسْتَقْبَلْتَنَا أَمْوَاجُهُ بِوُجُوهِ بَوَاسِرَ . وَطَارَتْ إِلَيْنَا مِنْ شَرَاةِ
عِشْبَانٍ كَوَاسِرُ . قَدْ أَرْجَعَتْهَا أَكْفُ الرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا . كَمَا نَهَتْ أَلْجُ
مِنْ سَكْرِهَا . فَلَمْ تَبْقَ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا . فَسَمِعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا .
وَلِلرِّيَّاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا . وَتَفَعَّلْنَا أَنَا لَا نَجِدُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فَضْلَ اللَّهِ
مُحِيرًا وَخَفِيرًا . وَإِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ .
وَأَيْسَرْنَا مِنَ الْحَيَاةِ لَصَوْتِ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ وَالْمِيَاهِ . فَلَا حَيَاةَ لِلَّهِ ذَلِكَ
الْهُولَ الْمُرْعِجَ وَلَا بَيَّاهُ . وَالْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ الرِّيَّاحِ فَيُطْرِبُ
بَلٍ وَيَضْطَرِبُ . فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ الْجُنُونِ يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ . فَيَتَعَدُّ
وَيَقْتَرِبُ وَفِرْقَهُ تَلْتَطِمُ وَتَصْطَفِقُ . وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَّفِقُ . فَتُخَالُ
الْجَوَّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا . وَتَجْذُبُهَا أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا . حَتَّى كَادَ سَطَحُ
الْأَرْضِ يُكْشَفُ مِنْ خِلَالِهَا . وَعَنَانُ السَّحْبِ يُخْطَفُ فِي اسْتِقْلَالِهَا .
وَقَدْ أَشْرَفَتِ النُّفُوسُ عَلَى التَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَأَعْتَلاَهَا . وَآذَنْتِ
الْأَحْوَالُ بَعْدَ انْتِظَامِهَا بِاخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتِ الظُّنُونُ . وَتَرَأَتْ فِي
صُورِهَا الْمُنُونُ . وَالشَّرَاعُ فِي قِرَاعٍ مَعَ جُيُوشِ الْأَمْوَاجِ . الَّتِي أُمِدَّتْ

مِنْهَا الْأَفْوَاجُ بِالْأَفْوَاجِ . وَنَحْنُ قُعُودٌ . كَدُودٌ عَلَى عُودٍ . مَا بَيْنَ فَرَادَى
وَأَزْوَاجٍ . وَقَدْ نَبَتْ بِنَا مِنْ أُلْقَى أَمَكْنَتَنَا . وَخَرَسَتْ مِنْ الْفَرَقِ
الْأَسْتَنَا . وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ أَغَوَارٌ وَلَا نُجُودٌ . إِلَّا السَّمَاءُ
وَالْمَاءُ وَذَلِكَ السَّيْفُ . وَمَنْ فِي قَبْرِ جَوْفِهِ دَفِينٌ . مَعَ رَقَبٍ هُجُومٍ
الْعُدُوِّ فِي الرُّوَحِ وَالْعُدُوِّ . فَرَادَا ذَلِكَ الْحَذَرُ الَّذِي لَمْ يَبْقَ وَلَمْ
يَذَرْ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ فَلَقَا . وَأَجْرَيْنَا إِذْ ذَاكَ فِي مَيْدَانِ
الْإِلَهَاءِ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ طَلَقَا . وَتَشَتَّتْ أَفْكَارُنَا فَرَقَا . وَذَبْنَا
أَسَى وَنَدَمًا وَفَرَقَا . إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ بِالْخَيَالِ كُلُّ مَا أَرَادَ فَهُوَ الْكَائِنُ .
وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ الْمَأْنُ . قَرَأْنَا الْبَرْكَاتَا قَبْلَ لَمْ نَزَهُ . وَشَفِيتَ
بِهِ أَعْيُنَنَا مِنَ الْمَرَةِ . وَحَصَلَ بَعْدَ الشَّدَةِ الْفَرْجُ . وَشِمْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
أَطِيبَ الْأَرْجِ (نفخ الطيب للقري)

وصف دولة بني حمدان

٧٣ كَانَ بَنُو حَمْدَانَ مُلُوكًا وَأُمَرَاءَ . وَأَوْجُهُمْ لِلصَّبَاحَةِ . وَالسَّنَمُ
لِلْفَصَاحَةِ . وَأَيْدِيهِمْ لِلسَّمَاحَةِ . وَعُقُوبُهُمْ لِلرَّجَاحَةِ . وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ
مَشْهُورٌ بِسَيَادَتِهِمْ . وَوَاسِطَةُ فَلَادَتِهِمْ . كَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .
وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ . غَرَّةُ الزَّمَانِ . وَعِمَادُ الْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ سِدَادُ الشُّعُورِ .
وَسِدَادُ الْأُمُورِ . وَكَانَتْ وَقَائِعُهُ فِي عُصَاةِ الْعَرَبِ تَكْفُ بِأَسْهَاءِ وَتَقْلُ
أَنْبِيَائِهِ . وَتَذِلُّ صِعَابَهَا . وَتَكْفِي الرِّعِيَّةَ سُوءَ آدَابِهَا . وَغَزَاوَانُهُ تُدْرِكُ مِنْ
طَآغِيَةِ الرُّومِ الْثَّارَ . وَتَحْسِمُ شَرَّهُمُ الْمَثَارَ . وَتَحْسِنُ فِي الْإِسْلَامِ

أَلَا تَارَ . وَحَضْرَتُهُ مُقْصِدُ الْوُفُودِ . وَمَطْلَعُ الْخُودِ . وَقِبْلَةُ الْأَمَالِ
وَمُحِطُ الرِّحَالِ . وَمَوْسِمُ الْأَدْبَاءِ . وَحَلْبَةُ الشُّعْرَاءِ . وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ
يَجْتَمِعْ بَبَابٍ أَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ مَا اجْتَمَعَ بِبَابِهِ مِنْ شُيُوخِ الشُّعْرِ
وَنُجُومِ الدَّهْرِ . وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ سُوقٌ يُجْلَبُ إِلَيْهَا مَا يَنْفِقُ لَدَيْهَا . وَكَانَ
أَدِيبًا شَاعِرًا مُجَابِلِيْدَ الشُّعْرِ شَدِيدَ الْإِهْتِرَازِ لِمَا يمدح به . فَلَوْ أَدْرَكَ ابْنُ
الرُّومِيِّ زَمَانَهُ لَمَا أَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَقُولَ :

ذَهَبَ الَّذِينَ تَهَزَّهُمْ مَدَاحُهُمْ هَزَّ الْكُمَاةِ عَوَالِي الْمُرَانِ
كَانُوا إِذَا أُمْتُدْ حَوَارِأَوْ مَا فِيهِمْ فَأَلَارِجِيَّةٌ فِيهِمْ بِمَكَانٍ
وَكَانَ كُلُّ مَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْقِيَّاسِ الْكَاتِبِ
وَأَبِي الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّمَيْسَاطِيِّ قَدْ اخْتَارَ مِنْ مَدَاحِ الشُّعْرَاءِ
لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ عَشْرَةَ آلَافٍ بَيْتٍ كَقَوْلِ الْمُنْتَابِيِّ :

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبْ إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضٍ وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ
أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تَغْبُ سَيُوفُهُ رِقَابُهُمْ إِلَّا وَسَيَّحَانُ جَامِدٌ
بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَمَنْ شَرَفَ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ
وَأَنَّ دَمًا أَجْرِيتهُ بِكَ فَاحِرٌ وَأَنَّ فَوَادًا رُعْتُهُ لَكَ حَامِدٌ

وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
 نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
 فَأَنْتَ حَسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ
 أُجْبِكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ
 وَكَقَوْلِ السَّرِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمُوصِلِيِّ :

أَغْرَتْكَ الشَّهَابُ أَمْ النَّهَارُ
 خُلِقْتَ مَنِيَّةً وَمَنِي فَأَصَحَّتْ
 نُحْلِي الدِّينَ أَوْ تُحْمِي جَمَاهُ
 سُيُوفُكَ مِنْ شُكَاةِ الثَّغْرِ بَرٌّ
 وَكَفَاكَ الْغَمَامُ الْجُودُ يَسْرِي
 يَسَارُ مِنْ سَجِيَّتِهَا الْمُنَايَا
 حَضَرْنَا وَالْمُلُوكُ لَهُ قِيَامُ
 وَزُرْنَا مِنْهُ لَيْثُ الْغَابِ طَلَقًا
 فَكَانَ لِحَوْهَرِ الْمُجْدِ انْتِظَامُ
 فَعِشْتَ مُخِيرًا لَكَ فِي الْأَمَانِي
 فَضَيْفُكَ لِلْحَيَا الْمُنْهَلِ ضَيْفُ
 وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسِ الْحَارِثِيِّ بْنِ سَعِيدِ الْحَمْدَانِيِّ :

أَشِدَّةُ مَا أَرَاهُ فِيكَ أَمْ كَرَمُ
 تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالْأَرْوَاحِ تُصْطَلَمُ

يَا بَاذِلَ النَّفْسِ وَالْأَمْوَالِ مُبْتَسِمًا
لَقَدْ ظَنَنْتُكَ بَيْنَ الْجَحْلَيْنِ رَى
نَشَدْتُكَ اللَّهَ لَا تَسْمَحْ بِنَفْسٍ عَلَى
هِيَ الشَّجَاعَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفٌ
إِذَا لَقِيتَ رِفَاقًا أَلْيَضَ مُنْفَرِدًا
مَنْ ذَا يُقَاتِلُ مَنْ تَلَقَى الْقِتَالَ بِهِ
تَضَنُّ بِالطَّعْنِ عَنَّا ضَنْ ذِي بَحْلِ
لَا تَبْجُلَنَّ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قُتِلُوا
أَلْبَسْتَ مَا لَبَسُوا رَكِبْتَ مَا رَكَبُوا
هُمْ الْفَوَارِسُ فِي أَيْدِيهِمْ أَسْلٌ
وَكَقَوْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّائِمِ :

خُلِفْتَ كَمَا أَرَادَتْكَ الْمَعَالِي
عَجِبُ أَنْ سَيْفَكَ لَيْسَ يَرَوِي
وَأَعْجَبُ مِنْهُ رُمُحَكَ حِينَ يُسْقَى
فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَمَا يُرِيدُ
وَسَيْفَكَ فِي الْوَرِيدِ لَهُ وَرُودُ
فَيَضْحُو وَهُوَ كَشَوَانُ يَمِيدُ

وَكَقَوْلِ أَبِي نَضْرَ بْنِ نُبَاتَةَ وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الْعِرَاقِ :

حَاشَاكَ أَنْ يَدْعِيكَ الْعَرَبُ وَاحِدَهَا
فَإِنْ يَكُنْ لَكَ وَجْهُ مِثْلُ أَوْجِهِمْ
وَأَنْ يَكُنْ لَكَ نُطْقٌ مِثْلَ نُطْقِهِمْ
يَا مَنْ تَرَى قَدَمَيْهِ طِينَةَ الْعَرَبِ
عِنْدَ الْعِيَانِ فَلَيْسَ الصُّفْرُ كَالذَّهَبِ
فَلَيْسَ مِثْلُ كَلَامِ اللَّهِ فِي الْكُتُبِ
وَكَادَتْ غَمَائِمُ جُودِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ تَفِيضُ . وَمَا ثَرُ كَرَمِهِ تَسْتَفِيضُ .

فَوَرَّخَ بِهَا أَيَّامَ الْحَمْدِ وَتُخَلَّدُ فِي صَحَائِفِ حُسْنِ الذِّكْرِ (اليتيمة للثعالبي)

قال بشر بن ابي عوادة يصف قتاله الاسد وقتله آياه

٧٤

أَقَاطِمُ لَوْ شَهِدَتْ بَبْطَنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ أَخَاكَ بَشْرًا
إِذَا لَرَأَيْتَ لَيْشًا أَمْ لَيْشًا هَزْبًا أَغْلَبَا لَاقَى هَزْبًا
تَبْهَتَسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقْرَتَ مُهْرًا
أَنْلِ قَدَمِي ظَهْرَ الْأَرْضِ إِنِّي رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبَدَى نِصَالًا مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مُكْفَهْرًا
يَكْفُفُ غِيْلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ وَيَسْطُ لِلْبُؤُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
يَدِلُّ بِخَلْبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِالْحَلَّطَاتِ تَحْسِبُهُنَّ جِمْرًا
وَفِي يَمْنَايَ مَا ضِيَّيَ الْحَدِّ أَبْقَى بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ الْمَوْتِ أَثْرًا
نَصَحْتُكَ فَالْتَمَسَ يَالَيْتُ غَيْرِي طَعَامًا إِنْ لَحِمِي كَانَ مُرًا
أَمْ يَبْلُغُكَ مَا فَعَلْتُهُ كَفِّي بِكَاطِمَةٍ غَدَاةً قَتَلْتُ عَمْرًا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ النَّصْحَ غِشٌّ وَخَالَ مَقَالَتِي زُورًا وَهَجْرًا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَغَرَا
سَلَّتْ لَهُ الْحُسَامُ فَحَلَّتْ أَيْنِي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى الظُّلَمَاءِ فَجْرًا
وَأَطَلَّتْ الْمُهَنَّدُ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
فَحَرَّ مُضْرَجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْخَرًا
بِضْرِبَةٍ فَيَصِلُ تَرْكَتُهُ شَفْعًا لَدَيَّ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ وَثْرًا
وَقُلْتُ لَهُ يَعِزُّ عَلَيَّ أَيْ

وَلَكِنْ رَمَتْ أَمْرًا لَمْ يَرْمَهُ سَوَالُكَ فَلَمْ أَطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرًا
فَلَا تَجَزَعُ فَقَدْ لَأَقَيْتَ حُرًّا يُحَازِرُ أَنْ يُعَابَ قُتَّ حُرًّا

صفة النفس لابن سينا الرئيس

٧

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمْنَعُ
مُجْبُوَّةٌ عَنْ كُلِّ مُقَلَّةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَرَفَّعْ
وَصَلَتْ عَلَى كَرِهِهِ إِلَيْكَ وَرَبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ فَهِيَ ذَاتُ تَوَجُّعٍ
أَنَيْتَ وَمَا سَكَنْتَ فَلَمَّا اسْتَأْنَسْتَ أَلَقْتَ مُجَاوِرَةَ الْخُرَابِ الْبُلْبُعِ
وَأَظْنَهَا نَسِيتَ عَهْدًا بِالْحِمَى وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعْ
حَتَّى إِذَا اتَّصَلْتَ بِهَا هُبُوطَهَا مِنْ مِيمٍ مَرَكِزَهَا بِدَارِ الْأَجْعِ
عَلَقْتَ بِهَا ثَاءَ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحْتَ بَيْنَ الْمَعَالِمِ وَالطَّلُولِ الْخُضْعِ
تَبْكِي وَقَدْ ذَكَرْتَ عَهْدًا بِالْحِمَى بَدَامِعِ تَهْمِي وَلَمَّا ثَقُلَ
وَتَظَلُّ سَاجِمَةً عَلَى الدِّمَنِ الَّتِي دَرَسَتْ بِتَكَرُّرِ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ
إِذْ عَاقَبَهَا الشَّرْكُ الْكَشِيفُ وَصَدَّهَا قَفْصٌ عَنِ الْأَوْجِ الْقَسِيمِ الْأَرْبَعِ
حَتَّى إِذَا قَرَّبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحِمَى وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْقَضَاءِ الْأَوْسَعِ
وَعَدَتْ مُفَارِقَةً لِكُلِّ مُخْلَفٍ فِيهَا حَلِيفَ الثَّرْبِ غَيْرَ مُسَبِّحِ
هَجَعَتْ وَقَدْ كُشِفَ الْغَطَاءُ فَأَبْصَرَتْ مَا لَيْسَ يُدْرَكَ بِالْعَيُونِ الْهَجْعِ
وَبَدَتْ تَعْرِدُ فَوْقَ ذُرْوَةِ شَاهِقٍ وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَرْفَعِ
فَلَا يَشِيءُ أَهْبَطَتْ مِنْ شَانِخٍ سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ
إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا إِلَّا إِلَهُ الْحِكْمَةِ طَوَيْتَ عَنِ الْفَيْدِ السَّبَبِ الْأَرْوَعِ

فَهُوَ طَهَا إِنْ كَانَ ضَرْبَةً لِأَرْبٍ
وَتَكُونُ عَالِمَةً بِكُلِّ حَقِيقَةٍ
وَهِيَ الَّتِي قَطَعَ الزَّمَانُ طَرِيقَهَا
فَكَانَهَا بَرَقٌ تَأْتَقُ بِالْحَمَى

٧٦ قال علي بن محمد الأيادي يصف أسطول القائم فأجاد ما أراد

إِعْجَبَ لِأُسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
مِنْ كُلِّ مُشْرِقَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ
دَهْمَاءَ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ
مِنْ كُلِّ أَيْضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنْشَرٍ
كَمِرَاءَةٍ فِي الْبَرِّ يَقْطَعُ سَيْرَهَا
مُخْفُوفَةٍ بِجَادِ فِي مَضْفُوفَةٍ
كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفُوفِ عُرَيْتٍ
وَتَحْتُمُ أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ
خَرْقَاءَ تَذْهَبُ إِنْ يَدٌ لَمْ تَهْدِهَا
جَوْفَاءَ تَحْمِلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا
وَلَهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ بِطَيْرِهَا
يَعْلُو بِهَا حَذَبُ الْعُبَابِ مُطَارَةً
تَنْصَاعُ مِنْ كَسْبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا

وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْرِبِ
يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاطِلِ الْمُسْتَعِجِ
إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُنْتَصِبِ
تَسْيِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبِ
مِنْهَا وَأَسْحَمَ فِي الْحَلِجِ مُغِيبِ
فِي الْبَحْرِ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ الشَّدْبِ
فِي الْجَانِبَيْنِ دَوْنِ صُلْبِ صُلْبِ
مِنْ كَسِيَّاتِ رِيَّاشِهِ الْمُتَهْدِبِ
بِمُصْعَدٍ مِنْهُ بَعِيدٍ مُصَوَّبِ
فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَّاحِ وَمَذْهَبِ
يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَرْكَبِ
طَوَعُ الرِّيَّاحِ وَرَاحَةُ الْمُتَطَرِّبِ
فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلُولِ
طَوْرًا وَتَجْتَمِعُ أَجْتِمَاعَ الرَّبِّ

وَلَوَاحِقٍ مِثْلُ الْأَهْلَةِ جُجِعَ لَحَقَ الْمُطَالِبِ قَائَتِ الْمُهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةٌ وَيَجْنُنَ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَلِّبِ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أَسُودُ خِلَافَةٍ تَحْتَالُ فِي عُدَدِ السَّلَاحِ الْمُرْهَبِ
فَكَأَنَّمَا أُلْجِرُ اسْتِعَارَ بَرِيهِمْ ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمَذْهَبِ

٧٧ قال ابو فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنسرين وقبائل العرب

وَلَمَّا سَارَ سَيْفُ الدِّينِ سِرْنَا كَمَا هَيَّجَتْ آسَادًا غَضَابَا
أَسِنَّهُ إِذَا لَاقَى طِعَانًا صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابَا
دَعَانَا وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتُ فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَا
صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ وَغَرَسُ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا
وَكُنَّا كَالسَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا
فَلَمَّا أُشْتَدَّتِ الْهَيْجَاءُ كُنَّا أَشَدَّ مَحَالِبًا وَاحِدًا نَابَا
وَأَمْنَعَ جَانِبًا وَأَعَزَّ جَارًا وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَقْلَّ عَابَا
سَقَيْنَا بِالرِّمَاحِ بَنِي قُشَيْرٍ يَبْطُنُ الْغَنَرِ السَّمُّ الْمُدَابَا
وَسِرْنَا بِالْخَيُْولِ إِلَى نَمِيرٍ تَجَادَبْنَا أَعْنَتَهَا جِدَابَا
وَلَمَّا أَيقِنُوا أَن لَّا غِيَاثَ دَعَوْهُ لِلْمَقْوَةِ فَاسْتَجَابَا
وَعَادُوا إِلَى الْجَمِيلِ لَهُمْ فَعَادُوا وَقَدْ مَدُّوا لِمَا يَهْوَى الرِّقَابَا
أَمَرَ عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَأَمَّنَا أَذَاقَهُمْ بِهِ أَرِيَا وَصَابَا
أَحْلَهُمُ الْجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسٍ أَخُو حِلْمٍ إِذَا مَلَكَ الْعِقَابَا
دِيَارَهُمْ أَنْتَرَعْنَاهَا أَفْتِسَارًا وَأَرَضَهُمْ أَغْتَصَبْنَاهَا أَغْتِصَابَا

وَلَوْ رُمْنَا حَيْنَهَا الْبَوَادِي كَمَا تَحْمِي أَسْوَدُ الْغَابِ غَابَا
إِذَا مَا أَرْسَلَ الْأَمْرَاءُ جَيْشًا إِلَى الْأَعْدَاءِ أَرْسَلْنَا الْكُتَابَا
أَنَا بَنُ الصَّارِبِينَ أَلْهَمَ قَدَمًا إِذَا كَرِهَ الْحَمَامُونَ الصَّرَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلِكَ قَالَ حَقًّا بِأَنِّي كُنْتُ أَثَقَبَهَا شِهَابَا

لأن طباطبا الحسيني في وصف الليل

٢٨

وَتَوْفَةٍ مَدَّ الضَّمِيرَ قَطَعَهَا وَاللَّيْلُ فَوْقَ إِكَامِهَا يَتَرَعُ
لَيْلٌ يَمُدُّ دُجَاهُ دُونَ صَبَاحِهِ أَمَّا لَيْلُ ذِي الْحِرْصِ الَّذِي لَا يَفْنَعُ
بَاتَتْ كَوَاكِبُهُ تَحُوطُ بَقَاءَهُ فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْهُ تَجْمُ يَلْمَعُ
زَهْرٌ يُثِيرُ عَلَى الصَّبَاحِ طَلَانَعًا حَوْلَ السَّمَاءِ فَهِنَّ حَسْرَى ضَلَعُ
مُتَقَطَّاتٌ فِي السَّيْرِ كَأَنَّهَا بَاتَتْ تُتَاجِي بِالَّذِي يُتَوَقَّعُ
وَالصَّبْحُ يَرْقُبُ مِنْ دُجَاهِ غِرَّةً مُتَضَائِلٌ مِنْ سُحُفِهِ يَتَطَّلَعُ
مُتَفَسِّسًا فِيهِ جَنَانًا وَاهِنًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ سَاعَةً يَتَشَجَّعُ
حَتَّى أُرْوَى اللَّيْلُ الْبَهِيمُ لُضْوَاهُ وَقَدْ اسْتَجَابَ ظَلَامُهُ يَتَقَشَّعُ
وَبَدَتْ كَوَاكِبُهُ حَيَارَى فِيهِ لَا تَدْرِي يَوْشِلُ رِيَالَهَا مَا تَصْنَعُ
مُتَهَادِلَاتُ الثُّورِ فِي آفَاقِهَا مُسْتَعْبِرَاتٌ فِي الدَّجَى تَسْتَرْجِعُ
وَكَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ تَبْسُطُ بَالِعَهَا لِتَعَانِقَ الظُّلَمَاءُ وَهِيَ تُودَّعُ
وَكَأَنَّهَا فِي الْجَوِّ نَعَشٌ أَخٌ وَلَا يَبْكِي وَيُوقِفُ تَارَةً وَيُشِيعُ
وَكَأَنَّ الشَّعْرَى الْعَبُورُ وَرَاءَهَا تَكْلَى لَهَا دَمْعٌ غَزِيرٌ يِهْمَعُ
وَبَنَاتُ نَعَشٍ قَدْ بَرَزْنَ حَوَاسِرًا قُدَّامَهَا أَخَوَاتُهُنَّ الْأَرْبَعُ

عَبْرَى هَتَكْنَ قَنَاعَهُنَّ عَلَى الدُّجَى
وَكَاَنَّ أَفْقَامِن تَلَاوُجِ نَجْمِهِ
وَالْفَجْرِ فِي صَفْوِ الْمَوَاءِ مُورِدُ
يَا لَيْلُ مَا لَكَ لَا تُبَيِّ كَوَاكِبَا
لَوْ أَنَّ لِي بِضِيَاءَ صُبْحِكَ طَاقَةً
حَذَرَاعْلَيْكَ وَلَوْ قَدَرْتُ بِحِيلَتِي
يَا صُبْحُ هَاكَ شَيْبَتِي فَأَفْتُكُ بِهَا
أَفْقَدْتَنِي أَنَسِي بِأَنْجُمِهَا الَّتِي

للربيع بن زياد العبسي في وصف حرب

٧٩

قَدِيتَ لَهُمْ فَيَلَقُ شَهْبَاءُ كَالْحَلَّةِ
صَرِيفُ أَنْبِيَائِهَا صَوْتُ الْحَدِيدِ إِذَا
وَدَرَهَا الْمَوْتُ يَقْوَى فِي مَخَالِهَا
فِي جَوْهَا أَلْيَضُ وَالْمَآذِي مُخْتَلَطُ
حَتَّى إِذَا وَجَّهَتْهَا وَهِيَ كَالْحَلَّةِ
جَاءَتْ بِكُلِّ كَيْمٍ مُعْلَمٍ ذَكَرُ
مُسْتَوْدِينَ أَلْوَعَى لِلْمَوْتِ رَدَّهُمْ
لَهُمْ سَرَائِيلُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ وَمِنْ
مُظَاهِرَاتٍ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَأْسِهِمْ
فِي يَوْمٍ حَتَفَ يَهَالُ النَّاطِرُونَ لَهُ
بِالْمَوْتِ تَسْرِي وَيَالَا بَطَالٍ تَقْتَسِرُ
فَضُ الْحَدِيدِ بِهَا أَنْبَاؤها الْوَقْرُ
لِلْوَارِدِينَ يُوَافِي وَرَدَهَا الصَّدْرُ
وَالْجُرْدُ وَالْمُرْدُ وَالْخَطِيئَةُ السُّمْرُ
شَوْهَاءُ مِنْهَا حِمَامُ الْمَوْتِ يُنْتَظَرُ
فِي كَفِّهِ ذَكَرُ يَسْعَى بِهِ ذَكَرُ
يَوْمَ الْخِفَافِ عَلَى رُؤَادِهِمْ عِيسُ
نَضَحَ الدَّمَاءِ سَرَائِيلُ لَهُمْ أُخْرُ
لَوْ أَنَّ جَوْنَ وَأُخْرَى فَوْقَهُمْ حَمْرُ
مَا إِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

فَالْيَيْضُ يَهْتِفْنَ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ
نَكْسُوهُمْ مَرْهَفَاتٍ غَيْرَ مُجْدِبَةٍ
هِنْدِيَّةٌ كَأَشْتِعالِ النَّارِ تَقْصِمُهُمْ
يَمَّا تَرَى وَخُدُودُ الْقَوْمِ تَشْفِرُ
يَشْفِي أَخْتِرَاطُ ظُبَاهَا مِنْ بِهِ صَعَرُ
بِهَا مَغَاوِدُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ غَيْرُ

٨٠ لصني الدين الحلي في وصف صيد الكراكي عند قدومها من البطائح

ورحيلها الى الجبال في فصل الربيع

أَهْلًا بِهَا قَوَادِمًا رَوَاحِلًا
تَذَكَّرَتْ أَكَّامَ دَرَبِنْدَاتِهَا
أَذْكُرْهَا عَرَفَ الرَّبِيعِ الْفَهَا
تَفْرُقُ فِي الْجَوِّ بَصُوتٍ مُطْرِبٍ
لَمَّا رَأَتْ حَرَ الْمَصِيفِ مُقْبِلًا
أَهْمَلَتْ التَّخْيِيطَ فِي مَطَارِهَا
تَنْهَضُ مِنْ صَرْحِ الْجَلِيلِ تَحْتَهَا
قَدْ أَنْفَتِ أَيَّامٌ كَالْوَنِ لَهَا
فَصَاغَتْ الطَّلَّ لَهَا قَلَانِدًا
لَمَّا دَعَانِي صَاحِبِي لِبَرْزَةِ
أَجَبْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقَصْدِهَا
ثُمَّ بَرَزْنَا نَقْتِي آثارَهُ
وَالصُّبْحُ قَدْ أَعْمَنَا بِنُورِهِ
وَقَدْ أَقْنَا فِي الْمَقَامَاتِ لَهَا
تَطْوِي أَلْفَا وَتَقْطَعُ الْمَرَاكِلا
وَعَافَتْ أَلْجَامَ وَالسَّوَاكِلا
فَأَقْبَلْتُ لِشَوْقِهَا حَوَامِلَا
يَشُوقُ مَنْ كَانَ إِلَيْهَا مَائِلَا
وَطِيبَ بَرْدِ الْفَرِّ ظِلًّا زَائِلَا
وَعَسَكَرَتْ لِسَيْرِهَا قَوَافِلَا
بَارِجُلٍ لِبَرْدِهِ قَوَائِلَا
مَنْ أَنْ تَرَى مِنْ الْحَلَى عَوَاطِلَا
وَأَثْلَجَ فِي أَرْجُلِهَا خَلَائِلَا
وَنَبَّهَ الزَّمِيلَ وَالْمَقَاوِلَا
نَبَّهْتُ لَيْثَ عَرِينِ بَاسِلَا
وَنَقَصْدُ الْأَمْلَاقِ وَالْمَنَهِلَا
لَمَّا أَتَيْتَنِي جَنَحُ الظَّلَامِ رَاحِلَا
مَعَالِيًا تَحْسِبُهَا مَجَاهِلَا

نَرَشْفُهَا مِنْ تَحْتِهَا بِبُنْدُقٍ يَعْجُ كَالشَّهْبِ إِلَيْهَا وَاصِلَا
فَمَا رَقِيَ تَحْتَ الطُّيُورِ صَاعِدٌ إِلَّا اُعْتَدَى بِهَا الْبَلَاءُ نَازِلَا
لِلَّهِ أَيَّامٌ يَهْوِزُ بَابِلَ أَخْضَى بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا بَاحِلَا
فَكَمْ قَضَيْنَا فِيهِ شَمْلًا جَامِعًا وَكَمْ صَحَبْنَا فِيهِ جَمْعًا شَامِلَا

والصني الدين الحلي في صفة الشمع

٨١

جَلَّتِ الظُّلُمَاءُ بِاللَّهِبِ إِذْ بَدَتْ فِي اللَّيْلِ كَالشَّهْبِ
فَانْجَلَتْ فِي تَاجِهَا فَجَلَّتْ ظُلُمَ الْأَحْزَانِ وَالْكَرْبِ
سَفَرَتْ كَالشَّمْسِ ضَاحِكَةً مِنْ تَوَارِي الشَّمْسِ فِي الْحُجُبِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ مَنْظَرِهَا ضَاحِكًا فِي زِيٍّ مُتَّحِبِ
كَيْفَ لَا تَحْلُو ضَرَائِبُهَا وَبِهَا ضَرْبٌ مِنَ الضَّرْبِ
خَلَّتْهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَمُجُومُ الْأَفْقِ لَمْ تَغِبِ
قُضْبًا مِنْ فِضَّةٍ غُرَسَتْ فَوْقَ كُثْبَانٍ مِنَ الذَّهَبِ
أَوْ يَوَاقِيَةً مُنْصَدَّةً بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى قُضْبِ
أَوْ رِمَاحًا فِي الْعِدَى طَعْنَتْ فَقَدَتْ حُمْرَةَ الْعَذَبِ
أَوْ سِهَامًا نَضَلَهَا ذَهَبُ لِسَوَى الظُّلُمَاءِ لَمْ تُصِبِ
أَوْ أَعَالِي حُمْرِ الْوَيَةِ نَشَرَتْ فِي جَحْفَلٍ لَجْدِ
أَوْ شَوَاطِلًا لِلْقَرَى رُفِعَتْ تَرَاءَى فِي ذُرَى كَثَبِ
أَوْ لَظَى نَارِ الْحُبَابِ قَدْ لَمَعَتْ لِلْعَيْنِ عَنْ لَبِ
أَوْ عُيُونَ الْأَسَدِ مُوَصَّدَةً فِي ذُرَى غَابٍ مِنَ الْقُصَبِ

أَوْ شَقِيقَ الرُّوضِ مُنْتَظِمًا فَوْقَ مُجْدُولٍ مِنَ الْقَصَبِ
أَوْ ذُرَى نِيلُوفِرٍ رُفِعَتْ فَوْقَ قُضْبَانٍ مِنَ الْغَرْبِ

وصف الفيل لأبي الحسن الجوهري

٨٢

فِيلٌ كَرَّضَوَى حِينَ يَلْبَسُ مِنْ رِقَاقِ الْغَيْمِ بُرْدًا
مِثْلُ الْعِمَامَةِ مُلِيتْ أَكْنَافُهَا بَرَقًا وَرَعْدًا
رَأْسُ كَفَلَةٍ شَاهِقٍ كُسِيتَ مِنَ الْخَيْلِ جِلْدًا
قَتَرَاهُ مِنْ قَرِطِ الدَّلَالِ لِ مُصْعَرًا لِلنَّاسِ خَدًا
يُزْهِى بِخَرْطُومٍ كَمِثْلِ الصَّوْلَجَانِ يُرْدُّ رَدًّا
يَسْطُو بِسَارِيَّتِي لِحْنٍ يَخْطُمَانِ الصَّخْرَ هَدًّا
أَذْنَاهُ مِرْوَحَتَانِ أُسْنَدَتَا إِلَى الْقَوْدَيْنِ عَقْدًا
عَيْنَاهُ غَارَتَانِ صَيَّقَتَا لَجْمِ الضَّوْءِ عَمْدًا
فَكٌّ كَفُوهَةٍ أَلْخِيَجِ يُلُوكُ طُولَ الدَّهْرِ حَقْدًا
تَلْقَاهُ مِنْ بَعْدٍ فَتَحْسِبُهُ عَمَامًا قَدْ تَبَدَّى
مَتَا كَبُيْنِ الْخَوَرِ تَقِ مَائِلًا فِي الدَّهْرِ كَبًّا
رِدْقًا كَدَكَّةٍ عَنَبٍ مُتَمَايِلِ الْأَوْرَاكِ نَهْدًا
ذَنَبًا كَمِثْلِ السَّوْطِ يَضْرِبُ حَوْلَهُ سَاقًا وَرَدْنًا
يَخْطُو عَلَى أَمْثَالِ أَعْمِدَةِ الْخَبَاءِ إِذَا تَصَدَّى
أَوْ مِثْلَ أَمْيَالٍ نُضْدُ نَ مِنَ الصُّخُورِ الصَّمِّ نَضْدًا
مُتَوَرِّدًا حَوْضَ الْمَنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَشْتَاقُ وَرَدًا

مُتَمَلِّكًا فَكَأَنَّهُ مُتَطَلِّبٌ مَا لَا يُودَى
مُتَلَفِعًا بِالْكِبْرِيَاءِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُفْدَى
أَذْنَى إِلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدِ يُرَادُّ مِنْ وَهْمٍ وَأَهْدَى
أَذْكَى مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّى لَوْ رَأَى خَلًّا لَسَدًّا

وصف الكرمة للطغرائي

٨٣

وَكْرَمَةٍ أَعْرَاقُهَا فِي الثَّرَى بَعِيدَةُ الْمَنْزَعِ وَالضَّرِبِ
كَرِيمَةٍ تَلْتَفُ أَعْصَلُهَا مِ الْغَضَّةِ بِالْأَقْرَبِ فَلِأَقْرَبِ
يُمْتَحَ مِنْ قَعْرِ الثَّرَى رِيحًا أَشْطَانُهَا عَفْوًا وَلَمْ تُجْدِبِ
أَنْفَحُهَا الرِّيحُ وَصَوْبُ الْحَيَا وَالشَّمْسُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
فَأَعْقَبَتْ حَامِلُهَا بَعْدَ مَا عَاشَتْ زَمَانًا وَهِيَ لَمْ تُعْقِبِ
وَوَضَعَتْهَا بِحِمَى يَتَنَبَّى إِلَى أَبِي أَكْرَمٍ بِهِ مِنْ أَبِي
وَأَلْحَقَهَا خُضْرَ أَوْرَاقِهَا مَعْدُوبَةً بِالْحَلَبِ الْأَعْدَبِ
وَبَدَّلَتْ خُضْرَ عِنَاقِيدِهَا بِأَذْهَمِ النُّجُومِ وَالْأَشْهَبِ
فَأَسْتَسَلَفَتْ مَاءً وَجَاءَتْ بِهِ مُدَامَةً كَأَلْقَبَسِ الْمُلْهَبِ
وَلَمْ تَرَلْ بِالرِّقِّ حَتَّى اكْتَسَى لُجَيْنًا مِنْ صُنْعِهَا الْمَذْهَبِ
فَالْأَشْقَرُ الْمُنْسُوجُ مِنْ نَسْلِهَا سَلِيلُ ذَاكَ الْأَشْهَبِ الْمُتَجِبِ
تَرَى الثَّرِيًّا مِنْ عِنَاقِيدِهَا تَلُوحُ فِي أَخْضَرِ كَالْغَيْبِ
أَلْوَانُهَا شَتَّى وَأَنْوَاعُهَا مُتَقَاتُ النُّجَرِ وَالْمُنْصَبِ
كَمْ سَجٍّ فِيهِ وَكَمْ جَزَعَةٍ صَحِيحَةِ التَّدْوِيرِ لَمْ تُشَبِّ

مِنْ حَالِكِ اللَّوْنِ كَنَجِّ الدَّحَى وَنَاصِعِ يَلْمَعُ كَالْكَوْكَبِ
أَطْيَبُ بِهَا جَلًّا وَمَحْظُورَةً فِي كَرَمِهَا وَكَأْسِهَا الْأَطْيَبِ

زهرية الفقيه ابي الحسن بن زنباع

٨٤

أَبَدَتْ لَنَا الْأَيَّامُ زَهْرَةَ طَيْبِهَا وَتَسَرَّبَتْ بِضِيرِهَا وَقَشِيهَا
وَاهْتَرَّ عَطْفُ الْأَرْضِ بَعْدَ خُشُوعِهَا وَبَدَتْ بِهَا النِّعْمَاءُ بَعْدَ شُحُوبِهَا
وَتَطَلَّعَتْ فِي عُثُقَانٍ شَبَابِهَا مِنْ بَعْدِ مَا بَلَغَتْ عَتِيَّ مَشِيهَا
وَقَفَتْ عَلَيْهَا السُّحُبُ وَفَقَّةَ رَاحِمٍ قَبِكَتْ لَهَا بَعُيُونَهَا وَقُلُوبَهَا
فَعَجِبْتُ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضَاحَكَتْ بِبُكَائِهَا وَتَبَشَّرَتْ بِقُطُوبِهَا
وَتَسَرَّبَتْ حُلًّا تَجَرُّ ذُيُولَهَا مِنْ لَدَمِهَا فِيهَا وَشَقَّ جُيُوبَهَا
فَلَقَدْ أَجَادَ الزُّنُّ فِي إِنْجَادِهَا وَأَجَادَ حَرُّ الشَّمْسِ فِي تَرْتِيهَا
مَا أَنْصَفَ الْخَيْرِيُّ يَمْنَعُ طَيْبَهُ لِحُضُورِهَا وَيُسِجُّهُ لِمَغِيهَا
وَهِيَ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِ يَدْفَعُهَا وَتَعَاهَدَتْهُ بِدَرِّهَا وَحَلِيهَا
فَكَأَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْهِ مَوْقُتٌ وَوُجُوبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوُجُوبِهَا
وَعَلَى سَمَاءِ الْيَاسَمِينَ كَوَاكِبُ أَبَدَتْ ذُكَاءَ الْغُجَزِ عَنْ تَعْيِيهَا
زَهْرٌ تَوَقَّدُ لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا وَتَقَوَّتْ شَاوُ خُسُوفِهَا وَغُرُوبِهَا
فَتَارَجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِهَبُوبِهَا وَتَعَانَقَتْ أَزْهَارُهَا بِبُكُوبِهَا
وَتَصَوَّبَتْ فِيهَا فُرُوعُ جَدَاوِلِ تَتَصَاعَدُ الْأَبْصَارُ فِي تَصْوِيهَا
تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِي أَصُولِ ثِمَارِهَا وَالْحُسْنُ بَيْنَ طُفُوهَا وَرُسُوبِهَا
أَوْ مَا تَرَى الْأَزْهَارَ مَا مِنْ زَهْرَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَكِبَتْ فِقَارَ قَضِيهَا

وَالطَّيْرُ قَدْ خَفَّتْ عَلَى أَفْئَانِهَا تُلْقِي فُنُونَ الشَّدْوِ فِي أُسْلُوبِهَا
تَشْدُو وَتَهْتَرُ الْغُصُونُ كَأَنَّمَا حَرَكَتُهَا رَقْصٌ عَلَى تَطْرِيبِهَا

٨٥ قال ابن حمديس الصقلي يصف داراً بناها المنصور بن اعلی بجاية

أَعْمَرَ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْنَهُ مَعْمُورًا
قَصْرُ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَلَّمْتَ بُنُورِهِ أَعْمَى لَعَادَ إِلَى الْمَقَامِ بَصِيرًا
وَأَشَقَّ مِنْ مَعْنَى الْجَنَانِ لَسِيَهُ فَيَكَادُ يُجِدُّ بِالْعِظَامِ نُشُورًا
لِسِي الصَّبِيحِ مَعَ الْفَصِيحِ بِذِكْرِهِ وَسَمَا فَقَاقَ خَوَزَنَقًا وَسَدِيرًا
أَبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مَنْظَرٍ ثُمَّ أَنْتَيْتُ نَاطِرِي مُحْشُورًا
فَظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ لَمَّا رَأَيْتُ الْمَلِكَ فِيهِ كَبِيرًا
لَوْ أَنَّ بِالْإِيوَانِ قُوبَلَ حُسْنُهُ مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكَورًا
أَعَيْتُ مَصَانِعَهُ عَلَى الْفَرَسِ الْأَلَى رَفَعُوا الْبِنَاءَ وَأَحْكَمُوا التَّدْبِيرًا
وَمَضَتْ عَلَى الرُّومِ الدُّهُورُ وَمَا بَنُوا لِلْمُلُوكِ شَبَهَا لَهُ وَنَظِيرًا
أَذْكُرْتَنَا الْفَرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْتَنَا غُرَفًا رَفَعَتْ بِنَاءَهَا وَقُصُورًا
وَمُحَصَّبٍ بِالْدَرِّ تَحْسَبُ تَرْبَهُ مِسْكًا تَضُوعَ نَشْرِهِ وَعَبِيرًا
لُتُخَلَّفَ الْأَبْصَارُ مِنْهُ إِذَا أَتَى صُبْحًا عَلَى غَسَقِ الظَّلَامِ مُبِيرًا

ثم ذكر بركة فيه عليها أشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه . ثم تفنن وذكر
أسوداً على حافاتها قاذفة بالمياه أيضاً فقال :

وَضَرَاغِمٍ سَكَنْتَ عَرِينَ رِئَاسَةٍ تَرَكْتَ خَيْرَ الْمَاءِ فِيهِ زَيْبًا
فَكَأَنَّمَا غَشَى النُّضَارُ جُسُومَهَا وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا الْبُلُورَا

أَسَدٌ كَانَ سُكُونُهَا مُتَحَرِّكٌ
وَتَذَكَّرَتْ فَتَكَاتُهَا فَكَأَنَّمَا
وَتَحَاكُلُهَا وَالشَّمْسُ تَجَلُّو لَوْنَهَا
فَكَأَنَّمَا سَلَتْ سُيُوفَ جَدَاوِلٍ
وَكَأَنَّمَا تَسْجَحُ النَّسِيمُ لِمَا بِهِ
وَبَدِيعَةُ الثَّرَاتِ تَعْبُرُ نَحْوَهَا
شَجَرِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ زُرْعَتْ إِلَى
قَدْ صُوبَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا
وَكَأَنَّمَا تَأْتِي لَوْعَ طَيْرِهَا
مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا
خُرْسٌ تَعْدُّ مِنَ الْقِفَاحِ فَإِنْ شَدَتْ
وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ غَصْنٍ فِضَّةٌ
وَتُرَيْكٌ فِي الصَّهْرِ يَجِ مَوْقِعَ قَطْرِهَا
صَحَكَتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا
وَمُصَفِّحٌ الْأَبْوَابِ تَبْرًا نَظَرُوا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ
وَضَعَتْ بِهِ صُنَاعَهَا أَقْلَامَهَا
وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ
وَكَأَنَّمَا الْأَلْزَرْدُ فِيهِ مُحَرَّمٌ

فِي النَّفْسِ لَوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مِثْرًا
أَقَعْتُ عَلَى أَذْبَارِهَا لِشُورًا
نَارًا وَالسُّنْهَى اللَّوْاحِشَ نُورًا
ذَابَتْ بِهَا نَارُ فَعْدَنْ غَدِيرًا
دِرْعًا فَقَدَّرَ سَرْدَهَا تَقْدِيرًا
عَيْنَايَ بَحْرَ عَجَائِبِ مَسْجُورًا
سَحَرُ يُوْثِرُ فِي النَّهْيِ تَأْثِيرًا
قَبَضَتْ يَمِينٌ مِنَ الْقَضَاءِ طُيُورًا
أَنْ تَسْتَقِلَّ بِنَهْضِهَا وَتَطِيرًا
مَاءٌ كَسَلَسَالِ اللَّيْلِ نَمِيرًا
جَعَلَتْ تُغْرِدُ بِالْمِيَاهِ صَفِيرًا
لَا نَتَ فَاَرْسِلَ خَيْطَهَا تَجَرُّورًا
فَوْقَ الزَّرَجِدِ لَوْلُوءًا مَشُورًا
جَعَلَتْ لَهَا زُهْرُ النُّجُومِ نُغُورًا
بِالنَّفْسِ فَوْقَ شُكُولِهِ تَنْظِيرًا
أَبْصَرَتْ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا
فَأَرَاتِكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصُورًا
مَشْقُوبَاتِهَا التَّرْوِيقَ وَالشَّجِيرَا
بِالْحَطِّ فِي وَرَقِ السَّمَاءِ سُطُورًا

الباب السابع في إشراف القديم

نُخب من المعلقات

نُخبَة من معلقة امرئ القيس بن حُجر الكندي

٨٦

وَلَيْلَ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لَيْتَلِي
 فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَعَى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَاكِلِ
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِي بِصُبحٍ وَمَا إِلَّا صَبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
 فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلِ
 وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرِ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُجَرِّدٍ قَيْدٍ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
 مَكْرٍ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عِلِ
 كَمَيْتٍ يُزِلُّ اللَّبَدَ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ
 عَلَى الذَّبَلِ جِيَّاشٍ كَأَنَّ أَهْرَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ عَلَيَّ مَرَجَلِ
 مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَتَى أَثْرَنَ غُبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
 يُزِلُّ الْغُلَامَ الْخُفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنيفِ الْمُثْقَلِ
 دَرِيرٍ كَتَحْذَرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
 لَهُ أَيْطَلَا ظِيٍّ وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْحَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلِ
 فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذِلِ
 فَالْحَقْنَا بِالْمَهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَرِيلِ

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَجَّةٍ
 فَظَلَّ طَهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ
 وَرُخَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ
 فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَلِجْلَامِهِ
 أَصَاحُ رَرَى بَرَقًا أُرْيَكَ وَمِضْمُهُ
 يُضِي سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ
 قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ
 عَلَى قَطْنٍ بِالسَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ
 فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءُ فَوْقَ كُتَيْفَةٍ
 وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ
 وَتِيَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جَذَعَ مُخْلَةٍ

نخبة من معلقة طرفة بن العبد البكري

٨٧

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
 وَآلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بِطَانَةٍ
 حُسَامٍ إِذَا مَا قُتُّ مُتَّصِرًا بِهِ
 أَخِي ثِقَّةٌ لَا يَنْشِي عَنْ ضَرْبِيَّةٍ
 إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي
 وَبَرَكِ هُجُودٌ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي
 فَمَرَّتْ كَهَاةُ ذَاتِ خَيْفٍ جُلَالَةٍ

خَشَّاشُ كَرَأْسِ الْحِمَةِ الْمُتَوَقِّدِ
 لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُنْهَدِ
 كَفَى الْعَوْدُ مِنْهُ الْبَدَأُ لَيْسَ بِمُعْضَدِ
 إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي
 مَنِيعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي
 بِوَادِيهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
 عَقِيلَةٌ شَيْخٌ كَالْوَيْلِ لَيَنْدَدِ

يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الْوُظِيفُ وَسَاقَهَا
وَقَالَ أَلَا مَا ذَا تَرُونَ بِشَارِبٍ
فَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفَعَهَا لَهُ
فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِنَ حَوَارَهَا
فَإِنْ مِتُّ فَأَنْبِئَنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
وَلَا تَجْعَلَنِي كَأَمْرِي لَيْسَ هَهُ
بَطِيءٌ عَنِ الْجَلِيِّ سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَاءِ
فَلَوْ كُنْتُ وَغَلَا فِي الرِّجَالِ لَضَرَنِي
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَالُ جِرَاءَتِي
لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِنِعْمَةٍ
وَيَوْمٍ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهَا
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى أَلْقَى عِنْدَهُ الرَّدَى
وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حَوَازَهُ
سَتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعَ لَهُ

نخبة من معلقة زهير بن أبي سلمى المزني

٨٨

فَأَقْسَمْتُ بِاللَّيْلِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
يَمِينًا لِنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا
سَعَى سَاعِيَا غِيْظَ بِنِ مَرَّةٍ بَعْدَ مَا
رِجَالُ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجَرُّهُمْ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمَبْرَمٍ
بَنَزَلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِ

تَدَارَكْتُمْ عَبَسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَ مَا
وَقَدْ قُلْتُمْ إِنْ نُدْرِكِ السَّلَامَ وَسِعَا
فَأَصْبَحْتُمْ مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
عَظِيمِينَ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمْ
تُعْنَى السُّكُومُ بِالْمَلِينِ فَأَصْبَحَتْ
يُتَجَمَّهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ عَرَامَةٌ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ
أَلَا أَبْلَغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةٌ
فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ
يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ
مَتَى تَبْعُوهَا تَبْعُوهَا ذَمِيمَةٌ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكُ الرِّحَى بِثِقَالِهَا
فَتُنْجَحُ لَكُمْ غُلْمَانُ أَشَامٍ كُلُّهُمْ
فَتَقْتُلُ لَكُمْ مَا لَا تُغْلُ لِأَهْلِهَا
رَعَوْا ظِمَاهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
فَقَضَّوْا مَنَایَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
لَعْنَكُمْ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمٍ نَوَقِلْ

تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَرٍ
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ لَسَلَمٍ
بَعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عَشُوقٍ وَمَا تَمَّ
وَمَنْ يَسْتَنْجِ كَرْزًا مِنَ الْجَدِيعِ عَظُمٍ
يُتَجَمَّهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا مُجْرِمٍ
وَلَمْ يَهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلًّا مُجْجَمٍ
مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَّمٍ
وَذُبْيَانُ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مَقْسَمٍ
لِيُخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يَعْلَلُ فَيَنْقَمُ
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ
وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّ يَتِمُّوهَا قَتَضَرَمٍ
وَتَلْفَحُ كَشَافًا ثُمَّ تُنْجَحُ فَتُنْجَمُ
كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ قَتْفَ طِمٍ
قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدَرَاهِمٍ
غَمَارًا تَفْرَى بِالسَّلَاحِ وَبِالْدَمِ
إِلَى كَلَالٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَحِّمٍ
دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ
وَلَا وَهَبِ مِنْهَا وَلَا ابْنَ الْمُخْرَمِ

فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَقُولُونَ
لَحْيٍ حَلَالٍ يُعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ
كَرَامٍ فَلَا ذُو الضُّعْفِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ
سَمِثْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتُ الْمُنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءُ مَنْ تُصَبُّ
وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يُجْعَلُ الْمَعْرُوفُ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُجَلُّ بِفَضْلِهِ
وَمَنْ يُوفٍ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يَهْدُ قَلْبُهُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمُنَايَا يَتَلَنَّهُ
وَمَنْ يُجْعَلُ الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَنْ يَقْرُبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسُهُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَكُلِّينِ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ
لِسَانَ الْقَتْلِ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ

صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالَعَاتٍ تَحْجَرُ
إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
لَدَيْهِمْ وَلَا أُلْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِ
تُمْتُهُ وَمَنْ تَحْطِي بِعَمْرِ قِيَرِمِ
يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمُسَمِ
يَفِرُّ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ يُشْتَمُ
عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنُ عَنْهُ وَيُذَمُّ
إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبَرِّ لَا يَتَحَجَّمِ
وَإِنْ يَرِقْ أَسْبَابُ السَّمَاءِ يَسَامُ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُبَّكَ كُلَّ لَهْذَمِ
يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ
وَلَا يُفِيهًا يَوْمًا مِنَ الدَّلِّ يَنْدَمِ
وَإِنْ خَالَهَا تَحَفَّى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ الْحَمْرِ وَالْدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
وَإِنَّ أَلْقَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعَدْنَا وَعَدْتُمْ
وَمَنْ أَكْثَرَ النَّسَالِ يَوْمًا سَيُحْرَمُ

نَجْدَةٌ مِنْ مَعْلَقَةِ لَيْدِ بْنِ رَيْبَعَةَ الْعَامِرِيِّ

٨٩

إِفْطَحْ لُبَانَةً مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلُهُ
وَلَحَيْرُ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَامُهَا
بَطْلِيحِ اسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةَ
مِنْهَا فَأَحَقَّ ضُلُبُهَا وَسَنَامُهَا
وَإِذَا تَعَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ
وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الْكِلَالِ خِدَامُهَا
فَلَهَا هَيْبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا
صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا
أَقْتَلَكِ أُمُّ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ
خَذَلَتْ وَهَادِيَةَ الصَّوَارِ قَوَامُهَا
خَسَاءٌ ضَيَّعَتِ الْفَرِيدَ فَلَمْ تَزَمْ
عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُعَامُهَا
لَمَعَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شَلَوُهُ
غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يَمْنُ طَعَامُهَا
صَادَقْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا
إِنَّ الْمُنَايَا لَا تَطِيشُ يَمَامُهَا
بَاتَتْ وَأَسْبَلَتْ وَكَفَّ مِنْ دِيمَةٍ
تُرْوِي الْحَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا
تَجْتَفِ أَصْلًا قَالِصًا مُتَلَبِّذَا
بِجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هَيَامُهَا
يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنَهَا مَتَوَاتِرُ
فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومُ غَمَامُهَا
وَضِيءٌ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةٌ
كُجْمَانَةُ الْبُجَرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا
حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ
بَكَرَتْ تَرْلُ عَنْ التَّرَى أَرْزَامُهَا
عَلَيْتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَايِدِ
سَبْعًا نَوَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا
حَتَّى إِذَا يَبُسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقُ
لَمْ يُبْلِهِ إِزْضَاعُهَا وَفُطَامُهَا
وَتَسَمِعَتْ رِزَّ الْأَنِيسِ قَرَاعَهَا
عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنِيسُ سِقَامُهَا

فَعَدَّتْ كَلَامَ الْفَرَجَيْنِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
حَتَّى إِذَا يَسَّرَ الرُّمَاءُ وَأَرْسَلُوا
فَلْحَقْنَ وَأَعْتَكِرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةُ
لِتَدُو دَهْنَ وَأَيَقَنْتَ إِنْ لَمْ تَدَدْ
فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابُ فَضْرَجَبِ
فَتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى
أَقْضِي اللَّبَانَةَ لَا أَقْرِطُ رِيَّةَ
وَعَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَرَعَتْ وَقَرَّةَ
وَلَقَدْ حَمَيْتُ أَلْمَى تَحْمِلُ شِكَايَ
فَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا عَلَى ذِي هَبْوَةٍ
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ
أَسْهَلْتُ وَأَنْتَبَهْتُ كَجَذَعِ مُنَيِّقَةٍ
رَفَعْتُهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَفَوْقَهُ
قَلَقْتُ رِحَالَهَا وَأَسْبَلْتُ مَحْرُهَا
تَرَقَّى وَتَطَعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَلْتَحِي
وَكَثِيرَةٍ غَرَبَاوُهَا فَجَهْلُةِ
غُلْبُ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا
أَنْكَرَتْ بَاطِلَهَا وَبَوَتْ بِحَمِّهَا
وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَنِّهَا

مَوْلَى الْخَلْقَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا
غَضَفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامَهَا
كَالسَّمَرِيَّةِ حَدَّهَا وَتَمَامَهَا
أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْخُشُوفِ جَمَامَهَا
يَدَمٍ وَغُودِرٍ فِي الْمَكْرِ سُخَامَهَا
وَأَجْنَابَ أَرْدِيَةِ السَّرَابِ إِكَامَهَا
أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةِ لَوَامَهَا
قَدْ أَصْبَحَتْ يَدُ الشَّمَالِ زِمَامَهَا
فُرْطُ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِحَامَهَا
حَرَجٍ إِلَى أَعْلَامِنَ قَتَامَهَا
وَأَجْنِ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامَهَا
جَرْدَاءٍ يَحْصِرُ دُونَهَا جَرَامَهَا
حَتَّى إِذَا سَخُنَتْ وَخَفَّ عِظَامَهَا
وَأَبْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ جَرَامَهَا
وَرَدَ الْحَمَامَةِ إِذْ أَحَدٌ حَمَامَهَا
رُجَى نَوَافِلَهَا وَيُخْشَى ذَامَهَا
جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامَهَا
عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامَهَا
يَمْغَالِقِي مُتَشَابِهٍ أَجْسَامَهَا

أَدْعُوهُنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ
فَالضَّيْفُ وَالْحَارُّ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا
تَأْوِي إِلَى الْأُطْنَابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ
وَيَكْلُونُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَحَتْ
إِنَّا إِذَا أَتَقَّتِ الْجَمَاعُ لَمْ يَزَلْ
وَمَقْسِمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا
فَضْلًا وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى
مِنْ مَعَشَرٍ سَتَتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ
إِنْ يَفْزَعُوا تَلْقَ الْمَغَافِرُ عِنْدَهُمْ
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَبُورُ فِعَالُهُمْ
فَاقْتَعِ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا
وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِمَتْ فِي مَعَشَرٍ
فَبَنَى لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَّيْنَاهُ
فَهُمُ السَّعَاءُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ
وَهُمْ رَيْعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ
وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبْطِئَ حَاسِدٌ

بُذِلَتْ لِحَيْرَانَ الْجَمِيعِ حِلَامُهَا
هَبَطَا تَبَالَةً مُخْصَبًا أَهْضَامُهَا
مِثْلَ الْبَلْبَةِ قَالِصٍ أَهْدَامُهَا
خُلْجًا تَمُدُّ شَوَارِعًا أَيْتَامُهَا
مِنَّا لِرِزَازٍ عَظِيمَةٍ جَشَامُهَا
وَمُعْذِرٍ لِحُفُوقِهَا هَضَامُهَا
سَمَحٌ كَسُوبٌ رَعَابٍ غَنَامُهَا
وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
وَالسِّنُّ تَلْعَعُ كَالْكَوَاكِبِ لَامُهَا
إِذَا لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا
قَسَمَ الْخِلَافَتَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا
أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظَّنَا قَسَامُهَا
فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغَلَامُهَا
وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا
وَالْمُرْمِلَاتُ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا
أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِنَامُهَا

نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

٩٠

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا
وَأَنْظِرْنَا نَخْبِرَكَ الْيَقِينَا
يَا نَا نَوْرِدُ الرِّيَّاتِ بَيْضًا
وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَالِ
وَسَيِّدٍ مَعَشَرٍ قَدْ تَوَجَّهَ
تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ
وَأَتَرْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ
وَقَدَّهَرَتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا
مَتَى نَنْقُلَ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا
يَكُونُ ثِقَالَهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ
زَلْتُمْ مَنَزَلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا
قَرَيْنَاكُمْ فَجَعَلْنَا قِرَافَكُمْ
نَعْمُ أَنْاسْنَا وَنَعَفُ عَنْهُمْ
نُطَاعِينَ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا
بُسْمِرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِيَّ لَدُنِ
كَانَ جَاهِجُ الْأَبْطَالِ فِيهَا
لَشَقُّ بِهَا رُؤُسَ الْقَوْمِ شَقًّا
وَإِنْ الضَّغْنُ بَعْدَ الضَّغْنِ يَفْشُو
وَرَيْنَا الْحَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعْدُ
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ
نَجْدُ رُؤُسِهِمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ
كَانَ سُيُوفُنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
يَتَاجِ الْمَلِكُ يَحْمِي النُّجْرِينَا
مُقْلَدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا
إِلَى الشَّامَاتِ نَفِي الْمُوْعِدِينَا
وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
وَلَهُوَتِهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا
فَجَعَلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتُمُونَا
قُبِيلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طُحُونَا
وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا
ذَوَابِلَ أَوْ بِيضَ يَعْتَلِينَا
وُسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا
وَنَحْتَلِبُ الرِّقَابَ فَيَحْتَلِينَا
عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا
نُطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا
عَلَى الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا
فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَوُونَا
مَخَارِيقُ بَأَيْدِي لَا عَيْنَا

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَانِ حَيُّ
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ
بِشْبَانٍ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا
حُدَايَا النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا
فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمْ
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ
بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ
أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا
أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمَرُوا بْنُ هِنْدٍ
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمَرُوا بْنُ هِنْدٍ
تَهْدِدُنَا وَتُوَعِدُنَا رُوَيْدًا
فَإِنَّ قِتَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعَيْتَ
إِذَا عَصَى الثَّقَفُ بِهَا شِمَارَتَ
عَشْوَرَتَهُ إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَرَتْ
فَهَلْ حَدَّثْتَ فِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ
وَرِثْنَا مَجْدَ عُلَقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ
وَرِثْتُ مُهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ

خُضَيْنَ بِأَرْجَوَانَ أَوْ طَلِينَا
مِنْ الْهَوْلِ الْمُسْبِيهِ أَنْ يَكُونَا
مُحَافِظَةً وَكُنَّا السَّائِقَيْنَا
وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مُجَرِّبَيْنَا
مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَيْنِنَا
فَقُصِّحْ خَلِنَا عُصْبًا ثِينَا
فَنُفَعْنُ غَارَةً مُتَلَبِّسِنَا
نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالْحَزُونََا
تَضَعُضُنَا وَأَنَا قَدْ وَنِنَا
فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِينَا قَطِينَا
تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَرْدِرِينَا
مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتُولِينَا
عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
وَوَلَّتْهُ عَشْوَرَتُهُ زُبُونَا
تَسْجُ قَفَا الْمُشَقِّفِ وَالْجَيْنَا
بَقِصْ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَا
أَبَاحَ لَنَا حُصُونِ الْمَجْدِ دِينَا
زُهَيْرًا نَعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا

وَعَتَابًا وَكُلُّوْمًا جَمِيعًا
وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حَدَّثَ عَنْهُ
وَمَنَا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّبُ
مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ
وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا
وَنَحْنُ غَدَاةُ أَوْقَدِي خَزَارَى
وَكُنَّا الْأَيْمِينَ إِذَا التَّقِينَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ
فَأَبُوا بِالْهَبَابِ وَالسَّيَا
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ
عَلَيْنَا الْيُضُّ وَالْيَلْبُ الْيَايِي
عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ
إِذَا أُضِغَتْ عَنْ الْأَبْطَالِ يَوْمًا
كَانَ غُضُونُهُنَّ مُتُونُ غَدَرٍ
وَتَحْمِلُنَا غَدَاةُ الرَّوْعِ جَرْدٌ
وَرَدَنَ دَوَارِعًا وَخَرَجْنَ شُعَا
وَرِثَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ
عَلَى آثَارِنَا يِضُّ حِسَانُ

يَهُم نَلْنَا تَرَاثَ الْأَكْرَمِينَا
بِهِ نُحْمِي وَنُحْمِي الْمُلْتَحِينَا
فَأَيُّ الْحُجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا
تُجِدُّ الْحَبْلُ أَوْ تَقْصُ الْقَرِينَا
وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا
رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا
وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا
أَلَمْ تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا
كِتَابٌ يَطْعَنُ وَيَرْتَمِينَا
وَأَسَافُ يَفْمَنُ وَيَخْنِينَا
تَرَى فَوْقَ النَّطَاقِ لَهَا غُضُونَا
رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ جُونَا
تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرِينَا
عُرْفُنَا لَنَا نَقَائِدُ وَأَقْتِلِينَا
كَأَمْثَالِ الرِّصَاصِ قَدْ بَلِينَا
وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَلِينَا
نُحَازِرُ أَنْ تُقَسَمَ أَوْ تَهُونَا

ظَعَانٌ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرِ
 يَقْتَنُ جِيَادَنَا وَيَقْتُلُنَ لَسْتُمْ
 أَخَذَنَ عَلَى بُعُولَتَيْنِ عَهْدًا
 لَيْسَتَيْنِ أَفْرَاسًا وَبَيْضًا
 تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حِيٍّ
 وَإِنَّا الْعَاصِمُونَ بِكُلِّ كَحْلٍ
 وَإِنَّا الْمَانِعُونَ لِمَنْ يَلِينَا
 كَأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّاتٌ
 يُدْهِنُ الرُّؤُوسَ كَمَا يُدْهِنُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ
 بَأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا
 وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا
 وَأَنَّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا
 وَأَنَّا الْعَاصِمُونَ إِذَا أَطْعَمْنَا
 وَتَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا
 إِلَّا أُبْلَغَ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا
 إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا
 مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
 لَبَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا
 خَلَطَنَ بِمَيْسَمٍ حَسَبًا وَدِينًا
 بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمُتْعُونَا
 إِذَا لَاقُوا كِتَابَ مُعَلِّمِنَا
 وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ
 قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينًا
 وَإِنَّا الْبَازِلُونَ لِمُجْتَدِنَا
 إِذَا مَا الْبَيْضُ فَارَقَتْ الْجُفُونَا
 وَلَدْنَا النَّاسَ طَرًّا أَجْمَعِينَ
 خَزَاوَرَةٌ بِأَبْطَحْمَا الْكُرَيْنَا
 إِذَا قُبَّ بِأَبْطَحْمَا بُيُنَا
 وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا أَبْتَلَيْنَا
 وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
 وَأَنَّا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
 وَأَنَّا الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
 وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينًا
 وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
 أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الْحَسَفَ فِينَا
 وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلَاهُ سَفِينَا
 وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

نخبة من معلقة الحارث بن جَزْرة الشُّكْرِي

٩١

وَأَتَانَا مِنْ الْحَوَادِثِ وَالْأَزْوَاجِ بَاءٌ خَطْبٌ نُعْنِي بِهِ وَنُسَاءُ
 أَنْ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيْلِهِمْ إِخْفَاءُ
 يَخْلُطُونَ الْبَرِّيَّ مِنَّا بِذِي الذِّبْرِ بِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِّيَّ الْخِلَاءُ
 زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيَرَ رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا أَوْلَاةُ
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ صَوَصَاءُ
 مِنْ مَنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصَدَّ هَالِ خَيْلٍ خِلَالِ ذَلِكَ رُعَاءُ
 أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقُشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ
 لَا تَخْلُنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا قَبْلَمَا قَدَّ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ
 فَهَبْنَا عَلَى الشَّنَاءِ تَمِيمٌ نَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعَسَاءُ
 قَبْلَ مَا الْيَوْمُ يَبْصُتُ بَعُيُونَ الْأَسْمَاءِ مَسِ فِيهَا تَغِيْظُ وَإِبَاءُ
 فَكَانَ الْمُنُونُ تَرْدِي بِنَا أَرِ عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ
 مُكْفَهَرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرِ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤِيدُ صَمَاءُ
 إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتِ الْخِيَالُ لُ وَتَأْتِي لِحْصِمَهَا الْإِجْلَاءُ
 مَلَكٌ مُقْسَطٌ وَأَفْضَلُ مَنْ يَمِ شَيْ وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الشَّنَاءُ
 أَيُّهَا خُطَّةُ أَرَدْتُمْ فَادُّو هَا إِلَيْنَا تَسْعَى بِهَا الْأَمَلَاءُ
 إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قِبَ فِيهَا الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
 أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْنَقْشُ يَجْشِمُهُ النَّاسُ سُ وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاءُ

أَوْسَكْتُمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَعْمَضَ عَيْنًا فِي جَفَنِهَا الْأَقْدَاءُ
أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّمَ تَتَمَّوْهُ لَهُ عَلَيْنَا أُلَعْلَاءُ
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يَنْتَهَبُ النَّاسُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
إِذْ رَفَعْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ النَّجْمِ رَيْنَ سَيْرًا حَتَّى نَهَاها الْحَسَاءُ
ثُمَّ مَلْنَا عَلَى تَيْمِيمٍ فَأَحْرَمَهُ نَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمٍ إِمَاءُ
لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلُ النَّجَاءُ
لَيْسَ يَنْجِي الَّذِي يُوَارِلُ مَنَا رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ
مَلِكٌ أَضْرَعَ الْبَرِيَّةَ لَا يُؤْمَلِكُ أَضْرَعَ الْبَرِيَّةَ لَا يُؤْمَلِكُ
كَتَكَالِيفِ قَوْمَنَا إِذْ غَرَا الْمُدُّ ذِرُّ هَلْ تَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ
مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِيٍّ فَمَطَّوْهُ لُ عَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ الْعَفَاءُ
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبْلَغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِدَاكَ أَنْتَهَاءُ
مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَا تُ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ
آيَةُ شَارِقِ الشَّقِيقَةِ إِذَا جَا بَتَ مَعْدٌ لِكُلِّ حَيٍّ لَوَاءُ
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْتَمِينَ بِكَشٍ قَرِظِي كَأَنَّهُ عَبْلَاءُ
وَصَيَّتْ مِنَ الْعَوَاتِكِ لَا تَدَّ هَاهُ إِلَّا مُبِيضَةٌ رَعْلَاءُ
قَرَدَدَنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا يَخْزُ رُجٌ مِنْ خُرْبَةِ الْمَرَادِ أَلْمَاءُ
وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى خَرَمٍ هَمَلًا نَ شِلَالًا وَدَمِي الْأَنْسَاءُ
وَجَبَّهْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا تَدَّ هَزُّ فِي جَمَّةِ الطَّيْوِيِّ الدَّلَاءُ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَمَا إِنْ لِلْحَائِثِينَ دِمَاءُ

ثُمَّ حُجْرًا أَعْنِي ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
 أَسَدُ فِي اللَّقَاءِ وَرَدُّ هُمُوسٍ وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَرَتْ غَبْرَاءُ
 وَفَكَ كَنَّا غُلَّ أَمْرِي الْقَيْسَ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ
 وَمَعَ الْجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي الْأَوَّلِ سِ عُنُودُ كَانَهَا دَفْوَاءُ
 مَا جَزَعْنَا تَحْتَ الْعِجَاجَةِ إِذْ وَلَّوْا سِلَاحًا وَإِذْ تَلَطَّى الصَّلَاةُ
 وَأَقْدَنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بَالِدُ ذَرِكْرَهَا إِذْ لَا تُكَالُ الدَّمَاءُ
 وَأَتَيْنَاهُمْ بِتِسْعَةِ أَمْلَاءَ لِكِ كِرَامِ أَسْلَابِهِمْ أَغْلَاءُ
 وَوَلَدْنَا عَمْرُو بْنُ أُمِّ إِيَّاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الْحَبَاءُ
 مِثْلَهَا تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلْقَوْمِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ
 فَاتْرَكُوا الطَّيْحَ وَالتَّعْدِيَّ وَإِمَامًا تَبَعَا شَوْ قَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ
 وَادْكُرُوا حَلْفَ ذِي الْحَازِ وَمَا قَدِمَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَفَلَاءُ
 حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعْدِيَّ وَهَلْ يَدُ قُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ
 وَاعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ فِي مَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ احْتَلَفْنَا سَوَاءُ
 عَنَّا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا نُهُ تَرُ عَنْ حُجْرَةِ الرِّبَاضِ الطُّبَاءُ
 أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَنْ نَمَ غَازِيهِمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ كَمَا نِي طَبْحُونَ الْمُحْمَلِ الْأَعْبَاءُ
 لَيْسَ مِنَّا الْمُضْرَبُونَ وَلَا قَيْدُ سِ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْحَذَاءُ
 أَمْ جَنَاحًا بَنِي عُتَيْقٍ فَإِنَّا مِنْهُمْ إِنْ نَعْدَرْتُمْ لِبَرَاءُ
 وَتَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ الْقَضَاءُ

تَرْكُوهُمْ مُلْحَيْنَ وَأَبْوَا يَنْهَابِ يُصِمُّ مِنْهَا الْحَدَاءُ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةً أَمْ مَا جَمَعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قُضَاعَةً أَمْ لَيْدٍ سَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أُنْدَاءُ
 ثُمَّ جَاءُوا لِیَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جَعْ لَهُمْ شَلْمَةً وَلَا زَهْرَاءُ
 لَمْ يُحْلُوا بَنِي رَزَاحٍ بِرَقًا نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ
 ثُمَّ قَالُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ وَلَا يُبْرِدُ الْغَلِيلَ أَلْمَاءُ
 ثُمَّ خَلُّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَعَ الْعَمَلِ لَا رَافَةَ وَلَا إِبْقَاءُ
 وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحَيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءُ

نخبة من معلّقة عنتربن شدّاد العبسي

٩٢

هَلَّا سَأَلْتَ الْحَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
 إِذَا لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةٍ سَابِجٍ نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الْكُمَاةُ مُكَلَّمِ
 طَوْرًا يُجَرِّدُ لِلطَّعَانِ وَتَارَةً يَأْوِي إِلَى حَصِيدِ الْقِسِيِّ عَرْمَرَمِ
 يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعْيَى وَأَعِيفُ عِنْدَ الْمُنْعَمِ
 وَمُدْجِجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ زِيَالَهُ لَا تُمْنَعْنِ هَرْبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
 جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ يُثَقِّفُ صَدَقَ الْكُيُوبِ مَقُومِ
 فَشَكَّكَتْ بِالرُّمَحِ الْأَصْمِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَتَا مُجْرَمِ
 فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنُهُ يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمُغْصَمِ
 وَمَشَكَّ سَابِغَةً هَتَكَتْ فُرُوجَهَا بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعَلِّمِ
 رِيْدَ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مُلُومِ

لَمَّا رَأَيْتُ قَدْ تَزَلْتُ أُرِيدُهُ
عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارَ كَأَنَّمَا
قَطَعْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ
بَطْلُكَ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ
نَبِئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي
وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى
فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا تَشْكِي
إِذْ يَقُونُ بِي الْأَسِنَّةُ لَمْ أَخِمِ
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
يَدْعُونَ عَنَّتَ وَالرِّمَاحَ كَأَنَّمَا
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةٍ مُحَرِّهِ
فَازْدَرَأَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْحَاوِرَةُ أَشْتَكِي
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا
وَالْحَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَاسًا
ذُلُّ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُسَابِعِي
وَلَقَدْ خَشِيتُ بَانَ أُمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ
الْشَّائِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتَمَهَا
إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا

أَبْدَى نَوَاجِذَهُ بَغَيْرِ تَبَسُّمٍ
خُضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلَمِ
يُمَهِّدُ صَافِي الْحَدِيدَةِ مِخْدَمٍ
يُحْذِي نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
وَالْكَفْرُ مَحْبُثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ
إِذْ تَقْلُصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضْعِ الْقَمِ
عَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَعْنَمِ
عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مُقْدَمِي
يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مَذَمِّهِ
أَشْطَانُ يُرِي لَبَانَ الْأَدْهَمِ
وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلُ بِالْدَمِ
وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمَمِ
وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامُ مُكَلِّمِي
قِيلَ الْقَوَارِسُ وَيَاكَ عَنَّتَ أَقْدَمِ
مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدِ شَيْظَمِ
لِي وَأَحْفَزُهُ بِأَمْرِ مُبْرَمِ
لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي صَمْتَمِ
وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُمَا دَمِي
جَزَدَ السِّبَاعَ وَكُلَّ لَسْرِ قَشْمَمِ

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّكُمْ
فَقَدْ حَمَتِ الْحَاجَاتِ وَاللَّيْلُ مُشَمِّرُ
وَفِي الْأَرْضِ مَنَآيَ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى
لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى أَمْرِي
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدُ عَمَلَسُ
هُمْ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعُ
وَكُلُّ أَبِي بَابِلٍ غَيْرَ أَنِّي
وَإِنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلِ
وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مِنْ لَيْسَ جَازِيَا
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فَوَادُ مُشِيعُ
هَتُوفُ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَتَّى كَانَهَا
وَلَسْتُ بِبَهِيَا فِ يَعْشَى سَوَامَهُ
وَلَا جُبَا أَكْهَى مُرَبِّ بَعْرِسِهِ
وَلَا خَرَقَ هَيْتِي كَانَ فَوَادُهُ
وَلَا خَالَفَ دَارِيَّةَ مُتَعَزِّلِ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ
فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا أَمِيلُ
وَشُدَّتْ لَطِيَّاتِ مَطَايَا وَأَرْحَلُ
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَتْلَ مُتَعَزِّلُ
سَرَى رَانِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَمْقَلُ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ
لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذِّلُ
إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْتَفَضُّلُ
بِحَسَنِي وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلِّلُ
وَأَبْيَضُ إِصْلِيَتْ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
رَصَائِعُ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَحَمَلُ
مُرْزَأَةُ عَجَلِي تَرْنُ وَتَعُولُ
مُجَدَّعَةٌ سُقْبَانُهَا وَهِيَ بِهَلُ
يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
يُظَلُّ بِهِ الْمَكَاةُ يَغْلُو وَيَسْفَلُ
يَرُوحُ وَيَعْدُو دَاهِنًا يَسْكَلُ
أَلْفَ إِذَا مَا رَعَتْهُ أَهْتَاجُ أَغْزَلُ

وَلَسْتُ بِمُخَيَّرِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ
إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَانُ لَاقَى مَنَاسِمِي
أَدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتِهِ
وَأَسْفُ تَرْبِ الْأَرْضِ كَيْلَا يَرَى لَهُ
وَلَوْ لَا اجْتِنَابُ الدَّامِ لَمْ يُلَفْ مَشْرَبُ
وَلَكِنَّ نَفْسًا مَرَّةً لَا تَقِيمُ بِي
وَأَطْوِي عَلَى الْحُمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ
وَأَعْدُو عَلَى الْقُوتِ أَرْهِيدُ كَمَا عَدَا
غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أُمُّهُ
مُهَلِّلَةً شَيْبُ الْوُجُوهِ كَانَهَا
أَوْ الْحَشْرَمُ الْمُبْعُوثُ حُثَّتْ دَبْرَهُ
مَهْرَتُهُ فُوهُ كَانَ شُدُوقَهَا
فَضَجَّ وَصَجَتْ بِالْبَرَاكِ كَانَهَا
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَّى وَأَتَسَّتْ بِهِ
شَكَوْشَكَتْ ثُمَّ أَرَعَوَى بَعْدَ وَارَعَوَتْ
وَفَاءَ وَفَاءَتْ بِأَدْرَاتٍ وَكُلَّهَا
وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكُذْرُ بَعْدَمَا
هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلْتُ

هُدَى الْهَوَجَلِ الْعِيسِفِيَّهْمَا هَوَجَلُ
تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ
وَأَضْرَبُ عَنْهُ الذِّكْرُ صَفْحًا فَاذْهَلُ
عَلَى مِنَ الطَّوْلِ أَمْرُو مُتَبَوِّلُ
يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدِي وَمَا كُلُّ
عَلَى الضِّمِّ إِلَّا رَيْثًا أَتَحَوَّلُ
خُيُوطُهُ مَارِي تَعَارُ وَتُقْتَلُ
أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَافُ أَطْحَلُ
يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسَلُ
دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَارُ مُحَلُ
قَدَاحُ بِكَفِّي يَاسِرٍ تَتَقَلَّلُ
مَحَايِضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعْسَلُ
شُقُوقُ الْعِصِي كَالْحِلَاتِ وَبَسَلُ
وَأَيَّاهُ نُوحُ فَوْقَ عَلِيَاءِ تُكَلُّ
مَرَامِيلُ عَزَاهَا وَغَزَّتُهُ مَرْمَلُ
وَلَلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُو أَجْمَلُ
عَلَى نَكْظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمَلُ
سَرَتْ قَرَبًا أَخَاوُهَا تَتَصَلَّلُ
وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطُ مُتَمَهِّلُ

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِه
كَانَ وَغَاهَا حَجَرِيَّةً وَحَوْلَهُ
تَوَافِينَ مِنْ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَضَمَّهَا
فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
وَالْفُ وَجْهَ الْأَرْضِ عِنْدَ اقْتِرَاشِهَا
وَأَعْدِلُ مُخَوَّضًا كَانَ فُضُوصُهُ
فَإِنْ تَبَتَّسَ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسَطَلُ
طَرِيدُ جَنَازَاتٍ تَيْكَسِرْنَ لَحْمَهُ
تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْطِطِي عْيُونُهَا
وَالْفُ هُمُومٍ مَا تَرَالُ تَعُودُهُ
إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرَتْهَا ثُمَّ إِنَّهَا
فَإِمَّا تَرَيْنِي كَأَبْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيًا
فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بِهِ
وَأَعْدِمُ أَحْيَانًا وَأَغْنِي وَإِنَّمَا
فَلَا جَزَعُ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفُ
وَلَا تَرْدُهُي الْأَجْهَالُ حُلْمِي وَلَا أَرَى
وَلِيلَةَ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا
دَعَسْتُ عَلَى غَطَشٍ وَبَغَشٍ وَصَحْبَتِي
فَأَيَّتْ نِسْوَانًا وَأَيَّتْ وَلَدَةً

يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونُ وَحَوْصَلُ
أَضَامِيمٍ مِنْ سَفَرِ الْقَبَائِلِ نَزَلُ
كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مِنْهُلُ
مَعَ الصَّحْبِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاظَةِ مُجْهَلُ
بَاهِدًا ثَنِيَّةٍ سَنَاسِنُ قَحْلُ
كَعَابُ دَحَاهَا لَا عِبُ فُهِىَ مَثَلُ
لَمَّا اغْتَبَطْتُ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطُولُ
عَقِيرَتُهُ لِأَيِّهَا حَمٌ أَوَّلُ
حِشَانًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَغْلَغَلُ
عِيَادًا كَحَمَى الرَّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ
تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تَحْتِ وَمِنْ عَلُ
عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلَا أَتَعَلُّ
عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ وَالْحَزْمِ أَنْعَلُ
يَنَالُ الْغَنَى ذُو الْبَعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ
وَلَا مَرَحٌ تَحْتَ الْغَنَى أَتَحِيلُ
سَوْوَلًا بِأَعْقَابِ الْأَقَاوِيلِ أُنْمِلُ
وَأَقْطَعُهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَبَدَّلُ
سَعَارًا وَإِرْزِيزًا وَوَجْرًا وَأَفْكَلُ
وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْغَمِصَاءِ جَالِسًا
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بَلِيلُ كِلَابِنَا
فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبَأَةٌ ثُمَّ هَوَمَتْ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جَنِّ لَا بَرَحَ طَارِقًا
وَيَوْمٍ مِنَ الشَّعْرِ يَذُوبُ لِعَابُهُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كُنْ دُونَهُ
وَصَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ
وَحَرَقَ كَظْهَرِ الثَّرَسِ قَفَرٍ قَطَعَتْهُ
وَأَلْحَقْتُ أَوْلَاهُ بِأَخْرَاهُ مُوفِيًا
تُرُودُ الْأَرَاوِي الصُّخْمَ حَوْلِي كَأَنَّهَا
وَيَرْكُدْنَ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنِّي

نَجْةٌ مِنْ لَامِيَةِ الْعَجْمِ لِلطُّغْرَائِي (*)

٩٤

أَصَالَهُ الرُّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخُطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعُ
فِيمِ الْإِقَامَةِ بِالزُّورَاءِ لَا سَكْنِي
نَاءً عَنِ الْأَهْلِ صَفْرُ الْكَفِّ مُنْقَرِدُ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكِي خَزَنِي
طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاجِلَتِي
وَحِلَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
وَالشَّمْسُ رَأْدُ الصُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ
بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
كَالسَيْفِ عُرِّي مَتْنَاهُ مِنَ الْحُلَالِ
وَلَا أَنِيسُ إِلَيْهِ مُتَّهِي جَذَلِي
وَرَحْلُهَا وَقِرَى الْعَسَالَةِ الذُّبُلِ

(*) انما ابتدأها في باب الشعر القديم وهي ليست منه إشارة لذكرها مع لامية العرب

وَصَحَّ مِنْ لَعَبٍ نَضَوِي وَعَجَّ لِمَا
أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ اسْتَعِينُ بِهَا
وَالْدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُضْعِفِي
حُبَّ السَّلَامَةِ يَنْثِي هَمَّ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا
وَدَعْ غِمَارَ الْعُلَى لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى
يَرْضَى الدَّلِيلُ يُخَفِّضُ الْعَيْشَ يُخَفِّضُهُ
فَادْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ الْيَدِ حَافِلَةً
إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوعٌ مِنِّي
أَهَبْتُ بِالْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَعِمًّا
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَنَقَصَهُمْ
أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا
لَمْ أَرْضَ الْعَيْشَ وَالْأَيَّامَ مُقْبِلَةً
غَالِي بِنَفْسِي عِرْقَانِي بِقِيَّتِهَا
وَعَادَةُ النُّصْلِ أَنْ يَزْهَوْ بِجَوْهَرِهِ
مَا كُنْتُ أُؤْثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
تَقَدَّمْتَنِي أَنْاسٌ كَانَ شَوْطُهُمْ
هَذَا جَزَاءُ أَمْرِي أَقْرَأُهُ دَرَجُوا

يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَ الرِّكْبُ فِي عَذَلِي
عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ لِمَلِي قَبْلِي
مِنَ الْغَنِيَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَلْبِ
عَنِ الْمَعَالِي وَيُغَيِّرِي الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ
فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَمًا فِي الْجَوْفِ فَاعْتَرَلَ
رُكُوبَهَا وَأَقْتَنَعَ مِنْهُنَّ بِالْبَلَلِ
وَالْعَزُوبِينَ رَسِيمٍ الْأَيْتِيُّ الدَّلِيلُ
مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي اللَّجْمِ بِالْجُدْلِ
فِيمَا تَحَدَّثُ أَنَّ الْعَزَّ فِي النُّقْلِ
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمْلِ
وَالْحَظُّ عَنِّي بِالْجَهَالِ فِي شُغْلِ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
مَا أَضِيقُ الْعَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ
فَصَلَّتْهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَدِلِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلِ
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفْلِ
وَرَاءَ خَطْوِي إِذَا أَمْشَيْ عَلَى مَهَلِ
مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فَسْحَةَ الْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا تَجِبْ
فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِيرٍ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَذْنَى مِنْ وَثِقَتْ بِهِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
غَاضُ الْوَفَاءِ وَفَاضُ الْقَدْرِ وَأَنْفَرَجَتْ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ
وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كَذِبُهُمْ
إِنْ كَانَ يَجْمَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ
يَا وَارِدًا سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ
فِيمِ اعْتِرَاضِكَ لِحْجِ الْخَيْرِ تَرْكِبُهُ
مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا
تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا
وَيَا خَيْرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطْلَعًا
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرِ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ

لِي أُسْوَةٌ بِأَنْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلٍ
فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنْ الْحِلِّ
فَحَازِرِ النَّاسِ وَأَصْحِبِهِمْ عَلَى دَخَلٍ
مَنْ لَا يُعُولُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ
مَسَافَةٍ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
وَهَلْ يُطَاقُ مُوجٌّ بِمُقْتَدِلٍ
عَلَى الْعُهُودِ فَسَبَقُ السَّيْفِ لِلْعَدَلِ
أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ
تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ
فَهَلْ سَمِعْتَ بِظُلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلٍ
أَنْصَتَ فِي الصَّمْتِ مَنَاجَاةً مِنَ الزَّلَلِ
فَارَبَّأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعى مَعَ الْهَمَلِ

قصيدة التابغة يعتذر بها الى النعمان وكان قد جفاه

٩٥

يَا دَارَ مَيَّةَ فِي الْعُلَيَّا فَالْسَّنْدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلَانَا أَسَائِلُهَا
إِلَّا أَوَارِيَّ لَا يَأْ مَا أُبَيِّنُهَا
رُدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَدَهُ

أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ
عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
وَالْتَوَيْ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَلَدِ
ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمَسْحَةِ فِي النَّادِ

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَى كَانَ يَحْسِبُهُ
أَصْحَتْ خَلَاءً وَأَصْحَى أَهْلَهَا أَحْتَمَلُوا
قَعْدَ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا أَرْتَجِعَ لَهُ
مَقْدُوفَةً بِدَخِيسِ التَّخْضِ بَارِلُهَا
كَانَ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ
سَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْجُوزَاءِ سَارِيَةٌ
فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ
فَبْهَنَ عَلَيْهِ وَأَسْتَمَرَ بِهِ
فَهَابَ ضَمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ
شَكََّ الْقَرِيبَةَ بِالْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا
كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ
فَقَالَ يَجْمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقِضًا
لَمَّا رَأَى وَاشْتَقَّ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ
قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا
فَتَلَكَّ تُبْلَغُنِي الْعُثْمَانُ إِنَّ لَهُ
وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهِ لَهُ
وَخَيْسَ الْخِنْ إِيَّيْ قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ

وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَصَدَّ
أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ
وَأَخْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أَجْدٍ
لَهُ صَرِيفُ صَرِيفِ الْقَعْوِ بِالْمَسْدِ
بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدٍ
طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ
تُرْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدُ الْبَرْدِ
طَوَّعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدٍ
صَمْعُ الْكُكُوبِ بِرِيَّاتٍ مِنَ الْحَرْدِ
طَعْنُ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْحَجَرِ التَّجْدِ
شَكََّ الْمَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضْدِ
سَفُودُ شَرَبٍ لَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَادٍ
فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ
وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قُودٍ
وَإِنْ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدْ
فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَذْنَى وَفِي الْبُعْدِ
وَمَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ
قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَأَحْدُذْهَا عَنِ الْقَدِ
يَبْنُونَ تَذْمُرَ بِالصَّقَّاحِ وَالْعَمَدِ

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعَقِبَهُ بِطَاعَتِهِ
وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقِبَةً
إِلَّا لِيُثْلِكَ أَوْ مِنْ أَنْتَ سَابِقُهُ
فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حُجْجًا
مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ
إِذَا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقِبَةً
هَذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُدِفْتُ بِهِ
مَهْلًا فِدَاءُ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ
لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ
فَمَا أَفْرَأْتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ
يَمْدُهُ كُلُّ وَادٍ مُزْبِدٍ لِحَبِّ
يُظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَأَ مُعْتَصِمًا
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ
أُنَيْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي
هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسَمَّعَ لِقَائِلِهِ
هَإِنْ تَاغِدَرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ

كَمَا أَطَاعَكَ وَأَذَلَّهُ عَلَى الرَّشْدِ
تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْذِفْ عَلَى ضَمْدِ
سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ
وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ
طَارَتْ نَوَافِدُهُ حَرَى عَلَى كَيْدِي
وَمَا أَثَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
وَلَوْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ
تَرْمِي أَوَاذِيهِ الْعَبْرِينَ بِالزَّبْدِ
فِيهِ حُطَامٌ مِنَ الْيُنُوبِ وَالْخُصْدِ
بِالْحَيِزْرَانَةِ بَعْدَ الْإَيْنِ وَالنَّجْدِ
وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ
وَلَا قَرَارٌ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ
فَمَا عَرَضَتْ أَيْتُ اللَّعْنِ بِالْصَفْدِ
فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ

٩٦ نخبة من قصيدة الاعشى ميمون بن قيس بن جندل

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَا لَكَةَ
أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا
أَبَا تُيَيْتٍ أَمَا تَتَفَكَّرُ تَأْتِكِلُ
وَلَسْتَ ضَارِهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

تُعْرِي بِنَارِ هَطٍ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتَهُ
 كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا
 لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدْتَ عَدَاؤُنَا
 تُلْهِمُ أَبْنَاءَ ذِي الْجَدَيْنِ إِنْ غَضِبُوا
 لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكْثَرَهَا حَطْبًا
 سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا
 وَأَسْأَلُ فَشِيرًا وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُمُ
 إِنَّا نَقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ
 قَدْ كَانَ فِي آلِ كَهْفٍ إِنْ هُمْ أَحْتَرَبُوا
 إِنِّي لَعَمْرُ اللَّهِ الَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا
 لَنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدْدًا
 وَإِنْ مُنِيتَ بِنَا فِي ظِلِّ مَعْرَكَةٍ
 لَا يَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطْطٍ
 حَتَّى يَظْلَ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُرْتَفَقًا
 أَصَابَهُ هُنْدَوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ
 كَلَّا زَعَمْتُمْ يَا نَالَ لَا نَقَاتِلُكُمْ
 نَحْنُ الْهَوَارِسُ يَوْمَ الْخَنُوزِ صَاحِبِيَّةٍ
 قَالُوا الْطَرَادَ قَتَلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا
 قَدْ نَحْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكُونٍ فَأَلِيهِ
 يَوْمَ الْلِقَاءِ فِيرِدِي ثُمَّ تَعْتَرِلُ
 فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
 وَالتَّمَسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تَحْتَمِلُ
 أَرْمَاحَنَا ثُمَّ تَلْقَاهُمْ وَتَعْتَرِلُ
 تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ
 أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَبْنَاءِ نَاشِكُلُ
 وَأَسْأَلُ رَيْبَةَ عَنَّا كَيْفَ نَقْتَعِلُ
 عِنْدَ الْلِقَاءِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ جَهَلُوا
 وَالْجَاشِرِيَّةُ مَنْ يَسْعَى وَيَتَنَصَّلُ
 تَخْذِي وَسَيْقِ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْغَيْلُ
 لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَلُ
 لَا تُلْفَنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْقَلُ
 كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْقَتْلُ
 يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجْلُ
 أَوْ ذَابِلُ مِنْ رِمَاحِ الْخُطِّ مُعْتَدِلُ
 إِنَّا لَا مَثَالَكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتِلُ
 جَنْبِي فُطَيْمَةٌ لَا مَيْلَ وَلَا عَزْلُ
 أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نَزْلُ
 وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ

الباب الثامن في المراثي

رثاء أعرابية لابنها

٩٧

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَلَهَّبًا وَقَدْ حَرَقَتْ مِنِّي الشُّوْنُ الدَّمَاعُ
وَقَدْ أَضْرَمْتَ نَارُ الْمُصِيبَةِ شُعْلَةً وَقَدْ حَمَيْتْ مِنِّي الْحَشَا وَالْأَضَالِعُ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرَّكْبَ هَلْ يُخْبِرُونِي بِحَالِكَ كَيْمَا تَسْتَكِنُ الْمُضَاجِعُ
فَلَمْ يَكُ فِيهِمْ مُخْبِرٌ عَنْكَ صَادِقُ وَلَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّكَ رَاجِعُ
فَيَا وَلَدِي مُذْغِبَتْ كَدَّرَتْ عَيْشِي فَقَلْبِي مَضْدُوعٌ وَطَرْفِي دَامِعُ
وَفِكْرِي مَسْقُومٌ وَعَقْلِي ذَاهِبُ وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بِلَاقِعُ

لكعب بن سعد الغنوي في أخيه أبي الغوار

٩٨

تَتَابَعُ أَحْدَاثُ تَحَرَّمَنِ إِخْوَتِي فَشَيَّبَنَ رَأْسِي وَأَخْطُوبُ شَيْبُ
لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مِنِّي أَخِي وَالْمُنَايَا لِلرِّجَالِ شُعُوبُ
لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرُوحُ عَلَيَّ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَغَزِيبُ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاخِشُ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرِعُ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ هَيْبُ
أَخٌ كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينِي عَلَى النَّاتِبَاتِ السُّودِ حِينَ تَوْبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا سُورَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حَبِي الشَّيْبُ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبُ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي حِلْمًا وَشِيْمَةً وَلَيْتُ إِذَا لَاقَى الْعُدَّةَ قَطُوبُ
هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبِثُّ الصَّبْحُ غَادِيَا وَمَاذَا يُودِّي اللَّيْلُ حِينَ يَوُوبُ

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضْمَنَ قَبْرُهُ
أَخُو سَنَوَاتٍ يَعْلَمُ الصَّيْفُ أَنَّهُ
حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ
إِذَا اقْصَرَّتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَى
جُمُوعٌ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
مُفِيدٌ لِمَلَقِ الْقَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ
وَدَاعٌ دَعَايَا مَنْ يُحِبُّ إِلَى النَّدَى
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَلَرَقِ الصُّوْتُ جَهْرَةً
يُجِبُكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ
أَتَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى
فَتَى مَا يُبَالِي أَنْ تَكُونَ بِجِسْمِهِ
إِذَا مَا تَرَأَى لِلرِّجَالِ رَأْيَتَهُ
عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَ الرِّجَالُ رَأْيَتَهُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ
غِيَاثُ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِيشُهُ
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحِبُ فَنَائِهِ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ
غَنِينَا بِخَيْرِ حِصْبَةٍ ثُمَّ جَحَّتْ
فَأَبْقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ

مِنْ الْجَدِّ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَشِيبُ
سَيَكْثُرُ مَا فِي قِدْرِهِ وَيَطِيبُ
جَمِيلُ الْحَيَاةِ شَبَّ وَهُوَ أَدِيبُ
تَنَاولَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ كَسُوبُ
إِذَا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِهِنَ ذَهُوبُ
لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ نَدُوبُ
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ حُجُبُ
لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
بِأَمثَالِهِ رَحِبُ الذِّرَاعِ أَرِيبُ
كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُحِبُّ
إِذَا حَالَ حَالَاتُ الرِّجَالِ سُحُوبُ
فَلَمْ يَنْطَفِئُوا اللَّغْوَاءَ وَهُوَ قَرِيبُ
وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبُ
سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
وَتَحْتَضِرُ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبُ
إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَجِبْهُ عُيُوبُ
مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مِيبُ
عَلَيْنَا الَّتِي كُلُّ الْأَنَامِ تَصِيبُ
لَا خَرَّ وَالرَّاحِي الْحَيَاةُ كَذُوبُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِيَ الْحَيَّ مِنْهُمْ
لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
وَإِنِّي لَبَاسِكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقُ
فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُبَاعُ أَشْتَرَيْتُهُ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقُ
إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبُ
عَلَى يَوْمِهِ عِلْقُ عَلِيٍّ جَنِيبُ
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنُ ذُنُوبُ
عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ كَذُوبُ
يَهَا إِذْ بِهِ كَانَ النَّفْسُ تَطِيبُ
وَمَا أَهْتَرِي فَرْعُ الْأَرَاكِ قَضِيبُ

قال دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ فِي مَقْتَلِ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ

٩٩

تَادُوا فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ حَلَى مَكَانَهُ
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَحِجْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ
فَطَاعَتُهُ عَنْهُ الْخَيْلُ حَتَّى تَنْقَسَتْ
فَمَا رِمْتُ حَتَّى خَرَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ
فَقَاتِلْ أَمْرِي أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
كَيْشُ الْأَزَارِخِ أَرْجُ نِصْفَ سَاقِهِ
قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظُ
سَلِيمُ الشَّطَى عِبْلُ السَّوَابِجِ وَالشَّوَى
يَفُوتُ طَوِيلُ الْقَوْمِ عَقْدُ عِذَارِهِ
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدُ
فَقُلْتُ عَبْدُ اللَّهِ ذَلِكَمُ الرَّدِي
فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ أَلِيدُ
فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِمُعْدٍ
كَوَقَعِ الصَّيَاصِي فِي التَّسْيِجِ الْمُدِّ
وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ
وَعُودِرْتُ أَكْبُو فِي الْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الرُّءُوفَ غَيْرُ مُحَلِّدِ
بَعِيدُ عَنِ الْأَفَاتِ طَلَاعُ أَنْجِدِ
مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
طَوِيلُ الْقَنَا نَهْدُ نَبِيلِ الْمُقَلِّدِ
مُنِيفُ كَجَذْعِ النَّخْلَةِ الْمُتَجَرِّدِ
وَإِنْ يَلْقَى مِثْنَى الْقَوْمِ يَفْرَحُ وَيَزْدَدُ

تَرَاهُ تَحْمِصَ الْبَطْنَ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي الْقَمِصِ الْمُقَدَّرُ
وَأِنْ مَسَّهُ الْأَفْوَاءُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وَإِنْتِلَاقًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ
صَبًا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ أَبْعِدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَجُلِّ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

لما دفن المهمل اخاه كليباً قام على قبره يرثيه

١٠٠

أَهَاجُ قَذَاءً عَيْنِي الْإِذْكَارُ هُدُوءًا قَالِدُ مَوْعٍ لَهَا أُحْدَارُ
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمَلًا عَلَيْنَا كَانَ اللَّيْلُ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أَرَاقِبُ الْجُورَاءَ حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا أُحْدَارُ
أَصْرَفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا
وَأَبْكِي وَالنُّجُومُ مُطْلَعَاتُ كَانَ لَمْ تَحْوِهَا عَيْنِي الْجَارُ
عَلَى مَنْ لَوْنَعْتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْحَيْلِ يُحْجِبُهَا الْغُبَارُ
دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ يُجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَدَا الْقِفَارُ
أَجِيبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَكَ دَمٌ ضَنِينَاتُ النَّفُوسِ لَهَا مَزَارُ
أَجِيبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَكَ دَمٌ لَقَدْ فُجِعْتُ بِفَارِسِهَا زَارُ
سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُتَمَسُّ الْيَسَارُ
أَبْتَ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكْفَأَ كَانَ قَدَى الْقِتَادِ لَهَا شِفَارُ
وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَعْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ أَقْدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمْسَهُمْ لِسَانُ مَخَافَةٍ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاعِي كُليْبًا تَطَايَرَ بَيْنَ جَنَبِي الشَّرَارُ

فَدُرْتُ وَقَدْ عَشِيَّ بَصَرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ
 سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنُوهُ فَقَالُوا لِي بِسَمْعِ الْحَيِّ دَارُ
 فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حُثِيًّا وَطَارَ النَّوْمُ وَأَمْتَعَ الْقَرَارُ
 وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ ثَوَى فِيهِ الْمَكَارِمُ وَالْفَخَارُ
 لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لَمْ يَشْنَهُ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
 أَتَدُّوْا يَا كُتَيْبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانَ الْقَوْمُ أَنْجَاهُ الْفِرَارُ
 أَتَدُّوْا يَا كُتَيْبُ مَعِيَ إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْخَذُهَا الشَّقَارُ
 خُذْ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمَرِي بَتْرِكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
 وَلَسْتُ بِمَجَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلَى أَنْ يَجْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارُ
 وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سِرَاةَ بَكْرٍ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا إِثَارُ

١٠١ وقال مالك بن الربيع التميمي يرثي نفسه ويصف قبره. وكان قد خرج مع سعيد بن عفان أخي عثمان لما ولي خراسان. فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فاذا بأفعى فيه فلسعته فلما أحس بالموت أنشأ يقول:

دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصَحْبَتِي بِذِي الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا
 أَحْبَبْتُ الْهُوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفَرَةٍ تَقَنَّنَتْ مِنْهَا أَنْ الْأَمَّ رَدَائِيَا
 أَلَمْ تَرِنِي بِغَتِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَانَ غَارِيَا
 لَعُمْرِي لَنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَائِي خُرَاسَانَ نَائِيَا
 قَلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتَرَكْتُ طَائِعًا بَنِي بَاعِلَى الرُّقْمَيْنِ وَمَالِيَا
 وَدَرُّ الطُّبَّاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً يُخَبِّرُنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ أَمَلِيَا
 تَقَفَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَحِذْ سِوَى السِّيفِ وَالرُّحَى الرُّدَيْنِي بَاكِيا

وَأَشْقَرُ خَنْزِيدٍ يَجْرُ عَنَانَهُ
وَلَمَّا تَرَأْتِ عِنْدَ مَرَوْ مَنِّي
أَقُولُ لِأَصْحَابِي أَرْقِعُونِي فَإِنِّي
فَيَا صَاحِبِي رَحِمِي دَنَا الْمَوْتُ فَأَزَلَا
أَقْبَمَا عَلَيَّ الْيَوْمُ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ
وَقَوْمًا إِذَا مَا أَسْتَلَّ رُوحِي فَهَيَّا
وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا
وَخُطَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجِعِي
خُذَانِي فُجْرَانِي بِرُدِّي إِلَيْكُمَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَافًا إِذَا الْحَيْلُ أَذْبَرَتْ
وَقَدْ كُنْتُ تَحْمُودَ الَّذِي الزَّادِ وَالْقَرَى
وَقَدْ كُنْتُ صَبَارًا عَلَى الْقُرْنِ فِي الْوَعَى
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ضَلَالٍ وَمَجْمَعٍ
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ
وَقَوْمًا عَلَى بَرِّ الشُّبَيْكِ فَأَسْمَعَا
بِأَنَّكُمَا حَلَفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ
وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا
فَلَنْ يَئْتِيَنَّ الْوَلَدَانُ مِنِّي تَحِيَّتِي
يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفُونَنِي

إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَقَاتِيَا
يَقْرُبُ عَيْنِي أَنْ سَهْلٌ بِدَالِيَا
بِرَأْيَةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيْلِيَا
وَلَا تَحْجَلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا
لِي السِّدْرُ وَالْأَكْفَانُ ثُمَّ أَبْكِيَانِيَا
مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْفَرْصِ أَنْ تُوسِعَالِيَا
وَرَدًّا عَلَى عَيْنِي فَضْلَ رِدَائِيَا
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
سَرِيعَالَدَى الْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَعَنْ شَتَمِ ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا
ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَضْبًا لِسَانِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي وَالْعِتَاقُ رِكَكِيَا
تُحْرِقُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
بِهَا الْوَحْشُ وَالْبَيْضُ الْحَسَنُ الرَّوَانِيَا
تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوْفِيَا
تَقَطَّعَ أَوْصَالِي وَتَبَلَّى عِظَامِيَا
وَلَنْ يَئْتِيَنَّ الْمِيرَاثُ مِنِّي مَوَالِيَا
وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

خَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
وَبِالرَّمْلِ مَنِي نِسْوَةٍ لَوْ شَهِدَنِي
فَمِنْهُمْ أُمِّي وَأَبْنَتَاهَا وَخَالَتِي
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مِنِّي وَأَهْلِهِ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ
إِذَا مَتَّ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّمِي
تَرَى جَدًّا قَدْ جَرَّتْ الرِّيحُ فَوْقَهُ
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَعْنِ
وَبَلَغَ أَخِي عِمْرَانُ بُرْدِي وَمِزْرِي
وَسَلَّمَ عَلَى شَيْخِي مِنِّي كُلِّهِمَا
وَعَطَّلَ قُلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّمَا
أَقْلَبُ طَرَفِي فَوْقَ رَحْطِي فَلَا أَرَى

وقال متمم بن نويرة اليربوعي يرثي أخاه مالكًا

١٠٢

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ مَالِكٍ
لَقَدْ كَفَنَ الْمَنَاهِلُ تَحْتَ رِدَائِهِ
لَيْبٌ أَعَانَ اللَّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ
أَغْرَقَتْ كَنْصَلَ السِّيفِ يَهْتَرُ لِلْنَدَى
وَمَا كَانَ وَفَاقًا إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ
وَلَا جَزْعُ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
فَقِيَ غَيْرَ مِطْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
خَصِيبٌ إِذَا مَارَاكِبُ الْجَدْبِ أَوْضَعَا
إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِي السُّوءَ مَطْمَعَا
وَلَا طَالِبًا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ مَفْرَعَا

وَلَا يَكْهَمُ نَاكِلٌ عَنْ عَدُوِّهِ
إِذَا ضَرَسَ الْغَزْوُ الرِّجَالَ وَجَدَتْهُ
أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ
تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
فَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيَّةَ حِقْبَةٍ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا
وَقَدْ بَنِي أُمِّي تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ
وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّمًا
قَعِيدُكَ أَنْ لَا تُسَمِّينِي مَلَامَةً
وَحَسْبُكَ أَنِّي قَدْ جَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَهَا قَبْرُ مَالِكٍ

١٠٣ لشل بن معبد الجلي يرثي بنيه وكانوا أصيدوا بالطاعون
أَتَى دُونَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ
تَتَابَعَنِي فِي الْأَحْبَابِ حَتَّى أَبْدَنَهُمْ
بَرَّتِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَصْبَحْتُ إِلَّا رَحْمَةً اللَّهِ مُفْرَدًا
إِذَا رَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ عُلَّتْ بِالْأَسَى
وَنَامَ خَلِيُّ الْبَالِ عَنِّي وَلَمْ أُنَمْ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفْتَ بِنَا

إِذَا هُوَ لَاقَى حَاسِرًا أَوْ مُقَنَّمًا
أَخَا الْحَرْبِ صِدْقًا فِي اللِّقَاءِ سَمِيعًا
يَجُونَ تَسْمِعُ الْمَاءِ حَتَّى تَرِيْعَا
وَأَمْسَى تَرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقَمَا
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
إِطْوِلِ اجْتِمَاعُ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
خِلَافَهُمْ أَنْ أَسْتَكِينُ فَأَخْضَمَا
إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى الْخُطُوبَ تَضَعُضَمَا
وَلَا تُكْنِي جُرْحُ الْفَوَادِ فَيُجَمَا
بِكَفِّي عَنْهُ لِلْنِّمَةِ مَدْفَعَا
رِهَامُ الْفَوَادِي الْمَرْجِيَاتِ فَأَمْرَعَا

مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ
فَمَا تَرَكَ الطَّاغُوتُ فِي ذِي قَرَابَةٍ
فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارَ لَهُمْ مِنْكَ غُرَبَةً
وَكُنْتَ تُرْجِي أَنْ تَوُوبَ إِلَيْهِمْ
وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدُ مَنْهَلٍ
إِلَيْهِ تَنَاهَيْنَا وَلَوْ حَالَ دُونَهُ
فَهَوَّنَ عَنِّي بَعْضُ وَجْدِي أَنِّي
وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا
وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لَا قِيَتُ أَسُوءَةً
فَتَى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ
وَكَيْفَ عَزَاءُ الْمَرْءِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ
مَتَى يُذَكَّرُوا وَيَفْرَحَ فُؤَادِي لِذِكْرِهِمْ
دُمُوعُ سَرَاهَا الشَّجُو حَتَّى كَانَهَا
إِذَا مَا أَرَدْتُ الصَّبْرَ هَاجَ لِي الْبُكَاءُ
فَوَجَدِي بِأَهْلِي وَجَدُهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ
لَهُمْ فِي فُؤَادِي بِالْعِرَاقِ نَصِيبُ
إِلَيْهِ إِذَا حَانَ الْإِيَابُ تَوُوبُ
بَعِيدُ وَلَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ قَرِيبُ
فَقَالَتْهُمْ مِنْ دُونِ ذَاكَ شُعُوبُ
عَلَى حَوْضِهِ بِالْبَاكِيَاتِ نَهِيبُ
مِيَاهُ رَوَاهُ كُلُّهُمْ شُرُوبُ
رَأَيْتُ الْمُنَايَا تَقْتَدِي وَتَوُوبُ
إِلَى أَجَلٍ نُدْعَى لَهُ فَتُجِيبُ
تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ تَطِيبُ
بِهِ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهُوَ حَرِيبُ
وَلَيْسَ لَهُ فِي الْغَايِرِينَ حَيْبُ
وَيُسْجَمُ دَمْعُ بَيْنِهِنَّ نَحِيبُ
جَدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبُ
فُؤَادُ إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ طُرُوبُ
شَبَابُ يُرِيحُونَ النَّدَى وَمَشِيبُ

١٠٤ قصيدة أبي ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد وكان له اولاد سبعة

فماتوا كلهم الا طفلاً قتال يرثهم

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرِييَهَا تَتَوَجَّعُ
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ إِمَامَةٌ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا
مُنْذُ ابْتَدَلْتُ وَمِثْلُ مَا لَكَ يَنْفَعُ

وَلَقَدْ حَرَضْتُ بِأَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ جُفُونَهَا
وَتَجَلَدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءَةٌ
لَا بَدَّ مِنْ تَلْفٍ مُقِيمٍ فَأَنْتَظِرُ
وَلَقَدْ أَرَى أَنْ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ
وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمًا مَرَّةٌ
فَلَنْ يَرِيَهُمْ فَجَعَ الزَّمَانُ وَرِيَهُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تَدْفَعُ
أَلْقَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
كَلِمَتُ بِشَوِّكَ فَهِيَ عَوْرٌ تَدْمَعُ
أَيُّ لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ
نِصْفَ الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقَرِّعُ
أَبَارِضَ قَوْمِكَ أَمْ بِأَخْرَى الْمَضْجَعِ
وَلَسَوْفَ يُوَلِّعُ بِالْبُكَاءِ مَنْ يُفْجَعُ
يَبْكِي عَلَيْكَ مُعَقًّا لَا تَسْمَعُ
إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفْجَعُ

وقال في الطفل الذي بقي له

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَنْفَعُ

قال الاصمعي : هذا افضل بيت قالته العرب

١٠٥

عينية علي بن جبلة في حميد الطوسي

أَلِدَّهْرٍ تَبْكِي أَمْ عَلَى الدَّهْرِ تَجْزَعُ
وَلَوْ سَهَلَتْ عَنْكَ الْأَسَى كَانَ فِي الْأَسَى
تَعَزُّبًا عَزِيَّتَ غَيْرِكَ إِنَّمَا
أَصْبَنَا يَوْمَ فِي حَمِيدٍ لَوَانَهُ
وَأَدَبْنَا مَا آدَبَ النَّاسَ قَبْلَنَا
أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّمَتْ
وَمَا صَاحِبُ الْأَيَّامِ إِلَّا مُفْجَعُ
عَرَاءُ مُعَزِّ لَلْيَبِ وَمُفْجَعُ
سِهَامُ الْمَنَايَا حَائِمَاتٌ وَوَقَعُ
أَصَابَ عُرُوشِ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعُّعُ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
بِهِ وَبِهِ كَانَتْ تُذَادُ وَتَدْفَعُ

وَكَيْفَ اتَّقَى مَشْوَى مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقٌ
وَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ انْقَضَتْ الْعُلَى
وَرَأَى عَدُوَّ الدِّينِ جَذْلَانِ يَلْتَحِي
وَكَانَ حَمِيدٌ مَعْقِلًا رَكَمَتْ بِهِ
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَالرَّزَايَا رُزْتُهَا
لَقَدْ أَذْرَكْتُ فِيهَا الْمُنَايَا بِثَارِهَا
نَعَاءُ حَمِيدًا لِلْسَّرَايَا إِذَا عَدَتْ
وَلِلْمَرْهَقِ الْمَكْرُوبِ ضَاقَتْ بِأَمْرِهِ
وَلِلْبَيْضِ خَلَّتْهَا الْبُعُولُ وَلَمْ يَدْعُ
كَانَ حَمِيدًا لَمْ يَقْضِ جَيْشَ عَسْكَرٍ
وَلَمْ يَبْعَثْ أُخْلِيلَ الْمَغِيرَةِ بِالضُّحَى
رَوَاجِعُ يَحْمِلُنَ النَّهَابَ وَلَمْ تَكُنْ
هَوَى جَبَلِ الدُّنْيَا الْمُنِيعُ وَغَيْثُهَا أَوْ
وَسَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُوحُهُ
فَاقْتَعَهُ مِنْ مُلْكِهِ وَرِبَاعِهِ
عَلَى أَيِّ شَجْوَةٍ تَشْكِي النَّفْسُ بَعْدَهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ حَالَ ضِيَائِهَا
وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا وَأَوْدَى بِهَاوِهَا
وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ مُطْمَئِنَّةً

عَلَى جَبَلٍ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُنْعَمُ
وَأَصْحَى بِهِ أَنْفُ الدُّنْيَا وَهُوَ أَجْدَعُ
أَمَانِي كَانَتْ مِنْ حَشَاهُ تَقْطَعُ
قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى الضَّمِيمِ تَرْكُمُ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
وَحَلَّتْ بِخُطْبٍ وَهْيُهُ لَيْسَ يُرْقِعُ
تَذَادُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَتُوزَعُ
فَلَمْ يَدْرِ فِي حَوْمَلَتِهَا كَيْفَ يَضْعُ
لَهَا غَيْرُهُ دَاعِي الصَّلَاحِ الْمَفْرَعُ
إِلَى عَسْكَرِ أَشْيَاعِهِ لَا تُرْوَعُ
مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهْيَ ظَلْعُ
كِتَابِيهِ إِلَّا عَلَى النَّهَبِ تَرْجِعُ
مَرِيعُ وَحَامِيهَا الْكَمِيُّ الْمُشِيعُ
وَمِفْتَاحُ بَابِ الْخُطْبِ وَالْخُطْبُ أَفْطَعُ
وَنَائِلُهُ قَفْرٌ مِنَ الْأَرْضِ بَلْقَعُ
إِلَى شَجْوَةٍ أَوْ يَذْخُرُ الدَّمْعُ مَدْمَعُ
عَلَيْهِ وَأَصْحَى لَوْنُهَا وَهُوَ أَسْفَعُ
وَأَجْدَبَ مَرَعَاهَا الَّذِي كَانَ يَمْرَعُ
فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْنَادُهَا تَقْلَعُ

بَكَى فَقَدَهُ رُوحُ الْحَيَاةِ كَمَا بَكَى
وَأَيَّقِظَ أَجْفَانًا وَكَانَ لَهَا الْكُرَى
نَدَاهُ النَّدَى وَابْنُ السَّيْلِ الْمُدْفَعُ
وَنَامَتْ عُمُونَ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَهْجَعُ

انشد ابو محمد الليثي في يزيد بن مزيد

١٠٦

أَحَقُّ أَنَّهُ أَوْدَى يَزِيدُ
أَحَامِي الْمُلْكِ وَالْإِسْلَامِ أَوْدَى
فَبَيْنَ أَيَّهَا النَّاعِي الْمُشِيدُ
فَمَا لِلْأَرْضِ وَبِحُكِّ لَا تَمِيدُ
تَأْمَلْ هَلْ تَرَى الْإِسْلَامَ مَالَتْ
دَعَائِمُهُ وَهَلْ شَابَ الْوَلِيدُ
أَمَّا هُدَّتْ لِمَصْرَعِهِ نَزَارُ
بَنَى وَتَقَوَّضَ الْمَجْدُ الْمُشِيدُ
وَجَلَّ ضَرِيحُهُ إِذْ حَلَّ فِيهِ
طَرِيفُ الْمَجْدِ وَالْمَجْدُ تَلِيدُ
مَنْ يَحْيِي حَيَّ الْإِسْلَامِ أَمْ مَنْ
يَذُبُّ عَنِ الْمَكَارِهِ أَوْ يَذُودُ
وَأَيْنَ يَوْمٌ مُتَّجِعٌ وَلَاجٍ
وَأَيْنَ تَحُطُّ أَرْحَامُ الْوُفُودُ
فَلَوْ قُبِلَ الْفِدَاءُ فِدَاهُ مِنَّا
بِمُحِجَتِهِ الْمُسَوْدُ وَالْمُسَوْدُ
أَبْعَدَ يَزِيدَ تَحْتَرَنُ الْبَوَاكِي
دُمُوعًا أَوْ تُصَانُ لَهُ الْخُدُودُ
وَإِنْ تَجْمَدُ دُمُوعُ لَيْمٍ قَوْمٍ
فَلَيْسَ لِدَمْعِ ذِي حَسَبٍ جُمُودُ
وَإِنْ يَكُ غَالَهُ دَهْرٌ لَمَّا قَدْ
يُفَادَى مِنْ مُحَافَتِهِ الْأَسُودُ
فَإِنْ يَكُ عَنْ خُلُودٍ قَدْ دَعَتْهُ
مَآثِرُهُ فَكَانَ لَهَا الْخُلُودُ
فَمَا أَوْدَى أَمْرُؤُ أَوْدَى وَأَبَقَى
لَوَارِثِهِ مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ
لَيْبِكَ خَامِلٌ نَادَاكَ لَمَّا
تَوَاكَلَهُ الْأَقَارِبُ وَالْبَعِيدُ
وَيَبْكُ شَاعِرٌ لَمْ يَبْقِ دَهْرٌ
لَهُ نَشَبًا وَقَدْ كَسَدَ الْقَصِيدُ
أَصَابَكَ بِالرَّدَى سَهْمٌ شَدِيدُ
أَصَابِكَ بِالرَّدَى سَهْمٌ شَدِيدُ

لَقَدْ عَزَى رَيْعَةَ أَنْ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَصَدَنَ لَهُ الْمُنَايَا بِأَسْهُمَا وَهَنَّ لَهُ جُنُودُ
سَقَى جَدًّا أَقَامَ بِهِ يَزِيدُ مِنَ الْوُسْطَى بِسَامٍ رَعُودُ
لِيَذْهَبَ مَنْ أَرَادَ فَلَسْتُ أَسَى عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ يَا يَزِيدُ

وقال صني الدين الحلي يري الملك ناصر الدين عمر

١٠٧

بَكَى عَلَيْكَ الْحَسَامُ وَالْقَلَمُ وَأَنْفَجَ الْعِلْمُ فِيكَ وَالْعِلْمُ
وَضَجَّتْ الْأَرْضُ قَالِعِبَادُ بِهَا لِأَطْمَةِ وَالْبِلَادُ تَلْتَطِمُ
تُظْهِرُ أَحْزَانَهَا عَلَى مَلِكٍ جُلُّ مُلُوكِ الْوَرَى لَهُ خَدَمُ
أَبْلَجَ غَضَّ الشَّابَّ مُقْتَبِلُ أَا عَمْرٍ وَلَكِنْ مَجْدُهُ هَرِمُ
مُحْكَمٌ فِي الْوَرَى وَآمِلُهُ يَنْجِيكُمْ فِي مَالِهِ وَيَحْتَكِمُكُمْ
يَجْتَمِعُ الْمَجْدُ وَالنَّشَاءُ لَهُ وَمَالُهُ فِي الْوَفُودِ يُقْتَسَمُ
قَدْ سَمِعْتُ جُودَهُ الْأَنَامُ وَلَا يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ الْتَدَى سَامُ
مَا عُرِفَتْ مِنْهُ لَا وَلَا نَعَمُ بَلْ دُونَهُنَّ الْأَلَاءُ وَالنَّعَمُ
الْوَاهِبُ الْأَلْفَ وَهُوَ مُبْتَسِمُ وَالْقَاتِلُ الْأَلْفَ وَهُوَ مُقْتَحِمُ
مُبْتَسِمُ وَالْكُفَاةُ عَابِسَةٌ وَعَابِسُ وَالسُّيُوفُ تَبْتَسِمُ
لَيْسْتَ صَغِيرُ الْعُضْبِ أَنْ يَصُولَ بِهِ إِنْ لَمْ تُجَرِّدْ مِنْ قَبْلِهِ الْهَمَمُ
وَلَيْسْتَ خَفُّ الْقَنَاةِ يَحْمِلُهَا كَأَنَّهَا فِي يَمِينِهِ قَلَمُ
لَمْ يَعْلَمْ الْعَالِمُونَ مَا فَقَدُوا مِنْهُ وَلَا الْأَقْرَبُونَ مَا عَدِمُوا
مَا فَقَدَ قَرْدٍ مِنَ الْأَنَامِ كَمَنْ إِنْ مَاتَ مَاتَ لِقَدِيدِهِ أُمَمُ

وَالنَّاسُ كَالْعَيْنِ إِنْ نَقَدْتَهُمْ
يَاطْلِبُ الْجُودَ قَدْ قَضَى عُمُرُ
وَيَا مُنَادِيَ النَّدَى لِيَذْرِكُهُ
مَضَى الَّذِي كَانَ لِلْأَنَامِ أَبَا
وَسَارَ فَوْقَ الرِّقَابِ مُطَّرِحًا
مُقَلَّبَاتِ السُّرُوجِ شَاخِصَةً
وَحَلَّ دَارًا ضَاقتْ بِسَاكِنِهَا
كَأَنَّهُ لَمْ يَطُلْ إِلَى رَبِّ
وَلَمْ يُمَهِّدْ لِلْمَلِكِ قَاعِدَةً
وَلَمْ تُقْبَلْ لَهُ الْمُلُوكُ يَدًا
وَلَمْ يَفُذْ لِلْخُرُوبِ أَسَدٌ وَغَى
أَيْنَ الَّذِي كَانَ لِلْوَرَى سَنَدًا
أَيْنَ الَّذِي إِنْ سَرَى إِلَى بَلَدٍ
أَيْنَ الَّذِي يُحْفَظُ الزَّيْمَامَ لَنَا
يَا نَاصِرَ الدِّينِ وَابْنَ نَاصِرِهِ
وَصَاحِبَ الرِّثْيَةِ الَّتِي وَطَّئَتْ
يُثْنِي عَلَيْكَ الْوَرَى وَمَا شَهِدُوا
بِكَيْفِكَ مَا لَوْفَكَ التَّقَى أَسَفًا
تَفَاوَتْ عِنْدَ نَفْسِكَ الْقِيمُ
فَكُلُّ جُودٍ وَجُودُهُ عَدَمُ
أَقْصَرَ قَفِي مَسْمَعُ النَّدَى صَمَمُ
فَالْيَوْمَ كُلُّ الْأَنَامِ قَدْ يَتَمَوُا
وَحَوْلَهُ الصَّافِنَاتُ تَرْدَحُمُ
لَهَا زَفِيرٌ ذَابَتْ بِهِ اللَّجْجُ
وَدُونَ أَدْنَى دِيَارِهِ إِرْمُ
تَقْصُرُ مِنْ دُونَ نَيْلِهَا الْهَمَمُ
بِهَا عِيُونُ الْعُقُولِ تَحْتَلِمُ
تَرْغَبُ فِي سِنْلِهَا فَتَسْتَلِمُ
تَسْرِي بِهَا مِنْ رِمَاحِهَا أَجْمُ
وَرَحْبُ أَكْنَافِهِ لَهَا حَرَمُ
لَا ظَلَمَ يَبْقَى بِهِ وَلَا ظَلَمُ
إِنْ خَفِرَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ الذَّمُّ
وَمَنْ بِهِ فِي الْخُطُوبِ يُعْتَصِمُ
لَهَا عَلَى هَامَةِ السُّهَى قَدَمُ
مِنْ السَّجَايَا إِلَّا بِمَا عَلِمُوا
وَصَاحِبَاكَ الْغَفَافُ وَالْكَرَمُ

لاي تمام في محمد بن الفضل الحميري

١٠٨

رَبِّ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ الْقَتَابِ مُرْصَدٌ بِالْأَوْحَالِ وَالْأَوْصَابِ
جَفَّ دَرُّ الدُّنْيَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَكْتَالُ أَرْوَاحَنَا بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يَهْدِيَ الرَّزَايَا إِلَى ذَوِي الْأَحْسَابِ
فَلَيْذَا يَجِفُّ بَعْدَ اخْطِرَارِ قَبْلِ رَوْضِ الْوَهَادِ رَوْضُ الرَّوَائِي
لَمْ تَدُرْ عَيْنُهُ عَنِ الْخُمْسِ حَتَّى ضَعُضَتْ رُكْنٌ خَيْرَ الْأَرْبَابِ
بَطَشَتْ مِنْهُمْ بُلُوؤَةُ الْغَوَاصِ حُسْنًا وَدُمِيَّةُ الْخَرَابِ
بِالصَّرِيحِ الصَّرِيحِ وَالْأَرْوَعِ الْأَرْ وَعَ مِنْهُمْ وَيَا لَلْبَابِ اللَّبَابِ
ذَهَبَتْ يَا مُحَمَّدُ الْغُرُ مِنْ أَيَّامِكَ الْوَاضِحَاتِ أَيَّ ذَهَابِ
عَبَسَ الْخُدُّ وَالْتَرَى مِنْكَ وَجْهًا غَيْرَ مَا عَالِسٍ وَلَا قَطَّابِ
أَطْفَأَ الْخُدُّ وَالْتَرَى لُبَّكَ الْمُسَّ رَجَ فِي وَقْتِ ظُلْمَةِ الْأَلْبَابِ
وَتَبَدَّلَتْ مَنْزِلًا ظَاهِرَ الْجُدِّ بِ يُسَمَّى مُقَطَّعَ الْأَسْبَابِ
مَنْزِلًا مُوحِشًا وَإِنْ كَانَ مَعْمُورًا بِجَلِّ الصَّدِيقِ وَالْأَحْبَابِ
يَا شِهَابًا خَبَا لِأَلِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَعَزُّ بِفَقْدِهِ هَذَا الشَّهَابِ
زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَقْتَحُّ عَنْهَا أَوْ حُجْدٌ فِي مَنِيَّتِ أَنْيَقِ الْجَنَابِ
خُلُقٌ كَالْمُدَامِ أَوْ كَرُضَابِ الْمِسْكِ أَوْ كَالْعَبِيرِ أَوْ كَالْمَلَابِ
وَحَيَاءٌ نَاهِيكَ فِي غَيْرِ عِيٍّ وَصَبَابٍ مُشْرِقٍ بِغَيْرِ تَصَابِي
أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ اثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي الرِّكَابِ
حِينَ سَامَى الشَّبَابُ وَأَعْتَدَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ مَفْتُوحَةً الْأَبْوَابِ

وَحَكَى الصَّارِمَ أَهْلَى سِوَى أَمَنْ حِلَاهُ جَوَاهِرُ الْأَدَابِ
وَهُوَ غَضُّ الْأَرَاءِ وَالْحَزْمِ خِرْقٌ ثُمَّ غَضُّ النَّوَالِ غَضُّ الشَّبَابِ
قَصَدَتْ تَحْوَهُ الْمُنِيَّةُ حَتَّى وَهَبَتْ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلْتَّرَابِ

ولجيب يرثي القاسم بن طوق

١٠٩

جَوَى سَاوِرَ الْأَحْشَاءِ وَالْقَلْبَ وَاعْلَهُ
وَدَمْعُ يَضِيعُ الْعَيْنَ وَالْجَفْنَ هَامِلُهُ
وَفَاجِعُ مَوْتٍ لَا عَدُوٌّ يَخَافُهُ
فَبَسَقَ وَلَا يَلْقَى صَدِيقًا يُجَامِلُهُ
وَأَيُّ أَخِي عَزَاءٌ أَوْ جَبَرِيَّةٍ
يُنَايِذُهُ أَوْ أَيُّ رَامٍ يُنَاضِلُهُ
إِذَا مَا جَرَى مَجْرَى دَمِ الْمَرْءِ حُكْمُهُ
وَبَثَّتْ عَلَى طُرُقِ النُّفُوسِ حَبَائِلُهُ
سَنَشْكُوهُ إِعْلَانًا وَسِرًّا وَنِيَّةً
شَكِيَّةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ يُقَاتِلُهُ
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَبِيعَةٌ أَنَّهُ
تَقَشَّعَ طُلُؤُ الْجُودِ مِنْهَا وَوَابِلُهُ
وَأَنَّ النَّدَى مِنْهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
وَأَنَّ الْحَجِي مِمَّنْ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُهُ
مَضَى لِلزَّيَالِ الْقَاسِمُ الْوَاهِبُ اللَّهُي
وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُرِيدُهُ
فَتَى سَيْطَ حُبِّ الْمُسْكِرْمَاتِ بِلَحْمِهِ
وَلَمْ يَذُقْ سُكْرَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَكُنْ
فَتَى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ وَانْتَنَا الْعَلَى
فَتَى بَقِيَ الْأَيَّامُ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ
لَقَدْ فَجَعَتِ عَتَابُهُ وَزُهَيْرُهُ
وَكَانَ لَهُمْ غَيْثًا وَعِلْمًا لِمُعْدِمِ

وَدَمْعُ يَضِيعُ الْعَيْنَ وَالْجَفْنَ هَامِلُهُ
فَبَسَقَ وَلَا يَلْقَى صَدِيقًا يُجَامِلُهُ
يُنَايِذُهُ أَوْ أَيُّ رَامٍ يُنَاضِلُهُ
وَبَثَّتْ عَلَى طُرُقِ النُّفُوسِ حَبَائِلُهُ
شَكِيَّةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ يُقَاتِلُهُ
تَقَشَّعَ طُلُؤُ الْجُودِ مِنْهَا وَوَابِلُهُ
وَأَنَّ النَّدَى مِنْهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يُزَايِلْنَا لَكُنَّا تُرَايِلُهُ
بِقَمْعٍ وَلَوْ أَنَّ الْمُنَايَا تُرَاسِلُهُ
وَحَامِرُهُ حَقُّ السَّمَاحِ وَبَاطِلُهُ
تَهَبُ شَمَالًا لِلصَّدِيقِ شَمَائِلُهُ
يَدَاهُ وَعَشْرُ الْمُسْكِرْمَاتِ أَنَامِلُهُ
ثَنَاءُ كَانَ الْعَنْبَرُ أَوْرَدَ شَامِلُهُ
وَتَغْلِبُهُ أُخْرَى اللَّيَالِي وَوَارِلُهُ
فَيَسْأَلُهُ أَوْ بَاحِثٍ فَيَسَائِلُهُ

وَمُبْتَدِرَ الْمَعْرُوفِ تَسْرِي هِبَاتُهُ
فَقِيَ لَمْ تَكُنْ تَغْلِي الْحُقُودَ بِصَدْرِهِ
وَكُنَّ سَجَايَاهُ يُضِيفُ ضِیُوفَهُ
طَوَاهُ الرَّدَى طَيَّ الرَّدَاءِ وَغِيَّتْ
طَوَى شَيْمًا كَانَتْ تَرْوَحُ وَتَقْتَدِي
فَيَا عَارِضًا لِلْعُرْفِ أَقْلَعَ مَرْنُهُ
أَلَمْ تَرَنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي
وَأَخْضَلْتُهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ
وَلَكِنِّي أُطْرِي الْحُسَامَ إِذَا مَضَى
وَأَسَى عَلَى جَيْحَانٍ لَوْ غَاضَ مَاؤُهُ
عَلَيْكَ أَبَا كُثُومٍ الصَّبْرُ إِنِّي
يُعَادِلُ وَزَنًا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا أَرَى
فَأَنْتَ سَنَامٌ لِلْفَخَارِ وَغَارِبٌ
وَلَيْسَتْ أَثَانِي الْقِدْرُ إِلَّا ثَلَاثُهَا

إِلَيْهِمْ وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ غَوَائِلُهُ
وَتَغْلِي لِأَصْيَافِ الشَّتَاءِ مَرَاجِلُهُ
وَيُرْجَى مُرَجِيهِ وَيُسَالُ سَائِلُهُ
فَضَائِلُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَقَوَاضِلُهُ
وَسَائِلُ مَنْ أَعَيْتَ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ
وَيَا وَادِيًا لِلْجُودِ جَفَّتْ مَسَائِلُهُ
مُحَمَّدُ النُّجْمِ الْمُغِيبِ أَفِلُهُ
طَرِيدُ اللَّيَالِي أَخْضَلْتَنِي نَوَافِلُهُ
وَإِنْ كَانَ يَوْمَ الرُّوعِ غَيْرِي حَامِلُهُ
وَإِنْ كَانَ ذُودًا غَيْرَ ذُودِي نَاهِلُهُ
أَرَى الصَّبْرَ أَخْرَاهُ ثَقَى وَأَوَائِلُهُ
سَوِي صَحَّةِ التَّوْحِيدِ شَيْئًا يُعَادِلُهُ
وَصُنُوكَ مِنْهُ مِنْكَبَاهُ وَكَاهِلُهُ
وَلَا الرُّمْحُ إِلَّا لَهْزَمَاهُ وَعَامِلُهُ

لإبي العلاء المَعْرِي فِي جَعْفَرِ بْنِ الْمُهْدَبِ

١١٠

أَحْسَنُ بِالْوَاوِدِ مِنْ وَجْدِهِ
وَمَنْ أَبِي فِي الرُّزَاءِ غَيْرَ الْأَسَى
فَلْيَذْرِفِ الْجَفْنُ عَلَى حَقَرِ
وَالشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مَدَاحَهُ

صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ
كَانَ بُكَاهُ مُتَمَحِّي جُهْدِهِ
إِذَا كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نَدِّهِ
إِلَّا إِذَا قَيْسَ إِلَى صُدِّهِ

لَيْسَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى وَصْلِهِ مِثْلَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى صَدِّهِ
وَالطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غَضَبِهِ وَلَيْسَ يَرْتَاحُ إِلَى سَهْدِهِ
كَانَ الْأَسَى فَرَضًا لَوَانَّ الرَّدَى قَالَ لَنَا أَفْدُوهُ فَلَمْ نَفِدْهُ
هَلْ هُوَ إِلَّا طَالِعٌ لِهْدَى سَارَ مِنَ التُّرْبِ إِلَى سَعْدِهِ
فَبَاتَ أَذْنِي مِنْ يَدِ بَيْتِنَا كَأَنَّهُ الْكَوْكَبُ فِي بَعْدِهِ
يَا دَهْرُ يَا مُنْجِزَ إِيْعَادِهِ وَخُفِّ الْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ
أَيُّ جَبِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ وَأَيُّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ
تَسْتَأْسِرُ الْعُقْبَانَ فِي جَوْهَا وَتُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ فِدِهِ
أَرَى ذَوِي الْفَضْلِ وَأَصْدَادَهُمْ يَجْمَعُهُمْ سَبِيلُكَ فِي مَدِّهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الْقَتَى نَافِعًا فَعَيْهِ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجَرُّبَةُ الدُّنْيَا وَأَفْعَالُهَا حَتَّى أَخَا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
إِنَّ زَمَانِي بِرِزَايَاهُ لِي صِيرَنِي أَمْرُحُ فِي قَدِّهِ
كَأَنَّنَا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ
لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
أَضْحَى الَّذِي أَجَلَ فِي سِنِّهِ مِثْلَ الَّذِي عَوَّجَلَ فِي مَهْدِهِ
وَلَا يُبَالِي أَلْمِيتُ فِي قَبْرِهِ بِذَمِّهِ شَيْعَ أَمِّ حَمْدِهِ
وَالْوَاحِدُ الْمَفْرَدُ فِي حَقِّهِ كَالْحَاشِدِ الْمَكْثَرِ مِنْ حَشْدِهِ
وَحَالَةُ الْبَاكِي لَا بَابَهُ كَحَالَةِ الْبَاكِي عَلَى وَلَدِهِ
مَارَغَبَةُ الْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ عَمَّا جَنَى الْمَوْتَ عَلَى جَدِّهِ

وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
تَشْتَاقُ أَيَّارَ نَفْسِ الْوَرَى وَإِنَّمَا الشَّقُّ إِلَى وَرْدِهِ
تَدْعُو بِطُولِ الْعُمَرِ أَفْوَاهُنَا لِمَنْ تَنَاهَى الْقَلْبُ فِي وَدِّهِ
يُسِرُّ إِنْ مَدَّ بَقَاءَ لَهُ وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ
أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَغْتَالُهَا فَلَسْتَ عِذُّ اللَّهِ مِنْ جُنْدِهِ
كَمْ صَابِرٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهِ سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ
وَحَامِلٍ ثِقْلَ الْاَثَرِ حَيْدِهِ وَكَانَ يَشْكُو الضَّعْفَ مِنْ عَقْدِهِ
وَرَبِّ ظَمَانٍ إِلَى مَوْرِدٍ وَالْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وَرْدِهِ
وَمُرْسِلِ الْغَارَةِ مَبْثُوثَةً مِنْ أَدْهَمِ الْوَنِّ وَمِنْ وَرْدِهِ
يُخَوِّضُ بَحْرًا نَفْعُهُ مَاؤُهُ يَحْمِلُهُ السَّابِجُ فِي لِبْدِهِ
أَشْجَعُ مَنْ قَلْبَ خَطِيئَةٍ عَلَى طَوِيلِ الْبَاعِ مُتَمَدِّهِ
يَرَى وَقُوعَ الزَّرْقِ فِي دِرْعِهِ مِثْلَ وَقُوعِ الزَّرْقِ فِي جِلْدِهِ
لَا يَصِلُ الرُّمْحُ إِلَى طَرْفِهِ وَلَا إِلَى التَّحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ
يُلْقَى عَلَيْهِ الطَّعْنُ إِتْقَانًا أَوْ حَسَبَ عَلَى الْمُسْرَعِ فِي عَقْدِهِ
بِلِحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا يَرُدُّ غَرْبَ الْجَيْشِ عَنْ قَضْدِهِ
أَمَلُهُ الدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ مُبِضُّهُ يُجْحَدَى بِمُسَوْدِهِ
فَيَا أَخَا الْمَقْشُودِ فِي خَمْسَةِ كَالشَّهْبِ مَا سَلَكَ عَنْ قَعْدِهِ
جَاءَكَ هَذَا الْحَزَنُ مُسْتَجِدًّا أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ فَلَا يُجِدُهُ

سَلِّمْ إِلَى اللَّهِ فَكُلُّ الَّذِي سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَعْدَمُ الْأَثَمُ فِي غَايِهِ حَقًّا وَلَا الْأَبْيَضُ فِي عَمْدِهِ
يَا الَّذِي الْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُوَسِّسُهُ الرَّحْمَةُ فِي حُلْدِهِ
لَا أَوْحِشْتَ دَارَكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَابَكَ مِنْ أَسَدِهِ

ولاي العلاء المعري في قصيدته حتى

١١

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَالِكٍ وَلَا تَرْنَمُ شَادٍ
وَشَبِيهُ صَوْتِ النَّبِيِّ إِذَا قَدِمَ سِرَّ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكَّتْ بِلَكُمْ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّتْ عَلَى قَرْعِ غَضَنِهَا الْمِلَادِ
صَاحُ هَذِي قُبُورِنَا تَمَلَّاهُ الرُّحُ بَقَايِنُ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفِيفُ الْوُطْأِ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ أَلْ أَرْضٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ قَدِمَ الْعَمُ دُ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرَّ أَنْ أَسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُؤَيْدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُقَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَرَاخُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَرْزَامِ وَالْأَبَادِ
تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعَّ جَبُّ إِلَّا مِنْ رَانِيبٍ فِي أَرْذَادِ
إِنْ خُزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُسْرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِلَادِ
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّقَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
صُجَّةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ أَلْ حِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ الشَّهَادِ

أَبْنَاتُ الْهَدِيلِ أَسْعَدْنَ أَوْعَدْنَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ
فَتَسْلَبْنَ وَأَسْتَعْرْنَ جَمِيعًا مِنْ قَيْصِ الدُّحَى ثِيَابَ جَدَادِ
ثُمَّ غَرَدْنَ فِي الْمَأْتَمِ وَأَنْدَبْنَ بِسُجُودِ مَعَ الْغَوَانِي الْخُرَادِ
قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ الْأَوْمِ ابْنَ مَوْلَى حَجَّيْ وَخَذْنَ اقْتِصَادِ
وَفَقِيهًا أَفْكَارَهُ شِدْنَ لِلْنَّهْ مَنْ مَالٌ لَمْ يَشْدهُ شَعْرُ زِيَادِ
فَالْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيِّ قَلِيلُ الْخِلَافِ سَهْلُ الْقِيَادِ
وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بَيْنَ وَحُوشِ عِلْمِ الضَّارِيَاتِ بِرِّ النِّقَادِ
رَأَوِيًّا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُخْجِجْهُ رُفُوفٌ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى الْإِسْتِنَادِ
أَتَفَقَّ الْعُمَرَاءُ نَاسِكًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَانْتِقَادِ
مُسْتَقِي الْكَفِّ مِنْ قَلْبِ رَجَاجِ بَغْرُوبِ الْبِرَاعِ مَاءِ مَدَادِ
ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمَسُ الذَّهَبُ إِلَّا مَرْزُوهًا فِي الْعَسْجِدِ الْمُسْتَفَادِ
وَدَعَا أَيُّهَا الْحَفِيَّانِ ذَاكَ أَمَّ شَخْصٍ إِنَّ الْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ
وَأَغْسَلَاهُ بِالْذَّمِّ إِنْ كَانَ طَهْرًا وَأَدْفَنَاهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْفُؤَادِ
وَأَحْبَوَاهُ لَا كَفَانَ مِنْ وَرَقِ الْمَضَى خَفِ كِبَرًا عَنْ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ
وَأَتَلُوا النَّعْشَ بِالْقِرَاءَةِ وَاللَّسْ بِيحٍ لَا بِالْحَبِيبِ وَالتَّعْدَادِ
أَسْفُ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادُ لَا يُوَدِّي إِلَى غِنَاءِ اجْتِهَادِ
طَالَمَا أَخْرَجَ الْحَزْنَ جَوَى الْحُزِّ نِ إِلَى غَيْرِ لَا يَثِقُ بِالسَّدَادِ
كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي يَا جَدِيرًا مِنِّي بِحُسْنِ اقْتِقَادِ
قَدْ أَقَرَّ الطَّيِّبُ عَنْكَ بِعَجْزِ وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ الْعُمُودِ

وَأَنْتَهَى الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشَعَرَ الْوَجْدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادِ
 هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْرِ يَضِ وَيُحْ لِأَعْيُنِ الْعُجَّادِ
 لَا يَغِيْزُكُمْ الصَّعِيدُ وَكُونُوا فِيهِ مِثْلَ السُّيُوفِ فِي الْأَعْمَادِ
 فَغَزِيْدٌ عَلَيَّ خَلَطُ اللَّيَالِي رِمَ أَقْدَامَكُمْ بِرِمِ الْهُوَادِي
 كُنْتُ خَلَّ الصَّبَا فَلَمَّا أَرَادَ السَّبِيْنُ وَافَقَتْ رَأْيَهُ فِي الْمُرَادِ
 وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الْأَوَّلِ مِنْ شَيْتَةِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
 وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لَيْتَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الْأَنْدَادِ
 فَادَّهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ بِسُقْيَا رَوَائِحِ وَغَوَادِ
 وَمَرَاثٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ لَتَحَوَّنَ السُّطُورُ فِي الْأَنْشَادِ
 فَلْيَكُنْ لِلْمُحْسِنِ الْأَجَلُ الْمَمْدُودُ رَغْمًا لِأَنْفِ الْخُسَادِ
 وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَتَنَا أَخِيهِ جَرَاحِ الْأَكْبَادِ
 وَإِذَا أَلْبَجُرُ غَاضَ عَيْنِي وَلَمْ أَرِ وَفَلَا رِيَّ بِإِدْخَارِ الثَّمَادِ
 كُلُّ يَتِّمٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبَتَّنِي الْوَرَقَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
 وَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مِنْ لَيْسَ يَغْتَسِرُ بِكَوْنِ مَصِيرِهِ لِلْفَسَادِ

قال ابو الطيب التتبي يري ابا شجاع فالتك

١١٢

الْحُزْنُ يُقَلِّقُ وَالتَّجْمُلُ يَرْدَعُ وَالْدَمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَبْعُ
 يَتَنَارَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدِ هَذَا يَجِيْ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ
 النَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شَجَاعٍ نَافِرُ وَاللَّيْلُ مَعِي وَالْكَوَاكِبُ ظَلَعُ
 إِنِّي لِأَجْبِنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَنَحْسُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجَعُ

وَيَذِيْدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسَوَةً
تَصْفُو الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
أَيْنَ الَّذِي الْأَهْرَمَانِ مِنْ بُيَّانِهِ
تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شِجَاعٍ مَبْلَغُ
كُنَّا نَنْظُرُ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا
الْمُجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَفْقَةٌ
وَالنَّاسُ أَزُلُّ فِي زَمَانِكَ مَنْزِلًا
بَرْدُ حَشَايَ إِنْ أُسْطِطِعَ لِفَقْطَةٍ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تِلْمٌ مُلْمَةٌ
وَيَدُ كَانَتْ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا
يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً
مَا زِلْتَ تَحْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِحٍ
فَظَلَّتْ تَنْظُرُ لَا رِمَا حَكَ شَرْعُ
بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرُ

وَيَلِمُ لِي عَتَبُ الصَّدِيقِ فَاجَزَعُ
عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يَتَوَقَّعُ
وَيَسُومُهَا طَلَبُ الْحُمَالِ قَطْمَعُ
مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ
حِينَ وَيَذِرُكُمَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبِعُ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسْعَهُ مَوْضِعُ
ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ
وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ
مِنْ أَنْ يَعْيشَ بِهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ
مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ
فَلَقَدْ تَضَرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ
مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ
إِلَّا نَفَاها عَنْكَ قَلْبُ أَصْمَعُ
قَرْضُ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبْرُعُ
أَنِّي رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنَزَعُ
حَتَّى لَيْسَتْ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
فِيَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفَكَ قُطْعُ
يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلَاحِ الْأَذْمَعُ

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ
وَصَلْتَ إِلَيْكَ يَدُ سَوَاءٍ عِنْدَهَا السَّبَازُ الْأَشْيَبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْعُ
مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْمَجَافِلِ وَالسَّرَى
وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الصُّيُوفِ خَلِيفَةً
فَتَجَا لَوْجُهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ
أَيُّوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٍ حَوَالِي رَأْسِهِ
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ
فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَخْشٍ نَافِرٍ
وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ
وَعَفَا الطَّرَادُ فَلَا سِنَانُ رَاعِفُ
وَلَى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَنَاجٍ
إِنْ حَلَّ فِي فَرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرُ
قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَعْنَةٍ
لَا قَلْبَتُ أَيْدِي الْقَوَارِسِ بَعْدَهُ
فَحْشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدُّكَ تَفْرَعُ
فَقَدْتَ بِفَقْدِكَ نَيْرًا لَا يَطْلُعُ
ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يُصْنَعُ
وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ لَوْمٍ يُرْفَعُ
وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِي الْأَوْكُ
وَقَفَا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ
وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ
وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَنْضَوِعُ
دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَّلَعُ
وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالْأَذْرَعُ
فَوْقَ الْقَنَاقَةِ وَلَا حَسَامٌ يَلْمَعُ
بَعْدَ الزُّومِ مُشِيعٌ وَمُودِعُ
وَلَسِيفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ
كَسَرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخَضَعُ
أَوْ حَلَّ فِي عَرَبٍ فَفِيهَا تَبَعُ
قَرَسًا وَلَكِنَّ الْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ
رُحْمًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعُ

وله أيضاً يرثي والدة سيف الدولة وقد توفيت بميفارقين .

١١٣

وجاءه الخبر بموتها الى حلب

نَعْدُ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالٍ
وَزَتَبْتُ السَّوَابِقَ بِمُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعَشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
رَمَانِي الدَّهْرِ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامُ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَتِي مَا أَنْتَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي
وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيِّتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَجْعَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِخَلْقٍ بِبَالِ
صَلَاةِ اللَّهِ خَالِقِنَا خُوطُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْحِلَالِ
فَإِنَّ لَهُ بَطْنَ الْأَرْضِ بَشْخَصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي
وَمَا أَحَدٌ يُخَلِّدُ فِي الْبَرََايَا بَلِ الدُّنْيَا تَوَوُّلٌ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكَ مِتَّ مَوْتًا تَمَّتْهُ الْبَوَاقِ وَالْخَوَالِي
وَذَلَّتْ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا يُسِرُّ الرُّوحَ فِيهِ بِالزَّوَالِ
رَوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكٌ عَلَيَّ أَيْنِكَ فِي كَمَالِ
سَقَى مَثَوَاكَ غَادٍ فِي الْغَوَادِي نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكَ فِي النَّوَالِ

أَسْأَلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ مَجْدٍ وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي
يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعَافِي فَيَبْكِي وَيَسْأَلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ
وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجُدَى عَلَيْهِ لَوْ أَنَّكَ تَقْدِرِينَ عَلَى فَعَالٍ
بَعِيثِكَ هَلْ سَلَوْتَ فَإِنَّ قَلْبِي وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالٍ
رَزَلْتُ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتَ عَنِ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ
تَحْبُّ عَنْكَ رَاحَةُ الْخُرَامَى وَتَمْنَعُ مِنْكَ أُنْدَاءُ الطَّلَالِ
بِدَارِ كُلِّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنَبِّئُ الْحِبَالِ
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُرْنِ فِيهِ كَتُمُ السِّرِّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ
يُعْلِلُهَا نِطَاسِي الشَّكَايَا وَوَاحِدُهَا نِطَاسِي الْمَعَالِي
إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً يَنْفَرِ سَقَاهُ أَسِنَّةُ الْأَسَلِ الطَّوَالِ
وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا اللَّوَاتِي تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِجَالِ
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضُ النُّعَالِ
مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا خُفَاءً كَانَ الْمُرُو مِنْ زِفِّ الرِّبَالِ
وَأَبْرَزَتْ الْخُدُورُ مِجَبَّاتٍ يَضَعْنَ النَّفْسَ أَمْكِنَةَ الْغَوَالِ
أَتْنَهْنَ الْمُصِيبَةُ عَافِلَاتٍ قَدَمُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفَضَّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا التَّائِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ
وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قَبِيلَ الْقَدَمِ مَقْشُودَ الْمِثَالِ
يُدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمَشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي

أَسِيفَ الدَّوْلَةِ اسْتَجِدَّ بِصَبْرٍ وَكَيفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجَبَالِ
فَأَنْتَ تَعْلَمُ النَّاسَ التَّغْزِيَّ وَخَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ

١١٤ وقال يري جَدَّتُهُ وَكَانَتْ يَسْتَمُ مِنْهُ لَطُولَ غَيْبَتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا كِتَابًا

فَلَمَّا وَصَلَهَا قَبْلَتُهُ وَحَمَّتْ مِنْ وَقْتِهَا لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهَا مِنَ السُّرُورِ فَامَاتَتْ

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ أُلْقِيَ مَرْجِعُ أُلْقَى
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا
أَحْنُ إِلَى الْكَاسِ الَّتِي شَرِبْتَ بِهَا
بَكَتْ عَلَيْهَا خِيفَةٌ فِي حَيَاتِهَا
وَلَوْ قَتَلَ الْعَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُم
عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتَ بِنَا
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ نَاسٍ وَتَرَحُّةٍ
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
تَعَبْتُ مِنْ خَطِي وَلَقِظِي كَأَنِّي
وَتَلِثْتُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ
رَقًا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَعَتْ جُفُونُهَا
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمُنَايَا وَإِنَّمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَقَاتَتْ وَفَاتَنِي
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْعَمَامَ لِقَبْرِهَا

فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا
يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى
قَتِيلَةٌ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحَقِهَا وَصَمًا
وَأَهْوَى لِمَشَاوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا
وَذَاقَ كِلَانَا شَكْلَ صَاحِبِهِ قَدَمًا
مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَتْ لَهُ صَرْمًا
فَلَمَّا دَهَبَتْ لَمْ تَرُدَّنِي بِهَا عِلْمًا
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمَاتَتْ بِهَا هَمًّا
أَعَدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سَمًّا
تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَعْرَابَ عَصَمًا
مُحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْبِيَاءَ سُخْمًا
وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى
أَشَدُّ مِنَ السَّقَمِ الَّذِي أَذْهَبَ السَّقَمًا
وَقَدْ رَضِيتُ بِي لَوْرَضِيتُ لَهَا قِسْمًا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي أَلْوَعَى وَأَلْقَنَّا الصَّمًّا

وَكُنْتُ قَبِيلَ الْمَوْتِ اسْتَغْطِمُ النَّوَى
 مَسِينِي أَخَذْتُ النَّارَ فَيَكُ مِنَ الْعَدَى
 وَمَا أَسَدَّتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا
 فَوَا أَسَفًا أَنْ لَا أَكْبَ مَقْبَلًا
 وَأَنْ لَا أَلَا قِي رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي
 وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ
 لَبِزَ لَذَّ يَوْمِ السَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا
 تَقَرَّبَ لَا مُسْتَغْطَا غَيْرَ نَفْسِهِ
 وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ
 يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 كَانَ بَيْنَهُمْ عَالَمُونَ بِأَنِّي
 وَمَا أَلْجَمْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي
 وَلَكِنِّي مُسْتَصْرِ بِذُبَابِهِ
 وَجَاعِلُهُ يَوْمَ الْقَلَاءِ تَحِيَّتِي
 إِذَا قَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفِ بَعْدِهِ
 وَإِنِّي لِمَنْ قَوْمٍ كَانَ نَفُوسَنَا
 كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَاذْهَبِي
 فَلَا عَبْرَتَ بِي سَاعَةٍ لَا تُعْزِيَنِي

فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُظْمَى
 فَكَيْفَ بِأَخْذِ النَّارِ فَيَكُ مِنَ الْحُمَى
 وَلَكِنْ طَرَفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى
 لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلَأَ حَزْمًا
 كَانَ ذِكْرِي الْمُسْكُ كَانَ لَهُ جِسْمًا
 لَكَانَ أَبَاكَ الصَّخْمُ كَوْنُكَ لِي أُمًّا
 فَقَدْ وَلَدْتَ مِنِّي لَا نَافِيَهُمْ رَغْمًا
 وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِلْخَالِقِ حُكْمًا
 وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِلْمَكْرَمَةِ طَعْمًا
 وَمَا تَبَتَّغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمِي
 جَلُوبُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتَامَا
 بِأَضْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا
 وَمُرْتَكِبُ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا
 وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَظْلَ الْهَرْمَا
 فَأَبْعُدْ شَيْءٌ مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا
 بِهَا أَنْفُ أَنْ تَسْكُنَ اللَّهُمَّ وَالْعُظْمَا
 وَيَا نَفْسُ زِيْدِي فِي كَرَامَتِهَا قُدْمَا
 وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا

الباب التاسع في الفسخر

قال طرقة يفتخر في قومه

١١٥

سَائِلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقَوَانَا يَوْمَ تَخْلَقِ اللَّيْمَ
يَوْمَ تُبْدِي الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَقِهَا وَتَلْفُ الْحَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ
أَجْدَرُ النَّاسِ بِرَأْسِ صِلْدِمٍ حَازِمِ الْأَمْرِ شَجَاعٍ فِي الْوَعَمِ
كَامِلٍ يَحْمِلُ آلَاءَ الْقَتَى نَبِيَّ سَيِّدِ سَادَاتِ خِصَمِ
خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عَلِمُوا لِكَفِّي وَجَارٍ وَابْنِ عَمِ
يَجِبُ الْخُرُوبُ فِينَا مَا لَهُ بِنَاءٌ وَسَوَامٍ وَخَدَمِ
نُقِلُ لِلشَّحْمِ فِي مَشَاتِنَا نُحَرُّ لِلنِّيبِ طُرَادُ الْقَرَمِ
زَعُ الْجَاهِلِ فِي مَجْلِسِنَا فَتَرَى الْمَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ
وَتَفَرَّعْنَا مِنْ أَبْنَى وَائِلٍ هَامَةٌ الْمَجْدِ وَخُرُطُومِ الْكَرَمِ
مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِذَا مَا نُسِبُوا وَبَنِي تَغْلِبَ ضَرَّايِ الْبَهْمِ
حِينَ يَحْمِي النَّاسُ تَحْمِي سِرِّبْنَا وَاصْحِي الْأَوْجُهَ مَعْرُوفِي الْكَرَمِ
يُجَسِّمَاتٍ تَرَاهَا رُسَبًا فِي الضَّرَبَاتِ مُتَرَاتِ الْعُصَمِ
وَفُحُولٍ هَيْكَلاتٍ وَفُحٍ أَعُوجِيَّاتٍ عَلَى الشَّأْوِ أَرْمِ
وَقَفْنَا جُرْدٍ وَخَيْلٍ ضَمَرٍ شَرَبٍ مِنْ طُولِ تَعَالِكِ اللَّحْمِ
وَشَبَابٍ وَكُهُولٍ نَهْدٍ كَلِوْثِ بَيْنِ عَرِيسِ الْأَجَمِ

نُسْكُ الْحَيْلَ عَلَى مَكْرُوهِهَا حِينَ لَا يُمْسِكُ إِلَّا ذَوْكَرَمَ
نَذْرُ الْأَبْطَالِ صَرَغَى بَيْنَهَا تَعَكَّفُ الْعِشْبَانُ فِيهَا وَالرَّخَمَ

لعبيد بن الأبرص الأسدي

١١٦

وَلَا أَبْنِي وَدَّ أَمْرِي قَلَّ خَيْرُهُ
وَإِنِّي لَا أَظْفِي الْحَرْبَ بَعْدَ سُبُوبِهَا
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ
إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْحَوُونَ أَمَانَةً
وَجَدْتُ حَوُونَ الْقَوْمِ كَالنَّعْرِ يُتَقَى
وَلَا تُظْهَرَنْ وَدَّ أَمْرِي قَبْلَ خُبْرِهِ
وَلَا تَتَّبِعَنَّ الرَّأْيَ مِنْهُ تَقْصُهُ
وَلَا تَرْهَدَنَّ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ
وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَةً
تَرَوْدُ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا فَإِنَّهُ
تَمَنَّى مَرِي الْقَيْسَ مَوْتِي وَإِنْ أُمْتُ
لَعَلَّ الَّذِي يَرْجُو رَدَايَ وَمِيتَتِي
ثُمَّ عَيْشُ مَنْ يَرْجُو خِلَافِي بِضَارِي
وَلِلْمَرْءِ أَيَّامٌ تُعَدُّ وَقَدْ دَعَتْ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي الْيَوْمِ لَا بُدَّ أَنَّهُ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى

وَمَا أَنَا عَنْ وَصْلِ الصَّدِيقِ بِأَصِيدِ
وَقَدْ أَوْقَدْتُ لِلْعَيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدِ
وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ الْأُمُورِ بِمُبْتَدِي
فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ
وَمَا خِلْتُ عَمَّ الْجَارِ إِلَّا بِمُعْهَدِ
وَبَعْدَ بَلَاءِ الْمَرْءِ فَادْمُمُ أَوْ أَحْمَدِ
وَلَكِنْ بَرَأَيْ الْمَرْءُ ذِي أَلْبٍ فَاقْدِ
لِذَخْرٍ وَفِي وَصْلِ الْأَبَاعِدِ فَازْهَدِ
فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَلِكَ وَازْدِدِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَ زَادِ الْمَرْوَدِ
فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
سَفَاهَا وَجِبْنَا أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدِي
وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدَّمَاتِ قَبْلِي بِمُجْلَدِي
جِبَالُ الْمُنَايَا لَلْفَتَى كُلِّ مَرْصَدِ
سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ النَّمِيَةِ فِي غَدِ
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِ

فَانَا وَمَنْ قَدْ بَادَ مِنَّا لَكَ الَّذِي يَرُوحُ وَكَأَلْقَاضِي الْبَتَاتِ لِيُعْتَدِي

وقال عروة بن الورد العسبي للملقب بعروة الصعاليك ١١٧

فَإِنْ قَارَ سَهْمٌ لِمَنِيَّةٍ لَمْ أَكُنْ
لَحَى اللَّهِ صُغْلُوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ
يَعْدُ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طَاوِيَا
قَلِيلُ التِّمَاسِ أُمَالٍ إِلَّا لِنَفْسِهِ
يُعِينُ نِسَاءً أَحْيَى لَا يَسْتَعْنَهُ
وَلَكِنْ صُغْلُوكَا صَفِيحَةً وَجْهَهُ
مُطَلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ
وَإِنْ بَعْدُوا لَا يَأْمَنُونَ أَقْرَابَهُ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةُ يَلْقَاهَا
أَيُّهَاكَ مُغْتَمٌ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقِمِ
سَتَفْرَعُ بَعْدَ الْيَأْسِ مَنْ لَا يَخَافُنَا
يُطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلُ الْحَيْلِ بِالْقَنَا
فَيَوْمًا عَلَى تَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلَهَا
يُنَاقِلُنَ بِالسَّمْطِ الْكِرَامَ إِلَى النُّهَى
يُرِيحُ عَلَى اللَّيْلِ أَضْيَافَ مَا جَدِ
سَلَى السَّاعِبِ الْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ

جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَلِكَ مِنْ مُتَاخِرٍ
مَضَى فِي الشُّشَاشِ آفَاقًا كُلَّ مُجْزِرٍ
أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُبَسَّرٍ
يَحْتِ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَقَرِّ
إِذَا هُوَ أَصْحَى كَالْعَرِيشِ الْجُورِ
فِيمَنِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَالِسِ الْمُتَوَرِّ
بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمُنِجِ الْمَشْرِ
تَشُوقَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنْظَرِ
حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ
عَلَى نَدَبِ يَوْمًا وَلِي نَفْسٍ مُحْطَرِ
كَوَاسِعُ فِي أُخْرَى السَّوَامِ الْمُتَقَرِّ
وَبَيْضُ خِفَافِ ذَاتِ لَوْنٍ مُشَهَّرِ
وَيَوْمُ يَارِضِ ذَاتِ شَتٍّ وَعَرَعَرِ
نَقَابِ الْحَجَازِ فِي السَّرِيحِ الْمُسِيرِ
كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتَرِ
إِذَا مَا عَتَرَانِي بَيْنَ قَدْرِي وَمُجْزِرِي

أَبْسُطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

قال حسان بن ثابت الانصاري

١١٨

لَعَمْرَ أَيْكَ الْخَيْرِ يَا شَعْتُ مَا نَبَا
لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا
وَإِنْ أَكْ ذَا مَالٍ كَثِيرٌ أَجْدُ بِهِ
فَلَا أُمَالُ يُسِينِي حَيَاتِي وَعَقِي
وَأَكْثَرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ
وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ وَقَائِلُ
وَإِنِّي لَقَوْلٍ لَدَى الْبَثِّ مَرْحَبًا
وَإِنِّي لِيدْعُونِي النَّدَى فَاجِبُهُ
وَإِنِّي لَحُلُوٍّ تَعْرِينِي مَرَارَةً
وَإِنِّي لَتَرْجٍ لِلْمَطِيِّ عَلَى الْوَجَى
فَلَا تَعْجَلَنَّ يَا قَيْسُ وَارْبَعٍ فَإِنَّمَا
حُسَامٌ وَأَرْمَاحُ بِأَيْدِي أَعَزَّةٍ
لُيُوثُ لَهَا الْأَشْبَالُ تَحْمِي عَرِينَهَا
فَقَدْ لَاقَتْ الْأَوْسُ الْقِتَالَ وَأَطْرَدَتْ
نَفْتِكُمْ عَنْ الْعَلْيَاءِ أُمِّ لَيْثِمَةٍ
وَأَهْلُ الْخَطُوبِ وَلَا يَدِي
وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السِّيفُ مِذْوَدِي
وَإِنْ يَهْتَصِرْ عُودِي عَلَى الْجَهْدِ مُحَمَّدٍ
وَلَا وَاقِعَاتُ الدَّهْرِ يَفْلُتَنَّ مِبرِدِي
وَأَطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقِرَاحَ الْمُبْرَدِ
لِمُوقِدِ نَارِي لَيْلَةَ الرِّيحِ أَوْقِدِ
وَأَهْلًا إِذَا مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ مُرْصَدِ
وَأَضْرِبُ بَيْضَ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ
وَإِنِّي لَتَرَّاكُ لِمَا لَمْ أَعُودِ
وَإِنِّي لَتَرَّاكُ الْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ
قُصَارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مَهْنَدٍ
مَتَى تَرَهُمْ يَا ابْنَ الْخَطِيمِ تَبْلَدُ
مَدَاعِيسُ بِالْخَطِي فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَأَنْتَ لَدَى الْكِبَاتِ فِي كُلِّ مَطَرٍ
وَرَنْدُ مَتَى تُقْدَحُ بِهِ النَّارُ يَصْلَدُ

وقال بشر بن ابني حازم الاسدي

١١٩

سَائِلٌ تَمِيًّا فِي الْحُرُوبِ وَعَامِرًا
وَهَلْ الْمَجْرِبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ

إِنَّا إِذَا نَعَرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً
 نَعْلُو الْقَوَانِسَ بِالسُّيُوفِ وَنَعْتَرِي
 يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا
 مِنْ كُلِّ مُسْتَرْخِي التَّجَادِ مُنَازِلٍ
 قَقْضَضَ جَمْعُهُمْ وَأَذْبَرَ حَاجِبٍ
 وَعَلَى عُقَابِهِمُ الْمَذَلَّةُ أَصْبَحَتْ
 أَقْصَدَنْ حُجْرًا قَبْلَ ذَلِكَ وَالْقَنَا
 يَنْوِي مُحَاوَلَةَ الْقِيَامِ وَقَدْ مَضَتْ
 وَلَقَدْ خَبَطَ بَنِي كِلَابٍ خَبْطَةً
 وَسَلَقَنَ كَعْبًا قَبْلَ ذَلِكَ سَلَقَةً
 حَتَّى سَقَيْنَا النَّاسَ كَأْسًا مَرَّةً
 قُلْ لِلْمَثَلَمِ وَأَبْنِ هِنْدٍ بَعْدَهُ
 تَلَقَّ الَّذِي لَا قَى الْعَدُوَّ وَتَضَطَّجَ
 نَحْبُو الْكُتَيْبَةِ حِينَ نَفْتَرِشُ الْقَنَا
 وَلَقَدْ حَبَوْنَا عَامِرًا مِنْ خَلْفِهِ

قال الفرزدق واسمه همام بن غالب التميمي

١٢٠

لَنَا الْغَزَّةُ الْقُصَاةُ وَالْعَدَدُ الَّذِي
 لَنَا حَيْثُ آفَاقُ الْبَرِيَّةِ تَلْقَى
 وَمِنَّا الَّذِي لَا تَطِقُ النَّاسُ عِنْدَهُ
 عَلَيْهِ إِذَا عَدَّ الْحَصَى يَخْلَفُ
 عَدِيدُ الْحَصَى وَالْقُسُورُ الْمُتَخَدِفُ
 وَلَكِنْ هُوَ الْمُسْتَأَذَنُ الْمُتَصَرِّفُ

تَرَاهُمْ قُعُودًا حَوْلَهُ وَعِيُونَهُمْ
وَبُيُوتَانِ بَيْتِ اللَّهِ مَخْنُ وَلَا تَهُ
تَرَى النَّاسَ مَلْسِرَنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
وَلَا عِزَّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ
وَإِنْ فَتَتُوا يَوْمًا ضَرَبْنَا رُؤُوسَهُمْ
فَأَنَّكَ إِنْ تَسْعَى لِنُدْرِكَ دَارِمًا
أَتَطْلُبُ مِنْ عِنْدِ النُّجُومِ مَكَانَهُ
وَشَيْخَيْنِ قَدْ عَاشَا ثَمَانِينَ حِجَّةً
عَطَفْتُ عَلَيْكَ الْحَرْبَ إِنِّي إِذَا وَنِي
أَتَى لِحَرْبٍ رَهْطُ سُوءٍ أَذَلَّهُ
وَجَدْتُ الثَّرَى فِينَا إِذَا وَجَدَ الثَّرَى
وَنَمْنَعُ مَوْلَانَا وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
تَرَى جَارَنَا فِينَا بِخَيْرٍ وَإِنْ جَنَى
وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كِلَابٌ عَنِ الْقَرْيِ
وَقَدْ عَلِمَ الْحَيْرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا
تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُتَغَنِّينَ كَأَنَّهُمْ
وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدْبِنَا
وَإِنِّي لِمَنْ قَوْمٍ بِهِمْ يَتَقَى الرَّدَى
وَأَضْيَافٍ لَيْلٍ قَدْ نَقَلْنَا قَرَاهُمْ

مُكَسَّرَةٌ أَبْصَارُهَا مَا تَطَرَّفُ
وَبَيْتٌ بِأَعْلَى الرَّامَتَيْنِ مُشَرَّفُ
وَإِنْ مَخْنُ أَوْ مَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وَيَسْأَلُنَا النِّصْفَ الدَّلِيلُ فَنُصِفُ
عَلَى الدِّينِ حَتَّى يُقْتَلَ الْمُتَأَلِّفُ
لَأَنْتَ الْمُعْنَى يَا جَرِيرُ الْمُسْكَفُ
يَرِيقُ وَعَيْرٍ ظَهْرُهُ يَتَقَرَّفُ
ذَلِيلَيْنِ ذَا هِمٍّ وَذَلِكَ أَعْجَفُ
أَخُو الْحَرْبِ كَرَارُ عَلَى الْقَرْنِ مُعْطَفُ
وَعَرَضُ لَيْمٍ لِلْمَخَازِي مُوقَفُ
وَمَنْ هُوَ بِجَوْ فَضْلِهِ الْمُتَضَيِّفُ
بِنَا دَارُهُ مِمَّا يَخَافُ وَيَأْنَفُ
وَلَا هُوَ مِمَّا يُنْطَفُ الْجَارُ يُنْطَفُ
إِلَى الضَّيْفِ نَمَشِي مُسْرِعِينَ وَمُخْلَفُ
جَوَامِعُ لِلأَرْزَاقِ وَالرَّيْحِ زَفْزَفُ
عَلَى صَنْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَكْفُ
فَيَنْطِقُ إِلَّا بِأَلَّتِي هِيَ أَعْرَفُ
وَرَأْبُ الثَّانِي وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوِّفُ
إِلَيْنَا فَأَتَلَفْنَا الْمُنَايَا وَأَتَلَقُوا

وَكُنَّا إِذَا مَا اسْتَكْرَهَ الضَّيْفُ بِالْقَرَى
وَكُلَّ قَرَى الْأَصْيَافِ قَرَى مِنَ الْقَنَا
وَجَدْنَا أَغْرَ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَى
وَكَلَّتْهُمَا فِينَا لَنَا حِينَ نَلْتَقَى
مَنَازِلُ عَنْ ظَهْرِ الْهَلِيلِ كَثِيرُنَا
فَلَقْنَا الْحَصَى عَنْهُ الَّذِي فَوْقَ ظَهْرِهِ
وَجَهْلٌ بِجِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ
زَجَجْنَا بِهِمْ حَتَّى اسْتَبَانُوا حُلُومَهُمْ
إِذَا مَا دَعَا ذُو الثَّوْرَةِ الْمُتَرَدِّفُ
بِأَحْلَامِ جُهَالٍ إِذَا مَا تَعَطَّفُوا
وَمَا كَادَ لَوْلَا عِزُّنَا يَتَرَحَّلَفُ
بِنَا بَعْدَ مَا كَادَ الْقَنَا يَتَقَصَّفُ

قال الاديب ابو عبد الله بن الفخار المالقي

١٢١

بَابِي حَسَامٍ أَمْ بَابِي سِنَانٍ
لَنْ عُرِيَ الْيَوْمَ الْجَوَادُ لِعِلَّةٍ
وَإِنْ عَطِلَ السَّهْمُ الَّذِي كُنْتُ رَأِيشًا
أَلَا إِنَّ دِرْعِي نَثْرَةٌ تَبْعِيَّةٌ
وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَدْهَمِي
تَمَّتْ لَهَا بِي مِنْ حَلَّتْ وَثَاقُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مِنْ صَحِّ وَدِّهِ
وَمَا يَزِدْهِ بِي قَوْلُ كُلِّ مُمَوِّهِ
وَيَزْعُمُ آتِي فِي الْبَيَانِ مُقَصِّرٌ
وَإِنِّي أَنَا ضُ بَكْلٍ عَظِيمَةٍ
أُنَازِلُ ذَاكَ الْقُرْنَ حِينَ دَعَانِي
فَبِالْأَمْسِ شَدُّوا سَرْجَهُ لَطْعَانٍ
فَقِيهِ دَمُ الْأَعْدَاءِ أَحْمَرُ قَانٍ
وَسَيْفِي صِدْقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانِي
إِذَا الْحَيْلُ جَالَتْ فِي مَجَالِ رِهَانٍ
وَأَعْطَى غَدَاةَ الْمُنَّ ذِلَّةَ عَانٍ
وَمَنْ كَانَ مِنَّا دَائِمَ الشَّانِ
وَلَيْسَ لَهُ بِالْمُعْضَلَاتِ يَدَانٍ
وَيَابِي بَنَانِي وَاقْتِدَارِ لِسَانِي
يَضِيقُ عَلَيْهَا ذَرْعُ كُلِّ جَنَانٍ

نَهَضَتْ بِهَا وَحْدِي وَغَيْرِي مُدْعٍ
 أَيْتَسَى مَقَامِي إِذْ أَكْفَاحُ دُونَهُ
 وَيَذْكُرُ يَوْمًا قُتُّ فِيهِ بِخُطْبَةٍ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَرْءُ يَقْطَعُ رَأْسَهُ
 تَهَاوَنَ بِالْإِنْصَافِ حَتَّى أَحْلَهُ
 وَلَوْ كَانَ يُعْطِي الزَّائِرِينَ حُقُوقَهُمْ
 يُشَارِكُ أَهْلَ الْقَوْلِ شِرْكَ عَنَانٍ
 وَقَدْ طَارَ قَلْبُ الذُّعْرِ بِالْخَفَقَانِ
 كَأَنَّا رِجْدُ الْمَاءِ بِالسَّيْلَانِ
 وَإِنْ دَهْنُهُ حَيْلَةٌ بِدِهَانٍ
 وَقَدْ كَانَ ذَا عِزٍّ بِدَارِ هَوَانٍ
 لَمَّا تَرَكَوهُ فِي يَدِ الْخُدَّانِ

قال الطغرائي يفخر

١٢٢

أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُوَ بَعِيرٍ فَضَائِلِي
 وَإِنْ كَرُمْتُ قَبْلِي أَوَائِلُ أُسْرَتِي
 يُدْمُ لِأَجْلِ الْمُهْرِ إِنْ يَكُ مَرَّةً
 وَمَا مَنْصِبٌ إِلَّا وَقَدْرِي فَوْقَهُ
 إِذَا شَرَفَتْ نَفْسُ الْفَتَى زَادَ قَدْرُهُ
 كَذَلِكَ حَدِيدُ السِّيفِ إِنْ يَصِفُ جَوْهَرًا
 تَكَادُ تَرَى مِنْ لَا يُقَاسُ نِجَادُهُ
 وَمَا أُمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْوِلَايَةِ بَسْطَةٌ
 وَلَا كَانَ لِي حُكْمٌ مُطَاعٌ أَجِيزُهُ
 فَأَعْذَرُ إِنْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ مُجْتَدٍ
 أَأَكْفَى وَلَا أَكْفَى وَتِلْكَ غَضَاظَةٌ
 إِذَا مَا سَمَا بِأُمَالٍ كُلُّ مُسَوِّدٍ
 فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَبْدَأُ سُودُدِي
 بِمَجْدِي وَإِنْ يَنْهَضُ بِمَجْدِي مُجْمَدٍ
 وَلَوْ حُطَّ رَجُلِي بَيْنَ نَسْرِ وَفَرْقَدٍ
 عَلَى كُلِّ أَسْنَى مِنْهُ ذِكْرًا وَأَعْمَدٍ
 فَقِيمَتُهُ أَضْعَافُهُ وَزَنَ عَسَجَدٍ
 بِشِسْعِي إِذَا مَا ضَمَمْنَا صَدْرُ مَشْهَدٍ
 فَهَلَّا بِفَضْلِي كَأَثْرُونِي وَمَجْتَدِي
 يَطُولُ بِهَا بَاعِي وَتَسْطُو بِهَا يَدِي
 فَأَرْغَمَ أَعْدَائِي وَانْكَبْتُ حُسْدِي
 وَأَمِنُ أَنْ يَتَعَادَنِي كَيْدُ مُعْتَدٍ
 أَرَى دُونَهَا وَقَعَ الْحُسَامُ الْمُهْنَدُ

وَلَوْلَا تَكَالِيفُ الْعُلَى وَمَعَارِمُ
لَا عَطِيتُ نَفْسِي فِي التَّخَلِّي مُرَادَهَا
مِنَ الْحَزْمِ أَنْ لَا يَضْجُرَ الْمَرْءُ بِالَّذِي
إِذَا جَلَدِي فِي الْأَمْرِ خَانَ وَلَمْ يُعِنْ
وَمَنْ يَسْتَعِنُ بِالصَّبْرِ نَالَ مُرَادَهُ
ثِقَالُ وَأَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
فَذَلِكَ مُرَادِي مُذْنَشَاتُ وَمَقْصِدِي
يُعَانِيهِ مِنْ مَكْرُوهَةٍ فَكَانَ قَدْ
مَرِدَّةً عَزَمِي نَابَ عَنْهُ تَجَلْدِي
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ إِنَّهُ غَيْرُ مُسْعَدٍ

قال ابو تمام يتخمر بقومه

١٢٣

أَنَا بَيْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضَعَ الْجُودَ فِيهِمْ
نُجُومُ طَوَالِيعُ جِبَالُ فَوَارِعُ
مَضُوءَا وَكَانَ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْحُلِّ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظًا مَا لَنَا
بِهَالِيلٍ لَوْ عَانَيْتَ فَيَضَ أَكْفِهِمْ
إِذَا خَفَّتْ بِالْبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ
رِيَاخُ كَرِيحِ الْعَنْبَرِ الْفَضْ فِي النَّدَى
هِيَ السَّمُّ مَا تَنَفَّكَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
أَصَارَتْ لَهُمْ أَرْضُ الْعَدُوِّ قَطَائِمًا
بِكُلِّ فِتْنَةٍ مَا شَابَ مِنْ رَوْعٍ وَقَعَةٍ
إِذَا مَا أَغَارُوا فَأَحْتَوْا مَالَ مَعْشَرٍ
قَتَعُطِي الَّذِي تُعْطِيهِمُ الْحَيْلُ وَالْقَنَا
وَقَدْ سَادَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ
غُبُوثُ هَوَامِيعُ سَيُولُ دَوَافِعُ
لِكثَرَةِ مَا أَوْصُوا بِهِنَّ شَرَائِعُ
لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الْوَدَائِعُ
لَا يَفْقَتُ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ
حَدَاهَا النَّدَى وَاسْتَشَقَّتْهَا الْمَطَامِعُ
وَلَكِنَّهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ زَعَارِعُ
تَسِيلُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَهُوَ نَاقِعُ
نُفُوسُ لِحْدِ الْمُرْهَقَاتِ قَطَائِعُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ شَبَنَ مِنْهُ الْوَقَائِعُ
أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَأَحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ
أَكْفُ لِرِثِّ الْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ

هُمْ قَوْمُوا دَرَّةَ الشَّامِ وَيَقْطُوا
يَمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيَا
إِذَا أَسْرُوا لَمْ يَأْسِرِ الْبَغْيُ عَفْوَهُمْ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعُ غَلِيهِ
وَإِنْ صَارِعُوا عَنْ مَفْحَرٍ قَامَ دُونَهُمْ
فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَذَعْتُهُ
كَشَفْتُ قِنَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حَرِّ وَجْهِهِ
بِعِزِّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ
يُودُ وَدَادَا أَنْ أَعْضَاءَ جَنْبِهِ

قال ابو فراس الحمداني يفتخر

١٢٤

وَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ الْعَلَى
مَوَاعِيدُ آمَالٍ مَتَى مَا انْتَجَمَتْهَا
تُدَافِعُنِي الْإَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ
فِيمَنِّي مَنْ نَالَ الْأَعَادِي بِسَيْفِهِ
وَمَا لِي لَا تَمْسِي وَتُصْبِحُ فِي يَدِي
أُحْكَمُ فِي الْأَعْدَاءِ عَنْهَا صَوَارِمًا
وَمَا زَالَ حُمَيُّ الْحَمَائِلِ عَنُودَةً
يَنَالُ اخْتِيَارَ الصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ
لَنَا عَيْبُ الْأَمْرِ الَّذِي فِي صُدُورِهِ

وَلَكِنَّ كَانَ الدَّهْرَ عَنِّي غَافِلُ
حَلَبْتُ بِكِيَّاتٍ وَهْنٌ حَوَافِلُ
كَمَا دَفَعَ الدِّينَ الْغَرِيمُ الْمَاطِلُ
وَيَارُبَّمَا غَالَتْهُ عَنْهَا الْغَوَائِلُ
كَرَاهِمُ أَمْوَالِي الرِّجَالِ الْعَقَائِلُ
أُحْكِمُهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ
سِوَى مَا أَقَلَّتْ فِي الْخُفُونِ الْحَمَائِلُ
لَهُ عِنْدَنَا مَا لَا تَنَالُ الْوَسَائِلُ
تَطَاوَلُ أَغْنَاكَ الْعُدَى وَالْكَوَاهِلُ

أَصَاغِرْنَا فِي الْمَكْرُمَاتِ أَكْبَارُ وَآخِرُنَا فِي الْمَأْثَرَاتِ أَوَائِلُ
إِذَا صَلْتُ صَوْلًا لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا وَإِنْ قُلْتُ قَوْلًا لَمْ أَجِدْ مَنْ يَقَاوِلُ

١٢٥ وعُرضت على سيف الدولة خيوله وبنو أخيه حضوراً فكل اختار منها وطلب حاجته
من دون أبي فراس فكتب عليه سيف الدولة فأنشده :

عَبْرِي يُغَيِّرُهُ الْقَعَالُ الْجَافِي وَيَحُولُ عَنْ شَيْمٍ الْكَرِيمِ الْوَاثِي
لَا أَرْضِي وَدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ الْوَقَاءِ وَقَلَّةِ الْأَنْصَافِ
تَعَسَ الْحَرِيصُ وَقَلَّ مَا يَأْتِي بِهِ عِوَضًا مِنَ الْإِلْحَاحِ وَالْإِلْحَافِ
إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوَانَهُ عَارِي الْمَنَاقِبِ جَافِ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا اقْتَسَمْتَ فَكُلْ شَيْءَ كَافِ
وَيَعَا فِي طَبْعِ الْحَرِيصِ أَبُو تِي وَمُرُوتِي وَقِنَاعِي وَعَفَا فِي
مَا كَثُرَ الْخَيْلُ الْجِيَادِ بَرَانِدِ شَرَفًا وَلَا عَدُوَّ السَّوَامِ الصَّافِي
وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي بَيْتُ الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كَانَ صُرُوفُهُ أَحْلَافِي
خَيْلِي وَإِنْ قَلَّتْ كَثِيرُ نَفْعُهَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الرِّعَافِ
شَيْمٍ عَرَفْتُ يَهْنَ مَذَّأَنَا يَافِعُ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

لأبي العلاء المعري في الفخر

١٢٦

أَلَا فِي سَبِيلِ الْأَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ عَفَا وَإِقْدَامُ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ
أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدِّقُ وَاشِ أَوْ يُحِبُّ سَائِلُ
تَعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا أَلْعَى وَالْفَضَائِلُ

كَأَنِّي إِذَا طُلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ مَنْ لَهْمُ
يَسْمُ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضِيرُ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ
وَأَعْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمُ
وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لِحَامُهُ
فَإِنْ كَانَ فِي لُبْسِ الْقَتْلِ شَرَفٌ لَهُ
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنَزَلِي
لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
فَوَاعْجَبَا كَمْ يَدْعِي الْفَضْلَ نَاقِصُ
وَكَيْفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَشْرِفَا
وَطَالَ اعْتِرَافِي بِالزَّمَانِ وَصَرَفِهِ
فَلَوْ بَانَ عُنُقِي مَا تَأَسَّفَ مِنْكِي
إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْجَلِّ مَادِرُ
وَقَالَ السُّهْيُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ ضَيْلُهُ
وَطَاوَلْتَ الْأَرْضَ السَّمَاءَ سَفَاهَةً
فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنْ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ
رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ
بِاخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْءِهَا مُتَكَامِلُ
وَيَثْقُلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ
لَا تَبِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
وَأُسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ حَجَائِلُ
وَنَصْلُ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ الصَّيَاقِلُ
فَمَا السَّيْفُ إِلَّا نَعْمَدُهُ وَالْحَمَائِلُ
عَلَى أَنِّي بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنِ نَازِلُ
وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَسَاوِلُ
تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظَنَّ أَنِّي جَاهِلُ
وَوَا أَسْفَا كَمْ يُظْهِرُ النِّقْصَ فَاضِلُ
وَقَدْ نَصَبْتُ لِلْفِرْقَدَيْنِ الْحَبَائِلُ
وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَى الْأَصَائِلُ
فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ تَعُولُ الْغَوَائِلُ
وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ الْأَنَامِلُ
وَعَيْرَ قِسًا بِالْقَهَاةِ بِاقِلُ
وَقَالَ الدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْ نَكَ حَائِلُ
وَفَاخَرَتِ الشُّهْبُ الْحَصَى وَالْجَنَادِلُ
وَيَا نَفْسَ جِدِّي إِنْ دَهْرِكَ هَازِلُ

الباب العاشر

في المديح

١٢٧

زهير في مدح هرم بن سنان من قصيدة

إِلَى هَرَمٍ سَارَتْ ثَلَاثًا مِنَ اللَّوَى
سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيَّ حِينٍ آتَتْهُ
أَلَيْسَ بِضَرَّابِ الْكُمَاةِ بِسَيْفِهِ
كَلَيْثِ أَبِي شَبْلَيْنِ يَحْمِي عَرِينَهُ
وَمَذَرَهُ حَرْبٍ حَمِيهَا يَتَّقِي بِهِ
وَتَقْلُ عَلَى الْأَعْدَاءِ لَا يَضْعُونَهُ
أَلَيْسَ بِفَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ
إِذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ غَايَةً
سَبَقَتْ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مُبَرَّرٍ
كَفَضْلِ جَوَادِ الْحَيْلِ يَسْبِقُ عَفْوُهُ
تَقِي نَقِيٍّ لَمْ يُكْثِرْ غَنِيمَةً
سَوَى رُبْعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَخَانَةٌ
يَطِيبُ لَهُ أَوْبُ أَقْطَارِصِ بِسَيْفِهِ
قَلَوْ كَانَ حَمْدُ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ
وَلَكِنَّ مِنْهُ بَاقِيَاتٍ وَرَاثَةٌ

فَنَعَمْ مَسِيرُ الْوَائِقِ الْمُتَعَدِّ
أَسَاعَةٌ تَحْسُ ثُبْقَى أُمِّ بَاسْعِدِ
وَقَكَالِ أَغْلَالِ الْأَسِيرِ الْمُقَيَّدِ
إِذَا هُوَ لَا قَى مُجْدَةً لَمْ يُعْرِدِ
شَدِيدُ الرَّجَامِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَحَمَالِ أَثْقَالِ وَمَاوَى الْمُطَرَّدِ
ثَمَالِ الْيَتَامَى فِي السِّنِينَ مُحَمَّدِ
مِنْ الْمُجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يُسَوِّدِ
سُبُوقٍ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُجَلَّدِ
السَّرَاعِ وَإِنْ يَجْهَدُنْ يَجْهَدُ وَيَبْعُدِ
بَنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْدِ
وَلَا رَهَقًا مِنْ عَائِدٍ مُتَهَوِّدِ
عَلَى دَهْشٍ فِي عَارِضٍ مُتَوَقِّدِ
وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُجَلَّدِ
فَأَوْرَثَ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَرَوِّدِ

تَرَوْدُ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدٍ

١٢٨ للناطقة الذيباني في عمرو بن الحارث الأصغر الغساني من قصيدة

وَنَثَقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ
بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ قَوْفَهُمْ
يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغِيرْنَ مُغَارَهُمْ
جَوَانِحُ قَدْ أَيقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا
عَلَى عَارَفَاتٍ لِلطَّعَانِ غَوَائِسٍ
إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقُلُوا
فَهُمْ يَتَسَاقُونَ الْمُنِيَّةَ بَيْنَهُمْ
يَطِيرُ فِضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْسٍ
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُمْ
يَضْرِبُ يُزِيلُ أَلْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ
لَهُمْ شَيْئَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ
مَجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ
رَقَاقُ النَّعَالِ طَبِيتَ حُجْرَاتُهُمْ
تُحِبُّهُمْ يَبِضُّ أَوْلَادُهُ بَيْنَهُمْ
يَصُونُونَ أَجْسَامًا قَدِيمًا نَعِيمًا

كِتَابُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ بِأَسْهَمٍ غَيْرُ كَاذِبِ
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
مِنَ الضَّارِبَاتِ بِالْدمَاءِ الدَّوَارِبِ
إِذَا مَا اتَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
إِذَا عَرَضَ الْحَطِي قَوْقُ الْكُؤَائِبِ
بَيْنَ كُلُّومٍ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ
إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالُ الْجَمَالِ الْمَصَائِبِ
بِأَيْدِيهِمْ يَبِضُّ رَقَاقُ الْمُضَارِبِ
وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ قَرَّاشُ الْحَوَاجِبِ
بَيْنَ فَلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ
وَطَعْنُ كَابِرِاعِ الْخَاضِ الصَّوَارِبِ
مِنَ الْجُودِ وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَارِبِ
قَوِيمٍ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ
يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَائِبِ
وَكَسِيَّةِ الْأَضْرِيجِ قَوْقُ الْمَشَاجِبِ
بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ خُضْرُ الْمَنَازِبِ

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ إِلَّا شَرًّا بَعْدَهُ
حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا
١٢٩ لَمَلَقَمَةُ الْفَحْلُ فِي مَدْحِ الْحَارِثِ الْوَهَّابِ سَيِّدِ بَنِي غَسَّانَ وَمَلِكِ الشَّامِ

إِلَى الْحَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقِي
لِتُبْلَغَنِي دَارَ أَمْرِي كَانَ نَائِيًا
وَأَنْتَ أَمْرٌ وَأَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانِي
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبِيهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَارِسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ
تَقَدَّمَهُ حَتَّى تَعِيبَ حُجُولُهُ
مُظَاهِرُ سِرِّ بَالِي حديدٍ عَلَيْهِمَا
فَجَالَدْتُهُمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ
وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانَ أَهْلَ حِفَاطِهَا
تَحْشَشُ أَبدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
تَجَوَّدُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا
كَانَ رِجَالُ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ
رَفًا فَوْقَهُمْ سَقَبُ السَّمَاءِ فَدَاحِصُ
كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ
فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً بِلِجَامِهَا
وَالَا كَمِي ذُو حِفَاطٍ كَأَنَّهُ

لِكُلِّ كَلِمَةٍ وَالْقَصْرَيْنِ وَجِيبُ
فَقَدْ قَرَّبْتَنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ
وَقَبْلَكَ رَبَّتَنِي فَضَعْتُ رُبُوبُ
وَعُودِي فِي بَعْضِ الْجُنُودِ رَيْبُ
لَا بُوَا خَرَايَا وَالْإِيَابُ حَيْبُ
وَأَنْتَ لِيَنْصُ الدَّارِ عَيْنَ ضُرُوبُ
عَقِيلًا سَيُوفٍ مُخَذَّمُ وَرَسُوبُ
وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ
وَهَبُ وَقَاسُ جَالَدَتْ وَشَيْبُ
كَمَا خَشَشَتْ يَبْسَ الْحَصَادِ جُنُوبُ
وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْإِلْقَاءِ تَطِيبُ
وَمَا جَمَعْتَ جَلُّ مَعًا وَعَتِيبُ
بِشَكَّتِهِ لَمْ يُسْتَبْ وَسَلِيبُ
صَوَاعِقُهَا لَطِيرُ هِنٍ دَيْبُ
وَالَا طِمْرُ كَالْتَفَاةِ نَجِيبُ
بِمَا أَتَلَ مِنْ حَدِّ الطُّبَاتِ خَضِيبُ

وَأَنْتَ الَّذِي آثَرَهُ فِي عَدُوِّهِ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا قَلِيلُهُ
فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابِهِ
مِنَ الْبُؤْسِ وَالنُّعْمَى لَهُنَّ ذُؤُوبُ
فَحَقُّ لِسَانٍ مِنْ نَدَاكَ ذُؤُوبُ
مَسَاوٍ وَلَا دَانَ لَذَاكَ قَرِيبُ
فَإِنِّي أَمْرُوهُ وَسَطُ الْقَبَابِ غَرِيبُ

للفردق في عمر بن الوليد بن عبد الملك

١٣٠

إِلَيْكَ سَمْتُ يَا ابْنَ الْوَلِيدِ رِكَابَنَا
إِلَى عُمَرٍ أَقْبَلْنَ مُعْتَمِدَاتِهِ
وَلَمْ تَجْرِ إِلَّا جُنْتُ لِلْخَلِّ سَابِقًا
إِلَى ابْنِ الْإِمَامَيْنِ الَّذِينَ أَبُوهَا
إِذَا هُوَ أَعْطَى الْيَوْمَ زَادَ عَطَاؤُهُ
بِمَقِّ أَمْرِي بَيْنَ الْوَلِيدِ قَنَاتُهُ
أَقُولُ لِحَرْفٍ لَمْ يَدْعَ رَحْلَهَا لَهَا
عَلَيْكَ فَتَى النَّاسِ الَّذِي إِنْ بَلَغَتْهُ
وَأَنَّ لَهُ نَارَيْنِ كِلْتَاهُمَا لَهَا
فَهَذِي لِعَبْطِ الْمُسْبَعَاتِ إِذَا شَتَا
وَلَوْ خَلَدَ الْفَخْرُ أَمْرًا فِي حَيَاتِهِ
وَأَنْتَ أَمْرُو عَوْدَتٍ لِلْمَجْدِ عَادَةٌ
تَسَائِلُنِي مَا بَالُ جَنْبِكَ جَافِيًا
فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلَّ عِيَالُ أَرَاهُمْ
وَرُكْبَانُهَا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ
سِرَاعًا وَنِعَمَ الرُّكْبِ وَالْمُتَعَمِّدُ
وَلَا عُدَّتْ إِلَّا أَنْتَ فِي الْعَوْدِ أَحْمَدُ
إِمَامٌ لَهُ لَوْلَا النُّبُوَّةُ يُسَجَّدُ
عَلَى مَا مَضَى مِنْهُ إِذَا أَصْبَحَ الْغَدُ
وَكِنْدَةٌ فَوْقَ الْمُرْتَقَى يَتَصَعَّدُ
سَنَامًا وَتَشْوِيدُ الْقَطَا وَهِيَ هُجْدُ
فَمَا بَعْدَهُ فِي نَائِلٍ مُتَلَدُّ
قَرَى دَائِمٌ قَدَامَ بَيْتِهِ تُوقَدُ
وَهَذِي يَدُ فِيهَا الْجِسَامُ الْمُهْدُ
خَلَدَتْ وَمَا بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدُ
وَهَلْ فَاعِلٌ إِلَّا بِمَا يَتَعَوَّدُ
أَهْمًا جَفَا أَمْ جَفَنَ عَيْنُكَ أَرْمَدُ
وَمَا لَهُمْ مَا فِيهِ لَلْغَيْثِ مَقْعَدُ

فَقَالَتْ أَلَيْسَ ابْنُ الْوَلِيدِ الَّذِي لَهُ
يَجُودُ وَإِنْ لَمْ تَرْتَحِلْ يَا ابْنَ غَالِبٍ
مِنَ النَّبِيلِ إِذْ عَمَّ الْمَنَارُ غُثَاوُهُ
فَإِنْ ارْتَدَادَ أَلْهَمَ عَجْزٌ عَلَى الْفَقَى
وَلَا يُنْجِي فِي هَمٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
جَرَى ابْنُ أَبِي الْعَاصِي فَأَحْرَزَاغَةً
وَكَانَ إِذَا أَحْمَرَّ الشَّتَاءُ جَفَانُهُ
لَهُمْ طُرُقُ أَقْوَامِهِمْ قَدْ عَرَفْنَاهَا
وَمَا مِنْ حَنِيفٍ آلَ مَرْوَانَ مُسْلِمٍ
إِذَا عَدَّ قَوْمٌ مَجْدَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ

والفرزدق في وصف

١٣١

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا
يُنْعِي إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ
فِي كَفِّهِ خَيْرَانِ رِيحِهِ عَيْقُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
يَشْقُ نُورَ الْهُدَى مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ

الامام زين العابدين
وَأَلَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا اَلَّتَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَتَّبِعِي الْكَرَمُ
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمُّ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتَمُ

مُشْتَقَّةٌ مِنْ كَرَامِ الْقَوْمِ نَبَتْهُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ
اللَّهُ شَرَّفَهُ قَدْرًا وَعَظَّمَهُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ
كَتَلَا يَدَيْهِ غِيَاثَ عَمِّ نَفْعُهُمَا
سَهْلُ الْحَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
حَالِ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَضُوا
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
مِنْ مَعَشَرِ حَبِيبِهِ دِينَ وَبَعْضُهُمْ
إِنْ عَدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
هُمْ الْعُيُوثُ إِذَا مَا أَرَمَهُ أَرَمَتْ
لَا يُنْقِصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتِهِمْ
أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا

طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْحَيِّمُ وَالشِّيمُ
بِحَبْدِهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خَتَمُوا
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
يُسْتَوُكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا عَدَمُ
يُزِينُهُ أَثْنَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالشِّيمُ
حَلَوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَأَدُهُ نَعَمُ
عَنْهَا الْغِيَاثُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
كُفْرُ وَقَرِيبُهُمْ مَنَجِي وَمُعْتَصِمُ
أَوْقِيلُ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلُ لَهُمْ
وَلَا يُدَايِنُهُمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
وَالْأَسْدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ
سَيِّانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
فِي كُلِّ بَدْءٍ وَخَتَمُوا بِهِ الْكَلِمُ
خُلُقُ كَرِيمٍ وَأَيْدٍ بِاللَّيْثِ هُضِمُ
لَأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمُ
فَالدِّينُ مِنْ نَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمُ

لابن خفاجة الاندلسي في مدح الاميرابي يحيى بن ابراهيم

١٣١

صَافِي رِدَاءِ الْمَجْدِ طَاحُ الْعُلَى طَائِي عُبَابِ الْجُودِ رَحْبُ الدَّارِ
جَرَّارُ أَذْيَالِ الْعَالِيِ وَالْقَنَا حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحَمَى وَالْجَارِ
طَرْدُ الْقَنَیْصِ بِكُلِّ قَيْدٍ طَرِيدَةٍ زَجَلِ الْجَنَاحِ مُورِدِ الْأَطْفَارِ
مُتَنَفِّةٌ أَعْطَافُهُ بِحَمِيرَةٍ مَكْحُولَةٌ أَجْفَانُهُ بِنَضَارِ
خَدَمَ الْقَضَاءِ مُرَادُهُ فَكَأَنَّمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ أَعْنَةُ الْأَقْدَارِ
وَعَنَى الزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا أَصْنَى الزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَّارِ
وَجَلَا الْإِمَارَةُ فِي رَقِيقِ نَضَارَةٍ جَلَّتِ الدُّجَى فِي حُلَّةِ الْأَنْوَارِ
فِي حَيْثُ وَشَّحَ لَبَّةً بِقِلَادَةٍ مِنْهَا وَحَلَّى مِعْصَمًا بِسَوَارِ
جَذْلَانُ يَمْلَأُ مَنَحَةً وَبَشَاشَةً أَيْدِي الْعَفَاةِ وَأَعْيُنَ الزُّوَارِ
أَرْجَ النَّدِيِّ بِذِكْرِهِ فَكَأَنَّهُ مُتَنَفِّسٌ عَنْ رَوْضَةٍ مِعْطَارِ
بَطْلٌ حَوَى الْقَلَاكَ الْخُحِيطَ بِسَرَجِهِ وَاسْتَلَّ صَارِمَهُ يَدُ الْمَقْدَارِ
يَمِينِهِ يَوْمَ الْوَعَى وَشِمَالِهِ مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
وَالْخَيْلُ تُعَثِّرُ فِي شَبَاشُوكِ الْقَنَا قِصْدًا وَتَسْبِجُ فِي الدَّمِ الْمَوَارِ
وَالْبَيْضُ تَحْنِي فِي الطَّلَى فَكَأَنَّمَا لَوِثَ عُرَى مِنْهَا عَلَى أَرْزَارِ
وَالْتَقَعَ يَكْسَرُ مِنْ سَنَا شَمْسِ الصُّحَى فَكَأَنَّهُ صَدَأُ عَلَى دِينَارِ
صَبَّ الْحَسَامِ النَّصْرُ ضُحْبَةً غِبْطَةً فِي كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَارِ
لَوْ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ بِنَظَرَةٍ يَوْمًا لَشَارَ وَلَمْ يَنْمَ عَنْ نَارِ
وَقَضَى وَقَدْ مَلَكَتْهُ هَزَّةُ عِزَّةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَضُفْكَةُ اسْتِبْشَارِ

١٣٢ لابن الازرق الاندلسي في مدح الرئيس ابي يحيى بن عاصم وتهنئه بعيد

يَا مُطْلِعَ الْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى
بِكَ مَجْلِسُ الْأَنْسِ أَطْمَآنٍ وَبِابْنِ عَا
بَدْرُ بَانَوَارِ الْهَدَى مُتَطَّلِعُ
حَامِي فَلَمْ زَرَعِ لِحَطْبٍ يَعْتَرِي
شَيْمٌ مَهْدَبَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ
لَوْ كَانَ شَخْصًا ذَكَرَهُ لَبَدَأَ عَلَى
ذَاكُمْ أَبُو يَحْيَى بِهِ تُحْمَى الْعُلَى
بَيْتٌ عَلَى عَمْدِ الْفَخَّارِ مُطَبَّبُ
إِنَّا لَنَعْدُو هِيمًا فَيُدْنَا
حَتَّى أَقْنَا وَالْأَمَانِي مِنْهُضَا
لَمْ نَدْرِ قَبْلَ يَرَاعِهِ وَبَنَانِهِ
هَنَّ الْيَرَاعُ بِهَا يُؤْمَنُ خَائِفُ
مَهْمَا أَنْبَرَتْ فَهِيَ السَّهَامُ يُرَى لَهَا
يَشْفَى بِمَا مَلِهَ الشَّكِيُّ الْمُعْتَرَى
قَدْ جَمَعَ الْأَصْدَادَ فِي حَرَكَاتِهِ
عَطْشَانُ ذُو رِيٍّ يَبِيسُ مُشْرِ
لِلَّهِ مِنْ تِلْكَ الْيَرَاعِ جَوَادِبُ
رُضْنَا شِمَاسَ الْقَوْلِ فِي أَوْصَافِهَا

وَمُشْعِشَ الصَّهْبَاءِ نَارًا تُلْمَسُ
صِمٌّ أَطْمَآنٌ مِنَ الرَّئَاسَةِ مَجْلِسُ
غَيْثُ بَاشْتَاتِ الْوَدَى مُتَجَسِّسُ
وَوَفَى فَلَمْ تَحْفَلْ بِدَهْرِ يَنْجَسُ
وَمَكَارِمُ هُنَّ وَمَجْدُ أَقْعَسُ
أَعْطَافِهِ مِنْ كُلِّ حَمْدٍ مَلْبَسُ
وَبِهِ خِلَالُ الْفَخْرِ طَرًّا تُحْرَسُ
مَجْدٌ عَلَى مَتْنِ السَّمَاءِ مُؤَسَّسُ
رِيًّا وَيُوحِشُنَا النَّوَى فَيُؤَلَّسُ
تُ وَأَبْتَسْمَنَا وَالزَّمَانُ مُعْبَسُ
أَنَّ الدَّوَابِلَ بِالْغَمَامِ تَجَسُّسُ
وَيُحَاطُ مَذْعُورٌ وَيَغْنَى مُفْلَسُ
وَقَعَ لِأَغْرَاضِ الْبَيَانِ مُقْرَطُسُ
يَحْيَا بِمَا مَنَّهُ الْحَمَامُ الْمُؤَلَّسُ
فَلِذَا أَطْرَادُ فَخَارِهِ لَا يُعْكَسُ
غَضْبَانُ ذُو صَفْحٍ فَصِيحُ أَخْرَسُ
لِلسَّحْرِ مِنْكَ كَأَنَّهَا الْمُغْنِيطُسُ
فَهِيَ الَّتِي رَاضَتْ لَنَا مَا يَشْمُسُ

وَالْيَكْمَا حَلًّا تَشَابَهَ نَسْجُهَا
وَأَهْنَأُ بَعِيدَ بِاسِمٍ مُتَهَلِّلٍ
وَأَحْبَسُ لَوَاءَ الْفَخْرِ مَوْقُوفًا فَإِمَّا نَ الْحَمْدَ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ مُحْبَسُ

لاي تمام في هارون الواثق بالله من قصيدة

١٣٤

سِيرُوا بَنِي الْحَاجَاتِ يُنْجِ سَعِيكُمْ
فَالْحَادِثَاتِ بَوْبِهِ مَصْفُودَةٌ
حَمَلُوا ثِقِيلَ أَلْهَمٍ وَأَسْتَتَى بِهِمْ
حَتَّى إِذَا أَلْقَوْهُ عَنْ أَكْتَافِهِمْ
وَجَدُوا جَنَابَ الْمَلِكِ أَخْضَرَ فَاجْتَلَوْا
أَلْفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدَهُ
فَعَدَوْا وَقَدَّ وَثِقُوا بِرَأْفَةٍ وَاثِقِ
مَلَكُوا خِطَامَ الْعَيْشِ بِالْمَلِكِ الَّذِي
مَلِكٌ إِذَا خَاضَ الْمَسَامِعَ ذِكْرُهُ
لَيْتَ إِذَا خَفِيَ أَلْوَاءُ رَأْيَتِهِ
لِحَيَاضِهَا مُتَوَرِّدٌ وَلِحِطْطِهَا
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ
وَلَقَدْ رَأَيْتَاهَا لَهُ يَقُولُونَا
وَلَذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ حِلَّةٌ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَذًى تَرَعَرَ أَنَّهُ

غَيْثُ سَحَابِ الْجُودِ مِنْهُ هَيُونُ
وَالْحُلُ فِي شُؤْبِهِ مَسْجُونُ
سَفَرُ يَهْدُ الْمَنِّ وَهُوَ مَتِينُ
بِالْعَزْمِ وَهُوَ عَلَى النَّجَاحِ ضَمِينُ
هَارُونُ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونُ
خَضِلُ الْعُغَامِ وَظِلُّهُ مَسْكُونُ
بِاللَّهِ طَارِدُهُ لَهْمٌ مَيُونُ
أَخْلَاقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ حُصُونُ
خَفَّ الرَّجَاءُ إِلَيْهِ وَهُوَ رَكِينُ
يَعْلُو قَرَأَ الْهَيْمَاءُ وَهِيَ زُبُونُ
مُتَعَمِّدٌ وَبَثْدِيهَا مَلْبُونُ
سُجْنَانُهُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ
وَضُهُورُ خُطْبٍ دُونَهَا وَبُطُونُ
صِدْقٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عِيُونُ
لَأَمِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

يَا أَبْنَ الْخَلَائِفِ إِنَّ بُرْدَكَ مِلْوُهُ
يَسْمُوكَ السَّفَاحُ وَالْمَنْصُورُ وَأَا
مَنْ يَنْشُ صَوْءَ أَلَاكَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ
فُرْسَانُ مَمْلَكَةِ أَسْوَدُ خِلَافَةٍ
فِي دَوْلَةٍ بَيْضَاءَ هَارُونِيَّةٍ
قَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ فِي سُلْطَانِهَا
يَفِيْدِي أَمِينَ اللَّهِ كُلِّ مُنَافِقٍ
مِمَّنْ يَدَاهُ يُسْرِيَانِ وَلَمْ تَزَلْ
تُدْعَى بِطَاعَتِكَ الْوُحُوشُ فَتَرْعَوِي
مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مُرْتَقَى مَجْدِ أَلَا

كَرَّمَ يَذُوبُ الْمُرْنُ مِنْهُ وَلَيْنُ
مَهْدِيٍّ وَالْمَعْصُومُ وَالْمَأْمُونُ
مَلَأَ لَدَى مَلَأِ السَّمَاءِ مَكِينُ
ظِلُّ الْهُدَى غَابَ لَهُمْ وَعَرِينُ
مُتَكَفِّهَاهَا النَّصْرُ وَالْتِمَكِينُ
وَالْهِنْدُ بَعْضُ ثُغُورِهَا وَالصَّيْنُ
شَنَانُهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ كَمِينُ
فِينَا وَكَلْنَا رَاحَتِكَ يَمِينُ
وَالْأَسَدُ فِي عِرْسِهَا فَتَدِينُ
كُلُّ أَفْتَحَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونَ

١٣٥ وله في المعتمد بالله عند فتح عمورية عاصمة الروم

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
بَيْضُ الصَّفَاحِ لِأَسْوَدُ الصَّخَائِفِ فِي
وَالْعِلْمُ فِي شَهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ
أَيُّ الرِّوَايَةِ بَلَّ أَيْنَ التَّجُومُ وَمَا
تَحَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَقَّقَةً
عَجَائِبًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْهَلَةً
وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ
فَتَحَ الْقُتُوحُ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ

فِي حَدِّهِ الْحُدَّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
مُتَوْنِينَ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
بَيْنَ الْحَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشَّهْبِ
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرِ فِيهَا وَمَنْ كَذِبِ
لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرْبِ
عَنْهُمْ فِي صَفَرٍ أَوْ صَفَرٍ أَوْ رَجَبِ
إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغُرِّيُّ ذُو الدَّنَبِ
نَظَمَ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ تَرَنَّمَ مِنَ الْخُطْبِ

فَتَحَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
يَا يَوْمَ وَقَعَتْ غُصُورِيَّةٌ أَنْصَرَفَتْ
أَبْقَتْ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدِ
أُمِّ لَهْمٍ لَوْ رَجَوْنَا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا
وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
بَكَرُ فَمَا أَفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا
أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةٌ
جَرَى لَهَا الْقَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ
بِسَنَةِ السَّيْفِ وَالْحُطْبِيِّ مِنْ دَمِهِ
لَقَدْ تَرَكْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
غَادَرْتُ فِيهَا بِهَيْمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى
حَتَّى كَانَ جَلَابِيبُ الدُّجَى رَغَبَتْ
ضَوْءُ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
تَصْرَحُ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا

وَبَرَزُوا الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبُ
عَنْكَ أُمْنَى حَقًّا مَعْسُولَةٌ الْحَلَبِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرْكِ فِي صَبَبِ
فِدَاءِهَا كُلُّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ
كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبِ
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ الثُّوبِ
مَخْضَ الْحَلِيَّةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحُثْبِ
مِنْهَا وَكَانَ اسْتِمَاءُ فَرَاةٍ الْكُرْبِ
إِذْ غَوْدَرَتْ وَحْشَةُ السَّاعَاتِ وَالرَّحْبِ
كَانَ الْحَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
قَانِي الدَّوَابِّ مِنْ أَيِّ دَمٍ سَرَبِ
لَا سَنَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مَخْتَضِبِ
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْحَشْبِ
يَقِيلُهُ وَسَطَهَا صُجُجٌ مِنَ اللَّهَبِ
عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَقِبِ
وِظْلَمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شُجْبِ
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
عَنْ يَوْمٍ هَيِجَاءٍ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنْبِ

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
مَا رُبِعَ مِئَةٍ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ
لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كُنْتُ
تَذِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُتَّقِمٍ
وَمَطْعُمٍ النَّصْلُ لَمْ تَكْهَمْ أَسْلَتُهُ
لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ
لَوْ لَمْ يَقْدَحْ جَفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا
رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبَوْهَا وَاثْقَيْنِ بِهَا
وَقَالَ ذُو أَمْرِهُمْ لَا مَرْتَعُ صَدْرُ
أَمَانِيَا سَلَبْتَهُمْ نَجْحَ هَاجِسِيهَا
إِنَّ الْحِمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرٍ
لَيْتَ صَوْتَا زِبْطَرِيَا هَرَقَتْ لَهُ
عِدَاكَ حُرَّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
أَجَبْتَهُ مُعَلَّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلَّتَا
حَتَّى تَرَكْتَ عُمُودَ الشَّرْكِ مُنْقَعَرَا
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنُ تَوَفْلِسُ
غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ خَزِينَتَهَا
هِيَ هَاتِ زُعْزَعَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورُ بِهِ

بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَتْرُبْ عَلَى عَزَبٍ
غَيَّلَانَ أَبْهَى رَبِّي مِنْ رُبْعِهَا الْحَرْبُ
لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقَضْبِ
لِلَّهِ مَرْغَبٌ فِي اللَّهِ مَرْغَبٌ
يَوْمًا وَلَا حِجَّتَ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَهَا فِي جَفَلٍ لَجِبٍ
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصَبِ
وَاللَّهُ مُفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبٍ
ظَبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَتَا السُّلْبِ
دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ
كَأَسِ الْكُرَى وَرَضَابِ الْحُرْدِ الْعَرَبِ
بَرَدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْخُصْبِ
وَلَوْ أَجَبْتَ بَغِيرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ
وَلَمْ تُعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
فَعَزَّهُ الْبُحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعَبَبِ
عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مُكْتَسِبِ

لَمْ يُفَقِ الذَّهَبَ الْمُرَبِّي بِكَثْرَتِهِ
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا
وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْحَطِيئُ مَنْطِقَهُ
أَحْسَى قَرَابِنَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى
مُوكَّلاً يَفْقَاحُ الْأَرْضَ يُشْرِفُهُ
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوُ الظَّلِيمِ فَقَدْ
تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
يَارِبُ حَوْبَاءُ لَمَّا أَجْتَتْ دَائِرَهُمْ
وَمُغْضِبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقِ لَجِبٍ
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَرٍ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا
كَمْ أَحْرَزَتْ قَضِبُ الْهِنْدِيِّ مِصْلَتَهُ
بِيضٌ إِذَا انْتَضَيْتِ مِنْ حُجُبِهَا رَجَعَتْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ جَارَى اللَّهِ سَعِيكَ عَنْ
بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
فَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّائِي نَصُرَتْ بِهَا
أَبَقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَصْفَرِ كَأَسْمِهِمْ

عَلَى الْحَصَى وَبِهِ قَفَرٌ إِلَى الذَّهَبِ
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلَبِ
بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبٍ
يَحْتُ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ
مِنْ خَفَةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خَفَةِ الطَّرَبِ
أَوْسَعَتْ جَاغِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ
جُلُودُهُمْ قَبْلَ تَضَجِّعِ التِّينِ وَالْغِنَبِ
طَابَتْ وَلَوْ ضَمِجَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ
حَيَّ الرِّضَاعُ عَنْ رَدَاهُمْ مِيتَ الْغَضَبِ
تَجَنُّو الرِّجَالَ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنْبِ
إِلَى الْمُخْدَرَةِ الْعُذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ
تَهْتَرُّ مِنْ قَضِبٍ تَهْتَرُّ فِي كَتَبِ
أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبَدَانًا مِنَ الْحُجْبِ
جُرْثُومَةُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسْبِ
تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
مَوْصُولَةٌ أَوْ ذِمَامٌ غَيْرُ مُقْتَضِبِ
وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَدْرٍ أَقْرَبُ السَّلَبِ
صَفَرُ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

للتلمساني في مدح الملك المنصور محمد بن عثمان الايولي

١٣٦

أَخَافُ صَرْفَ الدَّهْرِ أَمْ حَدَثَانَهُ وَالْدَّهْرُ لِلْمَنْصُورِ بَعْضُ عَيْدِهِ
 مَلِكٌ نَدَاهُ فَكُنِّي وَأَنْتَ أَشْنِي مِنْ مَخْلِيهِ وَمِنْ إِسَارِ قِيُودِهِ
 مَلِكٌ إِذَا حَدَّثْتَ عَنْ إِحْسَانِهِ حَدَّثْتُ عَنْ مُبْدِي النَّدَى وَمُعِيدِهِ
 سَادَ الْمُلُوكَ بِفَضْلِهِ وَبِنَفْسِهِ وَالْعِزُّ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
 وَإِذَا تَرَمَّتْ أَرْوَائُهُ بِمَدْحِهِ وَثَنَائِهِ أَهْتَرَّتْ مَعَاطِفُ جُودِهِ
 لِأَيِّ الْمَعَالِي رَاحَةً وَكَفَافَةً كَأَلْفَيْتِ يَوْمَ بَرُوقِهِ وَرَعُودِهِ
 صَبُّ بِتَحْصِيلِ الشَّاءِ وَجَمْعِهِ كَلَفُ بَيِّذْلِ أُمَالٍ أَوْ تَبْدِيدِهِ
 مَا زَالَ يَشْتَمِلُ حَاسِدِيهِ نَوَالَهُ حَتَّى أَقَرَّ بِهِ لِسَانُ حَسُودِهِ
 سَلَ عَفْوُهُ وَحُسَامُهُ فِي غَمْدِهِ وَحَذَارُ ثُمَّ حَذَارُ مِنْ تَجْرِيدِهِ
 يَغْشَى الْوَرَى مُتَقَعًا بِرَدَائِهِ وَيُخَوِّضُهَا مُتَسَرِّبًا بِمُحْدِيدِهِ
 قَتَرَى الشَّحَاحَ يَفِرُّ مِنْهُ مَهَابَةً وَالْمَوْتُ بَيْنَ لَهَايَةِ وَوَرِيدِهِ
 يَتَهَقَّرُ الْجَيْشُ اللَّهُامُ خَفَافَةً مِنْهُ إِذَا وَافَى أَمَامَ جُنُودِهِ
 وَتَعُودُ خُفْقَةُ الرَّجَاءِ عِدَائُهُ وَقُلُوبُهَا خَفَافَةٌ كَبُنُودِهِ
 فِي مَعْرَكٍ إِنْ كُسِرَتْ فِيهِ أَلْقَنَا وَصَلَ الْحُسَامُ رُكُوعَهُ بِسُجُودِهِ
 جَارَى أَلْفَمَامَ قَفَاتِهِ بِنَوَالِهِ كَرَمًا وَفَاقَ كَبِيرَهُ بِزَهِيدِهِ
 وَالْدِّينُ أَصْلُهُ وَشَدَّ مَنَارَهُ حِينَ أَعْتَى بِحُفُوقِهِ وَحُدُودِهِ
 وَالْمَلِكُ لَمْ يَتَفَكَّ يُعْمَلُ عَزْمُهُ فِي نَصْرِ ظَاهِرِهِ وَنُصْحِ سَعِيدِهِ
 إِنْ أُنْشَايَا وَالْأَمَانِي لَمْ تَرَلْ طَوْعًا لِإِسَابِقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ

وَأَرَى الْحَيَاةَ لِدَيْدَةٍ بِحَيَاتِهِ
 فَلَوْ أَنِّي خَيْرْتُ مِنْ دَهْرِي الْمُنَى
 يَا آلَ أَيُّوبَ جُزَيْتُمْ صَالِحًا
 وَنَعِمْتُمْ مَا أَفْتَرَعَنْ ثَغْرِ الصُّحَى
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعُلَى
 أَمَا الزَّمَانُ فَأَنْتَ دُرَّةُ عَقْدِهِ
 وَالشَّعْرُ أَنْتَ أَحَقُّ مِنْ يَهْتَرُعُهُ
 فَاسْلَمَ لِلْمَلِكِ بَلِّ لِمَجْدِ أَنْتَ فِي

وَأَرَى الْوُجُودَ مُشْرِقًا بِوُجُودِهِ
 لَاخْتَرْتُ طَوْلَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
 عَنْ مُحْسِنٍ مَدَحَ الْمُلُوكِ مُجِيدِهِ
 صُبْحٌ وَمَا فَضَحَ الدُّجَى بِعَمُودِهِ
 فَتَنَى عِنَانَ الْفِكْرِ عَنْ تَحْدِيدِهِ
 وَسَنَانُ صَعْدَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
 دَسَمَاعِهِ وَيَمِيلُ عِنْدَ كَشِيدِهِ
 تَأْسِيسِهِ وَاللَّهُ فِي تَأْيِيدِهِ

لاي الطيب المتنبي في الحسين بن اسحاق التوخي

١٣٧

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِقُ
 وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ
 وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَنًا وَقُوفَنَا
 فَرِيقِي هَوَى مِنْ مَشُوقٍ وَشَاقِ
 وَقَدْ صَارَتِ الْأَجْفَانُ قُرْحَى مِنْ أُنْبَكَا
 وَصَارَ بَهَارًا فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ
 عَلَى دَامَضَى النَّاسِ اجْتِمَاعُ وَفُرْقَةُ
 وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقُ
 تَغْيِيرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا
 وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْفُرَاتِ
 وَلَيْلَ دُجُوجِي كَأَنَّا جَلْتُ لَنَا
 مُحْيَاكَ فِيهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالَقُ
 فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جَنَحُهُ
 وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنِّي
 شَدَوَا بَابِنِ اسْحَاقِ الْحُسَيْنِ فَصَاحَتْ
 مِنْ تَقْشِيرِ الْأَرْضِ خَوْفًا إِذَا مَشَى
 وَلَا جَاهَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْآيَاتُ
 مِنْ السُّكْرِ فِي الْغُرُزَيْنِ ثَوْبُ شَبَارِقُ
 ذَفَارِيهَا كَيْرَانُهَا وَالنَّمَارِقُ
 عَلَيْهَا وَتَرْتَجُ الْجِبَالُ الشَّوَاهِقُ

فَقِيَ كَالسَّحَابِ الْجَوْنِ يُخَشَى وَيُتَجَمَّى
وَلَكِنَّهَا تَمُضِي وَهَذَا تَحِيَّمٌ
تَحَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لَيْتَسَى فَمَا خَلَّتْ
عَدَا الْهِنْدُ وَانِيَّتْ بِالْهَامِ وَالطَّلَى
تُسَقِّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبَ إِذَا غَزَا
يُجَنِّبُهَا مِنْ حَتْمِهِ عَنْهُ غَافِلٌ
يُحَاجِي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ
نَكَرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي
كَأَنَّكَ فِي الْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ
أَلَا قَلَمًا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا
سَيِّئِي بِكَ السَّمَارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ
فَمَا تَرَزَّقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ
وَلَا تَقْشِقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاقٍ
لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٌ مِنْ غَيْرِكَ الْغَنَى
هِيَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرَوَيْتُكَ الْمُنَى

١٣٨ وقال ابو الطيب يمدح ابا شجاع فاتكأ وكان يُلقَّب بالحنون

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ
وَأَجَزُ الْأَمِيرِ الَّذِي نَعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
فَرَبَّمَا جَزَتْ الْإِحْسَانَ مُوْلِيَهُ
فَلَيْسَعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
بَغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ
خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مَكْسَالُ

وَأِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشَّكْلِ تَنْعِنِي
وَمَا شَكَّرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي
لَكِنْ رَأَيْتُ قِيمًا أَنْ يُجَادَ لَنَا
فَكُنْتُ مُنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكِرَهُ
غَيْثُ يَبِينُ لِلنَّظَارِ مَوْقِعُهُ
لَا يُدْرِكُ الْحَمْدُ إِلَّا سَيِّدُ قَطْنُ
لَا وَارِثُ جَهْلَتِ يَمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ
قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَافْهَمَهُ
تَدْرِي الْقَتَاةُ إِذَا أَهْتَرَّتْ بِرَاحَتِهِ
كَفَاتِكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ
أَلْقَابُ الْأَسَدِ غَدَّتْهَا بَرَاثُهُ
أَلْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ
تَغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ
لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ
تَسْمِي الضُّيُوفِ مُشَاهَدَةً بِعُقُوتِهِ
لَوْ أَشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا
لَا يَعْرِفُ الرُّزْءُ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدُ
يُزَوِّي صَدَى الْأَرْضِ مِنْ قَضَلَاتٍ مَا شَرِبُوا
تَقْرِي صَوَارِمَهُ السَّاعَاتِ عَبَطَ دَمُ

ظُهُورَ جَرِي فَيَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ
سَيَّانَ عِنْدِي إِكْثَارُ وَإِقْلَالُ
وَأَنَّا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالُ
غَيْثُ بَغِيرِ سَبَاحِ الْأَرْضِ هَطَالُ
أَنَّ الْغَيْوُثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالُ
لِمَا يَشْقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ
وَلَا كُتُوبُ بَغِيرِ السَّيْفِ سَالُ
أَنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَدَالُ
أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلُ وَأَبْطَالُ
كَالسَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ
بِمِثْلَهَا مِنْ عِدَادِهِ وَهِيَ أَشْبَالُ
وَالسَّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ أَجَالُ
وَمَا لَهُ بِأَقْصَى الْبَرِّ أَهْمَالُ
غَيْرُ وَهَيْقُ وَخُسَاءُ وَذِيَالُ
كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطَّيْبِ آصَالُ
خَرَّادِلُ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ
إِلَّا إِذَا أُحْتَفَزَ الصَّيْفَانِ تَرَحَالُ
مَحْضُ اللَّفَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ
كَأَنَّمَا السَّاعُ زُرَّالُ وَقُقَالُ

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوْلَهُ مُحَاطَةً
لَا يَحْرُمُ الْبُعْدَ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ طِبَّةٌ
يُرِيكَ مَخْبَرَهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ
وَقَدْ يَلْقَاهُ الْمُجْنُونُ حَاسِدُهُ
يَرْمِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ وَلَهَا
إِذَا أَلْعَدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ
يُرْوِعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا
أَنَالَهُ الشَّرَفُ الْأَعْلَى تَقْدُمُهُ
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتُهُ
أَبُو شِجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةُ
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَائِيلُ مُضَاعَفَةٌ
وَكَيْفَ أَسْتَرْتُمْ مَا أَوْلَيْتُمْ مِنْ حَسَنِ
لَطَفْتِ رَأْيِكَ فِي بَرِّي وَتَكْرَمَتِي
حَتَّى غَدَوْتَ وَالْأَخْبَارُ تَجْوَالُ
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طَوْلُ لَا يَسِيهِ
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَحْتَالَ فِي بَشَرٍ
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا
مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالُ
وَعَيْرٌ عَاجِزَةٌ عَنْهُ الْأَطْفَالُ
وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمُرُ ضَلَالُ
بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْأَلُ
إِذَا اخْتَلَطَنَ وَبَعْضُ الْعُقُلِ عُقَالُ
مِنْ شَقِيهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ
لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِيَالُ
مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَالُ
فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالُوا
مَهْدٌ وَأَصَمُّ الْكُعْبِ عَسَالُ
هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْمَاءِ أَهْوَالُ
فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالُ
وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَآذِي سِرْبَالُ
وَقَدْ غَمَرَتْ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ
إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعُلِيَاءِ يَحْتَالَ
وَاللُّكُوكِ فِي كَفَيْكَ أَمَالُ
إِنَّ الشَّأْنَ عَلَى التَّنْبَالِ تَنْبَالُ
فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَحْتَالَ
إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْفَضَالِ مِفْضَالُ

وَلَا تُعَذِّبْكَ صَوَانَا لِمُحِبَّتِهَا
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ
إِنَّا لَنَبِي زَمَنٍ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ
ذِكْرُ الْقَتْلِ عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ
مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

وللمتنبى يمدح سيف الدولة ويذكر بناء قلعة الحُدَّتْ

١٣٩

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا
يُكَفُّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْحِلْسَ هَمَّهُ
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ
يُفِدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمَرَا سِلَاحَهُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبِ
هَلْ أَحْدَثَ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا
سَقَتْنَا الْعَمَامُ الْعُرْقُبِلَ زُؤُلَهُ
بَنَاهَا فَاغْلَى وَالْقَنَا تَفْرَعُ الْقَنَا
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ
طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَّتْهَا
تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ
وَكَيْفَ تَرْجِي الرُّومَ وَالرُّوسَ هَدَمَهَا
وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامُ
وَقَدْ مَحَظَّتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ
وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاعِمُ
نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَثُهَا وَالْقَشَاعِمُ
وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ
وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِينَ الْعَمَامُ
فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتَهَا الْجَمَاجِمُ
وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مِتْلَاطِمُ
وَمَنْ جُثَّ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَامُ
عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيئِ وَالْدَّهْرُ رَاغِمُ
وَهَنَّا لِمَا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمُ
وَذَا الطَّعْنُ آسَاسُهَا وَدَعَامُ

وَقَدْ حَاكُمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمُ
أَتَوَلَّى يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ
خَمِيسُ بَشْرِقِ الْأَرْضِ وَالْعَرْبُ رَحْفُهُ
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ
فَالْهَ وَفَتْ ذَوْبُ الْغَشِّ نَارُهُ
تَقْطَعُ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْفَسَا
وَقَفَتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّهَا هَزِيمَةً
تَجَاوَزَتْ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ
صَهْمَتْ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ صَمَةً
يَضْرِبُ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ
حَقَرَتْ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ نَثْرَةَ
تَدْوَسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الدَّرَى
تَظُنُّ فِرَاحَ الْفَتْحِ أَنَّكَ زُرْتَهَا
إِذَا زَلَقْتَ مَشْيَتَهَا بِبُطُونِهَا
أَيُّ كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتَقِ مُقَدِّمُ

فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ
سَرَوْا بِحَيَادٍ مَا لَهْنٌ قَوَائِمُ
ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلَهَا وَالْعَمَائِمُ
وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ
فَمَا تُفْهِمُ الْخُدَّاتِ إِلَّا التَّرَاجِمُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمُ
وَقَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ
وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَشَرَّكَ بِاسِمُ
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ
تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ
وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَائِمُ
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
كَمَا نَثَرْتَ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ
بِأُمَاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ
كَمَا تَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ
قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ

أَيْنَكُرُ رِيحَ اللَّيْلِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفْتَ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمُ
وَقَدْ فَجَعْتَهُ بِأَبْنِهِ وَأَبْنِ صَهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاصِمُ
مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فِرَتِهِ الطُّبَا بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرِفَةِ فِيهِمْ عَلَى أَنَّ أَصَوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ
يُسِرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَائِمُ
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمُ
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعْتَ فِي مِسْمَعِيهِ الْغَمَاصِمُ
أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَسْتَ مُغْنَمًا وَلَا فِيكَ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْكَ عَاصِمُ
هَنِيئًا لِمَنْ لَضَرَبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى وَرَاحِيكَ وَالْإِسْلَامِ إِنَّكَ سَالِمُ
وَلَمْ يَلَيْقِ الرَّحْمَانُ حَدِيثَكَ مَا وَفَى وَتَفْلِيئُهُ هَامَ الْعِدَى بِكَ دَائِمُ



الباب الحادي عشر في المراسلات

مراسلات بين الملوك والأعيان

كتاب أبي القاسم بن الجدة عن أمير المسلمين إلى أهل سبته

١٤٠ كتابنا إياكم الله وأكرمكم بتقواه . ويسركم لما يرضاه . واسبغ عليكم نعمه . وقد رأينا والله بفضلِهِ يقرن جميع آرائنا بالتسديد . ولا يخلنا في كافة أبحاثنا من النظر الحميد . ان نولي أبا زكرياء يحيى بن أبي بكر محل ابننا . الناشء في حجرنا . أعزّه الله وسدّدهُ فيما قلّدناه إياه من مدينتي فاس وسبته وجميع أعمالها حرسها الله على الرسم الذي تولّاه غيره قبله . فأنفذنا ذلك له . لما توسّناه من مخايل النجاة قبله . ووصناه بما نرجوان بحثيذه ويمثله . ويجري قوله وعمله . ونحن من وراء اختباره . والفحص عن أخباره . لانتج بحول الله في امتحانه وتجربيه : العناية بتجريبه وتدريبه . والله عزّ وجلّ يحقق مخيلنا فيه . ويوفقه من سداد القول والعمل إلى ما يرضيه . فاذا وصل اليكم خطابنا فالتزموا له السمع والطاعة . والنصح والمشايعه جهد الاستطاعة . وعظّموا بحسب مكانه منا قدره . وامثلوا في كل عمل من أعمال الحق ضيه وأمره . والله تعالى يمده بتوفيقه وهدايته ويعرفكم بين ولّيته بعزّه (لابن خاقان)

كتاب خالد إلى أبي بكر يخبره بفتح أجنادين

١٤١ بسم الله الرحمن الرحيم إني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . ثم أزيدُه حمداً وشكراً على سلامة المسلمين ودمار الأعداء واخمد جمرهم وانصداع بضهم . واثأ لقينا جموعهم بأجنادين مع وُرْدان صاحب حمص وقد نشر واكتهم ورفعوا اعلامهم وتقاسموا بدينهم ان لا يفرون ولا ينهزمون . فخرنا اليهم وايقناً بالله متوكلين على الله فعلم ربنا ما اضرنا في اقتدنا وسائرنا فرزقنا الصبر وأيدنا بالنصر . وكبت اعداء الله قتلنا منهم في كل فتح وشبّ وواد . وجملة من احصينا من الروم مئةً قتل خمسون ألفاً وقتل من المسلمين في أوّل يوم وثانيه اربع مائة وخمسة وسبعون رجلاً ختم الله لهم بالشهادة . ونحن راجعون إلى دمشق فادع الله لنا بالنصر . والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته (فتوح الشام للوافدي)

كتاب الحريري إلى المسترشد بالله لما ولي الخلافة بعد المستظهر

١٤٢ للدهر أعزّ الله أنصار الديوان العزيز وادام له مساعفة الأقدار . ومضاعفة الأقتدار . وإبلاء صنائع المبار . والاستيلاء على جوامع المسار . خطوط متفاضلة القيم . كتفاضل ما تشيه

من القُوم . وضروب متفاوتة الدَرَج . بحسب ما تنفيه من المُنْع . فاعظهما ايلاً للقلوب . واضراماً
للكروب . واستجلاباً للواعج الضوم . واجبالاً للوازح الحزن على العموم . رزقاً تسام فيه الانام . واطلقت
ليومه الأيام . وكان في معاهد الخلافة ناجماً . وعلى سدة الامامة المقدسة هاجماً . كالفيضة بطود
الدين الشامخ . ودوحة المجد الباذخ . وبحر الكرم الزاخر . وقبلة الماثر والمفاخر . وها هو خطب
كاد يشيب منه الاطفال . وتنشق الأرض وتحتر الجبال . غير ان الله جلت اسماءه . وتعظم
علاؤه . نظر لأصناف عبيده . ومن على أهل توحيدِهِ . باستخلاف المسترشد بالله . ولولا هذه
المنحة التي انتاشت الدين . وجبرت مصاب المسلمين . لفسدت الأرض . ولكن الله ذو الفضل على
العالمين . نشر الله في الخافقين اعلام دولته . وحلى تواريج السير بمناب سيرته . وحقق آمال
المستشفعين والمستضعفين في اسعافه ونصرته . قد التزم الخادم من شرائط هذين الأمرين
المقدورين . والمقامين المشهورين . ما يلتزمه المباهي باخلاص الطاعة . المتناهي في الخدمة المستطاعة

١٤٣ كتاب ابن ضماح الى المعتمد يغيره بقتل ابن زيدون وزيره

يا أجمع الملك العلي الأعظم
واحسم بسيفك داء كل منافق
لا تحقرن من الكلام قليله
فاحسم دواعي كل شر دونه
كم سقط زندي قد غا حتى غدا
وكذلك السيل الخفاف فائغا
واذكر صنيع أهلك أول مرة
لم يبق منهم من توقع شره
فعلى م تنكل عن صنيع مثله
وجنائك الثبت الذي لا يثني
والحال أوسع والعوالي حمة
لاتؤكّن للناس موضع همة
قد قال شاعر كندة فيما مضى
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
فاجعله قدوتك التي تعادها
واسلم على الأيام انك زينها
لازك بالنصر العزيز مهتئاً
ووقيت مكروه الحوادث واعتدت

اقطع وريدي كل باغ ينثم
بيدي الجميل وضد ذلك يكم
ان الكلام له سيف تنكلم
فالداء يسري ان غدا لا يحسم
بركان نار كل شيء يحطم
أولاه طلل ثم وبل يسيم
في كل متهم فانك تعلم
فصفت له الدنيا ولد المطعم
ولانت امضى في الخطوب وأشهم
وحسامك الغضب الذي لا يكم
والمجد أشم والصريمة صبغ
واحزم فتلك في العظام يحزم
بيتاً على مر الليالي يعلم
حتى يراق على جوانبه الدم
في كل ما بقي وأليك أحكم
وجمالها والدهر دونك ما تم
والدين عن محمود سعيك يسيم
طير السعد بآيككم تريم

كتاب ألفنس بن سانشيس الى المعتمد

(لما ملك اذفنش ابن شانجه اعمال طليطلة طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها . وهابت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دائرتها وخاطب المعتمد على الله ابا القسم بن عباد يطلب منه تسليم اعماله الى رسله وعماله وتشطط عليه في الطلب . وظهر له السرور بالغلب . فها خاطبه به)
 ١٤٤ من الأنيطور ذي المتين الملك المفضل اذفنش بن شانجه الى المعتمد بالله سدد الله آراءه وبصره مقاصد الرشاد . سلام عليك . من مشيد ملك شرفته القنا . وبتت في ربيع النى . باغترار الرمح بعامله . والسيف بساعد حامله . وقد ابصرتم بطليطلة تزال اقطارها . وما حاق باهلها حين حصارها . فاسلمتم اخوانكم . وعطلم بالدعة زمانكم . والحذر من ايقظ باله . قبل الوقوع في الحباله . ولولا عهد سلف بيننا نحفظ زمانه . ونسعى بنور الوفاء امامه . لنهض بنا نحوكم ناهض الغزم ورائده . ووصل رسول الغزو ووارده . لكن الأقدار . تُقطع بالاعذار . ولا يجعل الآ من خاف الفتوت فيا يرومه . او خشي الغلبة على ما يسومه . وقد حملنا الرسالة اليك ألفنس البرهانس وعنده من التسديد الذي تلقى به امثالك . والعقل الذي تدبر به بلادك ورجالك . ما اوجب استنابته فيا يدق ويحل . فيا يصح لا فيا يخل وانت عندما تأتبه من آرائك . والنظر بعد هذا من ورائك . والسلام عليك . يسعى بيمينك وبين يديك (تاريخ العباديين)

جواب المعتمد بالله الى الملك ألفنس بن سانشيس

١٤٥ من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله ابي عمرو بن عباد الى اذفنش بن شانجه الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذى المتين قطع الله بدعواه . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فانه أول ما يبدأ به من دعواه انه ذو المتين والمسلمون احق بهذا الاسم لان الذي تملكوه من امصار البلاد . وعظيم الاستعداد . ومحبي المملكة لا تبلغه قدرتكم . ولا تعرفه ملتكم . وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديك . واغفل عن النظر السديد جميل مباديك . فركبنا مركب عجز نسيه الكيس . وعاطيناك كؤوس دعة قلت في اثنائها ليس . ولم تستحي ان تأمر بتسام البلاد لرجالك . وانا لنحب من استعمالك . براى لم تحكم انجاؤه . ولا حسن انتجاؤه . واعجابك بضع وافقتك فيه الاقدار . واعتبرت بنفسك اسوأ الاغترار . وتعلم انا في العدد والعديد . والنظر السديد . ولدنيا من كماء الفرسان . وحمل الانسان . وحماة الشجعان . يوم يلتقي الجمعان . رجال تدرعوا الصبر . وكروهوا القبر . تسيل نفوسهم على حد الشفار . وينعاهم النام في القفار . يدبرون رضى المنون بعراكات العزائم . ويشفون من خطب الجنون بمجواتم العزائم . وقد اعدوا لك ولقومك جلاداً رتبة الاتفاق . وشفارا حداداً شحذها الاصفاق . وقد يأتي المحبوب من المكره . والندم من عجلة الشروه . نهت من غفلة طال زمانها . وايقظت من نومة تعجد ايمانها . ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يد صاعدة . او وثقة

متساعده . الأذل تعلم مقداره . وتحقق مثاره . والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيتك
وتقريبك بما الموت دونه . وبالله نستعين ولا نسقط في سيرنا اليك والله ينصر دينه . والسلام
على من علم الحق فاتبه . واجتنب الباطل وحده

مكتوب المعتد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يستجده على الاذفئش

١٤٦ (من اشيلية في غرة جمادى الاولى سنة ٣٧٩) . ايد الله امير المؤمنين ونصره ونصر
به الدين فاننا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا . وتفرق جمعنا . وتغيرت انسانا .
بقطع المادة من خيفتنا . فصرنا فيها شعوباً لا قبائل واشتاتاً لا قرابة ولا عشاير . فقلنا ناصرنا وكثر
شامتنا . وتولى علينا هذا العدو المحرم اللعين اذفئش . واناخ علينا بكل كليله ووطئ بقدمه وأسر
المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس ليس لاحد منا طاقة
على نصره جاره ولا اخيه ولو شاءوا لفعلوا . الا ان الهواء والماء منعم عن ذلك وقد ساءت
الأحوال . وانقطعت الآمال . وانتم ايد الله سلطانكم سيد حمير . ومليكها الاكبر . واميرها
وزعيمها نزعتم جميعي اليكم . واستصرخت بالله وبكم . واستغثت بكم . لتجوزوا لجهاد هذا
العدو الكافر وتحموا شريعة الاسلام . وتذبوا عن دين محمد . ولكم بذلك عند الله الثواب
الكريم . والاجر الجسيم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . والسلام الكريم . على حضرته
السامية ورحمة الله وبركاته . (تاريخ غرناطة لابن الخطيب)

في الطلب والاشواق

١٤٧ لما استأسر الروم صرار كتب الى اخته والى معشر الاسلام

ألا ايها الشخصان بالله بلغنا
فلاقيتا ما عشتا الف نعمة
ولا ضاع عند الله ما تضمنائيه
بصنعكم ابي ثلث خيراً وراحة
ومالي وبيت الله موتى واغا
ضعيفة خيل ليس فيها جلادة
وكنت لها ركناً بعيد رجالها
واطعمها من صيد كفي ارباباً
واحمي حماها أن تضام فلم ازل
واني اردت الله لا شيء غيره
كذلك اختي جاهدت كل كافر
تقول وقد جار الفراق بينيه

سلامي الى اطلال مكة والنجير
بقر واقبال يدوم مع النصر
فقد خف عني ما وجدت من الضر
كذلك فعل الخير بين الوري يجري
تركت عجوراً في المهامه والقرير
على نائبات الحادثات التي تجري
وأكرمها جهدي وان مني فقري
مع الظبي والوحش المقيمة في البر
لها ناصراً في موقف الشر والضر
وجاهدت في جيش الملاعين بالسمر
وما برحت بالظعن في الكر والفير
الا يا أخي ما لي على البين من صبر

ألا يا أخي هذا الفراق فمن لنا
 ألا بلغها عن أخيها تحية
 جريح طريح بالسيوف مبضع
 حمام نجد بلقي قول شائق
 وقولي ضاراً في القيود مكبل
 حمام نجد اسمعي قول مغرد
 وإن سألو عني الأجابة خبري
 حمام نجد أن اتيت خيامنا
 وقولي لهم إن الأسير بحرقه
 له من عداد العمر عشر وسبعة
 وفي خده خال محتة مدامع
 مضى سائراً يعني الجهاد تبرعاً
 ألا فادفني برك الله فيكما
 ألا يا حمامات الحطيم وزمزم
 عسى تسبح الايام منها بزورة

١٤٨ للصاحب فخر الدين بن مكائس يستدعي سراج الدين الاسكندري ويداعبه

يا ذا الذي فكره مثل اسمه يقدر
 بم اعتذارك عن هذا الصدود لنا
 عافاك ربك من داء القطيعة بل
 فيم التواني والحلان قد حفلت
 ان ذاع وصفك في تأديبهم طربوا
 ان لم تشرف بنادهم فاشرفوا
 اذا هجرت بني الآداب فابد لنا
 قدصرت توخشهم بعداً وان قربوا
 ما هكذا تفعل الدنيا بصاحبها
 وبعد فاحضر وذنب البعد مغفر
 بادر لنا فبنو الآداب كلامهم
 وأوعدوك فان لم تأت نخومهم
 وأنت أدرى بقوم ان بلوا سلقوا

فندت عنا وما من شأنك الفند
 هذا وقد ضمنا بالجيرة البلد
 شفاك من داء أمر كله نكد
 على المودة لاحقد ولا حسد
 أو جال ذكرك فيما بينهم سجدوا
 أولم تنفق لهم آدابهم كسدوا
 بم اعتذارك لا أهل ولا ولد
 وكنت تؤنسهم قرباً وان بعدوا
 فالناس بالناس والإخوان تنقد
 وان تظاول من هجرانك الأمد
 تجمعوا من فجاج الأرض واحتشدوا
 وكلمهم بمنجز في الحال ما بعد
 بالسن ما لقتلى حرجاً قود

لا زلت ترقى على زُهر النجوم علًا ما هبَّت الريحُ اقوامًا وما رصدوا
في العتاب واللوم

كتاب ابي بكر بن القصيرة عن امير المسلمين وناصر الدين الى طائفة متعديّة

١٤٩ اماً بعدنا أمة لا تعقل رشدّها . ولا تجري الى ما تقتضيه نِعَم الله عندها . ولا تطلع عن
اذى تفسيه قرباً وبعداً جهدها . فانكم لا ترعون الجار ولا لغيره حرمة . ولا تراقبون في مؤمن
إلّا ولا ذمّة . قد اعماك عن مصالحكم الأشر . واضلكم ضلالاً بعيداً البطر . ونبذتم المعروف
وراء ظهوركم . واتبتم ما ينكر مقتدياً في ذلك صغيركم بكبيركم . وخاملكم بمشهوركم . ليس فيكم
زاجر . ولا منكم الآغوي فاجر . وما نرى إلّا ان الله عزّ وجلّ قد شاء مسخكم . وأراد نسخكم
وفسخكم . فسلب عليكم الشيطان يغزكم ويغريكم . ويزين لكم قبائح معاصيكم . وكانكم به قد
نكص على عقبيه عنكم . وقال : اني بريئ منكم . وترككم في صفقة خاسرة . لا تستقيلوها ان لم
تتوبوا في دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا عذاراً لكم . وانذاراً قبلكم . فتوبوا . وأنيبوا . واقبلوا .
وانزعوا . واقنصوا من انفسكم كل من وترقوه . وأنصفوا جميع من ظلمتموه وغشتموه . ولا
تسبيلوا على احد بعد . ولا يكن الى اذاه صدور ولا ورد . والّا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم
مثلاً سائراً . وحديثاً غابراً . فاقنوا الله في انفسكم واهليكم . واياكم والاعتذار فانه يورطكم فيما
يريدكم . ويسوقكم الى ما يشمت بكم اعاديكم . وكفى بهذا تبصرة وتذكرة . ليست لكم بعدها
حجة ولا معذرة . ولا توفيق إلّا بالله تعالى

كتاب الوزير الفقيه ابي القاسم ابن الجّد عن امير المسلمين وناصر الدين
الى اهل أسيلية

١٥٠ كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بتقواه . ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاه .
وجنبكم من اسباب الشقاق والخلاف ما يسمخه وينهاه . من حاضرة مرآ كش حرسها الله لست
بقين من جمادى الاولى سنة اثني عشرة وخمسمائة . وقد بلغنا ما تأكّد بين اعيانكم من اسباب
التباعد والتباين . ودواعي التماسد والتضامن . واتصال التباغض والتدابير . وقادي التقاطع
والتهاجر . وفي هذا على فقها نكم وصلحائكم مطعن بين . ومغمز لا يرضاه مؤمن دين . فهلا
سعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين . وجدوا في ابطال اعمال المفسدين . وبذلوا في تأليف
الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين . ورأينا والله الموفق للصواب . ان نغذر
اليكم بهذا الخطاب . فاذا وصل اليكم . وقرئ عليكم . فاقمعوا الانفس الامارة بالسوء . وارغبوا
في السكون والهدوء . ونكبوا عن طريق البغي الذمير المشنوّ . واحذروا دواعي الفتن . وعواقب
الآحن . وما يجرّ داء الضائر . وفساد السرائر . وعنّي البصائر . ووخيم المصاير . واشفقوا على

ادبانكم واعراضكم . وتوبوا الى الصلاح في جميع اغراضكم واخلصوا السمع والطاعة لوالي اموركم . وخليفتنا في تدبيركم . وسياسة جمهوركم . اخينا الكريم علينا ابي اسحاق ابراهيم اياه الله . وادام عزه بقواه . واعلموا ان يده فيكم كيدنا . ومشهده كمشهدنا . فقفوا عندما يحضركم عليه . ويدعوكم اليه . ولا تختلفوا في امر من الامور لديه . وانقادوا اسلم انقياد لحكمه وعزمه . ولا تقيموا على تيج عناد بين حده ورسمه . والله تعالى بينكم الى الحسيني . ويسركم الى ما فيه صلاح الدين والدنيا . بقدرته (فلاند العقبان لابن خاقان)

في المديح والتهنئة والشكر

من كتاب لابي محمد البساطمي الى بعض الامراء

١٥١ الحمد لله الذي اقام الامير مقاماً تسر به الخواطر . واحيا به بلدة العلوم احياء الروض بالسحب الماطر . واعاد شمسها المنيرة الى افقها . واحلها بالمطالع الذي هو من حقها . فعاد الى وظيفتها عود الخلي الى العاقل . واطهرها به ظهور الحق على الباطل . فاصبحت منيرة شمسها ظاهرة في يومه بمجسم ما عودها في امسه . فنظر اليها نظر السحاب الى مواقع وبها . وحنوه على اهلها حنو المرضع على طفلها . فاصبحت رياح الأمن بها سارية . وسحاب الأمن من فوقها جارية والارزاق تنهل من اقلامه كما ينهل المطر من مزنه . وانواع الخيرات تنجى من كرمه كما تجي الثمر من غصنه . لازالت اقلامه محكمة في اراضي العلماء . نافذاً امرها في اقاليم الفضلاء

١٥٢ كتب ذو الوزارتين ابوبكر بن احمد بن رحيم الى الوزير المشرف اخيه

بينه بمولود من قصيدة

ورد الكتاب به فرحت كائن	نشوان راح في ثياب تغتر
لما فضضت ختامه فتبلجت	بيض الاماني في سواد الاسطر
قيلت من فرح به خد الثرى	شكراً ولا حظ لمن لم يشكر
يا مورّد الخبر الشبي وحادي ال	أمل القصي وهادي النبا السري
زدني من الخبر الذي اوردته	يا برد ذاك على فؤاد الخبر
صفحا وغفوا للزمان فانه	ضحكت اسرة وجه المتسمر
طلع البشير بنجم سعد لاح من	أفق الملى وبشيل ليث مخدر
له درك اي فرع سيادة	اعطيته وقضيب دوحة مخفر
طابت ارومته واينع فرعه	والفرع يعرف فيه طيب النضر
انت المدير بكل فضل نلت	وحويته وبكل مكرمة حري
تمنا رحيمنا ايضا قد انجبت	برحيم المحمود اسنى مذكر
نامت عيون الدهر عن جباته	وحمت مناهله متون الضمر

وصفا له ولاخوة يتلون
فلائت بدر السعد وهو هلاله
لازلت تبقى للحماد جامعا
مع احمد في ظل عيش اخضر
والسعد بنشر فوق راسك راية
تبقى مع العليا بقاء الادر

١٥٣ قال صني الدين الحلي يشكر انعام السلطان الملك المؤيد عماد الدين

اسماعيل وقد حمل اليه تحفا وكسوات البيت وآلاته ومهمات جميعها

جزاك الله من حُسنك خيرا
فقد قصرت بالاحسان لفظي
فأخزي الحياء وليس يدري
فأشكر حسن صنعك في اتصال
وقافية شبيه الشمس حسنا
لها فضل على غرر القوافي
غدت تثني على عليك لما
قدمت ولا برحت مدى الليالي
وكان لك الميمن خير راع
كما طوت بالانعام باغي
جميع الناس ما سبب امتاعي
وخطوي نحو ربك في انقطاع
تردد بين كفي واليراع
كما فضل انبعاث على البقاع
ضمنت لرجها نبح المساعي
سعيد الحمد ذا امر مطاع

١٥٤

كتاب لسان الدين بن الخطيب الى بعض الفضلاء

تعرفت قرب الدار ممن أحبه
فكنت أجد السبر لولا ضرورة
لا تلو من أي الحماد سورة
وأبصر من شخص الحاسن صورة

كنت ابقاك الله تعالى لاغتباطي بولائك . وسروري بلفائك . اود أن اطوي اليك

هذه المرحلة . واجدد العهد ببقياك المؤلمة . فنع مانع . وما ندر في الآتي ما الله صانع . وعلى
كل حال فشأنني قد وضع منه سبيل مسلوک . وعلمه مالك ومملوك . واعتقادي أكثر ما تسمعه
العبرة . والالفاظ المستعمارة . وموصلها ينوب عني في شكر تلك الذات المستكلمة شروط
الوزارة . المتصفة بالعفاف والطهارة . والسلام (نفع الطيب للقرى)

في التعزية

كتاب ابي اسحاق الصابي الى محمد بن العباس يعزیه عن طفل

١٥٥ الدنيا اطال الله بقاء الرئيس أقدار ترد في اوقاتها . وقضايا تجري الى غاياتها . ولا
يرد منها شيء عن مدها . ولا يصد عن مطلبه ومناه . فهي كالسهم التي تثبت في الأغراض . ولا
ترجع بالاعتراض . ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم عند يأثر الزيادة ولم يقطع عند
الصيبة . ولم يجزع عند النقيصة . وأمين أن يستخف احد الطرفين حكمه . ويستتر احد

الأميرين حزمه . ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها . وبأخذ الابهة للحالة قبل حلولها . وإن يجاور الخير بالشكر . ويساور الحنة بالصبر . فيتخير فائدة الأولى عاجلاً . ويستمرى عائدة الأخرى آجلاً . وقد نفذ من قضاء الله في المولى الجليل قدراً . الحديث سنأما أرمض وأقض . وأقلق وأمض . ومسني من التألم له ما يحق على مثلي ممن توات أيدي الرئيس إليه . ووجبت مشاركته في الملم عليه . فأنأ الله وأنا إليه راجعون . وعند الله تختسب غصناً ذوى . وشهاباً خبا . وفرعاً دل على أصله . وخطيباً أنته وشيخه . وإياه أسألت أن يجعله للرئيس فرداً صالحاً وذخراً عتيداً . وأن ينفعه يوم الدين حيث لا ينفع إلا مثله بين البين بمجوده ومجده . ولئن كان المصائب به عظيماً . والحادث فيه جسيماً . لقد أحسن الله إليه . وإلى الرئيس فيه . أما إليه . فإن الله نزهه باحترام . عن اقتراف الآثام . وصانه بالاختصار . عن ملاسة الاوزار . فورد دنياه رشيداً . وصدر عنها سعيداً . نقي الصحيفة من سواد الذنوب . بري الساحة من دَرَن العيوب . لم تدسه الحرائر . ولم تعلق به الصغائر والكبائر . قد رفع الله عنه دقيقي الحساب . واسهم له الثواب مع أهل الصواب . وألحقه بالصدّيقين الفاضلين في المعاد . وبوأه حيث فضّلهم من عرسسي واجتهاد . وأما الرئيس فإن الله لما اختار ذلك قبضه قبل رؤيته وقبل معانيه على الحالة التي يكون معها لركة . التي تتضاعف عندها الحرقه . وحماء من فتنة المرافقة . ليرفعه عن جزع المارقة . وكان هو المبقى في دنياه . والواجب الماضي الذخيرة لأخراه . وقد قيل إن تسلم الحلة فالسجل هدر . وعزيز عليّ أن أقول المؤمن للامر من بعده ولا أوفي التوجع عليه . واجب فقدّه فهو له سلاة ومنه بضعة . ولكن ذلك طريق التسلية . وسبيل التعزية . والمنهج السلوك في مخاطبة مثله ممن يقبل منفعة الذكرى وإن اغناه الاستبصار . ولا يأتي ورود الموعظة وإن كفاه الاعتبار . والله تعالى يقي الرئيس المصائب . ويعبذه من التوائب . ويرعاه بعينه التي لا تنام . ويعمله في حماه الذي لا يرام . ويقيه موفوراً غير منتقص يقدهنا إلى السوء امامه . وإلى الحذور قدأمه . ويبداً في من بينهم في هذه الدعوة . اذ كنت اراها من أسعد احوالي . وأعدّها من أبلغ آمالي (للقيرواني)

لاني فضل الميكالي تعزية الى أبي عمرو البجرتي في أخ

١٥٦ لقد عاش أخوك نبيه الذكر . جليل القدر . عتيق الثناء والنشر . يتجمل به أهل بلده . ويتباهى بمكانه ذو مودته . ويفتخر الأثر وحاملوه بتراخي بقائه ومدته . حتى إذا قسم ذروة الفضائل والمناقب . وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب . اختطفته يد المقدار . ومحت أثره بين الآثار . فالفضل خاشع الطرف لفقده . والكرم خالي الربع من بعده . والحديث يندب حا ودارسه . وحسن العهد يبكي كافله وحارسه

للفقيه الكاتب ابي عبد الله اللوثي رسالة كتب بها الى امير المسلمين

يعزيه في الامير مزدي

١٥٧ اطال الله بقاء امير المسلمين . وناصر الدين . الشائع عدله . السابغ فضله . العظيم سلطانه . العلي مكانه . السني قدره . وشانه . في سعد تطرف عنه عين التوائب . وجد نصرف دونه أوجه المصائب . كل رزء ادام الله تأييده وان عظم وجل . حتى استولى على النفوس منه الوجل . اذا عدا بابه . وتخطى بهابه . فقد اخطأ بحمد الله المقتل . وصدد عن سواء الغرض وعدل . واذا كانت اقدار الله تعالى غالبة لا تصاول . واحكامه نافذة لا تراول . فالصبر لواقعها اولى . وسمته ادام الله تأييده والنفس بنار زفراتها محترقة . والعين بلاء عبرتها شرقة مغرورة . لما نفذ قدر الله المقدور . وقضاؤه المسطور . من وفاة الامير الاجل ابي محمد مزدي قدس الله روحه . وسقى ضريحه . فياله من رزء قسم الظهر . ووسم النجوم الزهر . واذا كى الاخران . وابكى الاجفان . واقصى المهاد بمكائنه من الدولة المنيفة . ومترلته من الامرة الرفيعة الشريفة . وعند الله نخسبة ذخيرة عظمى . ونسالة المغفرة له والرحمى . فانه كان نور الله وجهه متوفر الهمة على الجهاد . من أهل الجد في ذلك والاجتهاد . وحسبه انه لم يقض نجه لآ وهو متجهز في عساكره فادركه الموت مهاجراً . ومع الله تاجراً . واجو ان يكون تعالى قد قرن له فاتحة السعادة . بجائزة الشهادة . وأمير المسلمين اورى في الرئاسة زنداً من ان تضعضه الخطوب وان اهمت . وتوجعه الحوادث اذا ادلهمت . والله يحسن عزاءه على فجعه . ولا يبدى حادئاً بعده من ربه . بجه عز وجل

١٥٨ كتب الوزير ابو محمد بن القاسم معزياً القاضي ابا الحسن بن زنباع

في قريب مات له

يشاطرك الصبابة والسهادا	ويحضك الحبة والودادا
صديق لو كشفت الغيب عنه	وجدت هواك قد ملأ الفؤادا
يعز عليه رزء بث عنه	شقيق النفس تلهما سدادا
أنشقق للعباد ونحن منهم	من الرب الذي خلق العبادا
أراد بنا القضاء على سواء	ولا بد لنا مما ارادا
لئن قدمت . علقاً مستفاداً	لقد أكرمت حظاً مستفاداً
ومثلك لا يضعضه مصاب	ولا يعطي لئابة قيادا
وما زلت الرشيد نهى وحاشى	لمثلك أن نعلمه الرشادا

كتب بديع الزمان الهمذاني الى أبي عامر عدنان الضبي يعزيه بعض اقاربه
 اذا ما الدهر جر على اناس حوائثه اناخ بأخرنا
 فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كالقينا

١٥٩ احسن ما في الدهر عمومهُ بالتواضع . وخصوصهُ بالرغائب . فهو يدعو الجفلى اذا
 ساء . ويحتضن بالنعمة اذا شاء . فلينظر الشامت فان كان أفلت . فله ان يشمت . وينظر
 الانسان في الدهر وصروفه . والموت وصنوفه . من فاتحه امره . الى خاتمة عمره . هل يجد اثره
 في نفسه ام لتدبيره . عوناً على تصويره . ام لعمله . تقدماً لآمله . ام لحيله . تأخيراً لأجله .
 كلاً بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكوراً . خلق مقهوراً . ورزق مقدوراً . فهو بمجا جبراً . ويهلك
 صبراً . وليتأمل المرء كيف كان قبلاً . فان كان العدم اصلاً . والوجود فضلاً . فليعلم الموت
 عدلاً . والعامل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليهذب ما ضربه بما تقع . وان احب ان لا يحزن
 فليظفر بمنه . هل يرى الايمنة . ثم ليعطف بصره . هل يرى الا حسرة . ومثل الشيخ الرئيس من
 تفتن لهذه الاسرار . وعرف هذه الديار . فاعد لنعمتها صدراً لا يملؤه فرحاً . ولبوسها قلباً لا
 يطيره جزماً . وصحب الدهر برأى من يعلم ان للتعلة حدّاً . وللعارية ردّاً . ولقد نعي الى ابو
 قبيصة قدس الله روحه . وبرد ضريحه . فعرضت على آمالي قعوداً . وأماني سوداً . وبكيت
 والسني بما يملك . وضحكك وشر الشدائد ما يضحك . وعرضت الاصبع حتى اقيته . وذممت
 الموت حتى تميتته . والموت خطب قد عظم حتى هان . وأمر قد خشن حتى لان . ونكر قد عم
 حتى عاد عرفاً . والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت اخف خطوبها . وجنت حتى صار اصغر
 دنوبها . واضمرت حتى صار ايسر غيوبها . واجهمت حتى صار اظهر عيوبها . ولعل هذا
 السهم آخر ما في كائناتها . وازكى ما في خزانها . ونحن معاشر التسع نتعلم الأدب من اخلاقه .
 والجميل من افعاله . فلا ننسُهُ على الجميل وهو الصبر . ولا نرغبه في الجزيل وهو الاجر .
 فليبر فيها رأيه . ان شاء الله تعالى (رسائل بديع الزمان الهمذاني)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى رئيس طوس يعزيه عن شقيقه

١٦٠ كتابي عن سلامة . وما سلامة من يرى كل يوم ركننا مهدوداً . ولحداً لمحدوداً . واخاً
 مفقوداً . وروضاً من الميتة موروداً . ويعلم ان ايامه مكتوبة . وأنفاسه محسوبة . وان شيك
 المتاياله منصوبة . أفى لهذه الدنيا ما اكدر صافيا . وأخيب راجيا . وأغدر اياها ولياليا .
 وانقص لذاتها وملاهيها . تفرق بين الاحباء والاحباب بالفوات . وبين الاحياء والاموات
 بالرفات . ورد على خير وفاة فلان . فدارت بي الارض حيرة . وانظمت في عيني الدنيا حسرة .
 وملاً الوله والوهل قلبي وسأوس وفكرة . وتذكرت ما كان يحجمني وياه من سكري الشباب
 والشراب . فملت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها . ورئي بهم سوف ارى بها . فبكيت

عليه بركة لي نصفه . وحزنت عليه حزناً لنفسي شطراً . وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول .
واعظم مأمول . أن يفيض عليه من رحمته . ما يتم به سهمه من نعمته . وأن يتعمد كل
زلة ارتكبتها برحمته . ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بجمته . وان يذكر له تلك الاخلاق
الكريمة . وتلك المروءة الواسعة العظيمة . ثم تذكرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقدته .
والنعمه من بعده . والتحسر على قربه ببعده . فخلص الى قلبي وجع ثانی انساني الماضي وثالث
انساني الثاني . حتى استفرغ ذلك ما في صبري . بل ما في صدري . وحتى صار الوجع وجعين .
والمصائب اثنين . ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت : انا لله وانا اليه راجعون اللهم لا شكايه
لفضائك . ولا استبطاء لجزائك . ولا كُفران لنعمتك . ولا مناصبه لقدرتك . اللهم ارحم الماضي
رحمة تمسب اليه ماته . وابق الحى بقاء يهنيه حياته . واطمع على قلبه حتى لا يطغ داعية الجزع .
ولا يضع عنانه بيد الخلع . ولا يلم جانب الاجر والذخر بالاثم والوزر . ولا يبدد عدوه الشيطان
سبيلاً اليه . ولا سلطاناً عليه . اقتصرت من تغزيه سيدي على هذا المقدار . لا جراً على مذهبي في
الاقتصار والاختصار . ولكني لم اجد من اساني بسطة . ولا في قريحتي فضله . ويحق لهذه الفاحشة
الحادثه ان تدع اللسان محصوراً . والبيان مقصوراً . او ان يتحدث في العقل خللاً . وفي البيان
شلاً . وليرفني سيدي خير ما هداه الله اليه من جميل العزاء . الذي لم يعدم جميل الجزاء . ليكون
سكوتي ان ما عرفته من سلوته . اضاعاف قاتي كان بما ظننته من حرقه . وان كنت اعلم انه لا
يخلي ساحة الحالم والعلم . ولا يخل بالواجب من التمسك بالحزم . ولا يخل عقدة صبره . ولا
تدعى اركان صدره . ولا يسعى الرشد في جميع امره . وهذه شريطة الكمال . وسجية الرجال

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

١٦١ أما بعد أيد الله القاضي فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه . ولم ينصر اصدقاءه .
من خذل حواءه . وانما يجب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها . وعليه
ضيرها . وكانت محنة القاضي محنة شملت الانام . وخصت الكرام . ووجب على كل من اشم
روائح العقل . ويميز بين النقصان والفضل . ان ينظر لها ألماً . وان يبيكي عندها دماً . وخلص
الي من ذلك ما اضحك مني الاعداء . وابكى لي الاصدقاء . حتى غضضت طرفاً طالما رفعت .
وقبضت بناناً طالما بسطته . وحتى عزيت كما يعزى التكلان . ومليت كما يسلى اللفهان . وانا بعد
ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعة . واستقل سعي عيني وهي سخينة دমে . وكان يجب
على مقتضى هذه الجملة . واساس هذه البنية . ان احضر مجلس القاضي فاصبره خائراً واساهاه
ليلاً وتكون المحنة بيني وبينه احملاً عنه ويحملها عني . ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر
الى الذنب الخفي . ويتغافل عن المذرة الخلي . وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة .
وأخرى يصم بها عن المعاذير وهي صادقة . وليس بينه وبين العفو نسب . ولا له الى التثبت

طريق ولا مذهب . ولو تعرّضت لخطبه . بعد ما عرفته من شططه . لتحملت دونه الوزر في ظلي . ولكنت مقدّمة الى ذي . ومن قعدت تحت الريبة ركبته . ومن تعرّض للظينة نالته

ومن دعا الناس الى ذمه رموه بالحق وبالباطل

واقل ما كان ينبعث من حضوري ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها . ويتذلي لها . فاكون قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين . وتكرّرت عليه كرتين . يرى بولي من اوليائه . داء لا يقدر على دوائه . ويرى وقوداً لا يصل الى اطفائه . ويتبين في حالة متصلة بمجاله ثلثة لا يمكن سدها . وحنة لا يستوي لها ردّها . فلما مثلت بين تخلفي آمناً . وحضوري خائفاً . عدت بين طرفي الرؤبة . ووزنت بين مقداري الحنة . فرأيت ان اميل مع السلامة . واقنع من العمل بالنية . واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة . فبست وكلي غير جسسي شاهد . وتيمّنت وما انا الا مشاهد . وبعدت وقلي سيم واغضيت على عين كلها قذى . وانظّويت على صدر كل شئاً . وانصرفت بقلب ساقط راضٍ وانغمضت بجفن ضاحك بك وقلت :

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ولقد نسجت في ذم الظالم حللاً لا يلبها الماء . ولا يخففها الهواء . ولا تغطي عليها الظلاء . والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرايح من محنة فانية . ومثوبة باقية . ولو انصف الظالم لكان يعزى . ولو انصف المظلوم لكان يحنى . جعل الله تعالى هذه الحادثة براء عقاء ليس لها مدد . ولا ليومها غد . وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر . وخاتمة لقائه لرب الدهر . ولا حرمة فيما نزل به مثوبة الصابرين . ولا اخلاء فيما بعده من الشاكين . برحمته

١٦٢ قال صني الدين الحلي يعزي الملك الافضل صاحب حماة بوالده الملك المؤيد

ورحى النون على الأنام تدور	خفيض همومك فالحياة غرور
لا قادر فيها ولا معذور	والمرء في دار الفناء مكلف
كل الى حكم الفناء يصير	والناس في الدنيا كظلي زائل
لا أمر يبقى ولا مأمور	فالنكس والملك المتوج واحد
في الامن وهو بعينه مغرور	عجبا لمن ترك التذكر وانثى
ألا يدوم مع الزمان سرور	في فقدان الملك المؤيد شاهد
فكأنه لصالحهم إكسبر	ملك تيمنت الملوك برأيه
بحر بامواج الندي مسجور	ما آل ايوب الذين سماهم
للناس منها رنة وزفير	اضحت مداحه الحسان مراثيا
ضحكت لدست الملك منه تغور	وبكت له اهل الثغور وطالما

أَمْسَى عَمَادُ الدِّينِ بِعَدِّ عُلُومِهِ
وَإِذَا الْقَضَاءُ جَرَى بِأَمْرٍ نَافِذٍ
أَنْ لَمْ تُصَرَفِ الدَّهْرُ فِيهِ أَجَانِي
أَوْ قُلْتُ أَيْنَ تَرَى الْمَوْيِدَ قَالَ لِي
أَمْ أَيْنَ كَسْرَى أَزْدِ شَرْبٍ وَقِصْرُ
أَيْنَ ابْنُ دَاوُدَ سُلَيْمَانَ الَّذِي
وَالرَّيْحُ تَجْرِي حَيْثُ شَاءَ بِأَمْرِهِ
فَكَتَّ جَهْمُ أَيْدِي الْمُنُونِ وَلَمْ تَزَلْ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ مَا جُدَّ
كُلُّهُ يَصِيرُ إِلَى الْبَلَى فَاجْتَنُ

وَلَطَبَهُ عَمَّا عَرَاهُ قُصُورُ
غَلَطَ الطَّيِّبُ وَاخْطَأَ التَّدْبِيرُ
أَبَتْ النَّهْيُ أَنْ يُعْتَبَرَ الْمَقْدُورُ
أَيْنَ الْمَظْفَرُ قَبْلُ وَالْمَنْصُورُ
وَالْهَرَمْزَانُ وَقَبْلَهُمْ سَابُورُ
كَانَتْ بِمُحْفَلَةِ الْجِبَالِ قُمُورُ
مُقَادَةُ وَبِهِ الْبَسَاطُ يَسِيرُ
خَيْلُ الْمُنُونِ عَلَى الْإِنَامِ تَغْيَرُ
مَا ضَمَّتْ الرِّسْلُ الْكِرَامُ قُبُورُ
أَنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْلُ خَيْرُ

كُتِبَ الطُّغْرَايُ إِلَى مَعِينِ الْمَلِكِ فَضْلُ اللَّهِ فِي نَكْبَتِهِ

١٦٣

فَصَبْرًا مَعِينِ الْمَلِكِ أَنْ عَنَّ حَادِثُ
وَلَا تَبَاسُنْ مِنْ صَنْعِ رَبِّكَ أَنَّهُ
فَإِنْ اللَّيَالِي إِذْ يَزُولُ نَعِيمُهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ بَعْدَ ظِلَامِهِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدَ كُسُوفِهَا
وَأَنَّ الْهَلَالَ النَّضْوُ يَقْمَرُ بَعْدَ مَا
فَقَدْ يَغِطُّ الدَّهْرُ الْإِلَهِيَّ عَنَانُهُ
وَيَرْتَأَشُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِينَ بَعْدَ مَا
وَيَسْتَأْفُفُ الْفَصْنُ السَّلِيبُ نَضَارَهُ
وَاللَّجِيمُ مِنْ بَعْدِ الرَّجُوعِ اسْتِقَامَةُ
وَيَعُضُ الرُّوَايَا يُوْجِبُ الشُّكْرَ وَقَفَا
وَلَا غُرُوَّ أَنْ اخْتِئْتُ عَلَيْكَ فَانَّمَا
وَإِي قَنَاقَةً لَمْ تَرْتَحِ كَعُوجَهَا
أَسَأْتُ إِلَى الْإِيمَانِ حَتَّى وَتَرَهَا
وَصَارَمَتْهَا فِيمَا ارَادَتْ صُرُوفَهَا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا السِّيفُ يَسْكُنُ عُغْدَهُ
وَمَا لَكَ بِالصَّدِيقِ يُوسُفُ اسْوَدَّ
وَمَا غَضُ مِنْكَ الْهَبْسِ وَالذِّكْرُ سَائِلُ

فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلُ
ضَمِينُ بَانَ اللَّهُ سَوْفَ يَدْبِلُ
تَبَشِّرُ أَنَّ النَّائِثَاتِ تَزُولُ
عَلَيْهِ لِاسْفَارِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ
لَهَا صَفْحَةٌ تَمْشِي الْعُمُونُ صَقِيلُ
بَدَا وَهُوَ شَخْتُ الْجَانِبِينَ ضَمِيلُ
فِي شَفَى عَلِيلٍ أَوْ يِلَّ غَلِيلُ
تَسَاقُطُ رِيشُ وَاسْتَطَارَّ نَسِيلُ
فِي وَرَقٍ مَا لَمْ يَعْتَوِرْهُ ذُبُولُ
وَاللَّحْظُ مَنْ بَعْدَ الذَّهَابِ قَقُولُ
عَلَيْكَ وَاحِدَاتِ الزَّمَانِ نَكُولُ
يَصَادِمُ بِالْخُطْبِ الْجَلِيلِ جَلِيلُ
وَإِي جَسَامٍ لَمْ تَصْبُ فُلُولُ
فَعَنْدَكَ أَضْغَانٌ لَهَا وَتَبُولُ
وَلَوْلَاكَ كَانَتْ تَنْتَجِي وَتَصُولُ
لِيَشْقَى بِهِ يَوْمَ التَّرَالِ قَتِيلُ
فَتَحْمِلُ وَطْءَ الدَّهْرِ وَهُوَ ثَقِيلُ
طَلِيقٌ لَهُ فِي الْخَافِقِينَ زَمِيلُ

فلا تدعن للخطب أدك ثقله فثلك للأمر العظيم حمول
فلا تجزعن للكل مسك وقعه فان خلايل الرجال كبول
في الوصاة

كتب بديع الزمان الى ابي نصر الميكالي يوصيه بابي نصر
١٦٤ انا في مفاتحة الامير بين ثقة تعد . ويد ترتعد . ولم لا يكون ذلك البحر وان لم أره .
فقد سمعت خبره . ومن رأى من السيف أثره . فقد رأى أكثره . واذالم ألقه . فهل أجعل
خلقه . وما وراء ذلك من تالداصل ونشب . وطارف فضل وأدب . وبعد همة وصيت .
فمعلوم تشهد بذلك الدفاتر . والخبر المتواتر . وتنطق به الأشعار . كما تختلف عليه الآثار . والعين
اقل الخواس ادراكاً . والآذان اكثرها استمساكاً . ان شيخنا أبا نصر بن دوسنام سألني
طول هذه المدة . مكتبة تلك السدة . مستشفعاً بكتابي الى الخلق العظيم . والعليق الكريم .
والفضل الجسيم . وكل شيء على الميم في باب التفهيم . وبني ان أعرف شغل شاغل . وحتى أقبل
وأدخل . دخولاً معلوماً . لا يقتضي لوماً . فلا تظنن إلا الجميل وعرفته ان المرء وجوده . ثم
جوده . وشفيع لا يعرف غريب ولكنه من غريب الخيث . لا من غريب الحديث . فأبي الان
أفعل وقد فعلت على السخط من القرط . فان قبلت الشفاعة فالجهد يأبي الان ان يعمل عمله . وان
رُدَّت فليست كلمة السوء مثله . والسلام

كتاب ابن الخطيب الى شيخه ابي عبد الله بن مرزوق التلمساني شافعاً
١٦٥ يا سيدي ابقاكم الله تعالى محط الآمال وقبلة الوجوه . وبلغ سيادتكم ما تؤمل من فضل
الله تعالى وترجوه . وكلأ بعين حفظه ذاتكم الفاخرة . وجعل عز الدنيا متصلاً لكم بعز الآخرة .
بعد تقبل يدكم التي بها لا تزال تشكر . وحسنها عند الله تعالى تُذكر . أنهي الى مقامكم ان
الشيخ ابا فلان مع كونه مستحق القبلة . بهجرة الى ابوابكم الكريمة قدمت . ووسائل من
اصالة وحشمة كرم . وفضل ووقار وتويع للولاية ان كانت ذات احتقار وسن اقتضى
الفضل بره . وادب شكر الاختيار عليه وسره . وله بمعرفة سلفكم الارضى وسيلة مرجية . وفي
الاعتراف بعميتكم مقامات مرضية . وتوجه الى بابكم والتمسك باسبابكم . والمؤمل من سيدي
ستره يمحناح رعيه في حال الكبرة . ولحظه بطرف المبرة . اما في استعمال يليق بذوي الاحتشام .
او سكون تحت رعي وهاتم . واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام . وهو احق الغرضين
بالزام . واحالة سيدي في حفظ رسم مثله . على الله تعالى الذي يميز الحسينين بفضله . ومنه
نسأل ان يديم ايام المجلس العلي محروساً من النوائب . مبلغ الآمال والمآرب . والمملوك قد
قرّر شأنه في اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم . والتعجب في هذه الابواب عليكم .
وتقلب القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي ويمنع ويملك الأمر اجمع . والسلام (نفع الطيب للقرى)

الباب الثاني عشر في التستر لعلم

شعراء الجاهلية

أَعَشَى قَيْسَ (٦٢٩ م)

١٦٦ هو ميمون بن قيس بن جندل ويكنى أبا بصير وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . وتقدم على سائرهم وليس ذلك بجمع عليه لافيه ولا في غيره . وكان قوم يقدمون الأعشى على سائر الشعراء فيحبون بكثرة تصرفه في المديح والهجو وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره . ويقال انه أول من سأل بشعره والتجع به أقاصي البلاد . وكان يفتي في شعره فكانت العرب تسميه صانجة العرب . ومن أخباره انه أتى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جائزته . فقال الأسود : ليس عندنا عين ولكن نعظيك عرضاً . فأعطاه خمسمائة مثقال ذهناً وخمسمائة حللاً وعنبراً . فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة . فقال له : أجزني . فقال : قد أجرتك . قال : من الجن والإنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : لا . فأتى عامر بن الطفيل . فقال : أجزني . قال : قد أجرتك . قال : من الجن والإنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : نعم . قال : وكيف تجبرني من الموت . قال : ان مت وأنت في جواربي بعثت الى اهلك الدية . فقال : الان علمت انك قد أجرتني من الموت . فمدح عامراً وهما علقمة . فقال علقمة : لو علمت الذي اراد كنت اعطيته اياه . ويُجبر عن الأعشى انه لما ظهر الاسلام وفد على محمد بقصيدة . فبلغ خبره قرشاً فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صانجة العرب ما مدح احداً قط الا رفع في قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : أين اردت يا ابا بصير . قال : اردت صاحبكم هذا لاسلم . قالوا : انه ينهاك عن خلل ويحرمها عليك . وكلها بك رفق ولك موافق . قال : وما هن . فقال ابو سفيان بن حرب : القمار . قال : لعلني ان لقيته ان أصيب منه عوضاً من القمار . ثم ماذا . قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت . ثم ماذا . قالوا : الخمر . قال : اوه ارجع الى صباة قد بقيت لي في المهراس فاشربها . فقال له ابو سفيان : هل لك في خير مما هممت به . قال : وما هو . قال : نحن وهو الآن في هذنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك ستلك هذه وتنتظر ما يصير اليه امرنا فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلقاً وان ظهر علينا اتيتهم . فقال : ما اكراه ذلك . فقال ابو سفيان : يا معشر قریش هذا الأعشى والله لن اتي محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب

بشعره . فاجمعوا له مائة من الابل . ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحة رعى به بعيره فقتله (الأعاني لأبي النرج الأصهباني)

أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ (٦٢٠ م)

١٦٧ قال الأصمعي : هو أوس بن حجر بن مالك شاعر قيم من شعراء الجاهلية وفحولها . يجيد في شعره ما يريد . وهو من الطبقة الثانية وكان انقطع الى فضالة بن كعدة لما جاد عليه من النعم . فلما مات فضالة وكان يكنى ابا دليمة . قال فيه اوس بن حجر يرثيه :

يا عين لا بد من سكب وتهمال على فضالة جل الرزء والعال
أبا دليمة من نوصي بارملة ام من لأشعث ذي طمرين محال
أبا دليمة من يكفي العشيرة اذ امسوا من الأمر في لبس ولبال
لا زال مسكٌ وربحانٌ له ارج على صداك بصافي اللون سلسال
ومن فاضل مرثيه اياه ونادى قولته :

• اتبها النفس أجمل جزا ان الذي تكرهين قد وقعنا
ان الذي جمع الساحة والذم م جدة والحزم والقوى جمعنا
الخلف المتلف المرراً لم يمتنع بضعف ولم يمت طبعنا
اودى وهل تنفع الإشاحة من شيء لمن قد يحاول التزما
ومر أوس بن حجر طويلاً وكانت وفاته في أول ظهور الاسلام

تَابُطُ شَرًّا (٥٣٠ م)

١٦٨ هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهسي احد محاضير العرب ومغاويرهم المعدودين . وقد غلب عليه هذا اللقب لما اخبره الأصمعي قال : سارتا بط شرًّا في ليلة ذات ظلة وبرق ورعد فاخذ عليه الطريق اسد وقيل غول فلم يراوغه وهو بطليه ويلتمس غرة منه فلا يقدر عليه حتى ظفريه وقتله . فلما اصبح حمله تحت ابطه وجاء به الى اصحابه فقالوا له : لقد تآبطت شرًّا فقال :

ألا من مبلغ قتيان قثم بما لاقيت عند رحي بطن
واني قد لقيت الغول تهوي بسهم كالصحيفة صحصان
فقلت لها كلانا نضو أين اخو سقر فخلني لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوى لها ككفي بمصقول يمان
فأصربها بلا دهش فخرت صريعاً للبدن وللجنان
فقات عد فقلت لها رويداً مكانك انني ثبت الجنان
فلم اتك متكناً عليها لأنظر مصعباً ماذا آتاني

إذا عِينَانِ فِي رَأْسِ قَبِيحٍ كَرَأْسِ الْمَرْشَقِوِقِ اللِّسَانِ

وَسَاقًا مُخْدَجٍ وَشَوَاةٍ كَلْبٍ وَثُوبٌ مِنْ عِبَاءِ أَوْشَانِ

ومن اخباره انه كان يشتارعسلًا في غار من بلاد هذيل يأتيه كل عام . وان هذيلًا ذكرته
فرصدوه لإبّان ذلك حتى اذا جاء هو واصحابه تدلّ فدخل الغار وقد اغاروا عليهم . فانفروهم
وسبقوهم ووقفوا على الغار . فحركوا الحبل فاطلع تأبط شرًا راسه . فقالوا : اصعد . فقال : لا
اراكم . قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلام اصعداً على الطلاقة ام الفداء . قالوا : لا شرط لك .
قال : فاراكم قاتلي وآكلي جنائدي . لا والله لا افعل . قال : وكان قبل ذلك نقب في الغار
نقباً اعده الحرب . قال : ففعل يسيل العسل من الغار ويهرقه ثم عمد الى الرق فشدّه على
صدره ثم لصق بالعسل . فلم يبرح يتزلّق عليه حتى خرج سليماً . وفاتهم موضعه الذي وقع فيه
وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تأبط شرًا في ذلك :

اقول للعيان وقد صغرت لهم	وطايي ويومي ضيق الحجر معور
لكم خصلة اما فداء ومنه	واما دماً والقتل بالحراجر
واخرى اصادي النفس عنها وانها	لمورد حزم ان ظفرت ومصدر
فرشت لها صدري فزلّ عن الصفا	به جوؤجوؤ صلب ومتن محصر
فخالط سهل الأرض لم يلدح الصفا	به كدحة خزيان والموت ينظر
فأبت الى قهم وما كنت آتياً	وكم مثلها فارتقا وهي تصفر
اذا المرء لم يحتل وقد جدّ جدّه	اضاع وقايى امره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً	به الامر الا وهو للحزم مبصر
فذاك قرع الدهر ما كان حولا	اذا سدّ منه منخر جاش مخز
فانك لو قايست بالصبّ حيايتي	بلحيان لم يقصر بي الدهر مقصر

وكان تأبط شرًا اعدى ذي رجلين وذو ساقين وذو عيين . وكان اذا جاع لم تقم له
قائمة فكان ينظر الى الطباء فينتقي على نظره اسمها . ثم يجري خلفه فلا يقوته حتى ياخذ
فيذبحه بسيفه فيشويه ثم يأكله . وقيل ان تأبط شرًا لقي ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال له
ابو وهب كان جباناً هرج عليه حلة جيدة . فقال ابو وهب لتأبط شرًا : يم تغلب الرجال
يا ثابت وانت كما ارى دميم ضئيل . قال : باسي . انما اقول ساعة ما التى الرجل : انا تأبط شرًا
فيمنزع قلبه حتى انال منه ما اردت . فقال له الثقيفي : فهل لك ان تبصني اسمك . قال : نعم .
قال : فيم تبناعه . قال : بهذه الحلة وبكيتي . قال له افعل ففعل . وقال له تأبط شرًا : لك
اسمي ولي كنييت . واخذ حلته واعطاه طمره ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقيفي :
ألا هل اتى الحسناء ان حليلها تأبط شرًا واكتنيت ابا وهب

فَهْبَةُ تَسْمَى اسْمِي وَتُسَمَّى بِاسْمِي فَايْنُ لَهُ صَبْرِي عَلَى مُعْظَمِ الْخَنْطَبِ
 وَايْنُ لَهُ بَأْسٌ كَبَائِي وَسَوْرَتِي وَايْنُ لَهُ فِي كُلِّ فَادِحَةٍ قَلْبِي
 وَقُتِلَ تَأَبَّطُ شَرًّا فِي بِلَادِ هُدَيْلٍ وَرَبِّي بِهِ فِي غَارِ يَقَالَ لَهُ رَحْمَانُ (الْأَثْنَى)

حَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ (٥٦٠ م)

١٦٩ . هو ابن مكروه بن يزيد الشكري البكري صاحب المعلقة . وكان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث الى قولها ان عمرو بن هند الملك وكان جباراً عظيم الشأن والملك لما جمع بكراً وتغلب ابني وائل واصلح بينها اخذ من الحين رهناً من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض . فكان اولئك الرهن يكونون معه في مسيره . ويقزون معه . فأصابهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغليين وسلم البكر يون . فقالت تغلب لبكر : اعطونا ديات ابنائنا فان ذلك لكم لازم . فأبت بكر بن وائل . فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو : ارى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلح أصم من بني يشكر . فجاءت بكر بالحارث بن حلزة وجاءت تغلب بعمر بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للحارث بن حلزة : يا أصم جاءت بك اولاد تغلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . فقال الحارث : وعلى من اظلمت السماء كلها يفخرون ثم لا يتكر ذلك . وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته هذه ارجحاً . توكل على قوسه وانشدها واقتطم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبي : انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضع فقيل لعمر بن هند ان به وضعاً . فامر ان يجعل بينه وبينه ستر . فلما تكلم اعجب بمنطقه فلم يزل عمرو يقول : ادنوه ادنوه حتى امر بطرح الستر واقعده معه قريباً منه لا يجابه به . وعمر الحارث طويلاً وابنه ظليم من فحول شعراء العرب (شعراء الجاهلية لأبي عبيدة)

دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ (٦٣٠ م)

١٧٠ . هو معاوية بن الحارث فارس شجاع وشاعر فحل . وكان اطول الفرسان الشعراء غزواً وابعدهم اثراً واكثرهم ظفراً . وأعينهم نقيبة عند العرب يقال انه غزا مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها . فادرك الاسلام فلم يسلم . وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين ولافضل فيه للحرب . وانما اخرجوه تيمناً به وليقبسوا من وراثته . فنعم مالك بن عوف من قبول مشورته . وقتل دُرَيْدُ في ذلك اليوم على شركه . وله في اخيه عبد الله مرات اجاد فيها ما اراد . واخبر ابو عبيدة قال : هجا دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ عبد الله بن جدعان التيمي تم قريش فقال :

هل بالحوادث والايام من عجب ام بآبِ جَدْعَانَ عبد الله من كلب
 قال : فلقبه عبد الله بن جدعان بمكاذ فحياً وقال له : هل تعرفني يا دُرَيْدُ . قال : لا .

قال : فلم هجوتني . قال : من انت . قال : انا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك لانك كنت امرأاً كرمياً فاحيث ان اضع شعري موضعه . فقال له عبد الله : لئن كنت هجوت لقد مدحت . وكساه وحملة على ناقه برحلهما . فقال دُرَيْدٌ مدحه :

اليك اَبْنُ جُدْعَانَ اَعْمَلْتَهَا مخففةً للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقي امرأاً جوادَ الرضا وحليم الغضب
وجلداً اذا الحرب مرت بو يعين عليها يجزل الخطب
رحلتُ البلاد فما إن أرى شبيه ابن جُدعان وسط العرب
سوى ملكٍ شامخٍ مُلكُهُ له البحر يجري وعين الذهب

وكانت وفاته في وقعة حنين أدركه ربيعة بن ربيع السلي فاخذ بخنطام جملة وهو يظن انها امرأة وذلك انه كان شعار له فاناخ به . فاذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام . فقال له دُرَيْدٌ : ماذا تريد . قال : اقتلك . قال : ومن انت . قال : انا ربيعة بن ربيع السلي . فانشأ دُرَيْدٌ يقول :

ويح ابن أكمة ماذا يريد من المرعش الذاهب الأدرد
فاقسم لو أن في قوة لولت فرائضه ترعيد
ويا كلف نفسي ان لا تكون معي قوة الشاخب الأمرد

ثم ضربه السلي بسيفه فلم يغب شيئاً . فقال له : بش ما سلحتك أملك . خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ . فاني كذلك كنت افعل بالرجال . ففعل كما قال فوقع صريعاً (لاني زكريا النوي)

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى (٦٣١ م) وَأَبْنُهُ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ (٦٦٢ م)

١٧١ زُهَيْرٌ هو ربيعة بن رباح المزني . وكان سيداً كثير المال في الجاهلية حليماً معروفاً بالورع . وهو احد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء . وهم امرؤ القيس وزُهَيْرُ والنايفة الذبياني . وكان ابو بكر يستسيه شاعر الشعراء لانه كان لا يعاقل في الكلام . وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحداً أبداً فيه وبعد عن سنف الكلام . ويجمع كثير المعاني في قليل من الألفاظ . وكان يظن في مدح هرم بن سنان المري من آل أبي حارثة احد غطارقة العرب . وله فيه غرر القصائد . وكان هرم قد آلم ان لا يمدحه زُهَيْرٌ إلا اعطاه ولا يسأله إلا اعطاه . ولا يسلم عليه إلا اعطاه عبداً او ولداً او فرساً . فاستحيا زُهَيْرٌ ما كان يقبله منه . فكان اذا رآه في ملا قال : عموا صباحاً غير هرم وضركم استثنيت . حدث الجوهري عن عمر قال : قال عمر لابن زُهَيْرٍ : ما فعلت الحُلل التي كساها هرم أباك . قال : ابلاها الدهر . قال : لكن الحُلل التي كساها ابوك هرم لم يلبها الدهر

وأمّا ابنه كعب فهو من الحضرمين ومن فحول الشعراء وكان له أخ اسمه بجير سمع من محمد فأسلم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغنا غني بجيراً رسالةً على أي شيء وب غيرك ذلكا
على خلقٍ لم تلف أمّا ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أحّا لكا
سقاك ابو بكرٍ بكاس رويةٍ فاهلك المأمون منها وعلكا

فبلغت ابياته محمداً فغضب عليه واهدر دمه . وقال : من لقي منكم كعب بن زهير فليقلته . فكتب اليه اخوه يخبره . وقال له : انج وما أراك بمفليت . وكتب اليه بعد ذلك يأمره ان يسلم فأسلم كعب . وقال قصيدته (بانت سعاد) يعترف فيها الى محمد فأمنه (الأغاني)

الشَّنْفَرَى (٥١٠م)

١٧٢ هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر من أهل اليمن . والشنفرى هو العظيم الشفتين . وهو شاعر من الازد من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لا يلحقه الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمر بن برآن وأسيد بن جابر وتأبط شراً . وكان الشنفرى حلف ليقتل من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين . وكان اذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفرى : اطرفك . ثم يرميه فيصيب عينه . فاحتالوا عليه فامسكوه وكان الذي أمسكه أسيد ابن جابر أحد العدائين رصده حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلاً . ثم قتلوه فرجل منهم بمحجمته فضر بها برجله فدخلت شظية من الحجمة فمات منها . فتمت القتلى مائة . وله الشعر الحسن في الفخر والحامسة منه لاميته المعروفة بلامية العرب (المبداني)

عروة بن الورد (٥٩٦م)

١٧٣ هو ابو نجد عروة بن الورد بن زياد العبسي شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها المقدمين الأجواد . وكان يُلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم اذا أخفقوا في غزواتهم . ولم يكن لهم معاش الا مفزاه وكان يعارض حاتماً في جوده . فكان غض الطرف قليل الفحش كثير العطاء حامياً لحقيقته . ومن شعره قوله :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فاكثرا
وصار على الأدنى كلاً وأوشكت صلات ذوي القرى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات من كل وجهةٍ من الناس الا من أجده وشمرأ
فيسر في بلاد الله والتمس الغنى تعيش ذا يسار أو تموت فنعذرا
وقتل عروة في بعض غاراته . قتله رجل من طهية (من ديوانه)

عَمْرُو بْنُ كُثُومٍ (٥٧٠ م)

١٧٤ هو ابن مالك بن عتاب التغلبي صاحب المعلقة المعروفة . وله في شعره غرائب يغوص في بحر الكلام على دُرِّ المعنى الغريب . وكان يقوم بقصائده خطيباً بسوق عكاظ في مواسم مكة . وبنو نفل يُعظمها جداً يروها صفارها وكبارها . ولما حَضَرَتْهُ الوفاة وقد أُنْتُ عليه خمسون ومائة سنة جمع بنيه فقال : يا بني قد بلغتُ من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي . ولا بد أن يزل لي ما نزل بهم من الموت . وإني والله ما يئرتُ أحداً بشيء إلا عيرتُ بمثله . إن كان حقاً فحقاً وإن كان باطلاً فباطلاً . فكفوا عن الشتم فإنه أَسْلَمَ لَكُمْ . وأحسنوا جواركم يُحسن ثناءكم . وامتنعوا من ضيم الغريب . وإذا حدثتم فعُوا . وإذا حدثتم فأوجزوا . فإن مع الأكتار تكون الأهدار . وأشجع القوم العطوف بعد الكركم إن الأكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ولا من إذا عوتب لم يعتب . ومن الناس من لا يرجي خيره ولا يناف شره . فبِكُوهُ خير من دره . وعقوفه خير من بره .

عَنْتَرَةُ الْعَبْسِيِّ (٦١٥ م)

١٧٥ هو عنتره بن شداد العبسي . وكانت أمه أمة حبشية يقال لها زينة . وكان سبب ادعاء أبي عنتره إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً فبعضهم العبسيون فلحقوهم فقاتلهم عما معهم وعنتره يومئذ فيهم فقال له أبوه كَرِّ يا عنتره . فقال عنتره : العبد لا يحسن الكَرَّ . إنما يحسن الحلب والصَرَّ . فقال : كَرِّ وأنت حرٌّ فكَرَّ . وقاتل يومئذ قتالاً حسناً فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه . وعنتره أحد أغربة العرب وهم ثلاثة عنتره وخُفَاف بن نُدْبَة والسُّلَيْك بن سُلَيْكَة . قال أبو عمرو الشيباني : غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زُهَيْر فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنتره . ولحقهم كَبْكَبَة من الخيل فحامي عنتره عن الناس فلم يُصَب مدبرٌ . وكان قيس بن زُهَيْر سيدهم فساءه ما صنع عنتره يومئذ فقال حين رجع : والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء . وكان قيس أكولاً فبلغ عنتره ما قال . فقال يعرض به قصيدته التي يقول فيها :

بَكَرْتُ تَخَوُّفِي الْخُفُوفَ كَأَنِّي
فَاجْتَهْتُ إِنْ الْمَنَةَ مِنْهُلٍ
فَاقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَا لَكَ وَاعْلِي
إِنْ الْمَنَةَ لَوْ تَمَثَّلَ مُثَلَّتٍ
إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصَبًا
أَصْبَحْتُ عَنْ عَرْضِ الْمُتَوَفِّ بِمَعْرِزِلٍ
لَا بُدَّ أَنْ أَسْقَى بِكَاسِ الْمَنَهْلِ
أَتَنِي امْرُؤٌ سَامُوْتُ إِنْ لَمْ أَقْتَلِ
مِثْلِي إِذَا تَزَلُّوا بِضَنْكِ الْمَتَرِ
شَطْرِي وَاحِي سَائِرِي بِالْمَنْصَلِ

وإذا الكتيبة أجمعت وتلاحظت ألفت خيراً من مَعَمَّ مَحَوَّل
والخيل تعلم والفوارس أتت فرقت جمعهم بضربة فيصل
ان يلحقوا الكرز وان يستلموا اشدّ وان يلقوا بضرك أنزل
ولقد أبيت على الطوى واطلته حتى انال به كريم المأكّل

وقيل لعنترة أنت أشجع العرب قال: لا. قال: فبأذا شاع لك هذا في الناس. قال:
كنت أقدم اذا رأيت الإقدام عزمًا. وأجم اذا رأيت الاحجام حزمًا. ولا أدخل موضعًا إلا
أرى لي منه مخرجًا. وكنت اعتمد الضيف الحبان فاضربه الهائلة يطير لها قلب
الشجاع فاثني عليه فاقته. وحدث عن عمر بن الخطاب انه قال للحطية: كيف كنتم في حربكم.
قال: كنّا ألف فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك. قال: كان قيس بن زهير فينا.
(وكان حازمًا) فكنا لا نصيه. وكان فارسنا عنترة فكنا نحمل اذا حمل ونجم اذا اجم. وكان
فينا الربيع بن زياد وكان ذارأي فكنا نستشير ولا نخالفه. وكان فينا عروة بن الورد فكنا
نأتم بشعره فكنا كما وصفت لك. فقال عمر: صدقت. قال ابن الكلبي: كان عمرو بن معدي
كرب يقول: ما أبالي من لقت من فرسان العرب ما لم يلقي حرًاها وهينها يعني بالحرين
عامر بن الطفيل وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب وبالعبد بن عنترة والسُّلَيْك بن السُّلَيْكَة.
وكان عنترة أحسن العرب شيمًا وأعلام همّة وأعزهم نفسًا. وكان مع شدة بطشه حليماً
لين العريكة سهل الأخلاق. وكان شديد الخوة كريماً مضيافاً لطيف المحاضرة رقيق الشعر.
وله فيه لطائف كثيرة يعرض فيه عن تنافر الألفاظ وخشونة المعاني. وعمر عنترة تسعين سنة

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيَّةُ (٦٠٤ م) وَالنَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ (٦٨٠ م)

١٧٦ هو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمية. وهو أحد الأشراف الذين غصّ الشعر منهم.
وهو من الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء. وانما لقب نابعة لطول بابه في الشعر. وكان
يُضْرَبُ للنابغة قبة من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان النابغة
كبيراً عند النعمان خاصة به. وكان من ندمائه وأهل أنسه. ثم تغير عليه وأوعده وهدّده.
فهرب منه فأتى قومه ثم شخص الى ملوك غسان فامتدحهم. ثم كتب الى النعمان يعتذر اليه
بقصيدته الميمية التي مطلعها (يا دارمية). فأمته النعمان واستشده من شعره فأذن له ان
ينشده قصيدته التي يقول فيها:

حلفت فلم أترك لنفسك ربيّة وليس وراء الله للمرء مذهب
لأنك شمسٌ والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدُ منهم كوكب

ثم أسنّ النابغة وكبر وتوفي في السنة التي قُتِلَ فيها النعمان بن المنذر
أما النابغة الجعدي فهو أبو ليلي حسان بن قيس وكان أسن من النابغة الذبياني. وكان

شاعراً مقلداً طويل البقاء في الجاهلية والاسلام . نادم المنذر ومدحه وكان على دين الحنيفة يقر بالتوحيد ويصوم ويستغفر ويتوقع اشياء لعواقبها ومن قوله :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها ففسد ظمأ

الحافظ الرافع السماء على ال ارض ولم يبن تحتها دُعاً

وكانت وفاته بأصبهان وله من العمر ما ينيف على المائة (شعراء الجاهلية لابي عبدة)

الشعراء المخضرمون

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (٦٧٥ م) (٥٤ هـ)

١٧٧ هو أبو عبد الرحمان حسَّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري من المخضرمين . عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام وتوفي بالمدينة . وقد أجمعت العرب على ان حسَّان أشعر أهل المدر . ولما كان أهل مكة يعيرون الاسلام ويهجون صاحبه أذن محمد لحسان أن يحيي أعراض المسلمين فقال : اهجم وجبريل معك وسيعينك عليهم روح القدس . ومن قوله في الفخر .

نحن الملوك فلا حي يقارنا من الملوك فينا يؤخذ الربيع

تلك المسكارم خزانها مقارعة اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

كم قد نشدنا من الأحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع

ونخر الكوم عبطاً في منازلنا للنازلين اذا ما استطعموا شبعوا

ونحن نطمع عند الحبل ما اكوا من العسيط اذا لم يظهر الفرع

وتنصر الناس تأتينا سراهم من كل أوب فتضي ثم تتبع

وقد تستحسن له قصائد في وقعة بدر يفخر بها . وفي آخر حياته كف بصره

الخطبة

١٧٨ الخطبة لقب لقَّب به لقصره واسمه أبو مليكة جَرُول بن أوس بن مالك من فحول الشعراء ومتقدمهم وفصحاءهم . متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر . وكان ذا شر وسفه ينسب الى كل قبيلة اذا غضب على الآخرين . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام . وكان الخطبة مطبوعاً على الهجاء دنيء النفس قبيح المنظر رث الهيئة فاسد الدين . وكان بدياً هجاءً . فالتمس ذات يوم انساناً يهجو فلم يمهده وضاق عليه ذلك فانشأ يقول :

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بَشَرٌ فَا أَدْرِي لِمَنِ أَنَا قَائِلُهُ

وجعل يدهور هذا البيت في أشدائه ولا يرى انساناً اذ أطلع في ركي فرأى وجهه فقال :

أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ فَفَقِمْ مِنْ وَجْهِهِ وَفَقِمْ حَامِلُهُ

قال ابن أبي بكرة لقيت الخطبة بذات عرق فقلت له : يا أبا ملكة من أشعر الناس

فاخرج لسانه كأنه حية ثم قال : هذا اذا طمع . وأخبر المدائني قال : مر ابن الحامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته فقال : السلام عليكم . فقال : قلت ما لا ينكر . قال : اني خرجت من أهلي بغير زاد . فقال : ما صنعت لأهلك قراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظل بيتك فاتقياً به . قال : دونك الجبل يعني عليك . قال : انا ابن الحامة . قال : انصرف وكن ابن أي طائر شئت . ومن شعره في المدح :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البناء وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وان كانت للنساء فيهم جزوا بها وان انعموا لا كدروها ولا كدوا
وإن قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
وكان الحطيئة يهجو البرقان بن بدر . فاستعدى عليه البرقان عمر بن الخطاب فرفعه
عمر اليه ثم أمر به فجعل في يده فأشده . :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ رغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقى كاسيهم في قعر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر
انت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى اليك مقاليد النهي الشر
لم يوثرك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامن على صنية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تشام بها القور
فاخرجه وقال له : يا أباك وهجاء الناس . فاقام بالبادية الى وفاته في خلافة عمر وكان قد بلغ
من العمر نيفاً ومائة سنة (الأغاني للاصمعي)

الخنساء (٦٤٦ م) (٢٤ هـ)

١٧٩ هي قماض بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل سليم من أهل نجد من شواعر العرب . وأجمع علماء الشعراء انه لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسي يشدونه فيفضل من يرى تفضيله . فأنشدته في بعض المواسم فأعجب بشعرها وقال لها : لو ان هذا الأعمى انشدني قبلك (يعني الأغشى) فضلتك على شعراء هذا الموسم . واكثر شعرها في مراثي اخوها معاوية وصخر . وكان صخر قتل يوم الكلاب من أيام العرب . فلما مات دفن في أرض بني سليم بقرب عسب وحضرت الخنساء القادسية مع بنيتها وهم أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل : يا بني انكم أسلمت طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم . ولا غيرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية . اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها . وجلت ناراً على أوراقيها . فتيسّموا وطيسها . وحالدا وارسيسها . نظفروا بالغم والكرامة . في

دار الخلد والمقامة . فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكرم ففقدوا واحداً بعد واحد ينشدون
اراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قُتِلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي
شرفني بقتلهم . وأرجو من ربي أن يجمعني بهم مستقر الرحمة . وكان عمر بن الخطاب يعطيها
أرزاق بنيتها الأربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قبض . ومن قولها في أخيها صخر :

ألا يا صخر ان أبكيت عيني فقد أصحكتني زمناً طويلاً
بكيتك في نساء مُعولات وكنت أحتي من أبدى العويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي فن ذا بدفح الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا
ولها فيه : إذهب فلا يُبعدك الله من رجل دراك ضيم وطلاّب بأوتار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة وما أضاءت نجوم الليل للساري

وقالت ايضاً :

وما بلغت كف امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة وان أظنوا إلا الذي فيك أفضل
وقيل ان الحسناء أدركت الاسلام وأسلمت (للشريشي)

عمر بن معدية كرب (٦٤٣ م) (٢١ هـ)

١٨٥ هو أبو ثور بن عبد الله الزبيدي الصحابي من سادات أهل اليمن وفصلهم يقول
الشعر الحسن . وكان بعيد الفارة وشهد يوم القادسية وله فيها بلاء حسن . وكان هو آخر
القوم . وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها . فأتى بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأجلد به الى الأرض
فأقعى الفرس فرده . وأتى بأخر ففعل به مثل ذلك فتحمل ولم يقع . فقال : هذا على كل حال
أقوى من تلك . وقال لأصحابه : اني حامل وعابر الجسر فان اسرعت بمقدار جزر الجزور
وجدتوني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجي وقد عقرني القوم وانا قائم بينهم وقد قتلت
وجردت . وان ابطأت وجدتوني قتيلاً بينهم وقد قُتِلت وجُودت ثم انفمس فحمل في القوم
فقال بعضهم : يا بني زيد تدعون صاحبكم والله ما نرى ان تدركوه حياً . فحملوا فانتروا
اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان القارس ليضرب
الفرس فاتقدر ان تتحرك من يده . فلما غشاه رمى الأعجمي بنفسه وخطى فرسه فركبه عمرو
وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوني . قالوا : أين فرسك . قال : ربي بشابة فشب
فصرعني . ثم شد على رستم وهو الذي كان قدمه ملك الفرس وكان رستم على فيل . فجمد
عرقوبه فسقط فأت رستم من ذلك فاتهم الفرس . وله في الحروب أخبار مأثورة يضرب
الأعداء بسيفه الصمصامة . قيل ان عمر بن الخطاب استوهبه الصمصامة فوهبه عمر وله . فقيل

عمرو : انه غيره فذكر له ذلك فغضب وقال : هاته فغضب عنق بعير ضربة واحدة فاباحها وقال : انما اعطيتك السيف لا الساعد . وكان كثير الكذب فقيل له : انك شجاع في الحرب والكذب فقال : اني كذلك : وشهد عمرو وقعة اليرموك وكان يستشير القواد في حروجه

لَيْسِدُ (٦٨٠ م)

١٨١ هو أبو عقيل بن ربيعة بن مالك العامري أحد شعراء الجاهلية المدودين فيها والمختصرين . وهو من أشرف الشعراء المجيدين والفرسان المسمين . وأدرك لَيْسِدُ الاسلام وحسن إسلامه ونزل الكوفة أيام مُعمر فأقام بها حتى مات في آخر خلافة معاوية . وكان عمره مائة وخمسة واربعين سنة . وكان لَيْسِدُ جواداً من أفصح شعراء العرب وأقلم لغواً في شعره بقضى منه العجب لمجودة اختياره وصحة إنشاده . وقيل انه هو الذي جمع القرآن . فقال عند جمعه : الحمد لله اذ لم يأتي أجلي حتى لبست من الإسلام سرباً لا ولم يقل غير هذا البيت في الإسلام . وقيل ان مُعمر بن الخطاب استشهده أيام خلافته من شعره فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر . فسر مُعمر بمجوابه وأجزل عليه المطاء . ولهُ المعلقة القامة المشهورة (لاي عبدة)

(الشعراء المسلمون)

إِبْنُ خَفَاجَةَ (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) (١٠٦٠ - ١١٣٨ م)

١٨٢ هو أبو إسحاق بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ولد بجزيرة شتر من أعمال بلنسية من بلاد الاندلس وكان مقيماً شرق الأندلس ولم يتعرض لاستراحة ملوك طوائفها مع ثقافتهم على أهل الأدب . ولهُ ديوان شعر احسن فيه كل إحسان . وابن خفاجة هذا هو مالك أخته الحسن وناهج طريقها . العارف بترصيعها وتنسيقها . الناظم لمقودها . الراقم لبرودها . المجيد لإرهاقها . العالم بجلائها وزفافها . تصرف في فنون الإبداع كيف شاء . والبلغ دلوه من الاجادة الرشاء . فشعشع القول وروقه ومد في ميدان الاعجاز طلعه . نجاة نظامه ارق من النسيم العليل . وآثق من الروض البليل . يكاد يخرج بالروح . وترتاح له النفس كالنفس المروح . ان وصف فناهيك من غرض انفراد بمضاره . وتجرد بحسب ذماره . وان مدح فلا الأعشى للمخلق . ولا حسن لأهل جلق . وان تصرف في فنون الأوصاف . فهو فيها كفارس خصاف . وكان في شيبته مخلوع الرسن . في ميدان مجونه . كثير الوسن . بين صفا الاتهاك ومجونه . لا يبالي بن التبس . ولا اي نار اقتبس . الا انه قد نسك نسك ابن أذينة . وغض عن ارسال نظره في اعقاب الهوى عنه . وقد اثبت ما يقف عليه اللواء .

(قلائد المعيان لابن خاقان)

ونصرف اليه الاهواء

ابن دُرَيْدٍ (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) (٨٣٩ - ٩٣٤ م)

١٨٣ هو أبو بكر محمد بن دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ ولد بالبصرة ونشأ بهمان . وطلب علم النحو وكان من اكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وانساب العرب وشاعراهم . وكان شاعراً كثير الشعر . فمن ذلك مقصوده المشهورة فكان يقال ان أبا بكر بن دُرَيْدٍ أعلم الشعراء وأشعر العلماء . وله في الكتب كتاب الجهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الانواء وكتاب الملاحن وكتاب أدب الكتاب الى غير ذلك . وذكر انه مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ودُفِنَا في مقبرة الخيزران . وقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دُرَيْدٍ والجبائي . وورثاه جمجمة فقال :

فُقِدَتْ بَابِن دُرَيْدٍ كُلُّ مُنْفَعَةٍ لَّمَّا غَدَا ثَالِثُ الْأَحْجَارِ وَالتَّرَبِّ
قَدْ كُنْتُ أَبِئِي لِفَقْدِ الْجُودِ آوَةً فَصُرْتُ أَبِئِي لِفَقْدِ الْجُودِ وَالْأَدَبِ (للانباري)

ابن الرومي (٢٢١ - ٢٨٢ هـ) (٨٣٧ - ٨٩٦ م)

١٨٤ هو أبو الحسن بن جورجيس المعروف بابن الرومي . (شاعر المشهور صاحب النظم العجيب . والتوليد الغريب . ينفوس على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويرزها في أحسن صورة . ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبقى فيه بقية . وله القصائد المطولة والمقاطع البديعة . وله في الهجاء والمدح كل شيء ظريف . فمن ذلك قوله وما سبقه أحد الى هذا المعنى :

أَرَأَوْكُمْ وَوَجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَّوْنَ نُجُومٍ
مِنْهَا مَعَالِمُ الْهَدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدَّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رُجُومُ

ومات ابن الرومي ببغداد وفيها يقول وقد غاب عنها في بعض أسفاره :

بَلَدٌ صَحِبَتْ لَهُ الشَّيْبَةُ وَالصَّبَا وَلِبَسْتُ ثَوْبَ الْعَيْشِ وَهُوَ جَدِيدُ
فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيُهُ وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ

ابن زَيْدُونَ (٣٥٤ - ٤٠٥ هـ) (٩٦٦ - ١٠١٤ م)

١٨٥ هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخزرجي الأندلسي القُرطُبِيُّ الشاعر المشهور كان غاية منشور ومنظوم . وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من خُرِّ الأَيَّامِ خُرّاً . وفاق الأَنَامَ طُرّاً . وصرف السلطان نفعا وضراً . ووسع البيان نظماً ونثراً . الى أدب ليس للبحر تدفقه . ولا للبدور تألقه . وشعر ليس للسمر يسانه . ولا للنجوم اقتترانه . وحظ من التغرير المعاني . شعري الألفاظ والمعاني . وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقُرطبة . وبرع ادبه وجاد شعره . وعلا شأنه وانطلق لسانه . ثم انتقل عن قرطبة . الى المعتضد عباد صاحب إشبيلية فجعله من خواصه يجالسهُ في خلواته . ويركن الى إشاراته . وكان معه في

صورة وذر وله شيء كثير من الرسائل والنظم فمن ذلك قوله:

يا ناعماً حظهُ مني ولو بُدِدتْ لي الحياةُ بحظِّي منه لم أبع
يكحك أنك إن حملت قلبي ما لا يستطيع قلوبُ الناسِ يستطع
تُه أحتمل وأستطيل أصبر وعزَّأهن وول أقبل وقل أسمع ومن أطم
وله القصائد الطائفة ولولا خوف الاطالة لذكرنا بعضها . ومن بديع قلائده قصيدته النونية
التي منها: تكاد حين تناجيك ضائرتنا يقضي علينا الأمل لولا تأسنا
حالت لبعديكم أيامنا فعدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
بالأمس كننا وما يُحشى تفرقنا واليوم نحن وما يرعى تلاقينا
وهي طويلة وكل أبياتها نُحِب . وكانت وفاته بأشبيلية (الذخيرة لابن بسام)

ابن مطروح (٥٩٢ - ٦٤٩ هـ) (١١٩٧ - ١٢٥٢ م)

١٨٦ هو أبو الحسن يحيى بن مطروح الملقب جمال الدين من أهل مديد مصر . ونشأ هناك وأقام بقوص مدة وتعلت به الاحوال في الخدم والولايات . ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين الأيوبي . وكان اذ ذاك نائباً عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية فرثبه السلطان ناظرًا في الخزانة . ولم يزل يقرب منه ويحظى عنده الى ان ملك الملك الصالح دمشق . فرثبه بدمشق نائباً في صورة وزير لها . فحسن حاله . وارتفعت منزلته . ثم تغير عليه الملك الصالح وتكرله وعزله عن ولايته لأمور نقمها عليه . فني ابن مطروح مواظبًا على الخدمة مع الاعراض عنه الى أن مات الملك الصالح . فدخل مصر وأقام بها في داره الى وفاته . وكانت أدواته جميلةً وخلاؤه حميدة . جمع بين الفضل والروة والأخلاق المرضية . ويستجد له قوله في بعض أسفاره وقد نزل في طريقه بمسجد وهو مريض:
يا رب ان عجز الطبيب فداوني بلطف صنعك واشفني يا شافي
أنا من ضيوفك قد حُصيت وإن من شيم الكرام البر بالاضياف
وكان بينه وبين أدباء عصره مذكرات أدبية لطيفة ومكاتبات في الغيبة . واجتمع في مصر بيهاء الدين زهير الشاعر . وابن مطروح ديوان شعر يتداوله الناس (لابن خلكان)

ابن التنيه (٥٥٩ - ٦١٩ هـ) (١١٦٥ - ١٢٢٣ م)

١٨٧ هو أبو الحسن علي الشاعر البارع كمال الدين بن التنيه المصري . بدر فصاحته تحلى بصفة الكمال . وشمس بلاغته لا يعترى سناها زوال . كلامه تمسقه الطباع . وتلذذ به الأسماع . وله شعر اعذب من الماء الزلال وأغرب من السحر الحلال . ونثره ألطف من كاسات الشمول وأرق من سمات الشا . فالنظم والنثر عنده جتان عن يمين وشمال . مدح بني

أَبُو بَ وَاقْتَصَلَ بِالْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى وَكُتِبَ لَهُ الْإِنْشَاءُ . فَحَبَّرَ حُلُلَ الْبَرَاةِ وَوَشَّى . وَاطْرَبَ
الْمَسَامِعَ وَأَنْشَأَ . وَمَدَحُهُ بِقَصَائِدٍ نَظَمَ بِهَا فِي جِيدِ الدَّهْرِ اللَّائِي . وَخَلَّدَ ذِكْرُهُ فِي صَحَافِ الْأَيَّامِ
وَالْيَلَالِي . وَلَهُ الدِّيَوَانُ الْمَشْهُورُ اتَّبَعَهُ مِنْ نَتَائِجِ فِكْرِهِ . وَنَفَثَاتِ سَعْيِهِ . لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَقِي الدَّرَّةَ
الْفَرِيدَةَ وَاقْتَنَاهَا . وَتَعَرَّى النَّادِرَةَ الشَّارِدَةَ لِيَتَبَهَا . وَسَكَنَ ابْنُ النَّبِيِّ نَصِيبِينَ الشَّرْقِ وَتَوَقَّى جَاهَا

أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ (١٩٠ - ٢٢٨ هـ) (٨٠٧ - ٨٤٣ م)

١٨٨ قال الصولي: كان أبوه نصرانياً . وكان واحد عصره في ديباجة لفظه وبضاعة
شعره وحسن أسلوبيه . وله كتاب الحماسة التي دلت على غزارة فضله . واثقان معرفته بحسن
اختياره . وله مجموع آخر سماه (فحول الشعراء) جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية
والمخضرمين والاسلاميين . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره . قيل انه كان يحفظ
أربعة آلاف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم . وجاب
البصرة . وقال العلماء: خرج من قبيلة طي ثلاثة كل واحد محب في بابه جام الطائي في جوده .
وداود بن نصير الطائي في زهده . وأبو تَمَّامٍ حبيب بن أوس الطائي في شعره . وأخباره كثيرة
ورأيت الناس يطبقون على انه مدح الخليفة بقصيدته السنية فلما انتهى فيها الى قوله:

إقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أخف في ذكاء إياس
قال الوزير أنشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد يقول:

لا تنكروا ضري له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

فانه قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فقال الوزير للخليفة: أي شيء طلبه فاعطه . وذكر الصولي ان أبا تَمَّامٍ لما مدح محمد بن
عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله:

ذيمة سحمة القياد سكوب مستغث بها الثرى المكروب

لوسعت بقعة لأعظام أخرى كسعى نحوها المكان الجديب

قال له ابن الزيات: يا أبا تَمَّامٍ انك تلحي شعرك من جواهر لفظك وبدع معانيك ما
يزيد حسناً على جي الجواهر في أجياد الكواكب . وما يُذكر لك شيء من جزيل المكافاة إلا
ويقصر عن شعرك في الموازنة . ورواه الحسن بن وهب بقوله:

فُجِّعَ القريضُ بِخَاتَمِ الشعراءِ وَغَدِيرُ رَوْضَتِهِ حَبِيبُ الطائي

ماتا معاً ففجورا في حفرة وكذلك كانا قبل في الأحياء

أَبُو الْعَتَاهِيَةِ (١٣٠ - ٢١١ هـ) (٧٤٨ - ٨٢٧ م)

١٨٩ هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم العتري المعروف بابي العتاهية الشاعر المشهور مولده

بعين التمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة . ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجر رقيقاً له الجزار . قال اشع السلمي الشاعر المشهور . اذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه . فدخلنا فامرنا بالجلوس فاتفق ان جلس بجني بشار بن برد . وسكت المهدي فسكت الناس فسمع بشار حساً فقال لي : من هذا . فقلت : أبو العتاهية . فقال : أترأه يشد في هذا الحفل . فقلت : احسبه سيفعل . قال فامر المهدي فانشد :

أتته الخلافة منقادةً إليه تجرّ اذبالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو راسها احد غيره لزلزلت الارض زلزلا
ولو لم تطعم بناب القلوب لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشار : انظر ويحك يا اشجع هل طار الخليفة عن فرسه . قال اشجع : فوالله ما انصرف احد عند ذلك المجلس بميزة غير أبي العتاهية . وله في الزهد اشعار كثيرة وهو من مقدي المولدين في طبقات بشار وأبي نواس وتلك الطائفة . وشعره كثير . وتوفي ببغداد ولما حضرته الوفاة قال : اشتي ان يجي مخارق المغني ويغي عند رأسي . والبيان أنه من جملة أبيات إذا ما انقضت مني من الدهر مدني فإن عزاء الباكيات قليل سيعرض عن ذكرني وتنتسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل وأوصي ان يكتب على قبره :

إن عيشاً يكون آخره الموت لعيش مجلّ التغيض (لابن خلكان)

أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) (٩٣٣ - ٩٦٩ م)

١٩٠ هو الحارث بن أبي العلاء الحمداني كان فرد دهره وشمس عصره أدباً . وفضلاً وكرمًا ومجدًا . وبلاغة وبراعة . وفروسة وشجاعة . وشعره مشهور بين الحسن والجودة . والسهولة والجزالة والعذوبة . والفخامة والحلاوة . ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعدّ أشعر منهُ عند أهل الصنعة ونقّدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول : بدى الشعر بملك وختم بملك . يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحاي جانباً . فلا ينهري لمباراته . ولا يجترئ على مجاراته . وانما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تحسباً له واجلالاً . لا اغفالاً واضلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جدّاً بحاسن أبي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه . ويستحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله . وأسير أبو فراس مرتين فالمرّة الاولى بمقارة الكل في سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وما تعدوا به خرسنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها . وفيها انه ركب فرسه وركضه بريحه فاهوى به من أعلى الحصن

الى الفرات . والمرة الثانية أسره الروم على منيع في شوال سنة احدى وخمسين وحملوه الى قسطنطينية . وأقام في الاسر اربع سنين وله في الاسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه . وكانت مدينة منيع اقطاعاً له ومن شعره :

قد كنت عدتي التي اسطو بها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميتُ منك بضد ما أملتُهُ والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرتُ كالولد التي لبره أغضى على ألم لضرب الوالد
ومحاسن شعره كثيرة . وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي اسرته في سنة سبع وخمسين وثلاثائة . ورأيت في ديوانه انه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته :

ابنتي لا تجزعي كل الأنام الى ذهاب
نوحى عليّ بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي اذا كلمتني فعييت عن ردّ الجواب
زين الشباب أبو فرا من لم يمتّع بالشباب
هذا يدل على انه لم يقتل أو يكون قد جرح وتأخر موته ثم مات من الجراحة (اليقظة للثعالبي)

أبو نواس (١٤٥ - ١٩٨ هـ) (٧٦٣ - ٨١٤ م)

١٩١ هو أبو علي الحسن بن هاني المعروف بابي نواس الحكي الساعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد فاستحلّه واليه بن الحباب . ورأى فيه مخايل النجابة فصار أبو نواس معه . وزوي ان الحبيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال : أغاني أدبي عن نسي . فامسك عنه . قال اساميل بن نوح : ما رأيت قط اوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه . وهو في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع وهو مجيد في العشرة . وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة فلهذا يوجد ديوانه مختلفاً ومع شهرة ديوانه لا حاجة الى ذكر شيء منه . ورأيت في بعض الكتب ان المأمون كان يقول : لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي النّوّاس : ألا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
اذا تمّ الدنيا ليبت تكشفت له عن عدوّ في ثياب صديق
وكان محمد الأمين قد منخط على أبي نّوّاس لقضية جرت له معه فهدّده بالقتل وجبسه .

فكتب اليه من السجن :

بك أستجير من الرّدى متعوّداً من سطو باسك
وحياة رأسك لا اعو دُ لثلها وحياة رأسك
من ذا يكون أبا نوا سك إن قتلت أبا نوا سك

ولهُ معه وقائع كثيرة . وكانت وفاته ببغداد . وأما قيل له أبو نواسٍ لذوّابتين كانتا له
توسان على عاتقيه . وصفهُ أبو عبد الله الجعّار قال : كان أبو نواسٍ اظرف الناس منطقاً
وأغزرم أدباً . وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً وأكثرهم حياءً . وكان ابيض اللون جميل
الوجه مليح النخمة والإشارة . ملتف الأعضاء بين الطويل والقصير . مسنون الوجه قائم
الأنف . حسن العينين والمضحك . حلواصوره لطيف الكف والاطراف . وكان فصيح اللسان
جيد البيان . عذب الالفاظ حلوا الشائل كثير التوارد . وأعلم الناس كيف تكلمت العرب .
راويةً للشعار علامة بالأخبار كأن كلامه شعرٌ موزون (لابن خلكان والقيرواني)

الأيورديُّ (٤٩٨ - ٥٥٧ هـ) (١١٠٥ - ١١٦٣ م)

١٩٢ هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس الأيوردي الشاعر المشهور . كان من الادباء
المشاهير راويةً نسابةً شاعراً ظريفاً . قسم ديوان شعره الى أقسام منها العرايات ومنها النجديات
وغير ذلك . وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب . نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات . وكان
فخر الرؤساء . حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرفاً في فنون حجة من العلوم . عارفاً بتاريخ
العرب فصيح الكلام حاذقاً في تصنيف الكتب . وافر العقل كامل الفضل . فريد دهره وحيد
عصره . وكان فيه تيه وكبر وعزة نفس . ومن محاسن شعره قوله :

ملكنا أقاليم البلاد فأذغت لنا رغبةً أو رهبةً عطاؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا شدايد أيام قليل رخاؤها
وكان الينا في السرور ابتسامها فصار علينا في الحسوم بكاؤها
وصرنا فلاقى النائيات بأوجه رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا ان نبوح بما جنت علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

ولهُ تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ايورد وكتاب المختلف والمؤتلف . وطبقات كل فن
وما اختلف وانتلف في أنساب العرب . ولهُ في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الي مثلها . وكان
حسن السيرة جميل الأثر له معاملة صحيحة . وكانت وفاته باصهان مسموماً (لابن خلكان)

البيحريُّ (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٨٢٢ - ٨٩٨ م)

١٩٣ هو ابو عبادة الوليد بن عبيد البيحري شاعر مقدم لا يعدل به أحد يفصل على حبيب .
والناس في تفضيلها على اختلاف . وُلِدَ بمنج وثناً وتخرّج بها . ثم خرج الى العراق ومدح
جماعة من الخلفاء أو لهم التوكل وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ثم عاد الى الشام . وكان حسن
المذهب تقي الكلام ختم به الشعراء المحدثون . ولهُ تضرُّع في ضروب الشعر سوى الهجاء فان
بضاعته فيه نزره . وحدث البيحري عن نفسه قال : وكان أول امرئ اني دخلت على أبي

سعيد محمد بن يوسف التجري فأنشدته قصيدة أولها: (أأفلق صب من هوى فافعا).
فسر أبو يوسف بها وقال: أحسنَ والله يا فتى واجدت. وفي مجلسه رجل رفع نبيل قريب
المجلس منه فوق كل من حضر. فاقبل علي وقال: أما تستحي مني. هذا شعري تتخله وتنشده
بمحضري. فقال له أبو سعيد: أحقاً ما تقول. قال: نعم. وإنما علقه مني وسبق به إليك وزاد
فيه. ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى تشككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً. فقال لي أبو
سعيد: يا فتى قد كان لك في قرابتك مني ما يفنيك عن هذا. فجلعت أحلف بكل محرمة من
الآيمان أن الشعر لي ما سمعته منه ولا اتخلته فلم ينفع ذلك شيئاً. وأطرق أبو سعيد وقطع لي
حتى تمنيت أن يساخ بي في الأرض. فقممت منكسف البال أجز رجلي فما بلغت باب الدار حتى
ردني الغلام. فاقبل علي الرجل وقال: الشعر لك يا بُني. والله ما قلت قط ولا سمعته إلا منك.
ولكنني كنت ظننت أنك تماونت بموضعي فاقدمت على الانشاد بمحضرتي تريد مضاهاتي حتى
عزفني الأمير نسبك. ولوددت أن لاتلد طائفة إلا مثلك. ودعاني وضعتني إليه وعانقني وأبو
سعيد بضحك. فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه واحتذيت فته

وعن أبي النوف عن أبيه التجري قال: قال لي أبو تمام: بلغني أن بني حميد أعطوك ما لا جليلاً فيهم
مدحتهم فأنشدني شيئاً منه. فأنشدته فقال لي: كم أعطوك. فقلت: كذا. فقال لي: ظلك. ما
وفوك حقلك والله لبيت منها خير مما أخذت. ثم اطرق قليلاً ثم قال: لعمرى لقد مات الكرام
وذهب الناس وغاضت المسكram وكسدت أسواق الأدب. أنت والله يا بُني أمير الشعراء غداً
بعدي. فقممت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت: والله لهذا القول أسر لي ما وصل الي منهم.
فيل للتجري أيكما أشعر أنت أو أبو تمام قال: جیده خير من جيدي وردني خير من رديي.
وصدق فإن أبا تمام لا يعلّق به أحد في جیده. وربما اختل لفظه لا معناه. والتجري لا يخلّ لفظه.
وقيل له: قد عثرت باحتذائك أبا تمام في شعرك. فقال: أيعاب علي أن اتبع أبا تمام ما عملت
بيتاً قط حتى أخطر شعره بيالي. وذكروا معنى تماوره التجري وأبو تمام فقال المبرد للتجري:
أنت في هذا أشعر من أبي تمام. فقال: لا والله ذلك الرئيس الأستاذ. والله ما أكلت الخبز إلا
به. قال المبرد: شعر التجري أحسن استواء من شعري تمام. لأن التجري يقول القصيدة كلها
فتكون سليمة من طعن طاعن. وأبو تمام يقول البيت النادر والبارد. (وهذا المعنى كان أعجب
إلى الأصمعي) وما أشبهه إلا بغائص يخرج الدرّة ثم قال: لأبي تمام والتجري من الحاسن ما لو
قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله وذكر المبرد شعراً له وقدمه على نظرائه:

وإذا ذكرت محاسن أبي صاعد أدت إليك مخالب أبي مخلد
كالفرودين إذا تأمل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد
وبعدها: أغنت يده يدي وشرّد جوّد بخلي فافقرني بما أغناني

وله أيضاً في الفتح بن خاقان وقد تزل الى الأسد وقتله:

حملت عليه السيف لاعطفك انثى ولا يدك ارتدت ولا حدة نبا
فاحجم لئلا لم يحيد فيك مطعماً وصمم لئلا لم يحيد عنك مهرباً
وله فيه: وما منع الفتح بن خاقان نيله ولكنها الايام تعطي وتحرم
سحاب خطائي جوذه وهو مسبل ويحمر عدائي فيضه وهو مفعم
أأشكونده بعدان وسع الوري ومن ذا يذم الفيت الأمدم

والبحثري مكثر جداً وديوان شعره نسخ مختلفاً بالزيادة والنقص لأن شعره لا ينضبط لكثيره. قال البحثري: كنت أدم الشعر في حداتي وكنت ارجع فيه الى الطبع ولم أكن أقف على سهل مأخذه ووجوه اقتضايه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه. فكان أول ما قال لي: أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل المصوم صفر من الصوم. ومن ذاك وقت السحر لان النفس تكون قد اخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم. فان اردت النسب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رقيقاً. واذا اخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه. وأظهر مناسبة. وأين معالته. وإياك ان تشين شعرك بالألفاظ الهجئة. وكن كأنتك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام. واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعراً الا وانت فارغ القلب. واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمه. فان الشهوة تجمع النفس. وحيلة الحال ان تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى. فاعلمت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة

ومن اخبار البحثري انه كان يحب شخص يقال له طاهر ابن محمد الهاشمي مات ابوه وخلف له مقدار مائة الف دينار فانفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله. فقصده البحثري من العراق فلما وصل الى حلب قيل له انه قد قعد في بيته لديون ركبته. فاغتم البحثري لذلك غمماً شديداً وبعث المذحة اليه مع بعض مواليه. فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له: بيع دارى. فقال له: اتبع دارك وتبقى على رؤوس الناس. فقال: لا بد من بيعها. فباعها بثلاثمائة دينار فاخذ صرة وربط فيها مائة دينار وانفذها الى البحثري. وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الآيات:

لو يكون الحباء حسب الذي أؤ ت لدينا به محل واهل
لحيت الجين والدّر واليا قوت ختوا وكان ذاك يقل
والأديب الأريب يسبح بالعد ر اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحثري ردّ الدنانير وكتب اليه:

بأي انت والله للبر أهل والساعي بعد وسعك قبل
والنوال القليل يكثر ان شا م رجيك والكثير يقل

غير اني رددت برك اذ كان رباً منك والربا لا يحل
واذا ما جزيت شعراً بشعري فضي الحق والدنانير فضل
فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين ديناراً اخرى وحلف انه لا يردها عليه
وسيرها فلما وصلت البحري انشأ يقول :
شكرتك ان الشكر للعبد نعمة ومن يشكر المعروف فانه زائده
لكل زمان واحد يقتدى به وهذا زمان انت لاشك واحده (الأغاني)

البُسْتِي (٣٣٩ - ٤٠٠ هـ) (٩٥١ - ١٠١٢ م)

١٩٤ هو ابو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور صاحب الطريقة الأنيفة والتجنيس الأنيس . البديع التأسيس . وكان في عنفوان امره كتباً لياتوز صاحب بُست . فلما افتتحها الأمير ناصر الدولة ابو منصور سبكتكين أراد ابو الفتح ان يتنق عن الخدمة فذل عليه فاستحضره وفوض اليه مهمات ديوانه مع كون ياتوز في قيد الحياة . فأشفق من سعي حساده فطلب ان يعتزل في بعض أطراف المملكة حتى تسكن الفتنة ويستقر الأمر فأجيب الى طلبه وأشار عليه بناحية الرُّحج . فبقي فيها حتى استدعاه السلطان المعظم يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقد كتب له عدة فتوح . فبقي عنده الى ان زحزحه القضاء عن خدمته وبذره الى ديار الترك فانتقل بها الى جوار ربه . وله نثر رائق بديع وفصول قصار تجري مجرى الأمثال

بهاء الدين زهير (٥٨١ - ٦٥٦ هـ) (١١٨٦ - ١٢٥٩ م)

١٩٥ أبو الفضل زهير الملقب بهاء الدين الكاتب من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً ومن اكبرهم مروءة . كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل بالديار المصرية . وتوجه في خدمته الى البلاد الشرقية . واقام بها الى ان ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل اليها في خدمته . وأقام كذلك الى ان جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح . وخرجت عنه دمشق وخانته عسكره وهو على نابلس وتفرق عنه . وقبض عليه ابن عمه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك . فاقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظاً لصاحبه ولم يتصل بغيره . ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية . وقدم اليها بهاء الدين سنة سبع وثلاثين وستائة فاجتمعت به ورأيت فوق ما سمعت عنه من مكارم الاخلاق وكثرة الرياضة ودمائة السمايا . وكان متمكناً من صاحبه كبير القدر عنده لا يطلع على سره الخفي غيره . ومع هذا كله فانه كان لا يتوسط عنده الا بالخير . ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته واشدني كثيراً من شعره . وديوانه كثير الوجود بايدى الناس . وله شعر جيد . فن ذلك ما قاله وقد غرقت به سفينة فسلم

بنفسه منها وذهب ما كان معه :

لا تعتب الدهر في خطب رماك به
حاسب زمانك في حالي تصرفه
والله قد جعل الأيام دائرة
ورأس مالك وهي الروح قد سلمت
ما كنت أول مفدوح بمحادثة
ورب مالي نأ من بعد مرزئة
وكانت وفاته بالقاهرة بالوباء
ان استردّ قدماً طالما وهبا
تجدّه اعطاك اضعاف الذي سلبا
فلا ترى راحة تبقى ولا تعباً
لا تأسفن لشيء بعدها ذهباً
كذا مضى الدهر لا بدءاً ولا عجباً
أما ترى الشمع بعد القطف ملتهباً
(لاين خلكان)

جرير (٤٢ - ١١٠هـ) (٦٦٣ - ٧٢٩ م)

١٩٦ هو ابو حرزة جرير بن عطية التميمي الشاعر المشهور من فحول شعراء الاسلام
وكان بينه وبين الفرزدق مهاجرة ونفاض وهو أشعر من الفرزدق والأخطل ويختلف في ايجم
المتقدم . واحتج من قدم جرير بأنه كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظاً واقلهم تكلفاً
وكان ديناً عفيفاً . وسئل اعرابي ايجم عندهم أشعر الشعراء . قال : بيوت الشعر فخر ومدح
وهياء وفي كلهما غلب جرير . فقال في الفخر :

إذا غضبت عليك بنو تميم
وقال في مدح ابن مروان :

السم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح
وقال في هياء لراعي الشاعر :

ففض الطرف اترك من غمير
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وذكر الأصمعي قال : كان ينهش جريراً ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره
يرمي بهم واحداً واحداً وثبت له الفرزدق والأخطل . وامتح جرير الخلفاء فن قوله في
مدح عمر : أنا لئرجو اذا ما النيث أخلفنا
نالب الخلافة اذ كانت له قدراً
أذكر الجهد والبلوى التي تزلت
ما زلت بعدك في دار تعرفني
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا
كم بالمواسم من شتاء أرملة
يدعوك دعوة ملهوف كان به
ممن بعدك تكفي فقد والده
من الخليفة ما نرجو من المطر
كما أتى ربّه موسى على قدر
ام تكتفي بالذي بلغت من خبري
قد طال بعدك إضعادي ومخدري
ولا يجود لنا باد على حصر
ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
خبلاً من الحن أو مساً من البشر
كالفرخ في المس لم ينهض ولم يطير (الأغاني)

صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِّيُّ (٦٨٥ - ٧٤٠ هـ) (١٢٨٧ - ١٣٤٥ م)

١٩٧ هو عبد العزيز بن سرايا الحلبي الملقب بصفي الدين مناهل ألقاه العذاب صافية من شوائب التعقيد . ورياض معانيه المفرحة بنشرها الأبواب شافية لمن كسر من خمرها الرائق المديد واخبر عن نفسه قال : كنت قبل ان اشبَّ عن الطوق . واعلم ما دواعي الشوق . بهجاً بالشعر نظماً وحفظاً . متقناً علومه معنى ولفظاً . فاعده من أدب الفضائل . ثم جرت بالعراق حروب ويحزن اوجبت بُعدي عن عربي . وهجر اهلي وقريني . بعد ان تكمل لي من الأشعار . ما سبقي الى الأنصار . فططعت رحالي بقاء ملوك آل أرتق اصحاب ماردين . فتبتوا بالاحسان فدي . وصانوا عن بني الزمان وجبي ودي . فظمت في مدح السلطان الأعظم نجم الدين ابي الفتح غازي تسعاً وعشرين قصيدة . كل منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها وبه يُخْتَم . ووسمته بدرر النور . في مدائح الملك المنصور . ثم قذف بي خوف بلادي الى الديار المصرية . واهلت للثول في الحضرة الشريفة الملكية الناصرية . فشعلني من الانعام ما الزمتني المروءة مكافأة تلك الحقوق . ورأيت كفرانها كالعقوق . فجمعت له من جد شعره وهزله . ورقيق لفظه وجزله . فبوتته ابين التبويب . وربتته احسن الترتيب . فوقع عنده بموقع الاستحسان . واكرم مثواي وأجزل علي الاحسان . (اه) ولصفي الدين الحلبي مؤلفات منها كتاب في علم الري وكتاب في اغلاط العرب . وكانت وفاته في بغداد (من ديوانه)

أَخْوَارَزْمِيُّ (٣١٦ - ٣٨٣ هـ) (٩٢٩ - ٩٩٢ م)

١٩٨ هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور ويقال له الطبر ختري ايضاً ابن اخت الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور احد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير . كان اماماً في اللغة والانساب . أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان يُشار اليه في عصره . ويحكى انه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بارجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابيه . قل للصاحب : على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحجاب واعلمه فقال الصاحب : قل له : قد ألزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليه الحجاب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء . فدخل الحجاب فاعاد عليه ما قال . فقال الصاحب : هذا يكون ابو بكر الخوارزمي فاذن له في الدخول . فدخل عليه فعرفه وانبسط له . وابو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ومن نظم قوله :

رَأَيْتُكَ اِنْ ايسَرْتَ خَيْمَتَ عِنْدَنَا مَقِيماً وَاِنْ ايسَرْتَ زَرْتَ لِمَامَا

فَما اَنْتَ اِلَّا البَدْرُ اِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ اَغْبُ وَاِنْ زَادَ الضِّيَاءُ اَقَامَا

وكان أبو بكر قليل الوفاء فهجاه أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :
 أبو بكر له أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على البقاء
 مودته إذا دامت الحلب فمن وقت الصباح الى المساء
 ولحقه ونوادره كثيرة . ولأرجع من الشام سكن نيسابور ومات بها (لابن خلكان)
 الطُّغْرَايُ (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) (١٠٦٦ - ١١٢٠ م)

١٩٩ هو مؤيد الدين الاصمعي المنشأ المعروف بالطغراني كان عزيز الفضل لطيف الطبع . فاق أهل عصره بصنعة نظم والنثر . وله ديوان شعر جيد . ومن محاسن شعره قصيدته المروفة بلامة العمم . وكان علمها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه . وكان الطغراني ولي الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب في تاريخ الدولة السلجوقية ان الطغراني المذكور كان يُنعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل . وانه لما جرى بينه وبين اخيه السلطان محمود المصاف بالمقرب من همدان وكانت التمرة لمحمود فأول من أخذ الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود . فاخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين السميري فقال : من يكن ملجأ يُقتل . وقد كانوا خافوا منه فاعتمدوا قتله جهده الحجة وقتل في سوق ببغداد عند المدرسة النظامية . وقيل قتله عبد اسود كان للطغراني المذكور لانه قتل استاذهُ (لابن خلكان)

الْفَارِضِيُّ (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ) (١١٨١ - ١٢٣٥ م)

٣٠٠ هو عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف . له ديوان شعر لطيف . واسلوبه فيه رائق ظريف . يخو منى طريقة الفقراء . وله قصيدة مقدار مئاة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم . وما ألطف قوله من جملة قصيدة طويلة :

أهلاً بما لم أكن أهلاً بموقعه قول المبشر بعد البأس بالفرج
 لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج
 وأحسن ما قال في صفة الباري قوله :

وعلى تفنن واصفٍ بحسنة يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
 وله دوبيت موابياً والغاز . وسمعت انه كان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التبرؤ جاور مكة زماناً وكان حسن الصحبة محمود العشرة . وكانت ولادته بالقاهرة وتوفي بها ودُفن من الغد بسفح المقطم (لابن خلكان)

الْفَرَزْدَقُ (٣٨ - ١٢٠ هـ) (٦٥٩ - ٧٢٩ م)

٣٠١ اسمه همام بن غالب بن صمصمة دارمي من أشراف نيم . والفردق لقب به لجهومة وجهه وظلته . والفردق قطع العجين . وكان الفردق ردي الطباع قبيح النظر . سيئ الخبر . قاذفاً للحصنات خيث الهجو . وكان مهيباً تخافه الشعراء . وقد يجتج البعوض في تقديعه على أنه يميل الى جزالة الشعر وفخامته وشدة اسره . والفردق اكثر الشعراء مقلداً والمقلد المغنى المشهور الذي يضرب به المثل فن ذلك قوله :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَهُ ضَرْبَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادِعُ
وَقَوْلُهُ : وَكُنْتُ كَذَّبَ السَّوْءَ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ
وَقَوْلُهُ : تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ لَنَا فِرَارَهُ وَيَجْرِبُ مِنَّا جَهْدَهُ كُلَّ مَظْلَمٍ
وَقَوْلُهُ : تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ حَوْلَنَا وَأَنْ نَحْنُ أَوْثَمْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

وله القصائد الفراء في الرثاء والفخر والهجو والمدح فن ذلك فصيدته البيمية في زين العابدين . وقوله في بني المهلب :

فَلَا مَدْحَ بْنِ الْمُهَلَّبِ مَدْحَةً غَرَاءَ قَاهِرَةٍ عَلَى الْأَشْعَارِ
مِثْلَ النُّجُومِ إِمَامَهَا قَرَأُوهَا تَجْلُو الْعَمَى وَتُضِيءُ لَيْلَ السَّارِ
وَرِثُوا الطَّعَامَ عَنِ الْمُهَلَّبِ وَالْقُرَى وَخَلَائِقًا كَتَدْفِقُ الْأَخَارِ
كَانَ الْمُهَلَّبُ لِلْعِرَاقِ وَقَايَةً وَحَيَا الرَّبِيعَ وَمَعْقِلَ الْفَرَارِ
وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمُ خَضَعَ الرِّقَابَ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ

ومات الفردق بالبصرة سنة مات فيها الحسن وابن سيرين وجريير (لشرشي)

الْأَخْبِيُّ (٥١٩ - ٥٩٦ هـ) (١١٢٦ - ١٢٠٠ م)

٣٠٢ هو ابو علي عبد الرحيم بن احمد اللخمي العسقلاني المصري الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقب بحجر الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين وتمكن منه غاية التمكن . وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين وله فيه غرائب مع الاكثار . ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلدة وهو مجيد في اكثرها . وهو رب القلم والبيان . واللسن واللسان . والقرينة الوقادة . والبصرة النقادة . والبدعة المحجرة . والبدعة المطرزة . والفضل الذي ما سمع في الأوائل بن لو عاش في زمانه لتعلق بفباره . او جرى في مضاره . يخترع الأفكار . ويفترع الأبتكار . ويطلع الأنوار . ويبدع الأزهار . وهو ضابط الملك بأرائه . رابط السلك ببلائه . ان شاء انشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو

ذَوْن لكان لاهل الصناعة . خير بضاعة . اين قسْ عند فصاحتِه . واين قيس في مقام حصافته
ومن حاتمٌ وعمرو في ساحتِه وحماستِه . وبلغه ونوادره كثيرة وله في النظم ايضاً اشياء حسنة
منها قوله : واذا السعادة لاحظتك عيونها ثم فالحافوف كلكهن أمانٌ
واصطد بها العنقاء في حباتلٌ واقتد بها الجوزاء في عنانٌ
وكانت وفاته بالقاهرة (الخريدة للعقاد الاصبهاني)

أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) (٩٧٤ - ١٠٥٨ م)

٢٠٣ هو أحمد بن عبد الله القضاعي المعري التنوخي كان علامة عصره . وله التصانيف
للمشهوره والرسائل المأثورة . وله من النظم لزوم ما لا يلزم . وله سقط الزند وهو متن التنوير
وكتاب الابلک والنصون . وكان متضلعا من فنون الأدب . وأخذ عنه أبو القاسم التنوخي
والخطيب أبو زكريا يحيى التبريزي شارح الحاسة وغيرهما ثم عمي بالجُدري . ومن تصانيفه
كتاب اللامع العزيزي وهو شرح شعر المتنبي ولما قرئ عليه الكتاب المذكور أخذ الجماعة في
وصفه واطرائه . فقال أبو العلاء : كأنما نظر المتنبي اليّ يلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعشى الى أدبي واسمعت كلماني من به صمم

واختصر ديوان أبي تمام حبيب وشرحه وديوان البحري وديوان المتنبي وتكلم على غريب
اشعارهم ومعانيها وما أخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم . وتولى الانتصار لهم والتقد في بعض المواضع
عليهم . والتوجيه للفظ في بعض الأماكن . ورحل الى بغداد مرتين . ولما رجع منها في المرة الثانية
لزم منزله وشرع في التصنيف . وكان يلي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلوم . وأخذ عنه
ناس وسار اليه الطلبة من الآفاق والعلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمي نفسه رهن الحبسين
لزوومه منزله ولذهاب عييه . ومكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم ترهفا . وعمل الشعر وهو
ابن احدى عشرة سنة . ولما توفي قرئ على قبره سبعون مرثية منها قول أبي الفتح حصينة المعري :

العلم بعد أبي العلاء مضيعٌ والارض خالية الجوانب بلقعٌ

أودى وقد ملأ البلاد غرائباً تسري كما تسري النجوم الطلوع

ما كنت اعلم وهو يوضع في الثرى ان الثرى فيه الكواكب تودع

جبلٌ ظننت وقد ترزعزع ركنه ان الجبال الراسيات ترزعزع

وعجت ان تسع المعرة قبره ويضيق بطن الارض عنه الأوسع

لو فاضت الهجات يوم وفاته ما استكثرت فيه فكيف الأدمع

عينٌ تهتد للعفاف وللتقى ابداً وقلبٌ للمهين يمتنع

شيمٌ تحمسه فمن لهجده تاجٌ ولكن بالثناء يرصع

جادت ثراك أبا العلاء غمامة كندى يدبك ومزنة لا تقلع

ما ضيَّع الباكي عليك دموعه ان الدموع على سواك نضيَّع
 قصدتك طلاب العلوم ولا أرى للعلم باباً بعد بابك يفرغ
 مات النهر وتغطَّت أسبابه وقضى التأذُّب والمكارم أجمع
 أبو الطيب المتنبِّي (٣٠٣ - ٣٥٤) (٩١٦ - ٩٦٦)

٢٠٩ هو أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي الكندي المعروف بالمتنبِّي الشاعر المشهور.
 وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها . وكان من
 المتكثرين من نقل اللغة والمطالعين على غريبها وحواشيها . ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه
 بكلام العرب من النظم والنثر . وأما شعره فهو في النهاية ولا حاجة الى ذكر شيء منه لشهرته
 لكن الشيخ تاج الدين الكندي كان يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وهما :

أَبْعَيْنَ مُفْتَقِرَ الْبَيْتِ نَظَرْتِي فَاهْتَنَيْتِي وَقَدَفْتَنِي مِنْ حَالَتِي
 لَسْتُ الْمَلُومُ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي انْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْحَالَتِي

ولمَّا كان بمصر مرض وكان له صديق يفشاه في طلبه فلما أبل انقطع عنه . فكذب اليه :
 وصلَّتي وصلك الله معلاً . وقطعتني مبلأ . فإن رأيت ان لا تحبب العلة الي . ولا تكدر الصحة علي .
 فقلت ان شاء الله تعالى . والناس في شعره على طبقات . ففهم من يرجه على أي تمام ومن بعده
 ومنهم من يرجح ابا تمام عليه وله التشابه البديعة كقوله :

في حِفْظِ سِرِّ الْعَمُونَ غِبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يَبْصُرُ بِالْأَذَانِ

واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم
 يقل هذا بديوان غيره . ولا شك انه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة التامة .
 وإنما قيل له المتنبِّي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم .
 فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فاسره وتفرق اصحابه وحبسهُ طويلاً . ثم استتابه
 وأطلقه . وقيل غير ذلك وهذا اصح . وقيل انه قال : انا أوَّل من تنبأ بالشعر . ثم التحق
 بالأمر سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٧ . وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة
 فيتكلمون بحضرته فوقع بين المتنبِّي و(بين) ابن خالويه النحوي كلام . فوثب ابن خالويه على
 المتنبِّي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فنتجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه . فغضب وخرج الى
 مصر سنة ٣٤٦ وامتدح كافوراً ولما لم ير ضيه هجاه وفارقه سنة ٣٥٠ فوجه كافور خلفه رواحل
 الى جهات شتى فلم يلحق به . وقصد المتنبِّي بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي
 فاجزله جائزته . ولمَّا رجع من عنده قاصداً بغداد ثم الكوفة في شعبان لثان خالون منه
 عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي بعة من اصحابه . وكان مع المتنبِّي ايضاً جماعة من اصحابه
 فقاتلهم . فقتل المتنبِّي وابنه وعلامه مفلح بالقرب من النعمانية (اليقظة للثعالبي وغير ذلك)

الباب الثالث عشر في التاريخ

اخبار الفرنج فيما ملكوا من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلبوا عليه
وبداية امرهم في ذلك ومصابره

الزحفة الاولى (١٠٩١ - ١٠٩٩ م)

٢٠٠ كانت دولة الفرنسيس من أعظم دول الفرنج واستغفل امرهم بعد الروم . وكان
مبتدا خروجهم سنة تسعين واربعمائة (١٠٨٧ م) فجهزوا لذلك . وكان ملوكهم الحاضرون
بقدوين والقمص (ريموند) وغفريد و بوجيوند . فجمعوا طريقهم في البر على القسطنطينية فتعهم
ملك الروم (ألكسيس) من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم أن يسلموا له انطاكية لكون
للمسلمين كانوا اخذوها من مالبيهم فقبلوا شرطه وسهل لهم العبور في خليجه . فاجازوا في العدد
العدة واتهبوا الى بلاد قليج ارسلان صاحب قونية فجمع للقاءهم فزموه . ثم ساروا الى انطاكية
وبها باغيسيان من امراء السلجوقية فاخذوها عنوة ووضعوا السيف في المسلمين الذين بها ونهبوا
اموالهم . وقتل باغيسيان وحمل رأسه اليهم وردوا امر المدينة الى بوجيوند (١٠٩٩ م) . فلما
سمع كروبوا صاحب الموصل بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام في كثير
من الامراء والقواد فزحفوا الى انطاكية وحاصروها ثلاثة عشر يوماً . فوهن الفرنج واشتد عليهم
الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الأمان فامتنع كروبوا . ثم ان كروبوا
اساء السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والامراء فخبئت بناهم عليه . وكان مع الفرنج
راهب مطاع فيهم فقال لهم : ان رجع الحربة التي طعن بها المسيح مدفونة بكنيسة البقيان فان
وجدتموها فانكم تظفرون . وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام . فلما كان اليوم
الرابع ادخلهم الموضع فحفروا عليها في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر . فقال لهم : أبشروا
بالظفر . فقويت عزيمتهم وخرجوا اليوم الخامس . فلما تكاملوا ولم يبق بانطاكية احد منهم ضربوا
مصافاً عظيماً فوقى المسلمون منهزمين فقتل الفرنج منهم الوفاً وغنموا ما في العسكر من الاقوات
والأموال والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم . وساروا الى معرة النعمان
فلكوها وزحفوا الى حمص فصالحهم اهلها واستولى بقدوين على مدينة الرها وملطية فلكها . ثم
دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة فسار الفرنج الى البيت المقدس وكان بيت المقدس قد

(٥) قد سبق الوعد بان نعمل خاتمة التاريخ ظهور الأتراك . فحصرنا في هذا الجزء اخبار
الدول الاسلامية وحروب الصليبيين واكتفينا بلجمة من تاريخ التتر وسلاطين الدولة العثمانية

ملكه السلجوقية . ثم طمع فيه أهل مصر فاستولوا عليه فصار امر القدس في يد خليفة مصر . فاستناب عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصده الفرنج وحاصروه اربعين ليلة ونصبوا على المدينة برجين وملكوها من الجانب الشمالي وركب الناس السيف فاحصي القتلى فكانوا سبعين ألفاً او يزيدون . وغنموا من المدينة ما لا يقع عليه الاحصاء وجاء الصريح الى بغداد صحة القاضي ابي سعيد الهروي فكثر البكاء والأسف . وقال في ذلك المظفر الايبوردي :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه
وكيف تنام العين ملء جفونها
واخواننا بالشام أضنى مقبلهم
يسومهم الروم الهوان وأنتم
أترضى صناديد الأعراب بالأذى
فليتهم إذ لم يذودوا حمية
فلم يبق منا غرضه للراجم
إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
على هفوات ايقظت كل نائم
ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وتعزي على ذل كاة الاعاجم
عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

ملك غنفرید (١٠٩٩ م) وبقودین الاول (١١٠٠ م)

٢٠٦ وتكنن الفرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس غنفرید من ملوكهم . ولما بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل الجيوش والعساكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالكبر والتهديد . فاعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلمحوا المسلمين ونهبوا سوادهم . ونازل الفرنج عسقلان حتى مانع اهلها الفرنج بعشرين الف دينار وعادوا الى القدس . ثم اتقوا الفتح واستولى تنكري على طبرية وتقلد عليها الامارة ثم افتتح حصن حيفا . وكانت وفاة غنفرید سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

وقام بالأمر بعده اخوه بقودین صاحب الرها . وسار في ملكه الفرنج الى سروج وقيسارية فلكوها عنوة (١١٠٠ م) وملكوا ارسوف بالأمان . وفي سنة ٥٩٥ هـ سار صغیل (ريموند) الى طرابلس وشد حصارها واعانته اهل الجبل والنصارى من أهل سوادها . ثم صالحوه على مال وخيل ورحل عنهم الى انطرسوس من اعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة . ثم رحل الى حمص ونازلها وملك اعمالها . ثم استغل امر الفرنج بالشام وتذب بقودین جمعاً كثيراً ممن سار الى زيارة القدس للغز وفاغاروا على عكا وقيسارية واكتسحوا نواحيها . وفي سنة ٥٩٧ هـ وصلت مواكب من بلاد الفرنج تحمل خلقاً كثيراً من التجار والحجاج فاستمان بهم صغیل على حصار طرابلس فحاصرها براً وبحراً حتى يسوا منها فارتحلوا الى جبيل وملكوها بالأمان . ثم سیر الأفضل صاحب مصر عسكرياً ضخماً الى قهر الفرنج فلكوا الرملة واستخدم صاحب عسقلان وطفرकिन انا بك صاحب دمشق فقصدهم بقودین فاقتلوا وكثرت

بينهم القتل واستشهد صاحب عسقلان وتماجزوا وعاد كل إلى بلده . ثم سار الفرنج إلى حصن افامية فحاصروه حتى جهد أهلها الجوع وملكوها البلد والقلعة . وقتلوا القاضي المنقلب عليها . وفي سنة ٥٤٩٩ هـ سار صنجيل ثالثة إلى طرابلس وأقام عليها وبني بالقرب منها حصناً وبني تحتها رباطاً وهو المعروف بحصن صنجيل فسار صاحب طرابلس إليه واحرق الرباط ووقف صنجيل على بعض سفوفه المحرقة فانخسف به فهلك وحمل إلى القدس ودفن فيه . وفي سنة ٥٥٠٢ هـ سار طفركين إتابك من دمشق إلى طبرية فزحف إليه ابن اخت بقدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استأثروا وهزموا الفرنج واسروا ابن اخت الملك فقتله طفركين بعد ان فادى نفسه بثلاثين الف دينار وخمسمائة اسير فلم يقبل منه إلا الاسلام او القتل . ولما كانت سنة ٥٥٠٣ هـ وصل القمص (ريموند) بن صنجيل بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وحاصروا طرابلس مع بقدوين ملك القدس ونصبوا عليها الأبراج . فاشتد بهم الحصار وهدموا القوت لتأخر الاسطول المصري بالميرة فلكرها غنوة وانحنوا فيها . ثم استولى الفرنج على بيروت غنوة واجتمعوا مع قوم كثير ممن قصد الحج والغزو ونازلوا صيدا براً وبحراً واسطول مصر يعجز عن التجادهم . ثم زحفوا إلى صور في ابراج الخشب المصنعة فضعفت نفوسهم ان يصيبهم مثل ما اصاب اهل بيروت فاستأمنوا فأمنهم الفرنج وعاد بقدوين إلى القدس . ثم دخلت سنة ٥٥٠٤ هـ فقصد بقدوين الديار المصرية فاتى إلى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها راجعاً إلى الشام وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش . فرحل اصحابه بجثته فدفنوها بكنيسة القيامة (لاني القداء ولجبر الدين الحنبلي)

ملك بقدوين الثاني (١١١٨ م) زنكي وفتوحاته

٢٠٧ ووصى بقدوين ببلاده القمص صاحب الرها وهو بقدوين الثاني الذي كان اسره جكرمش وأطلقه جادلي وكان حاضراً في القدس لزيارة الحج . فسلم امر الرها لجوسلين وكان شجاعاً من فحولهم أغار مراراً على جموع العرب والتركمان وغنم اموالهم ومواشيهم . وفي عهد بقدوين الثاني سار ابو الغازي صاحب ماردن إلى غزو الفرنج واجتمع بطفركين صاحب دمشق فاستولوا على رملة من اعمال دمشق وغيرها من بلاد الفرات فباغوا في تحصينها واعتزموا على تخريب بلاد الفرنج . فاسروا وغنموا وقتل صاحب انطاكية فاستنجد الفرنج ببقدوين فحشد العساكر وزحف إلى مقاتلة المسلمين فناجزهم ابو الغازي وصدق الحملة عليهم فقاتلوه أشد القتال وهزموه . ثم رجع طفركين إلى دمشق وأبو الغازي إلى ماردن فاغتالته بها المشية . ثم قام بعده بلك ابن أخيه فعاودوا الحرب فقتل بلك في الفرنج فتكة شعاء فأسر جوسلين صاحب الرها وحبسه في خرت برت فسار بقدوين إليه في جموعه فهزمهم بلك وأسر الملك وجماعة من زعمائهم وحبسهم في قلعة خرت برت مع جوسلين . ثم سار بلك إلى حران وملكها ولما غاب من

خرت برت تحيل الفرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجند . وسار بقديون الى بلده
وملك الآخرون القلعة فعاد بآلک اليهم وحاصرها وارتمعها من ايديهم ورتب فيها الحامية . وفي
سنة ٥١٨ هـ أخذ الفرنج يافا وملكوا مدينة صور بعد حصار طويل وكانت للنفاء العلويين
اصحاب مصر . وكان ملكها بالأمان فدخلها الفرنج وخرج المسلمون بما قدروا على حمله من
اموالهم . وفي عهد بقديون ظهر عماد الدين أتابك زنكي بن أنقر وكان أول امره ان السلطان
محمود السلجوقي ولأه على الموصل والجزيرة وديار بكر ثم استقل في ملكه واستولى على الشام
وأورث بنيہ ملكها . وكانت لهم دولة عظيمة ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرعت
منها . ثم سار زنكي الى قتال الفرنج وكانوا قد اجتمعوا على حلب وحاصروها فضاق الأمر على
أهلها . فلما قرب زنكي من حلب اجفل عنه الفرنج ورحلوا عنها فسلم أهل حلب المدينة والقلعة
اليه . ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ هـ وساروا الى دمشق وتزلوا من الصفر واستنجد طغر بكين
صاحبها امراء التركان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليه . وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط
طغر بكين في المعترك . فظن اصحابه انه قتل فانهمز طغر بكين والحالة والفرنج في اتباعهم وقد
اثنوا في رجالة التركان . فلما اتبعوا المنهزمين خالف الرجالة الى معسكرهم فنبهوا سوادهم
وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بدمشق ورجع الفرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم وأقالهم
منهوبة فانهمزوا ايضا . فمات بعد زمان ملكهم بقديون (١١٣١) (لابن خلدون)

فُلْكَ (١١٣١ م) بقديون الثالث (١١٤٥ م) حروب زنكي ووفاته

٢٠٨ وصار الأمر الى فلك من زعمائهم وفي عهده سیر زنكي عسكريا كشيئا لفتح دمشق
فبعث معين الدولة أنز صاحبها الى ملك الفرنج ليستجده على مداقته على ان يحاصر قاشاش فإذا
فتحها اعطاهم إياها . فاجابوا الى ذلك حذرا من استطالة زنكي على دمشق فمحض الله عسكري زنكي
فانهمزوا . ثم سار معين الدولة مع الفرنج الى قاشاش فلكها وأعطاها الى الفرنج كما عاهدهم وكانت
لزنكي . فاستلحموا بها الحامية واستبد بها الفرنج . ثم استقام الأمر بعد فلك لبقديون الثالث
(١١٤٥) . وفي أيامه مات صاحب الرها فصار عماد الدين اليها فحاصرها ثمانية وعشرين يوما
ونقب سورها ونصبوا عليها السلام وتسلموها وفتحوا البلد عنوة واغشوا في القتل والنهب .
ثم نادوا بالأمان فتراجع النصاري الى البلد فاقرؤهم في الجزية . ثم أقام بها زنكي مدة حتى اصطلح
اسوارها وخنادقها فحسنت عمارتها وأنزل بها الحامية . ثم سلم مدينة سروج وسائر الأماكن التي
كانت بيد الفرنج شرقي الفرات الآ البيرة لامتناعها . ومات زنكي صاحب الموصل سنة ٥٢١ هـ
قتله جماعة من مماليك . وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة اسمر اللون مليح العين قد
وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة . وكان شديد الهبة على عسكريه . وكان له
للموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق . وكان شجاعا فاتكا وكانت الاعداء محيطة

بملكته من كل جهة وهو يتصف منها ويستولي على بلادهم . وذفن في الرقة فولى امر الموصل بعده اخوه قطب الدين مودود . وكان اخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة . فسار الى سنجار وملكها ولم يحافقه اخوه قطب الدين ثم اضلحا وأعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقي الشام له وديار الجزيرة لآخيه . فلما قُتِلَ الأتابك زنكي طمع جوسلين ان يسترد الرها وكان مقيماً في ولايته في تل بامر فراسل أهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فاجابوه وأوعده يوم عيونه فسار في عسكره وملك البلد . فزحف اليهم نور الدين واقحم البلد واستباح اهله

ذخعة الفرنج الثانية الى المشرق (١١٤٧ م) غزوات نور الدين

٢٠٩ ولما استولى المسلمون على الرها أخذ ظل الفرنج بالقص في المشرق فذهب القسوس والربان الى بلاد النصرانية من الروم والفرنج يستجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استلاءهم على انطاكية وما ينشئ بعد ذلك من ارتباطهم بيت المقدس . فتألبت امم الفرنج من كل ناحية وسير ومدد لهم على المسلمين لما يرونه من تغرير هؤلاء بالشام بين عدوهم . فسار في سنة ٥٥٣ هـ ملك الفرنج (لويس الرابع) وملك الألمان (كوزاد) مع الامراء في جموع عظيمة قاصدين بلاد الاسلام لا يشكون في الغلب والاستلاء لكثرة عساكرهم وتوفر عدهم وأموالهم فجمعوا بالقسطنطينية وساروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدساس ملك القسطنطينية فلما وصلوا الشام اجتمع عليهم عساكر بقدوين ومثاليين امرهم . فجدوا بالمسير الى دمشق فحاصروها فقام معين الدولة أنز في مدافعهم المقام المحمود . ثم قاتلهم الفرنج فنالوا من المسلمين بعد الشدة والمصابرة . فقوي الفرنج ونزل ملك الألمان الميدان الاخضر فبعث معين الدين الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعوه الى نصرته المسلمين . فجمع عساكره وسار الى الشام واستدعى آخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعث معين الدولة الى طائفتي الفرنج من سكان الشام والواردين مع الألمان يهددهم بتسليم البلد الى صاحب الموصل . فلم يزل يضرب بينهم وجعل للفرنج حصن باناس طعمة . فاجتمعوا الى ملك الألمان وخوفوه من صاحب الموصل وقتلوا له في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده على البحر المحيط (١١٤٩ م) . وفي سنة ٥٥٦ هـ جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب . وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي فسار في عسكره نحو نور الدين فالتقوا وقتلوا وانهمز المسلمون وقُتِلَ منهم وأسِرَ جمع كثير . وكان في حيلتهم سلاحدار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلع ارسسلان صاحب قونية واقصرها وقال له : هذا سلاح دار زوج ابنتك وسأيتك بعده ما هو اعظم منه . فلما علم نور الدين الحال عظم عليه واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثاره .

وأحضر جماعة من الامراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان ظفروا بجوسلين وسموه اليه . لانه علم عجزه عنه في القتال . فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصديداً فظفر به طائفة منهم وحملوه الى نور الدين اسيراً . فسار نور الدين الى قلاع جوسلين فملكها وهي عين تاب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك من أعماله . وفي سنة ٥٢٨ هـ ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر فاستطالوا على دمشق ووضعوا عليها الحيزية . وكان صاحبها مجير الدين أنز واهي القوى مستضعف القوة فخشي نور الدين عليها من الفرنج . فكتب أهل دمشق واستلم في الباطن ثم سار اليها وحصرها وملك المدينة . فلحق مجير الدين بمدينة بغداد وأقام بها الى ان توفي وأما نور الدين فزحف الى بعلبك واستنزل عنها صاحبها ونازل قلعة حارم وهي للفرنج فرحل عنها ولم يملكها . وفي بعض مسيره كسبه الفرنج وهو نازل في البقعة تحت حصن الراكدا . فلم يشعر نور الدين وعسكره الا وقد اظلت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين . فلسرعة ذلك ركب نور الدين فرسه وفي رجله السجدة فنزل انسان كردي فقطعهما فبما نور الدين وقُتل الكردي فاحسن نور الدين الى مخلصيه ووقف عليهم الوقوف . وسار نور الدين الى بحيرة حمص ولحق به المنهزمون فتوافت اليه الامداد فسار الى حارم وأخذها من الفرنج بعد مصاف جري بين الفريقين وانتصر فيه نور الدين ودار رحن الحرب عليهم . ثم عزم على منازلة باناس لقلة حاميتها فحاصرها وضيق عليها ففتحها وشحن قلعتها بالمقاتلة والسلاح . وفي سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) توفي بقدرين صاحب القدس في مدينة انطاكية (لابن الاثير)

ملك أموي (١١٥٩ م) وفاة نور الدين وظهور صلاح الدين

٢١٠ فقام بعده بالأمر اماليك اخوه . وفي سنة ٥٥٦ هـ تولى العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء العلويين بالديار المصرية . وكانت دولة العلويين بمصر قد أخذت في التلاشي وصار استبداد وزرئها على خلفائها . فهرب شاور وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازعه في الوزارة الى الشام ملتجئاً الى نور الدين ومستنجياً بهم . وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون له ثلث دخل البلاد . فتقدم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدم عليها اسد الدين شريكوه فجهز وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم . ووصل اسد الدين والعساكر الى مدينة بليس فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فاهزم وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وخلع على شاور وأعيد الى الوزارة . وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان وعده نور الدين . وأرسل الى الفرنج يستمدهم فسارعوا الى تلبية دعوته ونصرتة فلما قربوا مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بليس وجعلها ظهراً يتحصن به . فحصره بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يفادهم القتال ويراهم فلم يلبثوا منه غرضاً . فراسله الفرنج في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام . ثم

عاده نور الدين الى مصر سنة ٥٦٢ هـ فاغار اسد الدين عليها ودوّن بلادها . ثم هلك وقام صلاح الدين ابن اخيه مكانه . وفي ولايته مات العاضد ومحا الله دعوة العلويين وذهب بدولتهم . فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر وكان جهاً عاملاً لنور الدين ثم استطال صلاح الدين على نور الدين فاسترجعه فسار اليه صلاح الدين . ثم كرّر راجعاً الى مصر وكتب لنور الدين يعتذره بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر انهم معتزمون على الوثوب . فلم يقبل نور الدين عذره في ذلك واعتزم على عزله عن مصر . فاستشار صلاح الدين اياه فنجح الدين وكان خيراً عاقلاً حسن السيرة ذا حزم ورأي فاشار عليه بملاطفة نور الدين ومراعاة فعله واطهر الطاعة . وكان نور الدين يستغل ملكه مع الايام فدخل بلاد الفرنج وعبث بها فحافوا عن لقائه فاستمع بلادهم وخرّب ما مريه من القلاع . ثم شرع في التجيز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب فانما أمر الله الذي لا مرد له سنة ٥٥٩ هـ . وكان نور الدين اسمر طويل القامة ليس له لحية الا في حركه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكه جداً وخطب له في الحرمين وفي اليمن ومصر وكان مولده سنة ٥١١ هـ وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله . وكان في الزهد والعبادة على قدم عظيم وكان يصلي كثيراً من الليل فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما احسن المحراب في المحراب

وهو الذي حصّن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدحها لما خدمت بالزلازل . ولما توتق اجتمع الامراء والمقدّمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه الملك الصالح اسماعيل وهو ابن احدى عشرة سنة . وأطاعه الناس بالشام . وكان صلاح الدين بمصر وخطب له هناك وضرّب السكة باسمه ثم استغفل ملكه وعظمت دولة بني أيوب من بعده الى ان انقرضوا . ولما مات نور الدين سار ابن اخيه سيف الدين غازي من الموصل وملك جميع البلاد الجزيرية . واجتمع الفرنج وحاصروا قلعة بانياس من اعمال دمشق . فراسلهم أهل دمشق وتحدّوهم بسيف الدين صاحب الموصل فصالحهم على مال يعثونه اليهم فتقرّرت الهدنة . وبلغ ذلك صلاح الدين ففكره واستظمه وكتب الى الصالح يفتح مراكب أهل دمشق ويّعدهم بغزوة الفرنج . وفي سنة ٥٧٠ هـ توفي اماريك ملك الفرنج صاحب القدس (١١٧٥) (كتاب الروستين)

بقديون الرابع (١١٧٥م) فتوحات صلاح الدين

٣١١ فمقبة في الملك ابنه بقديون الرابع وكان مجذوماً . فلما رأى أهل دمشق ان العدو قد استغل وكون ولد نور الدين طفلاً لا يهض باعباء الملك كاتبوا صلاح الدين فطار اليهم . فخرج اليه أهل الدولة بمقدّمهم وسلموا اليه المدينة فاستغفل عليها اخاه سيف الاسلام طغر بك ابن أيوب . ثم سار الى محاربة سيف الدين غازي صاحب الموصل فاستولى على حمص وحماة ثم زحف الى حلب وأقام محاصراً لها وجها الملك الصالح بن نور الدين فاجتمع أهل حلب وقاتلوا

صلاح الدين وصدوه عن حلب . وأرسل كمشكين الى سنان مقدم الاسماعيليه اموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فارسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيره . فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرنج على حمص فاسترجعها . وملك بعلبك ثم سار الى ملاقة سيف الدين فصدق عليه الحملة . فانهمز سيف الدين وغنم سواده ومخلفه واتبع عساكر حلب حتى اخرجهم منها . وقطع صلاح الدين حينئذ الخطبة للملك الصالح وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة . ورحل عن حلب سنة ٥٧٠ هـ ثم سار الى بلد الاسماعيليه فنهب بدم وخربه وأحرقه . ثم اتم مسيره الى مصر فامر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التي على جبل المقطم . ثم أمر ببناء المدرسة الشافعية . ولما دخلت سنة ٥٧٣ هـ سار صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان . فاكسح اعمالها ولم ير للفرنج خبرا فانساح في البلاد وانقلب الى الرملة . فمأراه الا الفرنج مقلبين في جموعهم وابطالهم وقد افترق اصحاب صلاح الدين في السرايا فتمت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطان ممضى منهزما الى مصر على البرية في قل قليل ولحقهم الجهد والعطش ودخل القاهرة . واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرقون في الاغارات اسرى . فكان وهما عظيما جبره الله بوقعة حطين (١١٦٩ م) . فطمع الفرنج بسبب بعد السلطان بمصر وهزيمته هجموا على بلاد حماة وحارم وعاثوا فيها الى ان صانهم المسلمون بالمال فرحلوا عنها . وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل والجزيرة وله من العمر ثلاثون سنة وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة ابيض اللون عاقلا عادلا غفيا من اموال الرعية مع شح كان فيه . ثم توفي بعده الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب . فسار صلاح من مصر واستخلف فيها ابن اخيه . ثم أغار على بيروت وسواحل الشام وانقلب الى الجزيرة وملك الرها والرقه ومآردن ونصيبين وحضر الموصل وأقام عليها منجيقا . ثم علم ان حصارها بطول فاقلع عنها واحتل مدينة حلب واقطعها اخاه الملك العادل . ثم سار الى الكرك وضيق مخفقا فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فلم يتمكن السلطان من فتحها . فسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسي ثم عاد الى دمشق . فلم يلبث ان خرج ثانيا الى حصار الموصل فلم ينل منها بغيته واستقر الصلح بينه وبين صاحب الموصل بان يسلم صاحب الموصل الى السلطان شهرزور وأعمالها وان يحطب له ويضرب اسمه على الدراهم . فانخرق عن الموصل وأقام بحران مريضا واشتد به المرض حتى آيسوا منه ثم انه عوفي وعاد الى دمشق (لايي الغداء وابن خلدون)

بقدوين الخامس (١١٨٥ م)

٢١٢ وكان بقدوين الرابع ملك القدس قد مات بالشام (١١٨٥ م) وأوصى بالملك لابن اخيه صغيرا فكفله أرناط صاحب طرابلس . فقام أرناط بتدبير الملك وكان من أعظم الفرنج

مكراً وأشدهم ضرراً وضع ان تكون كفائته ذريعة الى الملك . ثم مات الصغير (بفدوين الخامس) فتروجت الملكة ابن غم (غي دي لوسينيان) من الفرنج القادمين من المغرب ونوجته . وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والدواوية والبارونة واشهدتهم خروجها له عن الملك . فأنف أرناط وغضب وجاهر بالشقاق لهم . وراسل صلاح الدين فسار بفرقة من عسكره الى الكرك فحاصرها . وأمر ابنه الأفضل بارسال بعث الى عكا ليكتسحوا نواحها . فصحبوا صقورية وجما جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا اليهم . وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين فانهزم الفرنج وقتل مقدمهم . ثم سار صلاح الدين بنفسه ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها غنوة بالسيف . وكانت طبرية للقومص (أرناط) وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته . فارسلت الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك يهنونه عن موافقته السلطان ويوبخونه فسار معهم واجتمع الفرنج للقتل السلطان

ذكر وقعة حطين (١١٨٩م)

٢١٣ فرحل الفرنج من وقتهم وساعتهم وقصدوا طبرية للدفع عنها . فاخبرت الطلائع الاسلامية الامراء بمركة الفرنج فالتقى المسكران على سطح جبل طبرية قرب تل يقال له تل حطين فلما حان القتال خرج القومص محرصاً الناس يقول لهم : لا قومود بعد اليوم . ولا بد لنا من رقم القوم . واذا اخذت طبرية اخذت البلاد . وذهبت الطراف والتلاد . فابقي لنا صبر . ولا بعد هذا الكسر جبر . فالمسيح لنا والصليب معنا والمعمودية محمدتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا . فراحنا . وصحافنا . صفاحنا . وفي لوائنا اللاواء ومع اودائنا الداوية الادواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاستبارة بتارتيار . ولقرن الباروني من مقارنته بوار . وقد غم بحرنا الساحل . وشدد بابه المعاهد والمعاقل . وهذه الارض تسعنا نيقاً وتسعين سنة . وسلاطين الاسلام ما صدقوا ان يسلموا الينا ويسالمونا . ويذلوا لنا القطائع ويقاطعونا . وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادونا . وفي جمعنا نفر يقم . وفي فيئتنا تعو يقم ثم ماجت خضارهم . وهاجت ضراغهم . وطارت قشاعهم . وثارت غماغهم . وسدت الافاق غمامهم . وهم كالجال السائرة . وكالجار الزاخرة . امواجها ملتجة وافواجها مزدحمة . وفجاجها متحذمة واعلاجهام مصطلمة . وقد جوي الجو . وضوي الضوء . ودوى الدق . وحوافر الحوافر للارض حوافر . والفوارس اللوايس في البيض سوافر . فرتب السلطان في مقابلتهم اطلاة . وقصر على مقاتلتهم آراءه . وحجز بينهم وبين الماء . ولليوم قيظ . وللقوم غيظ . فنفر النفر وتصادم العسكران والتحم القتال فايقن القوم بالويل والثبور . واحسنت نفوسهم اخم في غد زوار القبور . كلما خرجوا جرحوا . وبرحهم من الحرب فاجرحوا . وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى ما بايدجهم من ماء الفيرند ماء . فشوههم نار السهام وأشوتهم . وصصمت عليهم

قلوب القسي القاسية وأصمّتهم . واغبروا وارعبوا . واحرجوا وأخرجوا . وكلّموا حملوا رُدُّوا وأردُّوا . وكلّموا ساروا وشدُّوا أُسروا فاضطربوا واضطربوا . والتفهاو والتهبوا . فأوَّوا الى جبل حطّين بعضهم من طوفان الدمار . فاحاطت بحطّين بوارق البوار . فرشّتهم الحسايا . وقشّتهم المنايا . وصاروا للردي درايا . ومن بقي منهم فجردوا الهزيمة . واحتالوا في الهزيمة . وأسروا الملك والبرنس أرناط ومقدّم الفداوية . ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد بمثل هذه الوقعة . ثم استحضّر صلاح الدين الأسرى وأوقع البرنس أرناط على ما قال وقال له : ها انا انتصر لمحمد ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل . ثم سلَّ النجاء وضربه بها . وقتل أسرى الفداوية والاستبارية اجمعين ثم استحضّر الملك وأمنّه وطيب قلبه (الفتح القدسي لعاد الدين الكاتب)

فتح القدس لصلاح الدين (١١٨٩ م)

٢١٩٢ ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فنارزها واعتصم الفرنج الذين هما بالأسوار و اشاروا بالاستئمان فأمنهم . ثم ملك قيسارية وحيفا و يافا وصيدا وبيروت وجبل عسقلان . ثم شمر عن ساق الجذ والاجتهاد في قصد القدس . وكان نزوله عليه في رجب سنة ٥٨٣ هـ فترل بالجانب الغربي . وكان مشحوناً بالمقاتلة والحياة والرجالة . ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالي ونصب عليه المناجيق وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ الثقب في السور ممّا يلي وادي جهنم . فلما رأى العدو ما ترل جهم من الأمر الذي لا يندفع عنهم وظهّرت لهم أمارات نصرة السلطان وكان قد القى في قلوبهم ممّا جرت على ابطالهم ورجالهم في السبي والقتل والأسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ علوا اضم الى ما صاروا اليه صائرون . وبالسيف الذي قُتِل به اخوانهم مقتولون . واستكانوا واخلدوا الى طلب الأمان . فأبى السلطان وقال : لا افعل بكم الا كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموه سنة ٥٨١ هـ من القتل والسبي . فقال له باليان : ايها السلطان اعلم اننا اذا رأينا ان الموت لا بد منه لقتلنا اولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تغفمون ممّا ديناراً ولا درهماً . ولا تسبون وتأسرون رجلاً أو امرأة . فاذا فرغنا من ذلك أخبرنا الصخرة والمسجد الأقصى ثم نقل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً الا قتلناه . ثم خرجنا كلنا وحينئذ لا يُقتل الرجل ممّا حتى يقتل أمثاله وغوت اعزاء ونظفر كرماء . فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الأمان . وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدري عاقبة الأمر فيه عن اي شيء . فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الأمان للفرنج واستقرّ ان يزن الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير وتزن المرأة خمسة دنانير ويزن الطفل من الذكور والاناث دينارين . فمن أدّى ذلك الى أربعين يوماً فقد نجوا والا صار معلوكاً . فبذل باليان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار فأجيب الى ذلك . وسلّمت المدينة يوم الجمعة السابع

والعشرين من رجب فحلَّ أخاهُ الملكُ العادلُ بالقدس يقرّر قواعدها . وتحرّر عزمه على قصد صور لمحاصرتها فامتعت عنه . فعدل الى فتح قلعة جبلة ودخل اللاذقية واستولى على قلعة صهيون . ثم سار الى مدينة صور وقد خرج اليها المراكيس وصار صاحبها وقد ساسها أحسن سياسة . فقسم صلاح الدين القتال على العسكر كلُّ جمعٍ لهم وقتٌ معلوم يقاتلون فيه بحيث يتصل القتال على أهل البلد . على ان الموضع الذي يقاتلون فيه قريب المسافة تكفيه الحجة اليسيرة من أهل البلد تحفظه . وعليه الحثاقي التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطائر يطير عليها . لان المدينة كالكف في البحر والساعد متصل بالبر والبحر في جاني الساعد والقتال اغا هو في الساعد فلذلك لم يتمكن منها صلاح الدين ورحل عنها (لاني الفرج الملقب)

زحقة الفرج الثالثة الى المشرق (١١٩٠م)

٢١٥ فلما تمَّ الخطب على الفرنج بفتح القدس بعثوا الرهبان والاقسة الى بلادهم يخبرون بيت المقدس واستنصار النصرانية لها . فقام ملكُ الفرنسيس (فيليب) وملكُ انكلطرا (ريكارد) وملكُ الألمان وجمعوا عساكرهم وساروا للجهاد . فسار فيليب وملكُ الانكلطار بحراً وقصد ملكُ الألمان قسطنطينية فجز ملكُ الروم (إيساكوس انكلوس) عن منعه وكان عاهد صلاح الدين بذلك . فكتب الى السلطان يعلمه : من إيساكوس انكلوس ضابط الروم الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين الحجة والمودة : قد وصل خط نسيبك الذي نفذت الى ملكي فما اظن ان نسيبك تسمع اخباراً ودية وانه قد سار في بلاد الألمان . ولا غرو فان الاعداء يرجفون بأشياء كذب على قدر اغراضهم . ولو تشتهي ان تسمع الحق فانهم قد تأذوا وتعبوا كثيراً وقد خسروا كثيراً من المال والدواب والرجال ومات منهم وقتلوا . وبالشدة قد تخلصوا من ايدي اجناد بلادي وقد ضعفوا . وبحيث اهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا كانوا ضعافاً بعد شدة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرون نسيبك (تم) . ثم عبر ملكُ الألمان خليج القسطنطينية ومرّوا بمملكة قليج ارسلان وتبعهم التركان يحفون جمع ويتحفظون منهم وكان الفصل شتاءً فهلك أكثرهم من البرد والجوع . ولما وصلوا الى بلاد طرسوس اقاموا على نهر (السيدنوس) ليعبروه فنزلهم أن يسبح فيه فهلك غرقاً . فلما بعده ابنه وامتوا السير الى الشام فبلغوا طرابلس وقد افنهم الموت ولم يبق منهم الا ستة آلاف رجل . وهلك ابن ملك الألمان في عكا وحزن الفرنج عليه حزناً عظيماً . ثم وصل ملكُ الفرنسيس بحراً . وكان عظيماً عندهم مقدماً محترماً من كبار ملوكهم تنقاد اليه العساكر بأسرها بحيث اذا حضر حكم على الجميع . وقدم في ست بطس تسملة وميرته وما يحتاج اليه من الخيل وخواص اجناده . ثم وصل بعده ملكُ الانكلطار وكان شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمة له وقعات عظيمة وله جسارة على الحرب وهو دون الفرنسيس عندهم في الملك والمنزلة لكنه أكثر ما لأمته وأشهر في

الحرب والشجاعة . وكان من خبره أنه وصل الى جزيرة قبرس ولم يرَ أن يتجاوزها إلا وان تكون له وفي حكمه . فاستولى عليها ثم زحف الى الشام (سيرة صلاح الدين لابن شاذي)

حصار عكا والصلح (١١٩١م) زحقة الفرنج الرابعة (١١٩٦م)

٢١٦ فاتفق الفرنج جميعاً على الرحيل الى عكا ومحاصرتها فتركوا عليها وأحاطوا بها من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق . فقتل صلاح الدين قياتهم وبعث الى الأطراف يستنفر الناس . فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسائر الجزيرة وبيع المسلمون ينادون القتال ويرأو حونه أشهراً . فتتابعت أمداد الفرنج من وراء البحر لاختواضم المحاصرين لعمراً حتى جهد المسلمين بعمك الحصار وضعفت نفوس أهل البلد وهنوا . فبعثوا الى الفرنج في تسليهما على أن تصالحهم على الأمان فيعطوهم مائتي ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب الصلبوت فاجابوا الى ذلك . فدخل الفرنج عكا واستراحوا معاً كانوا فيه . ثم تخلف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وحملوا عليهم فأنكشفوا عن موقفهم . فوضع الفرنج السيف في المسلمين وقتلوا الأسرى . فلما رأى صلاح الدين ذلك رحل الى ناحية عسقلان واخرجها . ثم هم بترميم ما تلثم من أسوار القدس وسد فرجه وأمر بحفر خندق خارج الفصيل . فنقلت الحجارة للبناء وكان صلاح الدين يركب الى الأمان البعيدة وينقلها على منكبيه فيقتدي به العسكر . ثم سار ملك الانكشار في ساقية الفرنج فحملهم واهزموا الى يافا . فاقاموا بها والمسلمون قياتهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعوهم ثم رحلوا الى ارسوف فسبقهم المسلمون اليها فحملوا على المسلمين وهزمهم . ثم ساروا الى داروم ثم الى القدس فأنهوا الى بيت قوجة على فرسخين من القدس . فاستعد صلاح الدين للعصار فوفد عليه رسول الفرنج وعقدت الهدنة معهم . وكان سبب ذلك أن ملك الانكشار قد طال مقبته عن بلاده وطال عليه البيكار . فكتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان فاجاب السلطان الى ذلك واتفق عليه رأي الامراء لما حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات . فحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكشار بل أخذوا يده وعاهدوه . واعتذر بان للملك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك . وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وقيسارية وارسوف وحيفا وعكا مع اعمالها وان تكون عسقلان خراباً وأذن للفرنج في زيارة القدس . وكان يوماً مشهوداً غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله . وارتحل ملك انكشار في البحر عائداً الى بلده . وأقام الكند هجري صاحب صور بعد المركيس ملكاً على الفرنج بسواحل الشام وتزوج الملكة التي كانت تملك قبله . وكر صلاح الدين راجعاً الى دمشق وكانت وفاته فيها سنة ٥٨٩ هـ وعمره سبع وخمسون سنة . وكان صلاح الدين حليماً كريماً حسن الاخلاق متواضعاً صبوراً كثير التغافل عن ذنوب اصحابه .

وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة . وكان يوم وفاته لم يُصيب الاسلام والمسلمين مثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين . وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لم يعلمه الا الله . فيمتحن الناس ان يكونوا فداء من يعز عليهم . واستقر بعده الملك لابنه العزيز عثمان في مصر ولولده الملك الأفضل بدمشق . ولما توفي صلاح الدين وملك اولاده بعده جدد العزيز الهدنة مع الكند هنري ملك الفرنج كما عقد ابوه معه . وكان أمير بيروت يبعث الثواني للاغارة على الفرنج فشكوا ذلك الى العادل فلم يكفهم . فارسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستجيدونهم فامدوهم بالمساكر واكثرهم من الألمان . فوصل منهم جمع عظيم الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت . فسار الملك العادل صاحب الجزيرة الى يافا واتهم الخجدة من مصر والجزيرة . فهلكوا المدينة وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فاحصروها وفتحوها غيرة واستباحوها . فحجاء الفرنج من عكا لصريح اخوانهم فبلغهم وفاة الكند هنري فرجعوا ثم اعترعوا ونازلوا تبين سنة ٥٩٤ هـ فارسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر . فسار العزيز بنفسه واجتمع بعمه على تبين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور طابين . ثم اختاروا لهم ملكا صاحب قبرين اموري الثاني خليفة غيد و فحجاءهم وزوجوه بملكهم زوجة الكند هنري . ثم تناوش المسلمون والفرنج القتال ثم تراسلوا مع الملك العادل في الصلح وانعقد بينهم في السنة ورجع العادل الى دمشق وسار الفرنج الى بلادهم (لابن شاري)

رحلة الفرنج الخامسة واستيلائهم على القسطنطينية (١١٩٨ - ١٢٠٤ م)

٢١٧ كان هولاء الفرنج بعد ما ملكوا الشام اختلفت احوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم التي كانت بايديهم من قبل . وظهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات فملكوا مدينة القسطنطينية من الروم . وكيفية الخبر عن ذلك ان ملوك الروم اصبروا الى ملوك الفرنج وتزوجوا منهم بنتا لملك الروم فولدت ابنا . ثم وثب على الملك اخوه فانزع الملك من يده وجسه . فلحق الولد بملك الفرنج مستصرحاً به فوصل اليهم وقد تجهز الفرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيه وكان شيخاً اعمى لا يرك ولا يمشي الا بقائده ومقدم الفرنسي ويسمى المريكش والثالث يسمى كندفلندر وهو اكثرهم عدداً . فجعل الملك ابن أخته معهم وأوصاهم بمظاهرةه على ملك القسطنطينية ولما وصلوا اليها خرج عم الصبي وقتلهم . وأضرمت شيعه الصبي الناري في نواحي البلد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعه الصبي باب المدينة وادخلوا الفرنج وخرج عمه هارباً . ونصب الفرنج الصبي في الملك واطلقوا اياه من السجن واستبدوا بالحكم . فعظم ذلك على الروم فوثبوا على الصبي وقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد . فاقام الفرنج بظاهرها محاصرين لهم فاقحموها وافحشوا في النهب ونجا كثير من الروم الى الكنائس واعظمها كنيسة ايا صوفياً فلم تغني عنهم . ثم تنازع الملوك الثلاثة

على الملك بما وتعارعوا فخرجت القرعة على الكند فلندرد فلكها على ان يكون لدموس البنادقة الجزائر الجيرية اقربطس ورودس وغيرها ويكون لمركيش الفرنسيس الخليج مثل نيقة وفيلادلف ولم تدم له فانها تغلب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري . ولم تزل القسطنطينية بيد الفرنج الى سنة ٦٦٠ هـ فقصدها الروم واستعادوها من الفرنج

ولما ملك الفرنج القسطنطينية من يد الروم تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشام وارسوا بعكا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين . ثم ساروا في نواحي الاردن فاكتسبوا وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر . وسار فترك بالطور قرياً من عكا لمداقتهم وهم قبائله وساروا الى كفر كنا فاستباحوه . ثم تراسلوا في المهانة على ان ينزل لهم العادل عن كثير من مناصب الرملة وغيرهم ويعطيهم يافا . ولما استقرت الهدنة اعطى العساكر دستوراً وسار الى مصر وأقام في دار الوزارة . فقصد الفرنج حماة وقتلهم صاحبها ناصر الدين فيزموه . وفي سنة ٦٠٣ هـ أكثر الفرنج الغارات بالشام بمعدتان ما ملكوا القسطنطينية فغيز المسلمون عن دفاعهم . وأغار اهل قبرس في البحر على اسطول مصر فظفروا منه بعدة قطع وأسرُوا من وجدوا فيها . فبعث العادل الى صاحب عكا يحث عليه بالصالح فاعتذر بان اهل قبرس في طاعة افرنج القسطنطينية وانه لا حكم له عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكا حتى صالحه صاحبها على اطلاق اسرى من المسلمين . ثم نازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاثت العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم عاد عنها الى دمشق (لابن خلدون)

زحقة القرنج السادسة الى المشرق (١٢١٦م) الزحقة السابعة (١٢٢٨م)

٢١٨ كان صاحب رومية اعظم ملوك الفرنج بالعدوة الثانية من البحر الرومي وكانوا كلهم يدينون بطاعته . فبلغه اختلاف احوال الفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى امدادهم وجهز اليهم العساكر فامثلوا امره من اياته . وتقدم الى ملوك الفرنج ان يسروا بانفسهم وتوافت الامداد الى عكا سنة ٦١٤ هـ . فسار الملك العادل من مصر الى نابلس فبرز الفرنج ليصدوه وكان في خف من العساكر فحماهم عن لقائهم فاغاروا على بلاد المسلمين ونازلوا باناس ورجعوا الى عكا وامتلات ايديهم من النهب والسبي . ثم حاصروا حصن الطور وهو للذي اختطفه الملك العادل فرجعوا عنها . فبعث السلطان وخرجا لئلا يملكها الفرنج وخرّب اسوار القدس حذراً عليه منهم ثم سار الفرنج في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها والتيل بينهم وبينها . وكان على التيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن في البحر الملح ان تصعد في التيل الى مصر . فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار فبعث العادل الى ابنه الكامل الامر بان يخرج في العساكر ويقف قبائهم ففعل . وألح الفرنج على قتال ذلك البرج اربعة

اشهر حتى ملكوه. فغبروا الى البر المتصل بدمياط واشتد في قتالها وهي في قلعة من الخامة لاجفال المسلمين عنها بقتة. ولما جهدهم الحصار وتعدّر عليهم القوت استأمنوا الى الفرنج فلكوها سنة ٦١٦ هـ وقاموا في عمارتها وتحصينها وأقام الكامل قريباً منهم لحاية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط. وكان الكامل قد خلف أباه السلطان العادل بالملك في مصر وكان العادل قد توفي سنة ٦١٥ هـ وكان له من العمر خمس وسبعون سنة. وكان العادل حازماً متيقناً غزير العقل شديد الآراء ذا مكر وخديعة أثنى السعادة وأوسع ملكه. وفي سنة ٦١٨ هـ كان اجتماع الملك المعظم والملك الأشرف مع نجدة صاحب ماردین وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج وردّ دمياط منهم. فحاطوا بهم وضيقوا السبيل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بأيديهم من أسرى المسلمين واطلاق ما بأيدي المسلمين من أسراهم وقرّر الصلح الدكاك نائب البابا وملك عكا وملوك فرنجية ومقدمو الفداوية والاستبارية. وتسلم الكامل دمياط يوم الاربعاء التاسع عشر رجب وكانت مدة مقام الفرنج بها سنة كاملة وأحد عشر شهراً وفي سنة ٦٢١ هـ قدم امبراطور الألمان الى عكا مع جموعه والامبراطور معناه ملك الامراء. وانما اسم الامبراطور المذكور فردريك (فريدريك الثاني) وكان بين ملوك الفرنج محباً للحكمة والمنطق والطب مائلاً الى المسلمين. وكان الملك الكامل قد أرسل اليه فخر الدين يستدعيه الى قصد الشام بسبب اخيه المعظم. فوصل الامبراطور وقد مات المعظم فنسب به الملك الكامل. ولما وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب. فعمر الفرنج سورها واحتلوا فيها ثم ترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الامبراطور. ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدءاً من المهادنة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه على ان تستمر اسوارها خراباً ولا يعمرها الفرنج. ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والي المسلمين. ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفوا عليه. وتسلم الامبراطور القدس ورجع الى عكا وركب البحر الى بلده. وكانت وفاة الملك الكامل صاحب مصر بدمشق سنة ٦٣٥ هـ. فاستولى على مصر ابنه العادل فخرج بعد وفاة الكامل صاحب الكرك الناصر داود الى القدس وكان الفرنج عَمَرُوا قلعتها فحاصرها وفتحها وضرب القلعة وخرّب برج داود (لاني الفداء)

زحقة الفرنج الثامنة الى المشرق (١٢٤٨ - ١٢٥٢ م)

٢١٩ كان ملك افرنسة (هو لويس بن لويس) من أعظم ملوك الفرنج ويسمونه ريد افرنس فاعتزم على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبله ملوكهم. فخرج قاصداً الديار للصرية فجمع عساكره فارسلها وراجلها وركب البحر باموال جزيلة وأهبة جميلة فاجاز الى

قبرس وشي جها . ثم عبر سنة ٦٤٧ هـ الى دمياط وجا بنو كنانة انزلهم الصالح ابن الملك العادل جها حامية . فلما رأوا ما لاقبل لهم به اجفلوا عنها . فلكها ري افرنس بغير تب ولا قتال وكان هذا من أعظم المصائب . فبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بجمص فكّر راجعاً الى مصر ونزل المنصورة وقد اصابه بالطريق وعك . فامر بصلب الامراء المنزعين من دمياط وكانوا أربعة وخمسين اميراً فاشتد عليه فتوفي . وكان ملكه في الديار المصرية تسع سنين وكان مهيباً عالي الهمة عفيفاً طاهر اللسان والذيل وكان جمع من الممالك الترك ما لم يجمع بغيره . وكنتم أهل الدولة موته حذراً من الفرنج وقامت زوجته شجرة الدر بالأمر وكانت تركية داهية لا نظير لها في النساء والرجال . فجمعت الامراء وقوت جاشهم واستخلفتهم . فبايعوا ابن الصالح الملك المعظم تورانشاه ثم انتشر خبر الوفاة . فشره الفرنج الى قتال المسلمين ودلف طرف منهم الى المعسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين مقدم المعسكر . ودخل الفرنج المنصورة ولم ينالوا منها نبلاً طائلاً لانهم حصلوا مضايق أزقتها . وكانت العامة يقاتلونهم بالحجارة والآجر والتراب وخيولهم الضخمة لم تتمكن من الجولان بين الدروب . ثم عبي ريد افرنس جيوشه وسار بهم طالباً ارض مصر فصر المصريون الى ان عبر الفرنج الخليج من النيل المسسى اشمون فتوجهوا نحوهم والتقى المعسكران واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وانجلى الحروب عن كسرة الفرنج برّاً وبحراً . فضمعت حالهم لذلك فارسلوا بطبوع القدس وبعض الساحل وان يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك . ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفيت أزوادهم واقطع عنهم المدد من دمياط فلم يبق لهم صبر على المقام . فرحلوا متوجهين الى دمياط وركب المسلمون اكثافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وقتل منهم اكثر من ثلاثين الفا . واعتقل الملك ريد افرنس ومعه جماعة من خواصه واكابرهم . وفي خلال ذلك هلك الملك المعظم قتله المماليك لشهرين من ملكه وقدموا عليهم اميراً منهم بلقب بعزيز الدين التركاني . ونهضوا الى ريد افرنس وجددوا معه البمين واقتدى منهم بالالف دينار وتسليم دمياط فاطلقوه . فاقطع مع اصحابه الى عكا سنة ٦٤٨ هـ واتم عمار يافا وهدم المسلمون سور دمياط لما حصل للمسلمين عليها من الشدة مرة بعد أخرى . ثم استقر الملك بعد قتل شجرة الدر في ايدي الأشرف موسى فبقي في امارته مدة وعزل خمس سنين من ولايته وانقرض به ملك بني أيوب . واجتمعت مصر والشام في مملكة الترك فاستبد بالملك . وكان اول ملكهم المعزيبك التركاني ثم خلفه ابنه المنصور خلعه قطز المعزي فاستبد بالملك وارتجع الشام من التتر وكانوا استولوا عليها سنة ٦٥٨ هـ . ثم قتل المظفر قطز واستقل الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٥٨ هـ ثم جهز المعسكر فسار الى مقاتلة التتر فاجفلوا وولوا هاربين . وقصد قيسارية وهي للفرنج فاقحم عليها وفتحها وشن على اعمالها الغارة . وسرح عسكرا الى حيفا وأرسوف وملكهما

عنوة ثم كرّ راجعاً الى طرابلس وبها بوموند الفرنجي فلم يدرك منها وطرة . فسار الى صفد وفتحها واستلم الفرنج الذين بها والحش في قتالهم ثم رجع الى مصر وأمر بتجديد الجامع الأزهر واقامة الخطبة به . ثم خرج الى دمشق واكتسح بسائط عكا واحتل مدينة يافا وصيدا وسار الى انطاكية ثانية وفتحها على الامان فخرّب قلعتها واضرها ناراً فبقيت في ملك الفرنج نحو ١٧٠ سنة زحقة الفرنج التاسعة وحصار تونس (١٢٧٠) انقراض دولة الفرنج في المشرق (١١٩١)

٢٢٠ وفي سنة ٦٦٨ هـ في ايام المستنصر بالله عبد الله محمد صاحب تونس اعترم ريدفرنس لويس بن لويس على الحركة الى تونس . فارسل الى ملوك النصارى يستنصرهم الى غزوها وارسل الى البابا خليفة المسيح بزعهم فاوعز الى ملوك النصرانية لمظاهرتهم . فاجاب جماعة من ملوك الفرنج لغزو بلاد المسلمين فشاخ خبر استعداد النصارى للغزو . وهم المسلمون بترميم الثغور وامر المستنصر بسائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل في الثغور بذلك وباصلاح الأسوار واختزان الأحباب . واوفد السلطان على ملك افرنسيس رسله ومشارطته على ان يكفّ غريبه فلم يرض وجمع الطاغية حشده وركب اساطيله الى تونس سنة ٦٦٨ هـ . فاجتمعوا بسرديانية ونادى السلطان بالنذير بالعدو والاستعداد له والغير الى اقرب المرافئ وبعث التواني لاستطلاع الخبر . فتوالت بعد مدة الاساطيل بمرسى قرطاجنة فترلوا بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين الفاً من الرجال . وكانت اساطيلهم ثلاثمائة بين صغار وكبار وكانوا سبعة يعاسب فيهم الفرنسيس واخوه صاحب صقلية والعجة زوج الطاغية وتسمى الرينة . وأنزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنة وكانت مائلة الجدران فوصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بالواح الخشب وضدوا شرافاتها وأداروا على السور خندقاً بعيد المهي . وتحصنوا وأقاموا متحرسين بتونس ستة اشهر والمدد يأتيه في اساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجال والاسلحة والاقوات . وبعث السلطان في ممالكه حشداً فوافته الامداد من كل ناحية من المغرب والاندلس وقبائل العرب فاتصلت الحرب ومات من الفريقين خلق . وفي خلال ذلك هلك ريد افرنس يقال اصابه مرض الوباء ولما توفي اجتمع النصارى على ابنة فبايعوه . ثم بعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح مع الفرنج بما ل اعرقة لهم صاحب تونس . فرجع الفرنج الى عدوتهم . وفي سنة ٦٨٨ هـ في ايام السلطان المنصور قلاوون استنفر المسلمون من مصر الى حصار طرابلس فنصب عليها الجانيق وفتحها عنوة فاستباحها . ثم خلفه في الملك ابنه الأشرف خليل فكان أول اعماله حصار عكا متمماً عزم ابيه . فتناوشوا القتال مع الفرنج وهدم الخليل كثيراً من ابراجها وشتمها بالمقاتلة واستلموها من كان فيها واكثروا القتل والسبي في الفرنج واستوعبهم السيف . وبلغ الخبر الى الفرنج بصور وصيدا وبيروت فاجفأوا عنها وتركوها خاوية فانقطع امر الفرنج من المشرق سنة ٦٩٠ هـ (لابن خلدون)

ذكر التتـر فتوحات جنكـزخان (١١٦٣ - ١٢٢٧ م)

٢٢١ اتفق اهل التاريخ ان التتـر امم لا يضيها إحصاء . وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من البود لشدة البرد في بلادهم . وأكثر دوابهم الخيل واقواهم الأرثـ وألبان الخيل ولحومها . وتعرف ملوكهم بالخان وهي سمتهم الخاصة . وكانوا مبدئين في دشت قيجان في حدود ملك الخطا والصين في سهول واورار يتهاجرون فيها كالحوانات السائمة لا حاكم يردعهم ولا دين يجمعهم حتى نبغ فيهم هذا الطاغية جنكـزخان . وكان ظهوره في زمان ركن الدين بن زنكي . وكان وقتئذ المستولي على قبائل التتـر المشاركة أوتك خان . وهو المسمى الملك يوحنا من القبيلة التي يقال لها كركيت وهي طائفة تدين بالنصرانية . وكان رجل مؤيد من غير هذه القبيلة يقال له توجين ملازماً لخدمة أوتك خان من سن الطفولة الى ان بلغ حد الرجولية . وكان ذا بأس في قهر الأعداء فحسده الاقران وسعوا به الى أوتك خان . ولا زالوا يفتابونه عنده حتى اتهمه بتغيير النية وهم باعتقاله والقبض عليه . فاطلع توجين على المكيدة فكر مع خدمه على أوتك خان فقتله وابطاله فسمي جنكـزخان . ثم علا شأنه وارسل الرسل الى جميع التتـر فن اطاعه وتبعه سعد ومن حالفه خذل . فسار أولاً يقصد سلطان الخطا والصين والتون خان فاباده . واستصنى ولايته وبلاده (٥٦٠١ هـ)

وكان جنكـزخان رجلاً امياً لا يقرأ ولا يكتب وكان لم يتقيد بدين بل بظم علماء كل طائفة . وكان يميل الى النصرى ويحسن الظن بهم ويكرمهم ويرجع الى قول اساقفتهم ولا يعدل عن رأيهم . واخترع جنكـزخان هو لنفسه في الملك قواعد سلك فيها . ولما لم يكن للتتـر كتاب ولا خط فأمر عقاء مملكته واذكيا قبيلته ان يضعوا خطاً وقلماً فوضعوا له قلم المغل وربوا له كتاباً اسمه الباسق الكبير . وكان كرسي مملكته قراقروم . وكان سبب مسيره الى ممالك الاسلام انه ارسل الى خوارزم شاه محمد رسلاً جهدياً يسأل الموادة والاذن للتجار من الجانبين في التردد في متاجرهم فاستكف السلطان من ذلك وقتل الرسل خفية . ففشا الخبر الى جنكـزخان فسار في المساكر واستولى على اثزار وبخارى وسمرقند واضرموا في محالها النار وجعل عمالها وامراءها تكالاً لغيرهم . وتوغلوا في البلاد وانتهوا الى بلاد ديجور واكتسبوا كل ما مروا عليه . ففر من وجهه خوارزمشاه ففرج جنكـزخان المساكر في اثره نحواً من عشرين ألفاً فاجفلوه الى خراسان والى طبرستان فحاض مجرها ووصل الى بعض الجزائر فطرقة المرض جهافت (تاريخ القرمانى واي الفرج المظي)

٢٢٢ فسار التتـر بعد هلاك خوارزم شاه الى خراسان ففتحوا كلات من احصن القلاع الى جانب جييون واوسعوها نجاً وعبروا الى بلخ وملكوها على الأمان (٥٦٠٧ هـ) . ثم ساروا الى مرو وهرة وهما من امنع البلاد لمحاصروهما عشرين عاماً وصدقوا عليها الحملة فملكوها

واحرقوها وضبوا نواحيها . ثم ساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه وكان عهد له ابوه قبل موته وكان جلال الدين هذا استظهر على التتر وكبسمهم في قندهار . فبعث جنكزخان الى مدينة خوارزم عسكرياً عظيماً لعظمها لانها كرسى الملك وموضع المساكن . فسارت عساكر التتر اليها مع ابني جفطاي واوكطاي فحاصروها خمسة اشهر وضبوا عليها الآلات فلم تمتنع . فاستمدوا عليها جنكزخان فامدهم بالعساكر متلاحقة . فزحفوا اليها وملكوا جانباً منها وما زالوا يملكونها ناحية ناحية الى ان استوعبوها ثم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون ففرقها . وانقسم اهلها بين السيف والفرق . ثم جدوا في عقب جلال الدين وهم ينقمون عليه فادركوه وهو نازل مع عسكره على نهر السند . ولما يروى وسيلة للفصل اتخم النهر بفرسه وفرّ ناجياً بنفسه وتخلص من عسكره ثلاثمائة فارس واربعة آلاف رجل وبعض امرائه . فاجاز التتر الى بلاد ما وراء النهر والى همدان وقزوين وأذربيجان وهم يضعون السيف في منقارهم ويؤتمنون من سالمهم وينقمون غنوة المدن الممتعة عنهم ويستبيحونها . ثم اضاف الى التتر جموع من التركمان والاكراد وساروا الى الكرج وانضموا فيهم . وافتحوا قصبته تبريز (لابن خلدون وابن الاثير)

٢٢٣ ثم ساروا الى يلبقان فحاصروها . وبعثوا الى اهل البلد رجلاً من اكارهم يقرر معهم في المصانة والصلح فقتلوه . فاقام التتر في حصارهم وملكوا البلد غنوة (٦٠٨ هـ) . واستلموا اهلها وافشوا في القتل واستباحوا جميع الضاحية قتلاً وضباً وقمراً . ثم ساروا الى قاعدة اران وهي كنجة فصالحوا اهلها ثم عبروا الدربندر (الديبر) وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها امم القفياق واللان واللكن وطوائف من الترك . فاقوموا بتلك الطوائف واكتسحوا حامة البساط . وقاتلهم جموع من القفياق واللان ودافعهم ولم يطبق التتر مغالبتهم . ثم عادوا الى محاربة قفياق وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراي على بحر ينطش المتصل بمطبخ القسطنطينية فلسكوها . وافترق اهلها واعتصم بعضهم بالجبال والفيض وركب بعضهم الى بلاد الروم . ثم ساروا سنة (٦١٠ هـ) الى بلاد الروس المجاورة لقفياق وهي بلاد فسيحة واهلها يدبنون بالصرائية فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كروا عليهم واكتسحوا بلادهم وانضموا فيهم قتلاً وسبياً وضباً . ثم قصدوا بلغار وهدموا واحرقوا وضبوا وارفقوا . وفي سنة (٦١٤ هـ) قفل جنكزخان من الممالك الغربية الى منازل القديمة الشرقية فعرض له مرض في طريقه . ولما قوي مرضه استدعى اولاده جفطاي واوكطاي وتولي خان واورخان واوصاهم بوصايا وطارق في سياسة الملك وعين لكل من هؤلاء مملكة من الممالك واوصى بالفتح لاوكطاي

ظهور تيمورلنك وفتوحاته (٧٣٦ - ٨٠٣ هـ) (١٣٣٦ - ١٤٠٥ م)

٢٢٤ ذكر تيمورنسب يتصل بجنكزخان من جهة النساء . وكان رجلاً ذا قامة شائعة

ابيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الجبهة والراس عريض الاكفاف مستكمل البنية جهور الصوت وبه فزَل . فلما بلغ اشدّه جعل يطوف في الصحاري والغابات يتربّص الفرصة لاستفاد بلده فانضمّ الى الحسين امير خراسان لمحاربة امير بلاد ما وراء النهر فظفر به . ثم حاول على الامير حسين ونقض عهده وانتزع منه مدينة بلخ فاخرجهما وقتل الحسين شرقتلة . ثم عبر جيحون وحاصر السلطان غياث الدين في هراة وكبس المدينة وقتل بغياث الدين ثم عاد الى خراسان ووضع السيف في اهل تجستان وافنام من بكرة ابيهم . ثم خرب المدينة ولم يبق لها من اثر . وفي سنة (٧٨٨ هـ) زحف الى بلاد فارس وعراق العجم فاستولى عليها . ولما بلغه موت فيروز شاه سلطان الهند قفل الى الهند وفتح مدنها الحريزة واستخلف عليها رجلاً من اصحابه . وسار نحو سيواس وكان يملكها الامير سليمان بن السلطان بايزيد فقام عن لقاء تيمور وفرّ ناجياً بنفسه . ثم اجمع على فتح الشام فضمّ اليه اطرافه لقتال ملكها قرج برقوق من الملوك السراكسة فالتقى بابنه عند حلب فهزمه ودخل المدينة واستباحها . وملك حماة وبعلبك على الأمان . ثم زحف الى دمشق فخرج برقوق لمحاربه فالتحم الفريقان وآل القتال الى كسرة برقوق وقهره فافتتح تيمور دمشق عنوة وقتل وسفك الدماء وطأ فيها واضرم النار في جامعيها الأموي . وفي سنة (٧٩٥ هـ) كرّ بمسارحه على مدينة بغداد وهزم سلطانها احمد من وُلد هولاء وملكها بعد ان اوسع اهلها قتلاً وسبياً . ثم صمّ الغزم على الاغارة على ممالك الاتراك فسار الى قراباغ وكان لا يدخل في مسيره قرية الا افسدها ولا يتزل على مدينة الا ومحارها وبددها . ثم راسل السلطان بايزيد خان المجاهد الغازي يدعوه الى طاعته فتوجه الى ملاقاته واجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقره . فاشتعلت الحرب بين الفئتين من الضمى الى العصر حتى ترك السلطان طائفة من عسكره وذهبوا الى تيمور فكان ذلك سبباً لكسرتيه ووقوعه في مخالب تيمور فكبله في قفص من حديد ففضى فيه نجبه . ثم اندرأ تيمور راجعاً الى سمرقند مظفراً فا فتى ان واقته المتون وكشف الله عن العالم كربة (٨٠٧ هـ) فلما بعده ابنه شاخ رخ ثم انتقل الملك الى اعقابيه الى ان تلاشى واضمحَل (لابي الفرج)

ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها (٦٩٩ - ١٣٠٣ هـ) (١٢٩٩ - ١٨٨٤ م)

٢٢٥ قال القرمانى : وهم من اعظم السلاطين اجهة وجلالة واشدهم قوة وآثاراً . واول من ملك منهم الامير عثمان الغازي (٦٩٩ هـ ١٣٠٠ م) واصله من التراكمة الرحالة التتالة من طائفة التتر وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان شجاعاً مقداماً افتتح بلاداً كثيرة من يد السجوقيين فاستقل عليها . ثم ولي بعده ابنه اورخان (٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م) افتتح بروسا وجعلها مقر سلطنته واستولى على كليولوي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بينها وبين قسطنطينية ستة وعثون ميلاً . ثم ملك بعده ولده مراد الاول الغازي (٧٦١ هـ ١٣٦٠ م) افتتح آدرنة سنة

١٥٧٦١، وهو اول من اتخذ الماليك وسماهم ينشئة يعني العسكر الجديد والبسم اللباد
 الايض المثنى . ثم ملك بعده ولده السلطان يلدرم بايزيد خان (١٣٨٩٥٧٩٣ م) ولده
 فتوحات كثيرة منها نيقية عاصمة بلاد الكرمان وتوقات وصامسون . وحاصر الاساتنة .
 ولم يفتحها والتزم صاحبها بالخراج . ثم استظهر تيمورلنك على بايزيد كما مر (١٤٠٣ م) . ثم
 خلفه ابنه محمد الاول بعد ان قتل اخوته (١٤١٤٥٨١٦ م) وفك بيلاد القرمان . ثم
 خلفه ابنه مراد الثاني (١٤٢٣٥٨٢٤ م) الذي غزا بلاد ارنود وفتح مورة وسالونيك وضرب
 السكة باسمه واتصر عليه ملك المجر . ثم ولي الامر بعده ابنه محمد الثاني (١٤٥١٥٨٥٥ م)
 وهو الذي فتح القسطنطينية (١٤٥٣ م) وغزا بوسنة وغلبة القرال (حنا هوناد) في بلاد
 بلغراد ودفعه الاستبارية عن رودس . ثم ملك بعده ابنه بايزيد الثاني (١٤٨١٥٨٨٦ م)
 قاتل اخاه جيم وغلبة ثم استنزل عن الملك لابنه سليم الاول (١٥١٣٥٩١٨ م) . ففتح سليم
 مصر والشام واستولى على بلاد العرب وفارس واباد ملك الجراكسة فيها . ثم خلفه ابنه سليمان
 خان (١٥٢٠٥٩٢٦ م) استولى على رودس وكوفوس وعراق العجم ورده النصارى عن
 فينا ومالطة (وكان يحميها لاقالت) . ثم ملك بعده سليم الثاني ابنه (١٥٦٧٥٩٧٤ م) فتح
 تونس وقبرس واليمن وغلبة الفرنج في خليج (لينت) . ثم تولى بعده السلطان مراد الثالث
 (١٥٧٣٥٩٨٣ م) قهر الكرج وفتح تفليس . ثم ملك ابنه محمد الثالث (١٥٩٥٥١٠٠٣ م)
 غزا المجر وغلهم . ثم عقبه ابنه احمد الاول (١٦٠٣٥١٠١٢ م) وهادن الفرنج . ثم تولى بعده
 السلطان اخوه مصطفى الاول وخلعه ينشئة لثلاثة اشهر من ملكه . ثم ملك عثمان الثاني
 ابن احمد الاول (١٦١٨٥١٠٣٧ م) قتله ينشئة وارجعوا مصطفى ثانية (١٦٠٣١٠٣١) .
 ثم خلفه مراد الرابع (١٦٢٣٥١٠٣٢ م) فتح بغداد وقهر العجم . ثم تولى الملك بعده ابنه
 ابراهيم (١٦٤٠٥١٠٤٩ م) ثم السلطان الغازي محمد الرابع (١٦٤٧٥١٠٥٨ م) غلبه
 المجر في سنغودار وكسر عسكره سويسلي في فينا ثم ملك بعده سليمان خان الثاني (١٦٩٩٥١٠٩٩ م)
 (١٦٨٨ م) فتح جزيرة كندية . ثم ملك بعده احمد الثاني (١٦٩١٥١١٠٣ م) اتهر عليه
 اللان . ثم ملك مصطفى الثاني (١٦٩٥٥١١٠٦ م) . ثم الغازي احمد الثالث (١١١٥ م)
 (١٧٠٤ م) . ثم الغازي محمود الاول (١٧٣٣٥١١٤٣ م) . ثم عثمان الثالث (١١٦٨ م)
 (١٧٥٧ م) . ثم مصطفى الثالث (١٧٦٩٥١١٧١ م) . ثم عبد الحميد خان الاول (١١٨٧ م)
 (١٧٧٥ م) . ثم سليم خان الثالث (١٧٩٠٥١٢٠٣ م) . ثم مصطفى الرابع (١٨١٠٥١٢٢٣ م)
 ثم الغازي محمود الثاني (١٨١٠٥١٢٣٣ م) . ثم الغازي عبد الحميد خان (١٨٣٥٥ م)
 (١٨٤١ م) . ثم عبد العزيز خان (١٨٦٣٥١٢٧٧ م) . ثم مراد خان الخامس فخلع (١٢٩٣ م)
 (١٨٧٦ م) . ثم السلطان عبد الحميد (١٨٧٧٥١٢٩٣ م) فخلع سنة (١٩٠٩٥١٣٢٧ م)
 وخلفه اخوه رشاد السلطان الدستوري وسمي محمد الخامس . ايده الله بالبر والتوفيق

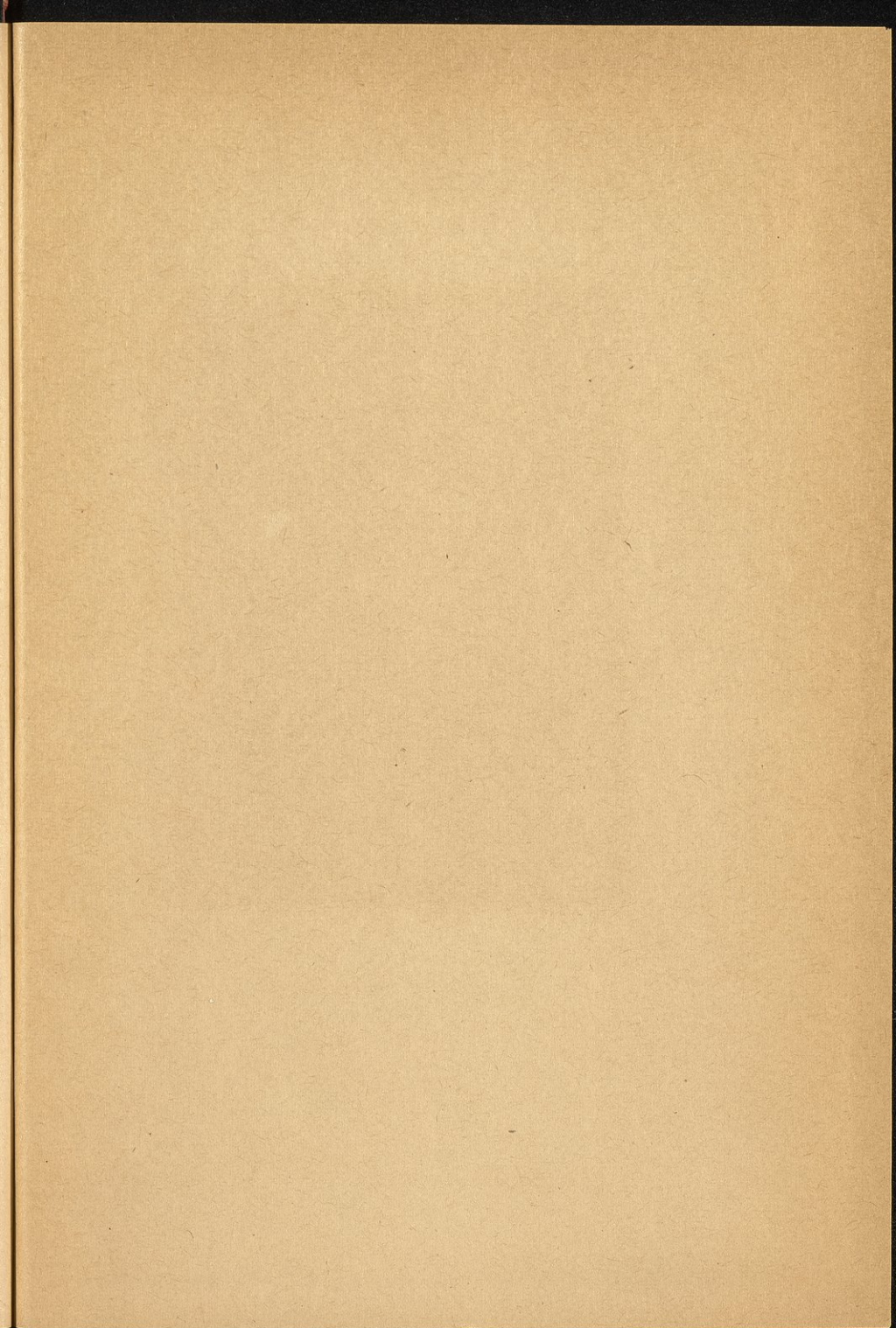
فهرس الجزء السادس من كتاب مجاني الادب

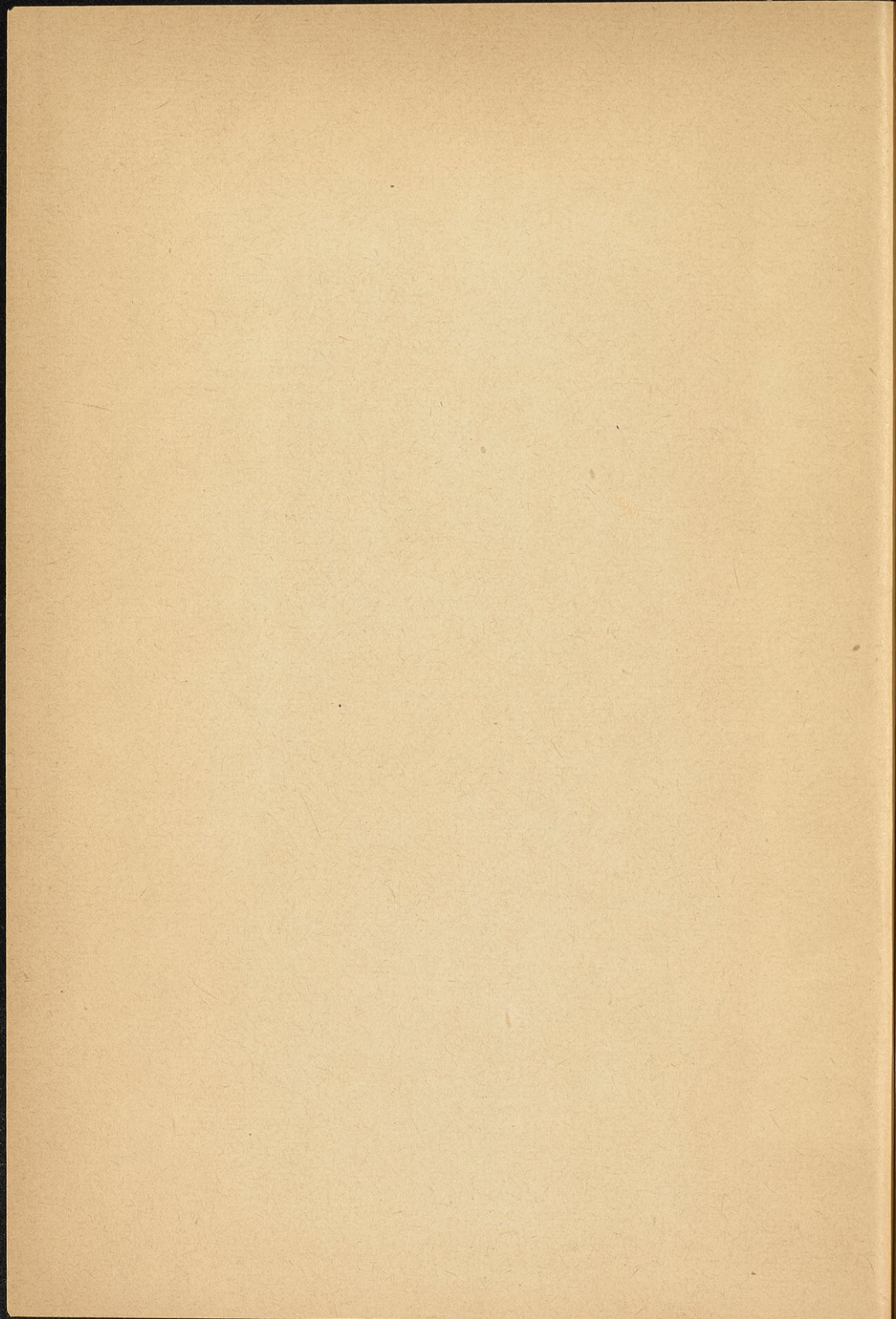
وجه	وجه
١٠٦	المقامة الانطاكية
١٠٩	نخبة من مقامات شهاب الدين الحفاجي
١٠٩	مقامة القرية
١١٣	نخبة من مقامات بدیع الزمان الحمذاني
١١٣	المقامة الاهوازية
١١٤	المقامة القزوينية
١١٦	المقامة الناجمية
١١٩	نخبة من مقامات الحريري
١١٩	المقامة البرقعيدية
١٢٣	المقامة الاسكندرية
١٢٨	المقامة البغدادية
١٣١	المقامة الكرجية
١٣٥	المقامة التفلسية
١٣٨	المقامة المروية
١٤٢	الباب الخامس في اللطائف
١٤٢	ابن المنجّاج عند عبد الملك بن مروان
١٤٤	اجازة عبيد الابرص وامرئ القيس
١٤٧	علي بن ظافر عند الملك العادل
١٥١	البياضي يرثي ضره بعد قلعه
١٥٥	للمعري على لسان درع يخاطب سيفاً
١٥٦	وله على لسان رجل يطلب درع ابيه
١٥٧	للفارسي في التغزل بالكلمات الالهية
١٥٩	نخبة الفارسي وشرحها للبورييني
١٦٢	الباب السادس في الوصف
١٦٢	وصف المطر والسحابة
١٦٤	لابن الاثير في وصف الحيتل
٣	الباب الأول في الخطب
٣	من كتاب اطواق الذهب للزمخشري
١١	خطبة لبديع الزمان الحمذاني
١٤	نخبة من خطب الحريري
٢٢	موعظة لابن الجوزي
٢٤	نخبة من مواعظ لسان الدين بن الخطيب
٣٤	من كتاب الاعياد السيدية لابي الحليم
٣٤	لعيد الميلاد الجسدي المقدس
٣٨	لصباح احد القيامات المبارك
٤٢	لعيد الرسل الاطهار
٤٧	الباب الثاني في الخطب الحاسية
٤٧	تحريض خالد على القتال في اجنادين
٤٧	خطبة أمراء المسلمين في وقعة اليرموك
٤٨	خطبة طارق قبل فتوح الاندلس
٥٠	خطبة ابي حمزة بالمدينة
٥٢	تقليد السلطان للملك الظاهر
٥٦	خطبة ابي اذينة لابن المنذر
٥٧	قصيدة الحلي يحرّز بها الصالح من الغول
٦٢	الباب الثالث في المناظرات
٦٢	مناظرة بين بلاد الاندلس
٦٦	مغايرة بين السيف والقلم لجمال الدين
٧٩	رسالة ابن الوردي في السيف والقلم
٨٥	مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان
١٠٦	الباب الرابع في المقامات
١٠٦	نخبة من مقامات ابن الوردي

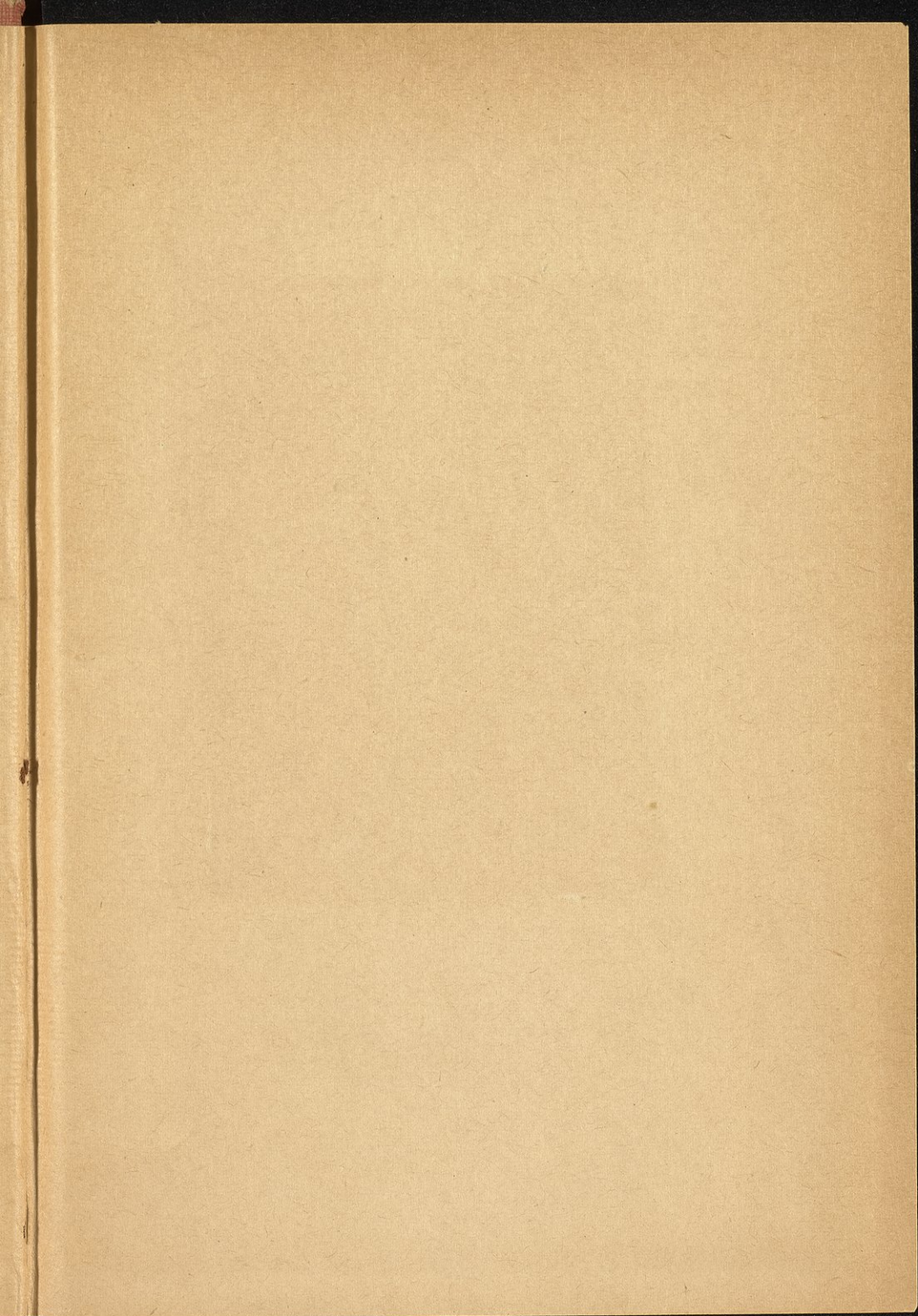
وجه	وجه
٢١٠	١٦٦ في وصف سفر البحر
٢١٠	١٦٧ وصف دولة بني حمدان
٢١٢	١٧١ لبشر بن ابي عوانة يصف قتاله الاسد
٢١٣	١٧٢ صفة النفس لابن سناء الرئيسي
٢١٤	١٧٣ لعلي بن محمد الايادي يصف أسطولا
٢١٦	١٧٤ لابي فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنسرين
٢١٧	١٧٥ لابن طباطبا الحسيني في وصف الليل
٢١٨	١٧٦ للربيع بن زياد العبسي في وصف حرب
٢١٩	١٧٧ للحلي في وصف قدوم الكراكي
٢٢١	١٧٨ وله في صفة الشمع
٢٢٢	١٧٩ وصف الفيل لابن حسن الجوهرى
٢٢٤	١٨٠ وصف الكرمه للطغرائي
٢٢٥	١٨١ زهرية الفقيه ابي الحسن بن زنباع
٢٢٦	١٨٢ لابن حمديس يصف داراً بناها المنصور
٢٢٩	١٨٤ الباب السابع في الشعر القديم
٢٣١	١٨٤ نخبة من معلقة امرئ القيس
٢٣٤	١٨٥ نخبة من معلقة طرفة البكري
٢٣٦	١٨٦ نخبة من معلقة زهير بن ابي سلى
٢٣٨	١٨٩ نخبة من معلقة لبید العامري
٢٣٨	١٩١ نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم
٢٣٩	١٩٦ نخبة من معلقة الحارث بن حنزة الشكري
٢٤٠	١٩٩ نخبة من معلقة عنتر بن شداد العبسي
٢٤١	٢٠١ لامية العرب
٢٤٢	٢٠٤ نخبة من لامية العجم للطغرائي
٢٤٤	٢٠٦ قصيدة النابغة يمتدحها الى النعمان
٢٤٥	٢٠٨ نخبة من لامية اعشى قيس
٢٤٦	
٢١٠	الباب الثامن في المراثي
٢١٠	كعب بن سعد الغنوي في اخيه
٢١٢	لدريد بن الصمعة في مقتل اخيه
٢١٣	للهملهل في رثاء اخيه
٢١٤	لمالك التميمي في رثاء نفسه
٢١٦	لمتعم بن نويرة اليربوعي يرثي اخاه
٢١٧	لشبل بن معبد الجبلي يرثي بنيه
٢١٨	للهمذاني في رثاء بنيه السبعة
٢١٩	عينية علي بن جبلة في حميد الطوسي
٢٢١	لابي محمد الليثي في يزيد بن مزيد
٢٢٢	لصفي الدين الحلي يرثي الملك ناصر الدين
٢٢٤	لابي تمام في محمد بن الفضل الحميري
٢٢٥	ولحبيب يرثي القاسم بن طوق
٢٢٦	لابي العلاء المعري في جعفر بن المهذب
٢٢٩	وله في فقيه حنفي
٢٣١	لابي الطيب المتيني يرثي ابا شجاع فانتك
٢٣٤	وله يرثي والده سيف الدولة
٢٣٦	وله ايضاً في رثاء جدته
٢٣٨	الباب التاسع في الفخر
٢٣٨	قصيدة طرفة في الفخر
٢٣٩	لمبيد بن الابصر الاسدي
٢٤٠	لعروة بن الورد العبسي
٢٤١	لحسان بن ثابت لبشر بن ابي حازم
٢٤٢	للفرزدق التميمي في الفخر
٢٤٤	للاديب ابي عبد الله بن النخار الملقبي
٢٤٥	لطرغرائي في الفخر
٢٤٦	لابي تمام يفتخر بقومه

وجه	وجه
٢٩٧	الشعراء المسلمون
٣١٣	الباب الثالث عشر في التاريخ
٣١٣	اخبار الفرنج في ملكوا من سواحل الشام
٣١٣	زحفة الفرنج الاولى الى المشرق
٣١٤	ملك غديريد وبقدوين الاول
٣١٥	ملك بقدوين الثاني زنكي وفتوحاته
٣١٦	ملك بقدوين الثالث و وفاة زنكي
٣١٧	زحفة الفرنج الثانية الى المشرق
٣١٧	غزوات نور الدين
٣١٨	ملك أموري
٣١٨	وفاة نور الدين وظهور صلاح الدين
٣١٩	بقدوين الرابع فتوحات صلاح الدين
٣٢٠	بقدوين الخامس
٣٢١	ذكر وقعة حطين
٣٢٢	فتح القدس لصلاح الدين
٣٢٣	زحفة الفرنج الثالثة
٣٢٤	حصار عكا والصلح زحفة الفرنج
٣٢٤	الرابعة
٣٢٥	زحفة الفرنج الخامسة واستيلائهم على القسطنطينية
٣٢٦	زحفة الفرنج السادسة الى المشرق
٣٢٦	زحفة الفرنج السابعة
٣٢٧	زحفة الفرنج الثامنة الى المشرق
٣٢٩	زحفة الفرنج التاسعة وحصار تونس
٣٢٩	انقراض دولة الفرنج في المشرق
٣٣٠	ذكر التتر فتوحات جنكيزخان
٣٣١	ظهور تيمورلنك وفتوحاته
٣٣٢	ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها
٢٤٧	لاي فراس الحمداني في الفخر
٢٤٨	لاي العلاء المعري في الفخر
٢٥٠	الباب العاشر في المديح
٢٥٠	لزهر في مديح هرم بن سنان
٢٥٠	للنابغة الذبياني في عمرو بن الحارث
٢٥١	الفسائي
٢٥٢	لعلقمة الفحل في مدح الحارث الوهاب
٢٥٣	للفرزق في عمر بن الوليد بن عبد الملك
٢٥٤	وله في وصف الامام زين العابدين
٢٥٦	لابن خفاجة في مدح يحيى بن ابراهيم
٢٥٧	لابن الازرق الاندلسي في مدح بن عاصم
٢٥٨	لاي عتاق في هارون الواثق بالله
٢٥٩	وله في المعتمد بالله عند فتح عمورية
٢٦٣	للتلمساني في مدح الملك المنصور
٢٦٤	لاي الطبيب المتني في الحسين التنوخي
٢٦٥	وله يمدح ابا شجاع فاتكا
٢٦٨	وله يمدح سيف الدولة
٢٧١	الباب الحادي عشر في المراسلات
٢٧١	مراسلات بين الملوك والأعيان
٢٧٤	في الطلب والاشواق
٢٧٦	في العتاب واللوم
٢٧٧	في المديح والتهنئة والشكر
٢٧٨	في التعزية
٢٨٥	في الوصاة
٢٨٦	الباب الثاني عشر في التراجم
٢٨٦	شعراء الجاهلية
٢٩٤	شعراء المخضرمون

تمَّ طبع هذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية، بيروت، في السابع
عشر من شهر نيسان سنة ١٩٥٧







Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 043490356



المكتبة الشرقية - بسيزوت